الرَّوضُ الأُنُف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

الجزء الثالث

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

الروض الأنف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي

٥٠٨ — ٥٨١ هـ

ومعه

السيرة النبوية للإمام ابن هشام

المتوفى ٢١٨ هـ

الجزء الثالث

تحقيق وتعليق وشرح

عبد الرحمن الوكيل

توزيع
مكتبة العلم بجدة
حي الثغر
ت: ٦٨٧٧٠١٤

الناشر
مكتبة ابن تيمية
القاهرة ت: ٨٦٤٢٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وسيد ولد آدم أجمعين ، محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله الذين اهتدوا بهديه إلى يوم الدين .

« أما بعد » فبإسم الله نقدم الجزء الثالث من « الروض الأنف » للسهيلى والسيرة النبوية لابن هشام ، سائلين الله أن يعين على التمام ، وأن يجعل عملنا هذا صالحة عنده . إنه سميع مجيب » .

القاهرة — حلوان — مدينة الزهراء

عبد الرحمن الوكيل

ابتداء ما افترض الله سبحانه وتعالى

على النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة وأوقاتها

وافتُرِضت الصلاة عليه ، فصلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته .

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كَيْسان عن عُرْوة بن الزُّبير ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : افترِضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّل ما افتُرضت عليه ركعتين ركعتين ، كلّ صلاة ، ثم إن الله تعالى أتمها فى الحضر أربعا ، وأقرها فى السفر على فرضها الأول ركعتين .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ أهل العلم : أن الصلاة حين افتُرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة ، فهَمَزَ له بعَقِبه فى ناحية الوادى ، فانفجرتْ منه عين . فتوضأ جبريل عليه السلام ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ، ليُرِيَه كيف الطُّهور للصلاة ، ثم توضأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريلَ تَوَضأ ، ثم قام به جبريلُ ، فصلى به ، وصلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بصلاته ، ثم انصرف جبريلُ عليه السلام .

فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خديجة ، فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة ، كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ لها رسولُ الله عليه الصلاة والسلام ، ثم صلى بها رسول الله عليه الصلاة والسلام ، كما صلى به جبريلُ ، فصلّت بصلاته.

• • • • • • • • • •

قال ابن إسحاق : وحدثنى عُتْبَةُ بن مُسْلِم ، مولى بنى تميم ، عن نافع بن جُبَير بن مُطْعِم ـ وكان نافع كثير الرواية ـ عن ابن عباس قال : لما افتُرِضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريلُ عليه السلام ، فصلى به الظهر حين مالت الشمس ، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق ، ثم صلى به الصبحَ حين طلع الفجر ، ثم جاءه ، فصلى به الظهر من غد حين كان ظله مِثْلَه ، ثم صلى به العصر حين كان ظلُّه مثليه ، ثم صلى به المغربَ حين غابت الشمس لوقتها بالأمس ، ثم صلى به العشاء الآخرةَ حين ذهب ثلثُ الليل الأوّل ، ثم صلى به الصبح مُسْفِراً غير مشرِق ، ثم قال : يامحمد ، الصلاة فيما بين صلاتك اليوم ، وصلاتك بالأمس

ذكر أن على بن أبى طالب رضى الله عنه أول ذكر أسلم

قال ابن إسحاق : ثم كان أوّلَ ذَكَرٍ من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى معه ، وصدّق بما جاءه من الله تعالى : علىُّ بنُ أبى طالب بن عبدالمطلب بن هاشم ـ رضوان الله وسلامه عليه ـ وهو يومئذ ابن عَشْر سنينَ .

وكان مما أنعم الله على علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، أنه كان فى حِجْر رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نَجِيح ، عن مجاهد بن جَبْر بن أبى الحجَّاج ، قال : كان من نعمة الله على علىّ بن أبى طالب ، ومما صنع الله له ، وأراده به من الخَيْر ، أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عِيَالٍ

كثير ، فقال رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — للعباس عمه ، وكان من أيسر بنى هاشم : يا عباس ، إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب النّاسَ ما ترى من هذه الأزْمة، فانطلقْ بنا إليه، فَلْنُخففِّفْ عنه من عياله ، آخذُ من بَنيه رجلاً ، وتأخذ أنت رجلاً ، فنكلهما عنه ، فقال العبّاس : نعم ، فانطلقا ، حتى أتيا أبا طالب ، فقالا له : إنا نريد أن نخفّف عنك مِنْ عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لى عَقِيلاً ، فاصنعا ما شئتما قال ابن هشام : ويقال : عقيلاً وطالبا .

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً ، فضمَّه إليه ، وأخذ العبّاسُ جعفراً فضمَّه إليه ، فلم يزل علىّ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً ، فاتبعه علىّ رضى الله عنه ، وآمن به وصدّقه ، ولم يزل جعفرٌ عند العبّاس ، حتى أسلم واستغنى عنه .

أبو طالب يكتشف إيمان على :

قال ابن إسحاق : ذكر بعضُ أهل العلم أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاةُ خرج إلى شِعاب مكة، وخرج معه علىّ بن أبى طالب مُستخفيا من أبيه أبى طالب ، ومِنْ جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلواتِ فيها ، فإذا أمسيا رجعا، فمكثا كذلك ماشاء الله أن يمكثا . ثم إن أباطالب عثر عليهما يوما وهما يصليان ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بن أخى ! ما هذا الدينُ الذى أراك تَدِين به ؟ قال : أى عمّ هذا دين الله ، ودين ملائكته ، ودين رُسله ، ودين أبينا إبراهيم — أو كما قال صلى الله عليه وسلم — بعثنى الله به رسولاً إلى العباد ، وأنت أى عمّ ، أحقُّ مَنْ بذلتُ له النصيحةَ ، ودعوته إلى الهدى ،

وأحقُّ مَنْ أجابنى إليه، وأعاننى عليه، أو كما قال. فقال أبو طالب: أى ابنَ أخى، إنى لا أستطيع أن أفارق دينَ آبائى، وما كانوا عليه، ولكن والله لا يُخْلَص إليك بشىء تكرهه ما بقيتُ.

وذكروا أنه قال لعلىّ: أى بُنَىّ، ما هذا الدِّين الذى أنت عليه؟ فقال: ياأبتِ، آمنت بالله وبرسول الله، وصدّقته بما جاء به، وصلّيتُ معه لله واتبعته. فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يَدْعُك إلاَّ إلى خيرٍ فالزمْه.

إسلام زيد بن حارثة ثانيا

قال ابن إسحاق: ثم أسلَمَ زيدُ بن حارثة بن شُرَحْبِيل بن كَعْب بن عبد العُزّى ابن امرىء القَيْس الكلبى، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أوّل ذَكَر أسلم، وصلى بعد علىّ بن أبى طالب.

قال ابن هشام: زيد بن حارثة بن شَرَاحيل بن كَعْب بن عبد العُزّى بن امرىء القيس بن النعمان بن عامر بن عَبْدوُدّ بن عَوْف بن كِنانة بن بكر ابن عَوْف بن عُذْرة بن زيد اللّاتِ بن رُفَيْدة بن ثور بن كلب بن وَبَرة. وكان حكيم بن حزام بن خُوَيلد قدم من الشام برقيق، فيهم زيدُ بن حارثة وصيف. فدخلتْ عليه عمتُه خديجة بنت خُوَيلد، وهى يومئذ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها: اختارى يا عمّة أىَّ هؤلاء الغلمان شِئْتِ فهو لك، فاختارت زيداً فأخذته، فرآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عندها، فاستَوْهبه منها، فوهبته له، فأعتقه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وتبنّاه، وذلك قبل أن يوحَى إليه.

وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعا شديدا ، وبكى عليه حين فقده ، فقال :

بكَيتُ على زيدٍ ولم أدرِ ما فعَلْ ... أحَيٌّ ، فيُرجَى أم أتى دونَه الأجَل
فوالله ما أدرِي ، وإني لسائلٌ ... أغالكَ بعدى السَّهلُ أم غالكَ الجَبَلْ
ويا ليتَ شِعرى هل لكَ الدهرَ أوبَةٌ ... فحسْبِى من الدنيا رجوعُك لى بجَلْ
تُذكِّرُنيه الشَّمسُ عند طُلوعها ... وتَعرِضُ ذِكراه إذا غَربُها أفَل
وإن هبَّت الأرواح هَيَّجْن ذكْرَه ... فيا طُول ما حزْنِى عليه وما وَجَل
سأُعمِلُ نصَّ العِيس فى الأرض جاهداً ... ولا أسأم التَّطْوافَ أو تَسأمَ الإبل
حياتىَ أو تأتى علىَّ مَنيَّتى ... فكلُّ امرىءٍ فانٍ ، وإن غرَّه الأمَل

ثم قدم عليه — وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم — فقال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم : إن شئتَ فأقِمْ عندى ، وإن شئت فانطلق مع أبيك ، فقال : بل أقيم عندك . فلم يزل عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى بعثه الله فصدَّقه وأسلم ، وصلى معه ، فلما أنزل الله عزَّ وجلَّ : « ادْعوهمْ لآبائِهِمْ » الأحزاب : ٥ قال : أنا زيد بن حارثة .

إسلام أبى بكر الصديق رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : ثم أسلم أبو بَكر بن أبى قحافة ، واسمه : عَتيق ، واسم أبى قحافة : عثمان بن عامر بن عمرو بن كَعْب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة بن كَعْب ابن لؤَىّ بن غالب بن فهر .

قال ابن هشام : واسم أبى بكر : عبد الله ، وعَتيق : لقب لحسن وَجْهه وعتقه

قال ابن إسحاق : فلما أسلم أبو بكر رضى الله عنه : أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله وإلى رسوله .

وكان أبو بكر رجلاً مُؤَلَّفا لقومه ، محببًا سَهْلاً ، وكان أنسبَ قريش لقريش ، وأعلم قريش بها ، وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلا تاجراً ، ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ، ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته ، فجعل يدعو إلى الله ، وإلى الإسلام مَنْ وثق به من قومه ، ممَّن يغشاه ويجلس إليه .

فرض الصلاة

وذكر حديث عُرْوَةَ عن عائشة : « فُرِضت الصلاة ركعتين ركعتين ، فزيد فى صلاة الحضر ، وأُقِرَّت صلاةُ السفر »(١) ، وذكر المُزَنِيُّ أن الصلاة قبل الإسراء(٢) كانت صلاةً قبل غروب الشمس ، وصلاةً قبل طلوعها ، ويشهد لهذا القول قوله سبحانه : (وَسَبِّح بحمد ربك بالْعَشِيِّ والإبكار(٣)) غافر : ٥٥ . وقال يحيى

---

(١) البخارى ومسلم ومالك وأبو داود والنسائى .

(٢) قال الحافظ فى الفتح : « كان صلى الله عليه وسلم قبل الإسراء يصلى قطعا ، وكذلك أصحابه » أقول : وفى ختام سورة المزمل ، وهى التى نزلت بعد القلم : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » آية : ٢٠ وفى سورة القلم : « أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى » وهى قطعا قبل الإسراء وفى المدثر بعدها عن المجرمين : (ما سلككم فى سقر ، قالوا : لم نك من المصلين) ٤٢ ، ٤٣ وآيات غيرها تؤكد أن الصلاة كانت مفروضة قبل الإسراء .

(٣) لا تصلح دليلا لما يقول ، إذ يمكن أن يفهم أن المقصود هو الأمر بالتسبيح طول اليوم .

. . . .

ابن سلام مثله ، وقال : كان الإسراء وفرض الصلوات الخمس قبل الهجرة بعام ، فعلى هذا يحتمل قول عائشة : فزيد فى صلاة الحضر ، أى : زيد فيها حين أكملت خمسا ، فتكون الزيادة فى الركعات ، وفى عدد الصلوات ، ويكون قولها : «فرضت الصلاة ركعتين» أى : قبل الإسراء ، وقد قال بهذا طائفة من السَّلَفِ ، منهم : ابن عباس ، ويجوز أن يكون معنى قولها : فُرِضَت الصلاةُ : أى ليلة الإسراء ، حين فُرضت الخمسُ فرضت ركعتين ركعتين ، ثم زيد فى صلاة الحضر بعد ذلك ، وهذا هو المروى عن بعض رواة هذا الحديث عن عائشة ، ومن رواه هكذا الحسن والشَّعْبىُّ أن الزيادة فى صلاة الحضر كانت بعد الهجرة بعام ، أو نحوه ، وقد ذكره أبو عمر ، وقد ذكر البخارى من روايةِ مَعْمَر عن الزُّهْرِىِّ عن عُرْوَة عن عائشة قالت : فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ففُرضت أربعا ، هكذا لفظ حديثه وههنا سؤال يقال : هل هذه الزيادة فى الصلاةِ نَسْخ أم لا ؟ فيقالُ : أما زيادة ركعتين أو ركعة إلى ما قبلها من الركوع حتى تكون صلاة واحدة ، فنَسْخٌ لأن النسخَ رفع الحكم ، وقد ارتفع حكم الإجزاء من الركعتين ، وصار من سَلَّم منهما عامدا أفسدها ، وإن أراد أن يتم صلاته بعد ما سلم ، وتحدث عامدا لم يُجْزِه إلا أن يستأنف الصلاة من أولها ، فقد ارتفع حكم الإجزاء بالنَّسْخ ، وأما الزيادة فى عدد الصلوات حين أكملت خمسا بعد ما كانت اثنتين ، فيسمَّى نسْخاً على مذهب أبى حنيفة ، فإن الزيادة عنده على النص نسخ ، وجمهورُ المتكلمين على أنه ليس بنسخ ولاحتجاج الفريقين موضع غير هذا(١) .

---

(١) ليس فى القرآن آية منسوخة بالمعنى الذى فسر به النسخ علماء الأصول . والآيات التى =

. . . .

الوضوء :

فصل : وذكر نزول جبريل عليه السلام بأعلى مكة حين هَمَزَ له بعقبه ، فأنبع الماء ، وعلمه الوضوء ، وهذا الحديث مقطوع فى السيرة ، ومثله لا يكون أصلا فى الأحكام الشرعية ، ولكنه قد روى مسندا إلى زيد بن حارثة ـ يرفعه ـ غير أن هذا الحديث المسنَد يدور على عبد الله بن لَهِيعَة وقد ضُعِّف ، ولم يخرج عنه مُسْلِم ولا البخارى ؛ لأنه يقال : إن كتبه احترقت ، فكان يحدث من حفظه ، وكان مالك بن أنس يحسن فيه القول ، ويقال إنه الذى روى عنه حديثَ بيْع الْعُرْبَانِ(١) فى الموطأ مالك ، عن الثقة عنده ، عن عَمْرو بن شُعَيْب ، فيقال : إن الثقة ههنا ابن لَهِيعة ، ويقال : إن ابنَ وَهْب حدث به عن ابن لَهِيَعة ، وحديث ابن لَهِيعةَ هذا ، أخبرنا به أبو بكر الحافظ محمد ابن العربى قال : نا أبو المطهر سعد بن عبدالله بن أبى الرجاء ، عن أبى نعيم الحافظ قال : نا أبو بكر أحمد بن يوسف العطار قال : نا الحارث بن أبى أسامة ، قال : نا الحسن بن موسى عن ابن لهيعة ، عن عقيل بن خالد عن الزهرى ، عن عروة عن أسامة بن زيد ، قال : حدثنى أبى زيد بن حارثة أن رسول الله ـ صلى الله عليه

= زعموا أنها منسوخة هى آيات يجب العمل بها . كل آية فى المصحف الذى بأيدينا يجب تدبرها والعمل بمقتضاها . ولنحذر من القول بنسخ آية فيه فنحكم ببطلان ما هو حق

(١) بيع العربان هو أن يشترى السلعة ، ويدفع إلى صاحبها شيئا ، على أنه إن أمضى البيع حسب من الثمن ، وإن لم يمض البيع كان لصاحب السلعة ، ولم يرتجعه المشترى ، وهو بيع باطل عند الفقهاء لما فيه من الشرط والغرر وأجازه أحمد ، قال ابن الأثير ، وحديث النهى منقطع «مفردات ابن الأثير واللسان» .

. . . .

وسلم ـ فى أول ما أوحى إليه أتاه جبريل عليه السلام، فعلمه الوضوء، فلما فرغ من الوضوء أخذ غُرْفة من ماء، فنَضَح بها فَرْجه، وحدثنا به أيضا أبو بكر محمد ابن طاهر، عن أبى على الغسانى عن أبى عُمَر النَّمَرِىِّ، عن أحمد بن قاسم، عن قاسم بن أَصْبَغ، عن الحارث بن أبى أسامة بالإسناد المتقدم، فالوضوء على هذا الحديث مَكِّىٌّ بالفَرْض، مَدَنِىٌّ بالتِّلاوة، لأن آية الْوضوء مدنية(١)، وإنما قالت عائشة: فأنزل الله تعالى آية التيمم، ولم تقل :آية الوضوء، وهى هى؛ لأن الوضوء قد كان مفروضا قبلُ، غير أنه لم يكن قرآنا يَتلى، حتى نزلت آيةُ المائدة.

إمامة جبريل:

وذكر حديث عبد الله بن عباس فى إمامة جبريل للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) يقول ابن حجر فى الفتح عن حديث ابن لهيعه: وهو مرسل، ووصله أحمد من طريق ابن لهيعة، لكن قال: عن الزهرى عن عروة عن أسامة بن زيد عن أبيه، وأخرجه ابن ماجة من رواية راشد بن سعد عن عقيل عن الزهرى نحوه، لكن لم يذكر زيد بن حارثة فى السند، وأخرجه الطبرانى فى الأوسط من طريق الليث عن عقيل موصولا، ولو ثبت لكان على شرط الصحيح. لكن المعروف رواية ابن لهيعة. هذا وقد روى حديث صلاة جبريل بالرسول أبو داود والترمذى مع اختلاف يسير عما فى السيرة، وقال الترمذى: حسن صحيح، وصححه الحاكم والذهبى والنووى وغيرهم من «المشكاة». وعن ابن مسعود عن النبى «نزل جبريل فأمنى، فصليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، يحسب بأصابعه خمس صلوات. ـ زاد فى رواية ـ ثم قال: بهذا أمرت» رواه الخمسة إلا الترمذى ـ التاج».

. . . .

وتعليمه إياه أوقات الصلوات الخمس فى اليومين ، وهذا الحديث لم يكن ينبغى له أن يذكره فى هذا الموضع ؛ لأنَّ أهلَ الصحيح متفقون على أن هذه القصة ، كانت فى الغدِ من ليلة الإسراء ، وذلك بعد ما نُبِّئ بخمسة أعوام ، وقد قيل إن الإسراء كان قبل الهجرة بعام ونصف ، وقيل : بعام ، فذكره ابن إسحاق فى بدء نزول الوحى ، وأول أحوال الصلاة .

أول من آمن :

وذكر أن أول ذَكَرٍ آمن بالله عَلِىٌّ - رضى الله عنه - ، وسيأتى قولُ من قال : أول مَن أسلم أبو بكر ، ولكن ذلك - والله أعلم - من الرجال ؛ لأن عليا كان حين أسلم صَبِيًّا لم يدرك ، ولا يختلف أن خديجة هى أول من آمن بالله ، وصدق رسوله ، وكان علىٌّ أصغر من جَعْفر بعشرِ سنين[١] ، وجعفرٌ أصغر من عَقِيل بعشر سنين ، وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين ، وكلهم أسلم إلا طالباً اختطفته الجن ، فذهب ولم يعلم بإسلامه[٢] ، وأمُّ علىٍّ : فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وقد أسلمت ، وهى إحدى الفواطم التى قال فيهن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعلىٍّ رضى الله عنه : اقْسِمْه بين الفواطم الثلاثِ ، يعنى ثوبَ حَرِيرٍ ، قال القُتَبِىُّ . يعنى : فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفاطمة بنت أسد ، ولا أدرى من الثالثة ، ورواه عبد الغنى بن سعيد : اقْسِمه بين الفواطم الأربع ، وذكر

---

(١) هو كما قال فى نسب قريش ص ٣٩ .

(٢) خرافة .

. . . .

فاطمة بنت حمزة مع اللتين تقدمتا ، وقال : لا أدرى مَن الرابعة ، قاله في كتاب الغوامض والمبهمات(١) .

إسلام زيد :

فصل : وذكر حديث زيد بن حارثة ، وقال فيه : حارثة بنُ شُرَحْبِيل ، وقال: ابن هشام شَراحيل ' قال أصحاب النسب كما قال ابن هشام ، ورفع نسبه إلى كلب بن وَبَرة، وَوَبَرَة هو : ابن ثعلب بن حُلوان بن الحافِ بن قضاعة(٢) ، وأم زيد :

(١) استدل من حكموا بسبق على بحديث عند الطبرانى أن النبى « ص » صلى أول يوم الاثنين ، وصلت خديجة آخره ، وصلى على يوم الثلاثاء . وبما جاء فى المستدرك للحاكم : نبىء النبى يوم الاثنين ، وأسلم على يوم الثلاثاء . وإلى هذا ذهب سلمان وخباب وجابر وأبو سعيد الخدرى ، وبما جاء فى الطبرانى عن الحسن وغيره : كان أول من آمن على بن أبى طالب ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، أو ست عشرة . بينما روى عن عروة أنه أسلم وهو ابن ثمان سنين وفيه ابن لهيعة ، وفيه ضعف .

(٢) فى جمهرة ابن حزم : حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . وجاء فى مجمع الزوائد عن نسبه : بن رفيدة بن كليب بن وبرة بن الحارث بن قضاعة وفى جمهرة ابن حزم : زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن عامر بن النعمان ابن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة ابن كلب بن وبرة، ونسبه فى الإصابة : زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبدود بن عوف ابن كنانة بن بكر بن عوف بن زيد اللات بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبى وما سأزيده بين قوسين فى نسب أمه من الإصابة .

هذا وقد اتفق على أنه أول من أسلم من الموالى . وقيل إن حكيم بن حزام اشتراه لعمته خديجة بأربعمائة درهم كما جاء فى الإصابة . أما كونه أول ذكر أسلم ، فهو فى حديث مرسل عند الطبرانى كما فى السيرة . وفى مجمع الزوائد أن خديجة رضى الله عنها هى التى استوهبته .

. . . .

سُعْدَى بنت ثعلبة [بن عبد عامر] من بنى مَعْن ٍ من طيِّء ، وكانت قد خرجت بزيد لتزيره أهلها ، فأصابته خيل من بنى القَيْنِ بن جِسْر ، فباعوه بسوق حُبَاشَة ، وهو من أسواق العرب ، وزيدٌ يومئذ ابن ثمانية أعوام ، ثم كان من حديثه ماذكر ابن إسحاق ، ولما بلغ زيدا قول أبيه : بكيت على زيدٍ ، ولم أدر ما فعل . الأبيات . قال بحيث يسمعه الرُّكبان :

أحِن إلى أهلى ، وإن كنتُ نائياً ... بأنى قعيدُ البيت عند المشاعر

فكُفُّوا من الوجد الذى قد شجاكم ... ولا تُعْملوا فى الأرض نَص الأباعر

فإنى بحمد اللهِ فى خَيْر أُسْرَةٍ ... كرام مَعَدٍّ كابرًا بعد كابر

فبلغ أباه [١] قوله ، فجاء هو وعمه كعب ، حتى وقفا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكة ، وذلك قبل الإسلام ، فقالا له : يابن عبد المطلب ، يا بن سيد قومه ، أنتم جيران الله ، وتفكون العانى ، وتطعمون الجائع ، وقد جئناكم فى ابننا عبدك [٢] ، لتحسن إلينا فى فدائه ، فقال : أو غير ذلك ؟ فقالا : وماهو؟ فقال : أدعوه وأخيره ، فإن اختاركما فذاك ، وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى

---

(١) فى الإصابة أن بعض الحجاج رأوا زيدا فعرفهم وعرفوه ، فطلب منهم أن يبلغوا أباه :

أحن إلى قومى وإن كنت نائيا ... بأنى قطين البيت عند المشاعر

فانطلق الحجاج ، وأعلموا أباه ، ووصفوا له موضعه

(٢) فى رواية : عندك .

. . . .

أختار على من اختارنى [١] أحـــدا ، فقالا له : قد زدت على النَّصَف ، فدعاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما جاء قال : من هذان ؟ فقال : هذا أبى حارثة بن شَرَاحيل ، وهذا عمى : كعب بن شراحيل ، فقال : قد خيرتك إن شئت ذهبت معهما ، وإن شئت أقمت معى ، فقال : بل أقيم معك [٢] ، فقال له أبوه : يا زيد أتختار العبودية [على الحرية و] على أبيك [٣] وأمك وبلدك وقومك ؟ ! فقال : إنى قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ، وما أنا بالذى أفارقه أبداً فعند ذلك أخذ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيده ، وقام به إلى الملأ من قريش [٤] ، فقال : اشهدوا أن هذا ابنى ، وارثاً وموروثاً ، فطابت نفس أبيه عند ذلك ، وكان يدعى : زيد بن محمد ، حتى أنزل الله تعالى : ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ [٥] الأحزاب : ٥ .

وفى الشعر الذى ذكره ابن إسحاق لحارثة بعد قوله :

حياتى وإن تأتى [٦] علىَّ مَنيَّتى ... فكل امرىء فانٍ وإن غره الأمل

---

(١) فى الإصابة : « فامنن علينا ، وأحسن فى فدائه ، فإنا سنرفع لك . قال : وما ذاك ؟ قالوا : زيد بن حارثة : فقال : أو غير ذلك ! . ادعوه ، فخيروه ، فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء ، وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى أختار على من اختارنى فداء » .

(٢) فى الإصابة : « أنت منى بمكان الأب والعم » .

(٣) الزيادة من الإصابة

(٤) وقد أخرجه إلى الحجر كما ورد فى الإصابة

(٥) عن عبد الله بن عمر ، قال : « إن زيد بن حارثة — رضى الله عنه — مولى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد ، حتى نزل القرآن : ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » الصحيحان والترمذى والنسائى

(٦) فى السيرة : أو تأتى

. . . .

سأوصى به قيساً وعمراً كليهما وأوصى يزيد ثم أوصى به جَبَل[١]

يعنى : يزيد بن كعب [بن شراحيل] وهو ابن عم زيد وأخوه [لأمه][٢]

ويعنى بجبل: جَبَلة بن حارثة أخا زيد ، وكان أسنَّ منه . سئل جبلة : من أكبر أنت أم زيد ؟ فقال : زيد أكبر منى ، وأنا ولدت قبله، يريد :أنه أفضل منه بسبقه للإسلام [٣] .

إسلام أبى بكر :

فصل : وذكر إسلام أبى بكر ونسبه ، قال : واسمه : عبدُالله ، وسمى عَتِيقا لِعَتَاقَةِ وجهه ، والعَتِيقُ : الحَسَنُ[٤] كأنه أُعتِق من الذم والعيب — وقيل : سمى عتيقا ؛ لأن أمه كانت لا يعيش لها ولد ، فنذرت إن وُلِد لها ولدٌ أن تسميه : عبدَ الكعبة ، وتتصدق به عليها ، فلما عاش وشبَّ ، سمى : عتيقا ، كأنه أُعتق من الموت[٥] ، وكان يسمى أيضاً : عبد الكعبة إلى أن أسلم ، فسماه رسول الله —

---

(١) فى الإصابة : ثم من بعدهم حبل

(٢) الزيادة من الإصابة

(٣) ورد فى البخارى عن ابن عمر : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : وايم الله إن كان لخليقا للامارة - يعنى : زيد بن حارثة - وإن كان من أحب الناس إلى) هذا وقد قتل زيد فى غزوة مؤتة . وهو أمير سنة ٨ هجرية

(٤) العتق أيضا الكرم والنجابة والشرف والحرية .

(٥) فى الإصابة : فلما ولدته استقبلت به البيت ، فقالت : اللهم هذا عتيقك من الموت ، فهبه لى، وقيل: لقب بهذا لأنه قديم فى الخير ، أو لأنه لم يكن فى نسبه شىء يعاب به أهله .

. . . .

صلى الله عليه وسلم — : عبد الله [١] ، وقيل : سمى : عتيقا ؛ لأن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال له حين أسلم : أنت عتيقٌ من النار [٢] ، وقيل : كان لأبيه ثلاثة من الولد : مُعْتَق ومُعَيْتِقٌ وعَتِيقٌ [٣] ، وهو : أبو بكر [٤] ، وسئل ابن مَعِين عن أم أبي بكر فقال : أم الخير عند اسمها ، وهي : أمُّ الخير بنت صَخْر بن عَمْرو [٥] بنت عم أبي قُحَافة ، واسمها : سلمى ، وتُكْنَى : أم الخير ، وهي من المبايعات ، وأما أبوه عثمان أبو قحافة فأمُّه : قَيْلَةُ — بياء باثنتين منقوطة من أسفل — بنت أذاة بن رِيَاح بن عبد الله بن قُرْطِ بن رَزَاح بن عدى بن كعب . وامرأة أبي بكر أم ابنه عبد الله وأسماء : قَتْلَةَ بنت عبد العُزَّى بتاء منقوطة باثنتين من فوق ، وقيل فيها : بنت عبد أسعد بن نصر بن حِسْل بن عامر

---

(١) عند سعيد بن منصور عن عائشة : قالت : اسم أبي بكر الذي سماه عبد الله . ولكن غلب عليه اسم عتيق ، وقال مصعب الزبيري : قيل له عتيق لأنه ، لم يكن في نسبه شيء يعاب به .

(٢) في الترمذي : قالت عائشة : « دخل أبو بكر على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : أنت عتيق الله من النار . قالت : فمن يومئذ سمى : عتيقا » وفي أبي يعلى بسنده إلى عائشة: « من سره أن ينظر إلى عتيق من النار ، فلينظر إلى أبي بكر » .

(٣) في جمهرة ابن حزم : « ولد أبي قحافة أبو بكر ، واسمه عبد الله ، وعتيق ومعتق لا عقب لها » ص ١٢٧ .

(٤) ورد نسب أبي بكر في جمهرة ابن حزم ، وفي نسب قريش كما هو في السيرة أما في الاشتقاق لابن دريد . فليس فيه عمرو ، وفي تهذيب الأسماء واللغات للنووي « عمير » بدلا من عمرو « انظر ص ٢٧٥ نسب قريش » .

(٥) في الإصابة . وفي نسب قريش ، وفي تهذيب النووي ، وفي جمهرة ابن حزم : عامر .

. . . .

وهو قول الزبير (١) وذكر أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عرض عليه الإسلام ، فما عَكَمَ عندذلك ، أي : ماتردد ، وكان من أسباب توفيق الله إياه — فيما ذكر — رؤيا رآها قبل ذلك ، وذلك أنه رأى القمر ينزل إلى مكة ، ثم رآه قد تفرق على جميع منازل مكة وبيوتها ، فدخل في كل بيت منه شُعبة ، ثم كأنه جُمع في حِجْره ، فقصَّها على بعض الكتابيين ، فعبرها له بأن النبي المنتظر الذي قد أظل زمانه تتبعه ، وتكون أسعدَ الناس به ، فلما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، لم يتوقف ، وفي مدح حسَّان الذي قاله فيه ، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم ينكره دليل على أنه أول من أسلم من الرجال ، وفيه:

خير البرية أتقاها ، وأفضلها بعد النبي ، وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مَشْهَدُه وأول الناس قدمَّا صدَّق الرُّسُلاَ (٢)

---

(١) نسبها في نسب قريش لأبي عبد الله الزبيري : قتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد بن نصر بن مالك بن حسل ص ٢٧٦ وفي جمهرة ابن حزم : قتيلة بنت عبد العزى بن عبد بن سعد بن جابر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي ص ١٢٧

(٢) قبلهما :

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

وقيل: إن ابن عباس كان يستشهد بهذه الأبيات على أولية إسلام أبي بكر ، وفي الروض جاء الشطر الثاني من البيت الثاني هكذا : «والثاني التالي صدق المرسلا» وقد روى هذا ابن عبد البر والطبراني في الكبير . وقد توفي أبو بكر رضي الله عنه في ٤ من جمادى الأولى سنة ١٣ من الهجرة . وهو ابن ثلاث وستين ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر . وأولاده : عبد الله وعبد الرحمن ومحمد وعائشة وأسماء وأم كلثوم . وأم عائشة وعبد الرحمن : أم رومان بنت عامر بن عمير بن ذُهل بن دهمان بن الحارث بن تيم بن مالك بن كنانة ، وفي جمهرة ابن حزم ، وفي نسب قريش : بنت عبد شمس بن عَتَّاب بن أذينة بن سبيع بن عامر بن عويمر بن دُهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة . نسب قريش ٢٧٦ .

الذين أسلموا بدعوة أبى بكر

فأسلم بدعائه — فيما بلغنى — عثمان بن عفّان بن أبى العاص بن أميّة ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ ابن غالب ، والزُّبير بن العوّام بن خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصىّ بن كِلاَب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ .

وعبدُ الرحمن بن عَوْف بن عَبْد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهرة بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ .

وسَعْدُ بن أبى وقّاص ،واسم أبى وقّاص: مالك بن أُهَيْب بن عبد مناف ابن زُهْرة بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ .

وطَلْحةُ بن عُبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ ، فجاء بهم إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حين استجابوا له ، فأسلموا وصلّوا ، وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول فيما بلغنى : مادعوتُ أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كَبْوة ، ونَظَر وتردّد ، إلا ما كان من أبى بَكر بن أبى قُحافة ، ماعَكَم عنه حين ذكرتُه له ، وما تردّد فيه .

قال ابن هشام : قوله : « بدعائه » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن هشام : قوله : عكم : تلبَّث . قال رُؤْبة بن العَجّاج :

. . . .

وانصاع وثابٌ بها وما عَكَم

قال ابن إسحاق : فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلّوا وصدّقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاءه من الله .

ثم أسلم أبو عُبَيْدة ، واسمه : عامر بن عبد الله بن الجرّاح بن هِلال بن أُهَيْبِ بن ضَبَّة بن الحارث بن فِهْرٍ . وأبو سَلَمَة ، واسمه : عبد الله بن عبد الأسد بن هِلال بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كَعْب ابن لؤيّ .

والأرقم بن أبي الأرْقم . واسم أبي الأرقم : عبد مناف بن أسَد — وكان أسَد يُكنَى : أبا جُنْدُب — بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كَعْب ابن لؤيّ . وعثمان بن مَظْعون بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو ابن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤيّ . وأخواه : قُدامة وعبد الله ابنا مَظْعون بن حبيب

وعُبَيدة بن الحارث بن المُطَّلِب بن عبد مناف بن قصيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤيّ ، وسَعيدُ بن زيد بن عمرو بن نُفَيل بن عبد العُزّى بن عبد الله بن قُرْط بن رِيَاح بن رِزَاح بن عديّ بن كَعْب بن لؤيّ ، وامرأته : فاطمة بنت الخطّاب بن نُفَيل بن عبد العُزّى بن عبد الله بن قُرْط بن رِياح بن رَزَاح بن عديّ ابن كَعْب بن لؤيّ ، أخت عُمر بن الخطّاب . وأسماء بنت أبي بَكْر . وعائشةُ بنت أبي بكر ، وهي يومئذ صغيرة . وخَبّاب بن الأرَتّ ، حليف بني زهرة .

قال ابن هشام : خبّاب بن الأرَتّ من بني تَميم ، ويقال : هو من خزاعة .

. . . .

قال ابن إسحاق : وعُميْرُ بن أبى وقّاص ، أخو سَعْد بن أبى وقّاص . وعبدُ الله بن مَسْعود بن الحارث بن شَمْخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل ابن الحارث بن تميم بن سَعْد بن هُذيل حليف بنى زُهْرَة ، ومسعود بن القارِى ، وهو مَسْعود بن رَبيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العُزَّى بن حَمَالَةَ بن غالب بن مُحلِّم بن عائذة بن سُبَيع بن الهُون بن خُزَيْمَةَ من القارَة .

قال ابن هشام : والقارَة : لقب ، ولهم يقال :

قد أنْصَفَ القارَةَ مَنْ راماها

وكانوا قوْما رُماةً .

قال ابن إسحاق : وسَليطُ بن عمرو بن عَبد شَمْس بن عبدوُدٍّ بن نصر ابن مالك بن حِسْلِ بن عامر بن لؤىّ بن غالب بن فِهْر . وعيَّاش ابن أبى ربيعة بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخْزوم بن يَقَظَة بن مُرّة ابن كَعْب بن لؤىّ . وامرأته أسماء بنت سَلاَّمة بن مُخرِّبة التميمية . وخُنَيس بن حُذافة بن قيس بن عَدِىّ بن سعد بن سَهم بن عمرو بن هُصَيص ابن كَعْب بن لؤىّ . وعامر بن رَبيعة بن عَنْز بن وائل ، حليف آل الخطَّاب ابن نُفَيل بن عبد العُزَّى .

قال ابن هشام : عَنْز بن وائل أخو بَكْر بن وائل ، من ربيعة بن نزار .

قال ابن إسحاق : وعبدُ الله بن جَحْش بن رِئاب بن يَعْمَر بن صَبِرَة بن

. . . .

مُرّة بن كَبِير بن غَنْم بن دُودَان بن أسَد بن خُزَيْمة . وأخوه : أبو أحمد بن جَحْش ، حليفا بنى أُمَيّة بن عبد شمس . وجعفرُ بن أبى طالب ، وامرأته : أسماء بنت عُمَيْس بن النعمان بن كَعْب بن مالك بن قُحافة ، من خَثْعَم . وحاطبُ بن الحارث بن مَعْمَر بن حَبِيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كَعْب بن لؤىّ ، وامرأته فاطمة بنت الْمُجَلَّل بن عبد الله أبى قَيْس بن عبدودّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر . وأخوه خَطَّاب بن الحارث ، وامرأته فُكَيْهة بنت يَسار . ومَعْمَر بن الحارث ابن مَعْمر بن حَبِيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤَىّ . والسائب بن عثمان بن مَظْعون بن حَبِيب بن وَهْب . والمُطَّلِب ابن أزْهر بن عَبْد عَوْف بن عَبْد بن الحارث بن زُهْرة بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤىّ ، وامرأته : رَمْلة بنت أبى عَوْف بن صُبَيْرَة بن سُعَيد بن سعد بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كَعْب بن لؤَىّ . والنَّحّام ، واسمه : نُعَيم بن عبد الله بن أسِيد ، أخو بنى عدىٍّ بن كَعْب بن لؤىّ .

قال ابن هشام : هو نُعَيم بن عبد الله بن أسِيد بن عبد الله بن عَوْف بن عُبَيد بن عُوَيج بن عدىّ بن كَعْب بن لؤَىّ ، وإنما سُمّى النَّحّامَ ، لأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : لقد سمعت نَحْمَه فى الجنة .

قال ابن هشام : نحْمه : صوته وحِسُّه .

قال ابن إسحاق : وعامر بن فُهَيْرة ، مولى أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه

قال ابن هشام : عامر بن فُهَيرة مُوَلَّد من مُوَلَّدى الأسْد ، أسْوَدُ اشتراه أبو بكر رضى الله عنه منهم .

قال ابن إسحاق : وخالد بن سَعيد بن العاص بن أُمَيَّة بن عبد شَمْس بن عبد مناف بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَىّ ، وامرأته أُمَيْنة بنت خَلَف بن أسعد بن عامر بن بَياضة بن سُبَيع بن جِعْثِمَة بن سعد بن مُلَيح بن عمرو ، من خُزاعة .

قال ابن هشام : ويقال : هُمَينة بنت خَلَف .

قال ابن إسحاق : وحاطب بن عمرو بن عبد شَمْس بن عبدوُدّ بن نَصْر ابن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْرٍ . وأبو حُذَيفة، واسمه: مِهْشَم — فيما قال ابن هشام — بن عُتبة بن رَبيعة بن عبد شَمْس بن عَبْدمناف ابن قُصَىّ بن كِلاب بن مرّة بن كعب بن لُؤَىّ . وواقدُ بن عبد الله بن عبد مناف ابن عَرِين بن ثعلبة بن يَرْبوع بن حَنْظَلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، حليف بنى عدىّ بن كَعْب .

قال ابن هشام : جاءت به باهلةُ ، فباعوه من الخطَّاب بن نُفيل، فتبنَّاه ، فلمَّا أنزل الله تعالى : « ادْعُوهُمْ لآبائِهِمْ » الأحزاب : ٥ قال : أنا واقد بن عَبْدِ الله ، فيما قال أبو عمرو المدنى .

قال ابن إسحاق : وخالدٌ وعامر وعاقل وإياس بنو البُكَير ابن عبدياليل بن ناشب بن غِيَرة من بنى سعد بن لَيْث بن بكر بن عبد مَنَاة بن كِنانة حلفاء بنى

. . . .

عدىّ بن كعب . وعَمَّار بن ياسر ، حليف بنى مخزوم بن يقظة .

قال ابن هشام : عمَّار بن ياسر عَنْسِيّ من مَذْحِج .

قال ابن إسحاق : وصُهَيب بن سِنَان ، أحد النَّمرِ بن قاسط ، حليف بنى تَيْم بن مُرّة .

قال ابن هشام : النَّمرِ بنُ قاسط بن هِنْب بن أفْصَى بن جَدِيلة بن أسَد ابن رَبيعة بن نزار ، ويقال : أفصَى بن دُعْمِيّ بن جَديلة بن أسد ، ويقال : صُهَيب : مولى عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْدَ بن تيم .

ويقال : إنه رُومىّ . فقال بعضُ مَنْ ذُكرأنه من النَّمرِ بن قاسط : إنما كان أسيراً فى أرض الروم ، فاشتُرِى منهم ، وجاء فى الحديث عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : صُهَيب سابق الروم .

إسلام أبى عبيدة وسعيد بن زيد :

وذكر إسلام أبى عُبَيْدة بن الجَرَّاح واسمَه ، وقد اختلف فيه ، فقيل : عبد الله بن عامر ، وقيل : عامر بن عبد الله . وأمه : أُمَيْمَةُ بنت غَنْم بن جابر ابن عبد العُزَّى بن عامرة بن وَدِيعة بن الحارث بن فِهْرٍ ، قاله الزبير (١) .

وذكر إسلام سعيد بن زيد ، وقد ذكرناه فيما مضى ، وذكرنا أمَّه فاطمة بنت بَعْجَة(٢) بن خَلَفٍ الخُزاعية ، وماوقع فى نسبه من التقديم والتأخير ، ومن

---

(١) فى ص ٤٤٥ من نسب قريش لأبى عبد الله الزبيرى ، وفى التهذيب للنووى أميمة بنت جابر .

(٢) فى الإصابة: بعجة بن مليح .

. . . .

الفتح فى رِزَاح بن عدى والكسر ، وأن رِزاح بن ربيعة هو الذى لم يختلف فى كسر الراء منه ، ويكنى سعيد : أبا الأعور ، توفى بأرضه بالعقيق ، ودفن بالمدينة فى أيام معاوية سنة خمسين أو إحدى وخمسين ، وهو ابن بضع وسبعين سنة ، روى عنه ابن عُمَر ، وعَمْرو بن حُرَيْث ، وأبو الطُّفَيْل عامر بن وَاثِلَة وجماعة من التابعين(١) ، ولم يرو عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلا حديثين(٢) . أحدهما : « من غَصَب شبرا من أرض طُوِّقه يوم القيامة من سبع أرضين(٣) » وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالجنة ، وأحد الذين رجف بهم الجبل ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « اثبُتْ حِراء ؛ فإنما عليك نبىّ أو صديق أو شهيد(٤) » ويروى : اثبت أُحُدُ(٥) .

---

(١) من كبارهم : أبو عثمان النهدى ، وابن المسيب ، وقيس بن أبى حازم وغيرهم

(٢) فى ذخائر المواريث ذكر له عشرة أحاديث .

(٣) رواه البخارى فى المظالم وبدء الخلق ، ومسلم فى البيوع

(٤) بعد هذا ورد : «قيل : ومن هم ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف . قيل : ومن العاشر ؟ قال — أى سعيد بن زيد راوى الحديث — أنا ، رواه الترمذى وأبو داود

(٥) روى قصة أحد البخارى وأحمد والترمذى والنسائى وأبو حاتم وأبو داود . والذين كانوا معه : أبو بكر ، وعمر وعثمان وفيه : « فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان» ، وحديث ثبير — وهو جبل بالمزدلفة على يسار الذاهب إلى منى — عن ثمامة بن شراحيل اليمانى . والذين كانوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم : أبو بكر وعمر وعثمان . وفيه : فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان . وقد أخرجه النسائى والترمذى والدارقطنى . وفى حديث حراء المروى عن أبى هريرة أنه كان معه أبو بكر ــــ

. . . .

وأن القصة كانت فى جبل أُحُدٍ ، ويروى أنها كانت فى جَبل ثَبِير ذكره الترمذى ، وأنهم كانوا أربعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم الخلفاء الأربعة ، ولعل هذا أن يكون مراراً ، فتصح الأحاديث كلها ، والله أعلم .

إسلام سعد وابن عوف والنحام :

وذكر فيمن أسـلم بعد أبى بكر سعدَ بن أبى وَقّاص ، واسم أبى وقاص : مالك بن أُهَيْب ، وأُهَيْب : هو عم آمنة بنت وهب أم النبى — صلى الله عليه وسلم — والوقاص فى اللغة ، هو واحد الوَقَاقيص وهى شباك يصطادبها الطير ، وهو أيضا فَعَّال من وَقَص إذا انكسر عنقه ، وأمّ سعد : حَمْنَة[1] بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ، يكنى : أبا إسحاق ، وهو أحد العشرة ، دعا له النبى - صلى الله عليه وسلم - أن يُسَدِّدَ الله سهمه ، وأن يجيب دعوته ، فكان دعاؤه أسرع الدعاء إجابة[2] . وفى الحديث أن

——————

= وعمر وعثمان وطلحة والزبير ، وفى رواية : وسعد بن أبى وقاص ، ولم يذكر عليا فى هذه الرواية . وفيه : فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد . وقد خرجهما مسلم ، والترمذى ، وذكر عليا ، ولم يذكر سعدا . ولكن الثابت أن سعدا مات بقصره بالعقيق قرب المدينة . ولم يستشهد .

(١) فى الإصابة : حمزة . ولعله خطأ مطبعى ، وكانت غير واضحة فى الروض فأثبتها من نسب قريش ص ٢٦٣ .

(٢) فى البخارى ومسلم والترمذى أن الرسول «ص» كان يقول له يوم أحد «ارم ، فداك أبى وأمى» . وزاد الترمذى أيها الغلام الحزور « الشديد القوى » وروى البخارى عن سعد : « لقد مكثت ثلاثة أيام ، وإنى لثلث الإسلام » يعنى ثالث رجل أسلم . وروى الترمذى : اللهم استجب لسعد إذا دعاك . مات سعد =

. . . .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : احذروا دعوة سعد . مات فى خلافة معاوية .

وذكر عبد الرحمن بن عوف بن عَبْــد عَوْف بن عبد بن الحارث ابن زُهْرَة (١) ، وهو أيضا أحد العشرة يكنى : أبا محمد ، أُمُّهُ : الشِّفاء بنت عوف ابنَ عَبْد بن الحارث (٢) وهى بنت عم عَوْف والدِ عبد الرحمن بن عوف ، فأبوها : عَوْف عم عوف وأخو عبد عوف .

= رضى الله عنه بالعقيق، وحمل إلى المدينة ، وقال الواقدى : أثبت ما قيل فى وقت وفاته أنها سنة خمس وخمسين ، وهو الذى بنى الكوفة ، وفتح مدائن كسرى واعتزل الفتنة . وعن عائشة قالت : سهر رسول الله « ص » مقدمه المدينة ليلة ، فقال: ليت رجلا صالحا من أصحابى يحرسنى الليلة ، قالت : فبينا نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح ، فقال: من هذا ؟ قال: سعد بن أبى وقاص ، فقال له رسول الله : ما جاء بك؟ فقال : وقع فى نفسى خوف فجئت أحرسك ، فدعا له رسول الله «ص» ثم نام . رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

(١) نسبه هكذا فى نسب قريش ، وقد سقط من نسبه فى الإصابة: ابن بين عبد وبين الحارث ،أما فى جمهرة ابن حزم، فنسبه : عبد الرحمن بن عوف بن عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب .

(٨) فى الإصابة جاء نسبها : أبوها : عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث ابن زهرة . وهو خطأ لأنها بهذا تكون أخت عبد الرحمن . وفى نسب قريش : الشفاء بنت عوف بن الحارث بن زهرة . فأسقط « عبد بن الحارث» من نسبها . وفى مكان آخر: « الشفاء بنت عوف بن عبد » ص ٢٦٥ ، ٢٦٣ وفى الإصابة : واسم أمه: صفية ، ويقال: الصفا ، حكاه ابن منده ذكر البخارى فى تاريخه من طريق الزهرى : قال : أوصى عبد الرحمن بن عوف لكل من شهد بدرا بأربعمائة دينار ، فكانه مائة رجل، مات سنة ٣١ أو ٣٢ هـ وعاش ٧٢ عاما . دفن بالبقيع وصلى عليه عثمان . أو الزبير .

. . . .

وذكر نُعَيم بن عبد الله النَّحَّام (١) ، وقول النبى - صلى الله عليه وسلم : سمعت نَحْمَه فى الجنة ، ولم يفسر النَّحْم ما هو ، وهى سُعْلة مستطيلة ، ويقال للبخيل : نَحَّام؛ لأنه يَسْعُل إذا سئل يتشاغل بذلك ، وأنشد الزبير :

مالك لاتنحِم يارَواحهْ   إن النَّحيمَ للشُّقَاة راحهْ

قال : ويقال للنَّحْمة : نَحْطَة ، وقال غيره : النَّحْطَة فى الصدر ، والنَّحْمَة فى الحلق ، والنُّحام أيضاً طائر أحمر فى عظم الإوزّ (٢) .

عبد الله بن مسعود ومسعود القارى :

وذكر عبد الله بن مسعود (٣) بن شَمْخٍ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل

---

(١) نسبه فى نسب قريش . نعيم بن عبد الله بن أسيد بن عبد بن عوف . ابن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب ، أما فى الإصابة فكما فى السيرة ، أى : بإسقاط ابن بين عبد وعوف . وقد استشهد نعيم بأجنادين فى خلافة عمر سنة خمس عشرة . وقيل : يوم مؤته فى حياة النبى « ص » .

(٢) فى القاموس : نحط ينحط نحيطا : زفر زفيرا ، النحاط كغراب : تردد البكاء فى الصدر من غير أن يظهر كالنحط . وقال عن النحيم إنه كالزحير أو فوقه . وقال عن النحام بمعنى طائر إنها على وزن غراب ، وخطأ الجوهرى فى فتحها وشدها ، وفى الاستيعاب لابن عبد البر ، وعند ابن الكلبى : أسيد بن عبد عوف انظر الخشنى ص ٨٠ ، وفى كتاب حذف نسب قريش ص ٨٢ لمؤرج بن عمرو السدوسى « أسيد بن عبد عوف » .

(٣) فى الإصابة : عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار ابن مخزوم بن صاهلة بن الحارث بن تيم بن سعد بن هذيل الهذلى أبو عبد الرحمن . فى جمهرة ابن حزم : شمخ وتيم .

. . . .

ابن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل حليف بنى زهرة ، وقال فى نسبه : كاهَل ، وقيده الوقشى بفتح الهاء من كاهَل ، كأنه سُمِّى بالفعل من كاهل يُكاهِلُ ، كما قال - عليه السلام لرجل استأذنه فى الجهاد - واسمه : جَاهِمَةُ - فقال : هل فى أهلك مِنْ كَاهِلٍ أى : من قَوِىٍّ على التصرف(١) ، والاكتهال : القُوة . وقال أبو عبيد : كاهَل أى : أَسَن ، وقال ابن الأعرابى : إنما لفظ الحديث هل فى أهلك من كاهن ، وغيَّره الراوى له ، فقال : مِنْ كاهِل ، قال : وكاهن الرجال ، هو الذى يخاف الرجل فى أهله يقوم بأمرهم بعد ، يقال منه : كَهَنَ يَكْهُن كهانة .

وذكر فى نسبه أيضا شَمْخا وهو من شَمَخ بأنفه إذا رفعه عزةً . وأم عبد الله هى : أم عبد بنت سَوْدِ بن قديم بن صاهلة هذلية(٢) .

وذكر مسعوداً القارى ، وهو : مسعود بن ربيعة ورفع نسبه إلى الهُوْن ابن خُزَيمة ، وهم القارَة وفيهم جرى المثل المثال : قد أنصف القارة من راماها . قال الراجز :

قد علمت سَلْمى ، وَمَنْ والاها أنا نرد الخيلَ عَنْ هواها

---

(١) فى النهاية والقاموس : ويروى من كاهل - بفتح ميم من - وهاء كاهل باعتبارها فعلا ماضيا أى تزوج . أو أسن

وفى الاشتقاق : من كاهل أى كهل يقوم بأمرهم ذوسن محتنك

(٢) فى الإصابة : أمه : أم عبيد بنت عبدود بن سود أو اسواءة بن مريم وفى جمهرة ابن حزم : وأم عبد الله بن مسعود : أم عبد من المهاجرات الأول من بنى قديم بن صاهلة بن كاهل .

. . . .

نردها دابِيَـــةً كُلاَهَا قد أنصف القَارَةَ مَن راماها

إنّا إذا مافِئَـــةٌ نَاقَاهَا نَرُدُّ أولاها على أُخْراها

وسُمى بنو الْهُون بن خُزَيمة قارَةً لقول الشاعر منهم فى بعض الحروب :

دَعُـــونا قَارَةً لاتُنْذِرونا فنُجْفِلَ مثل إجفال الظَّلِيم(١)

هكذا أنشده أبو عُبَيْد فى كتاب الأنساب ، وأنشده قاسمٌ فى الدلائل :

دَعُونا قارة لاتُذْعِرونا فَتَنْبَعِكَ القَرابَةُ والذِّمامُ

وكانوا رُمَاةَ الحدَق(٢) ، فمن راماهم فقد أنصفهم،والقارَة : أرضٌ كثيرة الحجارة ، وجمعها (٣) قُور،فـكأن معنى المثل عندهم:أن القارَةلا تَنْفَدُ حجارتُها إذا رمى بها ، فمن راماها فقد أنصف .

وهم فى نسب أبى حذيفة:

وذكر أبا حذيفة بن عتبةَ . قال ابن هشام : واسمه : مِهْشَم ، وهو وَهْم عند أهل النسب ، فإن مِهْشَمًا إنما هو أبو حذيفة بن المغيرة أخو هاشم ، وهشام ابنى المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأما أبو حذيفة بن عتبة فاسمه :

---

(١) فى الاشتقاق واللسان : لاتنفرونا . وفى مجمع الأمثال : القارة قبيلة،وهم عضل والديش ابنا الهون بن خزيمة ، وإنما سموا قارة ، لاجتماعهم والتفافهم لما أراد الشداخ أن يفرقهم فى بنى كنانة ، وهم اليوم فى اليمن . وقيل غير ذلك .

(٢) يقال : هو من رماة الحدق : حاذق ماهر فى النضال .

(٣) فى الاشتقاق : القارة : أكمة سوداء فيها حجارة ، وفى القاموس جاء أيضا أنها الجبل الصغير المنقطع عن الجبال ، أو الصخرة العظيمة أو الصخرة السوداء وجمعها قارات وقار وقور ، وقيران . هذا وقد ورد فى نسب مسعود فى الإصابة بعد غالب هو ابن عائذة بن ثيع بن مليح ، وعند الكلبى : مسعود بن عامر ابن ربيعة بن عمير بن سعد بن مخلد بن غالب .

. . . .

قيس فيما ذكروا[١].

عميس :

وذكر أسماء بنت عُمَيْس امرأة جعفر بن أبى طالب ، وعُمَيْس أبوها هو : ابن مَعْد[٢] بن الحارث بن تَيْم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن زيد بن مالك بن نَسْر بن وَهْب بن شَهْران بن عِفْرِس بن حُلْف بن أَفْتَل ، وهو : جماعة خَثْعَم بن أنمار على الاختلاف فى أنمار هذا ، وقد تقدم . وأمها : هِند بنت عوف بن زهَيْر بن الحارث[٣] من كِنانة ، وهى أخت ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمهما واحدة ، وأخت لُبابة أم الفضل امرأة العباس[٤] ، وكن تسع أخوات[٥] ، فيهن ، قال رسول الله

---

(١) فى الإصابة أيضا مع هذا : وقيل : هاشم . استشهد يوم اليمامة ، وهو ابن ست وخمسين سنة ، وفى الخشنى ص ٨٠ مثل تصويب السهيلى

(٢) هو بإسكان العين أو فتحها . ونسبه فى نسب قريش : عميس بن معبد بن تيم ابن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن نسر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن حلف بن أفتل ، وفى جمهرة ابن حزم ، وعميس بن معد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن سعد ، ابن مالك بن بشر بن وهب بن شهران بن عفرس بن حلف بن خثعم » ص ٨٠ نسب قريش : ٣٦٨ جمهرة» . والإصابة تتفق مع الروض حتى ربيعة . ثم تقول عن ربيعة : ابن غانم بن معاوية بن زيد الخثعمية . وقيل : «عميس هو ابن النعمان ابن كعب ، والباقى سواء» .

(٣) قيل خولة بنت عوف بن زهير .

(٤) فى الاشتقاق : أنها أم بنى العباس بن عبد المطلب إلا تماما وكثيراً .

(٥) قيل : عشر لأم ، وست لأم وأب .

. . . .

ـ صلى الله عليه وسلم : الأخوات مؤمنات ، وكانت قبل جعفر عند حَمْزة ابن عبد المطلب ، فولدت له أمة الله ، ثم كانت عند شداد بن الهاد ، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن ، وقد قيل : بل التى كانت عند حمزة ، ثم عند شداد هى أختها : سلمى ، لا أسماء ، وتزوجها بعد حمزة أبو بكر الصديق ، فولدت له محمدَ ابن أبى بكر ، وتزوجها بعده علىُّ بن أبى طالب ، فولدت له يحيى . قال الكلبى: ولدت له مع يحيى عونَ بن على[1] ، ولم يختلف أنها ولدت لجعفر ابنا اسمه : عون[2] ، وولدت له أيضا عبد الله بن جعفر ، وكان جواد العرب فى الإسلام ، وبنات عُمَيْس : أسماء وسلامة وسلمى ، وهن أخوات ميمـــونة وسائر أخواتها لأم .

تصويب فى نسب بنى عدى:

وذكر ابن إسحاق فى السابقين إلى الإسلام من بنى سَهْم : عبدَ الله بن قيس ابن الحارث بن عدى بن سُعَيْد بن سهم[3] ، وحيثما تكرر نسب بنى عدى بن سعد

---

(١) فى الإصابة أن الذى روى هذا هو ابن سعد عن الواقدى . أما ابن الكلبى فقال إنها ولدت له عونا ، وقال أبو عمر : تفرد بذلك ابن الكلبى .

(٢) ولدته له فى الحبشة فى هجرتها . وفى الإصابة أنها تزوجت أبا بكر بعد قتل زوجها جعفر ، وروى عمر بن شبة فى كتاب مكة أن الرسول زوجها أبا بكر يوم حنين .

(٣) المذكور فى السيرة فى هذا الموضع: خنيس ، أما عبد الله فأخوه ، وكان خنيس زوج حفصة رضى الله عنها ـ وقد مات بجراحه يوم أحد ، وقد تزوج النبى صلى الله عليه وسلم حفصة بعده . ونسب خنيس فى نسب قريش هو : خنيس بن حذافة ابن قيس بن عدى بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب . وهو مطابق لما فى السيرة =

. . . .

ابن سهم يقول فيه ابنُ إسحاق : سُعَيد[1] ، والناس على خلافه ، وإنما هو سَعْدٌ ، وسيأتى فى شعر عبد الله بن قيس شاهد على ذلك ، وإنما سُعَيْدُ بن سَهْم أخو سعد ، وهو جد آل عَمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سُعيد بن سهم وفى سهم : سُعَيْدٌ آخر ، وهو ابن سعد المذكور ، وهو جد المطلب بن أبى وَدَاعَة ، واسم أبى وداعة : عوف بنُ صُبَيْرة[2] ، ابن سُعَيد بن سعد ، وقد قيل فى صُبَيْرة : ضُبَيْرة بالضاد المعجمة ، وهو الذى كان شابا جميلا يلبس حلة ، ويقول للناس : هل ترون بى بأسا إعجابا بنفسه ، فأصابته المنية بغتة ، فقال الشاعر فيه :

مَنْ يأمن الحَدَثانَ بعد صُبَيْرَةَ القرشى ماتا
سبقت منيتُه المَشيبَ وكان مَنْيَتُه افْتِلاتا[3]

عنز :

وذكر عامر بن ربيعة ، وقال : هو من عَنْزِ بن وائل . عنز بسكون النون ، ويذكر عن على بن المَدِينىّ أنه قال ، فيه عَنَز بفتح النون ، والسكون أعْرفُ . ذكر أهل النسب أن وائلا [بن قاسط] كان إذا ولد له ولد ، خرج من خبائه ،

= ولهذا يكون السهيلى مخطئا فى نقله عن السيرة إذ ذكر عبد الله بن قيس بن الحارث بن عدى دون خنيس . وليس لعدى ولد اسمه الحارث ، فالحارث ابن قيس ، ووالد قيس هو عدى .

(١) وقوله هنا حق ، وقد صوبتها فى السيرة عن صاحب الروض ، وعن نسب قريش لأبى عبد الله المصعب الزبيرى ص ٤٠٠ وما بعدها ، وعن جمهرة ابن حزم ص ١٥٤ ، وعن الإصابة فى ترجمة خنيس .

(٢) هو كذلك فى النسب أما فى جمرة ابن حزم فهبيرة وهو خطأ

(٣) منية : موت ، افتلات : فجأة

. . . .

فما وقعت عينه عليه سماه به ، فلما وُلد له بكر وقعت عينهُ على بَكْرٍ من الإبل، فسماه به ، فلما ولد له تغلب رأى نفسين يتغالبان ، فسماه تَغْلِب ، فلما ولد له عَنْزٌ ، رأى عَنْزا — وهى الأنثى من المعز — فسماه عَنْزاً ، فلما وُلد له الشُّخَيْص خرج فرأى شخصا على بعدٍ صغيرا ، فسماه : الشُّخَيْص ، بهؤلاء الأربع(١) ، هم قبائل وائل ، وهم معظم ربيعة ، وهو عامر بن ربيعة العَنْزِىّ العَدَوِىّ حليف لهم ، ويقال : هو عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن سعد بن عبد الله بن الحارث بن رُفَيْدة بن عَنْز بن وائل بن قاسط ، وقيل : عامر بن ربيعة بن مالك بن عامر بن ربيعة بن حُجَيْر بن سلامان بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِى بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعَة بن نزار بن مَعَدّ بن عَدْنان(٢)

إسلام عامر بن فهيرة :

وذكر عامرَ بن فُهَيْرة مولى أبى بكر ، وفُهَيْرَة : ... ، وهى تصغير فِهر ، لأن الفِهرَ مؤنثة ، وكان عبداً أسود للطُّفَيْل بن الحارث بن سَخْبَرة(٣) اشتراه

---

(١) القصة فى الاشتقاق لابن دريد ص ٦ وفيها : « فإذا هو بشخيص قد ارتفع له ، ولم تتبينه نظراته » وعن تغلب : « فغلبه أن يرى شيئا فسماه تغلب »

(٢) فى جمهرة ابن حزم ص ٢٨٥ عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك ابن ربيعة بن عامر بن ربيعة بن حجير بن سلامان بن مالك بن ربيعة ابن رفيدة بن عنز بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار . وفى الإصابة كالنسب الأول فى الروض مات سنة ٣٢ هـ . قال أبو عبيدة سنة ٣٧ هـ .

(٣) فى الإصابة الطفيل بن عبد الله بن سخبرة .

. . . .

أبو بكر فأعتقه ، وأسلم قبل دخول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ دار الأرْقَم ، وسيأتي في الكتاب نُبَذٌ من أخباره ، منها : أنه قتله عامرُ بن الطفيل[١] يوم بئر مَعُونَةَ ، فلما طعنه خرج من الطعنة نورٌ ، وكان عامر يقول : مَنْ رَجلٌ لما طعنته رُفع ، حتى حالت السماء دونَه ، هذه رواية البَكَّائِيِّ عن ابن إسحاق ، وفي رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق أن عامراً سأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قدم عليه ، وقال : يا محمد مَنْ رَجلٌ من أصحابك لما طعنتُه رُفع إلى السماء ؟ فقال : هو عامر بن فُهَيْرة ، وروى هشامُ بن عُرْوةَ عن أبيه: أن عامراً التُمِس في القتلى يومئذ فلم يُوجد ، فكانوا يرون أن الملائكة رفعته ، أو دفنته[٢] ذكره ابن المبارك .

---

(١) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر الكلابي العامري مات كافرا بإجماع أهل النقل. وفي الصحيح أنه قدم على النبي «ص» فقال له : لك أهل السهل ، ولي أهل المدر ، أو أكون خليفتك أو أغزوك بألف أشقر ، وألف شقراء ، فقال «ص» : اللهم اكفني عامرا فطعن في بيت امرأة ـ فقال : ائتوني بفرسي ، فمات على ظهر فرسه ، وليس هو عامر بن الطفيل الأسلمي الصحابي .

(٢) قتل عامر وسنه أربعون سنة ، وفي البخاري أنه كان غلاما لعبد الله بن الطفيل بن سخبرة أخي عائشة لأمها ، وهو الذي كان يرعى بمنحة من غنم لأبي بكر ـ كما جاء في البخاري ـ فيريحها على الرسول «ص» وأبي بكر ، وهما في غار ثور ، فيبيتان ـ كما جاء في الحديث ـ في رسل ـ وهو لبن منحتهما ـ غنم ـ ورضيفهما ، الرسل اللبن ، والرضيف اللبن الذي وضعت فيه الحجارة المحماة ليذهب وخمه أو اللبن المغلي ، حتى ينعق عامر بهذه الغنم بغلس ، وكان يفعل هذا كل ليلة من الليالي الثلاث دون أن يشعر به أحد . وقد روى البخاري أنه لما قتل الذين ببئر معونة ، وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل : من هذا ؟ وأشار=

. . . .

اصدع بما تؤمر وما المصدرية والذى :

فصل : وذكر قول الله سبحانه : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾(١) الحِجْر : ٩٤ . والمعنى : اصْدَع بالذى تؤمر به ، ولكنه لما عدَّى الفعل إلى الهاء حَسُن حذفُها ، وكان الحذفُ ههنا أحسَن من ذكرها ؛ لأن مافيها من الإبهام أكثر مما تقتضيه الذى ، وقولُهم : مامع الفعل بتأويل المصدر ، راجِعٌ إلى معنى الذى إذا

= إلى قتيل ، فقال له عمرو : هذا عامر بن فهيرة ، فقال : لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء ، حتى إنى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ، ثم وضع . ونلحظ أن قائل هذا هو عامر بن الطفيل الكافر .

(١) فى البخارى عن ابن عباس . قال : لما نزلت (وأنذر عشيرتك) جعل النبى يدعوهم قبائل قبائل . وعن أبى هريرة أن النبى قال : يابنى عبد مناف . اشتروا أنفسكم من الله . يابنى عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله . يا أم الزبير ابن العوام عمة رسول الله ، يا فاطمة بنت محمد اشتريا أنفسكما من الله . لا أملك لكما من الله شيئا ، سلانى من مالى ما شئتما . وعن ابن عباس أيضا : « لما نزلت وأنذر عشيرتك ، جعل النبى ينادى : يابنى فهر يابنى عدى ببطون قريش » وهذه القصة إن كانت وقعت فى صدر الإسلام بمكة . فإن ابن عباس لم يدركها . لأنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، ولا أبو هريرة لأنه إنما أسلم بالمدينة ، وفى نداء فاطمة يومئذ أيضا ما يقتضى تأخر القصة ؛ لأنها كانت حينئذ صغيرة أومراهقة ، وإن كان أبو هريرة حضرها ، فلا يناسب الترجمة (يعنى ترجمة البخارى لهذا الباب بقوله : باب من انتسب إلى آبائه فى الإسلام والجاهلية ، لأنه إنما أسلم بعد الهجرة ، بمدة ، والذى يظهر أن ذلك وقع مرتين مرة فى صدر الإسلام ـ ورواية ابن عباس وأبى هريرة لها من مراسيل الصحابة ـ ومرة بعد ذلك حيث يمكن أن تدعى فيها فاطمة عليها السلام ، أو يحضر ذلك أبو هريرة أو ابن عباس « الحافظ فى الفتح جـ ٦ ص ٤٣٣ طبعة ١ عبد الرحمن محمد . هذا وحديث ابن إسحاق بعد يؤكد فرضية الصلاة قبل الإسراء .

. . . .

تأملته ، وذلك أن الذى تصلح فى كل موضع تصلح فيه ما التى يسمونها المصدرية نحو قول الشاعر :

عسى الأيامُ أن يَرْجِعْـ ـنَ يَوْماً كالذى كانوا(١)

أى : كما كانوا ، فقول الله عز وجل إذاً : « فاصْدَعْ بما تُؤْمَرُ » إمَّا أنْ يكونَ معناه : بالذى تؤمر به من التبليغ ونحوه ، وإما أن يكون معناه : اصدع بالأمر الذى تؤمره ، كما تقول : عجبت من الضرب الذى تضربه ، فتكون ما ههنا عبارة عن الأمر الذى هو أمرُ الله تعالى ، ولا يكون للباء فيه دخولٌ ، ولا تقدير ، وعلى الوجه الأول تكون ما مع صلتها عبارة عما هو فعل للنبى صلى الله عليه وسلم ـ والأظهر أنها مع صلتها عبارة عن الأمر الذى هو قول الله ووحيه ، بدليل حذف الهاء الراجعة إلى : ما ، وإن كانت بمعنى الذى فى الوجهين جميعا ، إلا أنك إذا أردت معنى الأمر لم تحذف إلا الهاء وحدها ، وإذا أردت معنى المأمور به ، حذفت باء وهاء ، فحذفٌ واحد أيسر من حذفين

---

(١) البيت للفند ـ بكسر الفاء ـ الزمانى بكسر الزاى وتشديد الميم ، وهو شهل ابن شيبان بن ربيعة بن زمان بن مالك بن صعب بن على بن بكر بن وائل جاهلى قديم . وفى الحيوان للجاحظ : الرمانى وهو خطأ ، والقصيدة فى الحيوان ج ٦ ص ١٤٠ ط ١ : ساسى ، والأمالى للقالى ، وهى فيه تسعة أبيات . وفى الحيوان :

عسى الأيام ترجعهم جميعا كالذى كانوا

وفى الأمالى « يرجعن قوما » ويقول البكرى فى السمط عن شهل صاحب الشعر « وليس فى العرب شهل بشين معجمة غيره » انظر ص ٢٦٠ ج ١ ط الأمالى للقالى . وص ٥٧٨ سمط اللآلى للبكرى

. . . .

مع أن صَدْعَه وبيانه إذا علقته بأمر الله ووحيه ، كان حقيقة ، وإذا علقته بالفعل الذى أمر به كان مجازا ، وإذا صرَّحت بلفظ الذى ، لم يكن حذفُها بذلك الحسن ،
وتأمله فى القرآن تجده كذلك نحو قوله تعالى: ﴿وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون﴾ البقرة : ٣٣ ﴿ويعلم ماتسرون وماتعلنون﴾ التغابن: ٤ . و ﴿لما خلقتُ بيدىَّ﴾ ص: ٧٥ و ﴿لا أعبُدُ ماتعبدون﴾ الكافرون . ولم يقل : خلقتُه ، وحذف الهاء فى ذلك كله ، وقال فى الذى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ البقرة: ١٢١ و ﴿الذى جعلناه للناس سواء﴾ الحج: ٢٥ وما أشبه ذلك ، وإنما كان الحذف مع ما أحسنَ لما تقدَّمناه من إبهامها ، فالذى فيها من الإبهام قرَّبها من ما التى هى شرط لفظا ومعنى ، ألا ترى أن ما إذا كانت شرطا تقول فيها : ماتَصْنَعْ أصنعْ مثله ، ولا تقول : ماتصنعه ؛ لأن الفعل قد عمل فيها ، فلما ضارعتها هذه التى هى موصولة ، وهى بمعنى الذى أجريت فى حذف الهاء مجراها فى أكثر الكلام ، وهذه تفرقة فى عود الضمير على ما ، وعلى « الذى » يشهد لها التنزيل ، والقياس الذى ذكرناه من الإبهام ، ومع هذا لم نر أحداً نبَّه على هذه التفرقة ، ولا أشار إليها ، وقارئ القرآن محتاج إلى هذه التفرقة . وقد يحسن حذف الضمير العائد على الذى ؛ لأنه أوجز ، ولكنه ليس كحُسْنِه مع مَنْ وَما ، ففى التنزيل : ﴿ والنور الذى أنزلنا﴾ التغابن: ٨ فإن كان الفعل متعديا إلى اثنين كان إبرازُ الضمير أحسنَ من حذفه ، لئلا يتوهم أن الفعل واقع على المفعول الواحد ، وأنه مقتصر عليه ، كقوله تعالى : ﴿[والمسجدِ الحرامِ الذى] جعلناه للناس سَوَاء﴾ الحج: ٢٥ و ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ البقرة: ١٢١ وشرح ابن هشام معنى قوله : اصدع شرحا صحيحا ، وتتمته أنه صَدَع على جهة البيان ، وتشبيه لظلمة الشك والجهل بظلمة الليل . والقرآنُ نور ، فصدَع به تلك الظُّلْمة ، ومنه سمى الفجر : صديعا ، لأنه يصدع ظلمةَ الليل ، وقال الشَّمَّاخُ :

تُرى السِّرْحانَ مُفْتَرِشًا يديه ... كأن بياضَ لَبَّتِه صَدِيعُ (١)

على هذا تأوله أكثر أهل المعانى ، وقال قاسم بن ثابت : الصديع فى هذا البيت : ثوبٌ أسود تلبسه النَّوَّاحة تحته ثوب أبيض ، وتصدع الأسودَ عند صدرها فيبدو الأبيض ، وأنشد :

كأنهن (٢) إذ وَرَدْنَ لِيعــا ... نَوَّاحَــةٌ مُجتابَةٌ صَدِيعا

مباداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه

قال ابن إسحاق : ثم دخل الناس فى الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة ، وتُحُدِّث به . ثم إن الله - عزَّ وجلَّ - أمر رسولَه - صلى الله عليه وسلم - أن يصدع بما جاءه منه ، وأن يبادىَ الناسَ بأمره ، وأن يدعوَ إليه ، وكان بين ما أخفَى رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أمرَه ، واستتَر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاثُ سنين - فيما بلغنى - من مَبْعثه ، ثم قال الله تعالى له : ﴿فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ، وأعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ الحجر : ٩٤ . وقال تعالى : ﴿ وأنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِينَ . وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وقُلْ إنِّى أنا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ الشعراء : ٢١٥:٢١٧

---

(١) نسبه فى اللسان فى مادة صدع إلى عمرو بن معدى كرب ، والشماخ شاعر ذبيانى مخضرم وهو ابن ضرار بن سنان ، وقيل اسمه : معقل والشماخ لقب له ، وقيل اسمه : الهيثم ، والأول أكثر . ص ٥٨ سمط اللآلى .

(٢) فى معجم البكرى : كأنها

قال ابن هشام : فاصدع : افرُق بين الحقّ والباطل . قال أبو ذُؤَيب الهذلىّ ، واسمه : خُويلد بن خالد ، يصف أُتُن وَحْش وفَحْلَها :

وكأنهُنَّ رِبابَةٌ ، وكأنَّه يَسَرٌ يَفيض على القِداح ويَصْدَعُ

أى : يُفرّق على القِداح ويبين أنصباءها . وهذا البيت فى قصيدة له . وقال رؤبة بن العجّاج :

أنتَ الحليمُ ، والأميرُ المُنْتَقِم تَصْدَعُ بالحقّ ، وتنفِى مَن ظَلَمْ

وهذان البيتان فى أرجوزة له .

صلاة الرسول وأصحابه فى الشعاب

قال ابن إسحاق : وكان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلَّوا ، ذهبوا فى الشِّعاب ، فاستَخفَوْا بصلاتهم من قومهم ، فبينا سَعْد بن أبى وقّاص فى نَفَرٍ من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى شِعْب من شِعاب مكة ، إذ ظهر عليهم نفرٌ من المشركين — وهم يصلُّون — فناكروهم ، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعدُ بن أبى وقّاصٍ يومئذ رجلاً من المشركين بلَحْى بعير ، فشجَّه ، فكان أوّلَ دم هُريق فى الإسلام .

عداوة الشرك للرسول ومساومته لعمه

قال ابن إسحاق : فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قَومه بالإسلام وصدَع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قَوْمُه ، ولم يردّوا عليه — فيما بلغنى —

حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا خِلافَه وعداوتَه ، إلا مَنْ عَصم الله تعالى منهم بالإسلام ، وهم قليل مُسْتخفُون ، وحَدِب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمّه أبو طالب ، ومنعه وقام دونه ، ومضى رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – على أمر الله ، مُظْهراً لأمره ، لا يردّه عنه شيء . فلما رأت قريش ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُعْتبهم مِنْ شيء أنكروه عليه ، مِن فراقهم وعَيْب آلهتهم ، ورأوْا أن عمّه أبا طالب قد حَدِب عليه ، وقام دونه ، فلم يُسْلمه لهم ، مشى رجالٌ من أشراف قُريش إلى أبي طالب ، عُتبةُ وشَيْبة ابْنا ربيعة بن عبد شَمْس بن عبد مناف بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرّة ابن كَعْب بن لؤيّ بن غالب . وأبو سفيان بن حَرْب بن أُميَّة بن عبد شَمس ابن عبد مناف بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهر .

قال ابن هشام : واسم أبي سفيان : صَخْر .

قال ابن إسحاق : وأبو البَخْتَرِيّ ، واسمه : العاص بن هشام بن الحارث ابن أسَد ابن عبد العُزّى بن قُصيّ بن كِلاب بن مرّة بن كَعْب بن لؤيّ .

قال ابن هشام : أبو البَخْتَرِيّ : العاص بن هاشم .

قال ابن إسحاق : والأسود بن المطَّلب بن أسَد بن عبد العُزّى بن قُصيّ ابن كلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤيّ . وأبو جهل — واسمه عمرو ، وكان يُكْنى أبا الحَكَم — ابن هشام بن المُغيرة بن عبدالله بن عُمَر بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة ابن كَعْب بن لُؤَيّ . والوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم بن يقَظة

. . . .

ابن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَىّ . ونُبيه ومُنَبِّه ابنا الحجّاج بن عامر بن حُذَيفة بن سعد بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤَىّ . والعاص بن وائل .

قال ابن هشام : العاص بنُ وائل بن هاشم بن سُعَيد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤَىّ .

قال ابن إسحاق : أو مَنْ مشى منهم . فقالوا : يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفّه أحلامنا ، وضلّل آباءنا ، فإمّا أن تكُفّه عنّا ، وإما أن تخَلِّى بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا ، وردهم ردا جميلا ، فانصرفوا عنه .

ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه ، يظهر دينَ الله ، ويدعو إليه ، ثم شَرِى الأمرُ بينه ، وبينهم حتى تباعد الرجالُ ، وتضاغنوا ، وأكثرت قُرَيشٌ ذِكْرَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينها ، فتذامروا فيه ، وحضّ بعضُهم بعضاً عليه ، ثم إنهم مَشَوْا إلى أبى طالب مرّة أخرى ، فقالوا له : يا أبا طالب ، إن لك سِناً وشرفا ومنزلةً فينا ، وإنا قد استَنْهيناك من ابن أخيك فلم تَنْهه عنّا ، وإنا والله لانَصْبر على هذا مِنْ شَتْم آبائنا ، وتَسْفيه أحلامنا ، وعَيْب آلهتنا ، حتى تكُفّه عنا ، أو نُنازله وإيّاك فى ذلك ، حتى يَهْلِكَ أحدُ الفريقين ، أو كما قالوا له . ثم انصرفوا عنه ، فعظم على أبى طالب فراقُ قومه وعَداوتهم ، ولم يَطِبْ نفسا بإسلام رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لهم ولا خذلانه .

مناصرة أبى طالب للرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عُتْبة بن المُغيرة بن الأَخْنس أنه حُدّث : أنّ قُريشا حين قالوا لأبى طالب هذه المقالة ، بعث إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال له : يا بن أخى ، إنّ قومك قد جاءونى ، فقالوا لى كذا وكذا ، للذى كانوا قالوا له ، فأبْقِ علىّ ، وعلى نفسك ، ولا تُحَمِّلْنى من الأمر مالا أُطيق : فظنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قد بدَا لعمه فيه أنه خاذِلُه ومُسْلمه ، وأنه قد ضعُف عن نصرته والقيام معه . قال : رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : يا عمّ ، والله لو وضعوا الشمسَ فى يَمينى ، والقمرَ فى يَسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله ، أو أَهْلِكَ فيه ، ما تركتُه . قال : ثم اسْتَعْبَر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبكى ثم قام ، فلما ولى ناداه أبو طالب ، فقال: أقْبِل يا بن أخى ، قال : فأقبل عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : اذهب يا بن أخى ، فقل ما أحببتَ ، فوالله لا أُسْلِمك لشىء أبداً .

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبَى خذلان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإسلامه وإجماعه لفراقهم فى ذلك وعداوتهم ، مشَوْا إليه بعُمارة بن الوليد بن المُغيرة، فقالوا له ـ فيما بلغنى ـ : يا أبا طالب ، هذا عُمارَةُ بن الوليد ، أَنْهَدُ فتى فى قريش وأجمله ، فخذْه فلك عَقْله ونَصْره ، واتخذه ولدا فهو لك ، وأسْلِمْ إلينا ابنَ أخيك هذا ، الذى قد خالف دينَك ودينَ

آبائك ، وفرّق جماعةَ قومك ، وسفّه أحلامَهم ، فنقتله فإنما هو رجل برجل .
فقال : والله لبئس ماتَسُومونني ! أتعطونني ابنَكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابني تقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبداً . قال : فقال المُطْعِم بن عَدِيّ بن نوفل بن عبدمناف بن قُصَيّ : والله ياأباطالب لقد أنصفك قومُك ، وجهدوا على التخلّص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا ، فقال أبو طالب للمُطعم : والله ما أنصفوني ، ولكنّك قد أجمعتَ خذلاني ومُظاهرة القوم عليّ ، فاصنع مابدا لك ، أو كما قال . قال : فحقِبَ الأمر ، وحَمِيت الحربُ ، وتنابذ القومُ ، وبادى بعضُهم بعضا .

فقال أبو طالب عند ذلك — يعرّض بالمُطْعِم بن عديّ — ويعُمُّ من خذله من بني عَبْد مناف ، ومَنْ عاداه من قبائل قُرَيْش ، ويذكر ما سألوه ، وما تباعد من أمرهم :

ألا قُلْ لعمْرو والوليد ومُطْعِمٍ ألا ليتَ حظّي من حِياطَتِكم بَكْرُ
من الخُور حَبْحابٌ كثيرٌ رُغاؤه يُرَشّ على الساقين من بَوْله قَطْرُ
تخَلّف خَلفَ الوِرْد ليس بلاحق إذا ما علا الفَيْفَاء قيل له : وَبْر
أرَى أخوَيْنا من أبينا وأمِّنا إذا سُئلا قالا : إلى غيرِنا الأمْر
بَلَى لهما أمْرٌ ، ولَكِنْ تجَرْجَما
كما جَرْجَمَتْ من رأس ذى عَلَقٍ صَخْر
أخُصّ خُصُوصاً عبدشمس ونوْفلاً هُمَا نَبَذانا مِثْلَ ما يُنْبَذُ الجمر
هُمَا أغْمَزَا للقَوْمِ في أخوَيْهما فقد أصْبحا منهم أكُفُّهما صِفْر

هُمَا أَشْرَكَا فِى الْمَجْدِ مَنْ لا أبا لَهُ ... من النَّاس إلا أن يُرَسَّ له ذِكْر

وتَيْمٌ وَمَخْزوم وزُهرة منهمُ ... وكانوا لنا مولى إذا بُغِىَ النَّصْر

فوالله لا تنفكّ منَّا عَداوَةٌ ... ولا منهم ما كان من نَسْلِنا شَفْر

فقَدْ سَفُهَتْ أحلامُهم وعُقولُهُمْ ... وكانوا كَجَفْرٍ بئس ماصنعت جَفْر

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين أقذع فيهما .

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا تذامروا بينهم على مَنْ فى القبائل منهم من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذين أسلموا معه ، فوثبتْ كلُّ قبيلة على مَنْ فيهم من المسلمين يعذّبونهم ، ويفْتِنُونهمْ عن دينهم ، ومَنَع الله رسولَه ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهم بعمِّه أبى طالب ، وقد قام أبو طالب ، حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون فى بنى هاشم وبنى المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه ، مِنْ مَنْع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه ، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبى لهب ، عدوّ الله الملعون .

فلما رأى أبو طالب من قومه مامرّه فى جَهْدهم معه، وحَدَبهم عليه ، جعل يمدحهم ويذكر قديمَهم ، ويذكر فضلَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيهم ومكانَه منهم ، ليشُدّ لهم رأيَهم ، وليَحْدَبوا معه على أمره ، فقال :

إذا اجتمعَتْ يوْمًا قُرَيْشٌ لِمَفْخَرٍ ... فعَبْدُ مناف سِرُّها وصَميمُها

فإن حُصِّلت أشرافُ عبْدِ مَنافِها ... فِفِى هاشم أَشْرافُها وقَديمُها

وإنْ فَخَرَتْ يوْما ، فإنَّ مُحمَّداً   هُو المُصْطَفى مِنْ سرِها وكريمُها
تَداعَتْ قُرَيْش غثُّها وسَمِينُها   علَيْنا فلم تَظْفَر وطاشتْ حلومُها
وكُنَّا قَديما لا نقِرُّ ظُلامَةً   إذا ما ثَنَوْا صُعْرَ الخُدود نُقيمها
ونحمى حِماها كلَّ يوْمِ كَرِيهة   ونَضْرِبُ عن أحجارهامن يَرُومُها
بنا انتَعَش العود الذَّوَاء ، وإنما   بأ كْنافنا تندَى وتَنمِي أرُومُها

مباداْة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه

أصل الصلاة لغة :

ذكر فى الحديث : أن أبا طالب حَدِبَ على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقام دونه : أصل الحَدَبِ : انحناء فى الظهر ، ثم استُعير فيمن عطف على غيره ، ورق له كما قال النابغة :

حَدِبَتْ علىَّ بطونُ ضَبَّة كلها   إنْ ظالما فيهم ، وإنْ مظلوما

ومثل ذلك الصلاة ، أصلها : انحناء وانعطاف من الصَّلَوَيْن وهما : عرقان فى الظهر إلى الفخذين ، ثم قالوا : صَلَّى عليه ، أى : انحنى عليه ، ثم سموا الرحمة حُنُوًّا وصلاة ، إذا أرادوا المبالغة فيها ، فقولك : صلى الله على محمد ، هو أرق وأبلغ من قولك : رحم الله محمدا فى الحنو والعطف(١) . والصلاة أصلها

(١) ذكر القاموس للصلا هذه التعريفات : وسط الظهر منا ، ومن كل ذى أربع ، أو ما انحدر من الوركين ، أو الفرجة بين الجاعرة والدبر والذنب ، أو ما عن يمين الذنب وشماله . وهما صلوان . ويقول المبرد : أصل الصلاة : الرحمة . والمشهور عند كثير من المتأخرين أن صلاة الله على الرسول وعلينا هى رحمته ، وهو رأى ضعيف ، لأن الله يقول عن عباده الصابرين : (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون) البقرة : ١٥٧ فعطف الرحمة على الصلوات يقتضى المغايرة بينهما . كما أن صلاة الله سبحانه خاصة =

. . . .

فى المحسوسات عُبِّر بها عن هذا المعنى مبالغة وتأكيداً كما قال الشاعر :

فما زلت فى لِينى [له] وتعطُّفى عليه ، كما تحنو على الولد الأمُّ

ومنه قيل : صَلَّيت على الميت أى : دعوت له دعاء مَن يحنو عليه ويتعطف عليه ، ولذلك لاتكون الصلاة بمعنى الدعاء على الإطلاق : لا تقول : صَلَّيتُ على العدو ، أى : دعوت عليه . إنما يقال : صَلَّيتُ عليه فى معنى الحُنُوِّ والرحمة والعطف ؛ لأنها فى الأصل انعطاف ، ومن أجل ذلك عُدِّيت فى اللفظ بعلى ، فتقول : صليت عليه ، أى : حَنَوْتُ عليه ، ولا تقول فى الدعاء إلا : دعوتُ له ، فتُعَدِّى الفعل باللام ، إلاَّ أنْ تريد الشرَّ والدعاء على العدو ، فهذا فرق ما بين الصلاة والدعاء ، وأهلُ اللغة لم يفرقوا ، ولكن قالوا : الصلاة بمعنى الدعاء إطلاقا ، ولم يفرِّقوا بين حالٍ وحالٍ ، ولا ذكروا التعدى باللام ، ولا بعلى ، ولابد من تقييد العبارة ، لما ذكرناه ، وقد يكون الحَدَبُ أيضا مستعملا فى معنى المخالفة إذا قُرن بالقَعَسِ كقول الشاعر :

= بالأنبياء والرسل والمؤمنين . أما رحمته فقد وسعت كل شىء . ولو أننا تتبعنا آيات القرآن لوجدنا أن المواضع التى تذكر فيها الرحمة لا يحسن فيها وضع الصلاة مكانها ، ولهذا يقول ابن القيم عن معنى صلاتنا نحن على الرسول « ص » إنها « الطلب من الله ما أخبر به عن صلاته . وصلاة ملائكته . وهى ثناء عليه وإظهار لفضله وشرفه وإرادة تكريمه وتقريبه فهى تتضمن الخبر والطلب . وإرادة من الله أن يعلى ذكره ويزيده تعظيما وتشريفا » ص ٩٩ جلاء الأفهام . وقد ذكر البخارى فى صحيحه أن صلاة الله على نبيه هى ثناؤه عليه عند الملائكة

وإن حَدِبُوا ، فاقْعَس ، وإن هُمْ تقاعسوا
لينتزعوا ما خَلْفَ ظهرك فاحْدَب(١)

وكقول الآخر :

ولن يُنَهْنِه(٢) قوماً أنت خائفهم كمثل وَقْمِك جُهّالا بِجُهّال
فاقْعَسْ إذا حَدِبوا ، واحْدب إذا قَعِسوا
ووازن الشرّ مثقالا بمثقال

أنشده الجاحظ فى كتاب الحيوان له .

أبو البختري :

فصل : وذكر مجيء النفر من قريش إلى أبى طالب فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم ، وذكر أنسابهم ، وذكر فيهم أبا الْبَخْتَرِيّ بن هشام ، قال : واسمه : العاصى بن هشام ، وقال ابن هشام : هو العاصى بن هاشم ، والذى قاله ابن إسحاق هو قول ابن الكلبى ، والذى قاله ابن هشام هو قول الزبير بن أبى بكر وقول مُصْعَبٍ(٣) وهكذا وجدت فى حاشية كتاب الشيخ أبى بحر : سفيان ابن العاصى .

---

(١) القعس بفتح القاف والعين ، ضد الحدب : دخول الظهر وخروج الصدر ، والماضى : قعس كفرح ـ والبيت من قصيدة منسوبة إلى أبى الأسود الدؤلى ، وهو فى الحيوان هكذا : فإن حدبوا فاقعس . . ليستمسكوا مما وراءك فاحدب ص ١٧٤ ج ٥ الحيوان للجاحظ ط ساسى

(٢) نهنه فلانا عن الشىء : زجره وكفه عنه ، ووقم الرجل يقمه وقما ، أكرهه وأذله وقهره وقسره . ووقمه عنه : رده أقبح الرد .

(٣) هو كما قال فى كتاب المصعب نسب قريش ص ٢٠٩ وكذلك فى جمهرة ابن حزم ص ١٠٨

. . . .

لو وضعوا الشمس فى يمينى :

فصل : وذكر قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى شمالى على أن أدعَ هذا الذى جئت به ما تركته ، أو كما قال[1] . خَصَّ الشمسَ باليمين ؛ لأنها الآية الْمُبْصِرةُ ، وخص القمر بالشمال لأنها الآية الْمَمْحُوَّة ، وقد قال عمر ـ رحمه الله ـ لرجل ، قال له : إنى رأيت فى المنام كأن الشمسَ والقمر يقتتلان ، ومع كل واحد منهما نُجُومٌ ، فقال عمر : مع أيهما كنت ؟ فقال : مع القمر ، قال : كنت مع الآية الْمَمْحُوَّة ، اذهب ، فلا تعمل لى عملا ، وكان عاملا له ، فعزَلَه ، فقُتل الرجل فى صِفِّينَ مع معاوية ، واسمه : حابس بن سعد ، وخص رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ النَّيِّرين حين ضَرب المثل بهما ؛ لأن نورَهما محسوسٌ ، والنورُ الذى جاء به من عند الله ـ وهو الذى أرادوه على تركه ـ هو لا مَحالَةَ أشرفُ من النور المخلوقِ ، قال الله سبحانه : ﴿ يُريدون أنْ يُطْفِئوا نُورَ اللهِ بأفواهِهِم ويأبى اللهُ إلاَّ أن يُتِمَّ نورَه ﴾ التوبة : ٣٢ . فاقتضت بلاغة النبوة ـ لما أرادوه على ترك النور الأعلى ـ أن يقابله بالنور الأدنى ، وأن يخص أعلى النيّرين ، وهى الآية المبصِرة بأشرف اليدين ، وهى اليمنى بلاغةٌ لامثلها ، وحكمة لايجهل اللبيبُ فضلها .

البداء :

وقول ابن إسحاق : ظن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن قد بدا لعمه بَداء ، أى : ظهر له رأى ، فسمى الرأى بداء ، لأنه شىء يبدو بعد ما خفى ، والمصدر

---

(١) لم يروه أحد من أصحاب الصحاح .

. . . .

البَدْء[1] والبُدُوُّ ،والاسم: البَدَاء ، ولا يقال في المصدر : بدا له بُدُوٌّ ، كما لا يقال: ظهر له ظهورٌ بالرفع ؛ لأن الذى يظهر ، ويبدو هاهنا هو الاسم : نحو البَدَاء وأنشد أبو على :

لعلك والموعودُ حَقٌّ وَفاؤُه بدا لك فى تلك القَلُوصِ بَدَاء[2]

ومن أجل أن البُدُو هو الظهور ، كان البَداء[3] فى وصف البارى ـ سبحانه ـ محالا ؛ لأنه لا يبدو له شىء كان غائبا عنه ، والنَّسْخُ للحكم ليس ببَدَاء كما توهمت الجهلة من الرافضة واليهود ، إنما هو تبديل حكم بحكم بقدَر قدَّره ، وعلم علِمه ، وقد يجوز أن يقال : بدا له أن يفعل كذا ، ويكون معناه : أراد . وهذا من المجاز الذى لا سبيل إلى إطلاقه إلا بإذن من صاحب الشرع ، وقد صح فى ذلك ما خرجه البخارى فى حديث الثلاثة : الأعمى والأقرع

---

(١) ليس لما قيل من قبل عن وضع الشمس والقمر سند صحيح ، فكيف يقيم عليه كل هذا ؟!

(٢) القلوص من الإبل : الشابة ، والبيت من أبيات ذكرها أبو على القالى فى أماليه ص ٧١ ج ٢ ط ٢ غير منسوبة إلى أحد ، وهى قول رجل وعد رجلا قلوصا فأخلفه . ونقل البكرى فى السمط ص ٧٠٥ عن أبى عمرو الشيبانى أنها لرجل من مزينة ، وذكر الأستاذ الميمنى فى تحقيقه للسمط أنها لمحمد بن بشير الخارجى كما ورد فى الأغانى

(٣) الشيعة هم القائلون بالبداء ، وله معان ـ كما يقول الشهرستانى ـ (البداء فى العلم ، وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم ، والبداء فى الأمر وهو أن يأمر بشىء ثم يأمر بعده بخلاف ذلك) وهذا محال على الله سبحانه أن يرى شيئا ، ثم يظهر له أن الأمر بخلاف ما رأى ، فالله بكل شىء عليم .

. . . .

والأبرص ، وأنه عليه السلام قال : بدا لله أن يبتليهم ، فبدا هنا بمعنى : أراد ، وذكرنا الرّافضة؛ لأن ابن أعين ، ومن اتبعه منهم ، يجيزون البَدَاء على الله تعالى ، ويجعلونه والنسخَ شيئاً واحداً ، واليهود لا تُجيز النسخ يحسبونه بَدَاء ، ومنهم من أجاز البَدَاء كالرافضة ، ويروى أن علياً - رحمه الله - صلى يوما ، ثم ضحك فَسُئِل عن ضَحِكه فقال : تذكرت أبا طالب حين فرضت الصلاة ، ورآنى أصلى مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم بنخلة[1] فقال : ما هذا الفعل الذى أرى ، فلما أخبرناه ، قال : هذا حسن ، ولكنْ لا أفعله أبدا ، لا أحب أنْ تعلُونى استى فتذكرت الآن قوله ، فضحكت .

عرضه قريش على أبى طالب :

فصل : وذكر قول الْمَلأَ من قريش لأبى طالب : هذا عُمارة بن الوليد أَنْهَدُ فتى فى قريش ، وأجمله ، نخذه مكان ابن أخيك. أَنْهَدُ . أى : أقوى وأجلد ، ويقال : فرسٌ نَهْدٌ للذى يتقدم الخيل ، وأصل هذه الكلمة : التقدم ، ومنه يقال : نَهدَ ثديُ الجارية ، أى : برز قُدُماً . وعمارة بن الوليد هذا المذكور هو : الذى أرسلته قريش مع عمرو بن العاص إلى أرض الحبشة فسُحِر هناك ، وجن ، وسنزيد فى خبره شيئاً بعد هذا إن شاء الله .

---

(١) نخلة: أماكن متعددة منها : نخلة محمود ، وهو موضع بالحجاز قريب من مكة فيه نخيل وكروم ، ونخلة الشامية ، وهى ذات عرق وأعلى نخلة ذات عرق ، وهى لبنى سعد الذين أرضعوا النبى صلى الله عليه وسلم ، ونخلة اليمانية واد يصب فيه يدعان به مسجد للنبى .

. . . .

وذكَروا أن أبا طالب قال لهم حين سألوه أن يأخذ عُمارة بدلا من محمد صلى الله عليه وسلم : أرأيتم ناقة تحن إلى غير فصيلها وتَرْأَمُه[1] لا أعطيكم ابنى تقتُلونه أبدا ، وآخذ ابنَكم أكفله ، وأغذوه ، وهو معنى ماذكر ابن إسحاق قال ابن إسحاق فَحقِب الأمرُ عند ذلك ، يريد : اشتد ، وهو من قولك : حقِب البعير إذا راغ عنه الحَقَب من شدة الجهد والنصب ، وإذا عسر عليه البول أيضا لشد الحَقَبِ[2] على ذلك الموضع ، فيقال منه : حَقِب البعير ، ثم يستعمل فى الأمر إذا عَسِرَ ، وكذلك قوله : فَشَرِى الأمر عند ذلك ، أى : انتشر الشر ، ومنه الشَّرَى ، وهى قُروح تنتشر على[3] البدن ، يقال منه : شَرِى جلدُ الرجل ، يَشْرَى شَرًى .

---

(١) رئم الجرح بكسر الهمزة انضم والتأم ، رئمت الأنثى ولدها رأما ورأمانا ورئمانا أحبته وعطفت عليه .

وينسب إلى أبى طالب أنه قال للنبى هذا الشعر :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم — حتى أوسد فى التراب دفينـــا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة — وابشر بذاك وقر منه عيـــونا

ودعوتنى وزعمت أنك ناصحى — ولقد صدقت ، وكنت ثم أمينا

وعرضت دينا لا محـــالة أنه — من خـــير أديان البرية دينا

لولا الملامة ، أو حذار مسبة — لوجدتنى سمحـــا بذاك مبينـــا

انظر المواهب ص ٢٤٨ .

(٢) الحزام يلى حقو البعير ، أو حبل يشد به الرحل فى بطنه

(٣) عرفها القاموس بقوله : بثور صغار حمر حكاكة مكربة تحدث دفعة غالبا . وتشتد ليلا .

. . . .

شعر أبى طالب :

فصل : وذكر شعر أبى طالب :

ألا قُلْ لعمرو والوليد . إلى آخر الشعر

وفيـــه :

ألا ليت حَظِّى من حِياطتكم(١) بَكْر

أى : إن بكرا من الإبل أنفع لى منكم ، فليته لى بدلا من حياطتكم كما قال طرفة فى عَمْرو بن هند :

فَلَيت لنـا مكان الْمَلْكِ عَمْرو رَغُوثًا(٢) حول قُبَّتِنا تَخُور

وقوله : من الْخُوُر حَبْحَابُ . الْخُور(٣) الضِّعاف ، والحَبْحَابُ بالحاء : الصغير . وفى حاشية كتاب الشيخ أبى بحر : جَبْجَاب(٤) بالجيم ، وفسره فقال : هو الكثير الْهَذْر، وفى الشعر :

إذا ما علا الفيفاء قيل له : وَبْرُ

أى يُشَبَّه بالْوَبْر لصغره ، ويحتمل أن يكون أراد : يَصْغُرَ فى العين لعلو المكان وبعده ، والْفَيْفاء فَعْلاء ، ولولا قولهم : الفيف ، لكان حمله على باب

(١) فى رواية « حفاظتكم » والحفاظ الغضب ص ٨٢ الخشنى
(٢) الرغوث هى كل مرضعة وفى الأصل : ليت
(٣) جمع أخور
(٤) وتروى بالخاء . الضعيف

. . . .

القَضْقَاصِ والجَرْجَارِ أَوْلَى (١) ، ولكن سُمع الفَيْف ، فعلم أن الألفين زائدتان (٢) ، وأنه من باب قَلِقَ وسَلِسَ الذى ضوعفت فيه فاء الفعل دون عَيْنه ، وهى ألفاظ يسيرة نحو قَلَقٍ وسَلَسٍ وثُلُثٍ وسُدُسٍ (٣) ، وقد اعتنينا بجمعها من الكلام ، ولعل لها موضعا تذكر فيه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ، ولا تكون ألف فَيْفَاء للإلحاق فيصرف ؛ لأنه ليس فى الكلام : فِعْلال ، فإن قيل : يكون ملحقاً بقَضْقَاضٍ وبابه ، قلنا : قَضْقَاض ثنائى مضاعف ، فلا يُلْحق به الثلاثى ، كما لا يلحق الرُّباعى بالثلاثى ، ولا الأكثر بالأقل (٤) ، وقد حكى

---

(١) القضقاص : أشنان الشام ، أو شجر من الحمض ، والأسد ، ويضُمّ وليس فعلال — يضم الفاء — سواه ، والجرجار كالقرقار : نبت ، ومن الإبل : الكثير الصوت .

(٢) فى اللسان « بالفيف استدل سيبويه على أن ألف فيفاة زائدة » وفيه عن المبرد : « ألف فيفاة زائدة لأنهم يقولون : فيف » وفى شرح الشافية للرضى «والألف فى الفيفاة زائدة لقولهم : فيف بمعناه وكذلك الزيزاء والصيصاء إذ ليس فى الكلام فعلال « بكسر الفاء وسكون العين إلا مصدرا كزلزال » ص ٣٧٢ ج٢ مطبعة حجازى والزيزاء بالفتح والكسر ما غلظ من الأرض ، والصيصاء : الحشف من التمر ، أو حب الحنظل ليس فى جوفه لب .

(٣) إذا ضبط ثلث وسدس على أنهما فعلان كانا بفتح الفاء والعين ، ومن الأسماء مما هو كذلك : دعد وتوت وطوط « الحبة وغير ذلك » .

(٤) معنى الإلحاق فى الاسم والفعل أن تزيد حرفا أو حرفين على تركيبه زيادة غير مطردة فى إفادة معنى : ليصير ذلك التركيب بتلك الزيادة مثل كلمة أخرى فى عدد الحروف وحركاتها المعينة والسكنات ، كل واحد فى مثل مكانه فى الملحق بها ، وفى تصاريفها : من الماضى والمضارع والأمر والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول إن كان الملحقة به فعلا رباعيا ، ومن التصغير والتكسير إن كان

. . . .

فيفاة بالقصر وليست ألفها للتأنيث ، إذ لا يجمع بين علامتى تأنيث ، فهى إذاً من باب أرطاة ونحوها[1] ، كأنها ملحقـة بسَلْهَبة[2] . وفى الشعر :

كما جَرْجَمَتْ من رأس ذِى عَلَق صَخْرُ . وترك صَرْف عَلَق، إما لأنَّه جعله اسم بقعة ، وإما لأنه اسمُ علم ، وتركُ صرف الاسم العلم سائغٌ فى الشعر ، وإن لم يكن مُؤنثا ولا عَجَميا نحو قول عبَّاس بن مِرْداس :

وما كان حِصْنٌ ولا حابسٌ يفوقان مِرْداسَ فى المَجْمَعِ

ونحو قول الآخر :

يامن جَفَانى ومَــلاَّ نسيتَ أهْــلاَ وسَــهْلاَ
وماتَ مَرْحَــبُ لما رأيتَ مَالىَ قَــلاَّ

= الملحق به اسما رباعيا لا خماسيا ، وفائدة الإلحاق أنه ربما يحتاج فى تلك الكلمة إلى مثل ذلك التركيب فى شعر أو سجع ص ٥٢ جـ ١ شرح شافية ابن الحاجب لرضى الدين الاستراباذى . م حجازى ، وانظر ص ١٢ المنصف شرح ابن جنى لكتاب التصريف لأبى عثمان المازنى .

(١) شجرة ثمرها مر تأكلها الإبل ، وألفها للالحاق ، فتنون نكرة لا معرفة أو ألفها أصلية ، فتنون دائمـا ، أو وزنها أفعل وموضعها المعتل « القاموس » وفى اللسان مادة رطا : « الأرطى شجر من شجر الرمل ، وهو أفعل من وجه ، وفعلى من وجه ، لأنهم يقولون : أديم مأروط إذا دبغ بورقه ، ويقولون : أديم مرطى ، والواحدة : أرطاة ، ولحوق تاء التأنيث فيه يدل على أن الألف فيه ليست للتأنيث ، وإنما هى للالحاق ، أو بنى الاسم عليها

(٢) السلهبة : الجسيمة من النساء

. . . .

فلم يصرف مَرْحَبا ، وسيأتى فى هذا الكتاب شواهدُ كثيرة على هذا ، ونشرح العِلّة فيه إن شاء الله تعالى(١) ، ولو روى : من رأس ذى عَلَق الصخر

---

(١) يقول ابن مالك فى الألفية :

ولاضطرار أو تناسب صرف ذو المنع والمصروف قد لاينصرف

ويقول الأشمونى فى شرحه لها إن الكوفيين أجازوا منع المصروف من الصرف للضرورة ، وأباه سائر البصريين ، والصحيح : الجواز ، واختاره الناظم - يعنى ابن مالك لثبوت سماعه ، وقد فصل بعض المتأخرين بين مافيه علمية ، فأجاز منعه لوجود إحدى العلتين ، و بين ماليس كذلك ، فصرفه ويؤيده أن ذلك لم يسمع إلا فى العلم ، وأجاز قوم منهم : ثعلب ، وأحمد بن يحي منع صرف المنصرف اختيارا ص ٢٢٤ ج ٣ ط الأزهرية . وقد ذكر ابن هشام أن من البصريين من أجاز ذلك ، وهما الأخفش والفارسى وأن من الكوفيين من منع ذلك وهو أبو موسى الحامض من شيوخ الكوفيين وقد حكى الفخر الرازى عن أكثر الكوفيين والأخفش أن السبب الواحد يمنع من الصرف ، ولم يفرق بين العلمية وغيرها انظر ص ٢٢٨ ج ٢ من كتاب شرح التصريح على التوضيح ط التجارية ، وقد رد الدنوشرى المذهب الذى حكاه الفخر ؛ لأن الأصل فى الأسماء أن تكون منصرفة . المصدر السابق الحاشية بهامشه للعليمى الحمصى . ومن الأبيات التى ورد فيها منع المصروف :

طلب الأزارق بالكتائب إذ هوت بشبيب غائلة النفوس غدور

فمنع صرف شبيب وهو علم مصروف وهو شبيب بن يزيد رأس الخوارج الأزارقة ، وفاعل طلب ضمير يعود على سفيان نائب الحجاج ومثله :

وقائلة مابال دوسر بعدنا صحا قلبه عن آل ليلى وعن هند

من معانى قصيدة أبى طالب : حبحاب : من معانيها : قصير ، أو الجمل الضئيل . وتروى بالخاء أيضاً : الضعيف . هما أغمزا للقوم : أى سهلا لهم الطعن فيهم تجرجم : سقط وانحدر . ذو علق : جبل فى ديار بنى أسد . والصفر : الخالى من الآنية وغيره . إلا أن يرس له ذكر : أن يذكر ذكرا خفيا . من نسلنا =

. . . .

بحذف التنوين لالتقاء الساكنين ، لكان حَسَناً ، كما قُرِىء : قل : هو الله أحدُ ، الله الصَّمَدُ » بحذف التنوين من أحد ، وهى رواية عن أبى عمرو بن العلاء ، وقال الشاعر :

حميد الذى أمج دارَه

وقال آخر :

ولا ذاكرُ الله إلا قليلا

وأنشد قول أبى طالب :

إذا اجتمعت يوما قُريش لِمَفْخَرٍ فعبْدُ مَناف سِرُّها وصَمِيمُها

قوله : سرها أى : وَسَطُها ، وسر الوادى وسَرَارتهُ : وَسَطه ، وقد تقدم متى يكون الوسط مدحا ، وأن ذلك فى موضعين : فى وصف الشهود ، وفى النسب ، وبيَّنا السر فى ذلك .

وقال فى القصيدة : ونضرب عن أحجارها مَنْ يرُومها . أى ندفع عن حصونها ومعاقلها ، وإن كانت الرواية : أجحارها بتقديم الجيم ، فهو جمع جُحْر والُجحْر هنا مُستعار ، وإنما يريد عن بيوتها ومساكنها(١) .

= شفر : أى: أحد، يقال: ما بالدار أحد ، وما بها شفر ، وما بها كتيع ، وما بها عريب ، وما بها ذبيح ؛ وما بها نافخ صرمه كلها بمعنى واحد . أى ما بها أحد .

(١) من معانى القصيدة غث : يعنى ليس له نسبة هنالك . وأصل الغث : اللحم الضعيف . طاشت حلومها : ذهبت عقولها . انتعش العود الذواء : حيى وظهرت فيه الخضرة ، وأصل نعش : رفع . والعود الذواء الذى جفت رطوبته . الأكناف : النواحى . وأرومها : جمع أرومه : الأصل . انظر ص ٨٣ ، وما بعدها لأبى ذر الخشنى فى شرح السيرة

موقف الوليد بن المغيرة من القرآن

ثم إن الوليدَ بن المُغيرة اجتمع إليه نفرٌ من قُرَيش – وكان ذا سنّ فيهم، وقد حضَر الموسمُ، فقال لهم: يامعشَر قريْش، إنه قد حضر هذا الموسمُ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سَمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمِعوا فيه رأيا واحد، ولا تختلفوا، فيكذّب بعضُكم بعضا، ويردّ قولُكم بعضه بعضاً، قالوا: فأنتَ يا أبا عبد شمس، فقُلْ، وأقِمْ لنا رأيا نقول به، قال: بل أنتم، فقولوا أسْمَعْ، قالوا: نقول: كاهن، قال: لا والله ماهو بكاهن، لقد رأينا الكُهّان، فما هو بزَمْزَمة الكاهن ولا سَجْعه، قالوا: فنقول: مجنون، قال: ماهو بمجنون، لقد رأينا الُجنون وعرفناه، فما هو بخَنْقه، ولا تخَالُجِه، ولا وَسْوسَتِه، قالوا: فنقول: شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشِّعر كلَّه: رجزَه وهَزجه وقَريضَه ومَقْبوضة ومَبْسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول: ساحر، قال: ماهو بساحر، لقد رأينا السُّحَّار وسِحْرَهم، فما هو بنَفْثهم ولا عَقْدهم، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إنّ لقوله لحلاوةً، وإن أصلَه لَعَذْق، وإن فَرْعه لَجناة — قال ابن هشام: ويقال: لغَدَق — وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عُرِف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأنْ تقولوا: ساحر، جاء بقولٍ هو سحر يُفَرِّق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته. فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بِسُبُل الناس حين قدموا الموسِمَ، لا يمرّ بهم أحدٌ إلا حذَّروه إياه، وذكروا لهم أمرَه.

. . . .

ما نزل فى حق الوليد من القرآن :

فأنزل الله تعالى فى الوليد بن المُغيرة ، وفى ذلك من قوله : « ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ، وَجَعَلْتُ لَهُ مالاً مَمْدُوداً وَبَنِينَ شُهُوداً ، وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً ، ثُمَّ يَطْمَعُ أنْ أَزِيدَ ، كَلاَّ إنَّهُ كانَ لآياتِنا عَنِيداً » المدثر : ١١-١٦ أى خصيما .

قال ابن هشام : عنيدا : معاند مخالف . قال رؤبةُ بن العجَّاج :

ونحن ضَرَّابون رأس العُنَّدِ

وهذا البيت فى أرجوزة له :

« سأُرْهِقُهُ صَعُوداً ، إنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ ، ثُمَّ عَبَسَ وبَسَرَ » المدثر : ١٧ : ٢٢

قال ابن هشام : بسر : كره وَجْهه . قال العجَّاج :

مُضَبَّر اللَّحْيَيْن بَسْرا مِنْهَسا

يصف كراهية وجهه . وهذا البيت فى أرجوزة له :

« ثُمَّ أدْبَرَ واسْتَكْبَرَ فَقال : إنْ هَذَا إلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ ، إنْ هَذَا إلاَّ قَوْلُ البَشَرِ » . المدثر : ٢٣ - ٢٥ .

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى : فى رسوله - صلى الله عليه وسلم - وفيما جاء به من الله تعالى ، وفى النفر الذين كانوا معه يُصنِّفون القول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيما جاء به من الله تعالى : « كما أنْزلْنا على المُقْتَسِمِينَ .

. . . .

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرآنَ عِضِينَ . فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ » الحجر : ٩٠ — ٩٣

قال ابن هشام : واحدة العِضين : عِضَة ، يقول : عَضَّوْه : فرقوه . قال رؤبة بن العجَّاج :

وليس دينُ اللهِ بالمُعَضَّى

وهذا البيت فى أرجوزه له .

قال ابن إسحاق : فجعل أولئك النفرُ يقولون ذلك فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لِمَنْ لَقُوا من الناس ، وصدرت العربُ من ذلك الموْسِم بأمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانتشر ذكره فى بلاد العرب كلِّها .

أبو طالب يفخر بنسبه وابن أخيه

فلما خَشِى أبو طالب دَهْماء العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته التى تَعَوَّذَ فيها بحُرَم مكة وبمكانه منها ، وتودَّد فيها أشرافَ قومه ، وهو على ذلك يُخبرهم وغيرَهم فى ذلك من شعره أنه غير مُسْلِمٍ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا تاركه لشىء أبداً حتى يهلِكَ دونه ، فقال :

ولَمَّا رأيتُ القَوْمَ لاوُدَّ فيهمُ ... وقد قطعوا كلَّ العُرَى والوَسائل

وقد صارَحُونا بالعَداوَةِ والأذَى ... وقد طاوَعُوا أمْرَ العَدوّ المُزايل

وقد حالَفوا قَوْماً علَيْنا أظِنَّةً ... يَعَضُّونَ غَيْظاً خَلْفنا بالأنامل

صَبَرْتُ لهم نَفْسى بِسَمْراء سَمْحةٍ وأبيضَ عَضْبٍ من تُراثِ المَقَاوِل
وأحضرتُ عند البيتِ رَهطى وإخوتى وأمسكت من أثوابه بالوَصائل
قِياما مَعا مُستقبِلين رِتاجَه لدى حيثُ يَقضى حَلْفَه كلُّ نافل
وحيثُ يُنيخ الأشعَرون رِكابهم بمُفضَى السُّيول من إسافَ ونائل
مُوَسَّمةُ الأعضادِ، أو قَصَراتِها مُخَيَّسةٌ بين السَّديس وبازل
ترى الوَدْع فيها، والرُّخامَ وزينةً بأعناقها مَعْقودَةً كالعَثاكل
أعوذُ بربِّ النَّاس مِن كلِّ طاعنٍ علَينا بسُوء، أو مُلِحٍّ بباطل
ومِنْ كاشحٍ يَسْعَى لنا بمَعيبَةٍ ومن مُلحِقٍ فى الدين مالم نُحاول
وثَوْرٍ، وَمَنْ أرْسَى ثَبيراً مكانَه وراقٍ ليَرْقى فى حِراء ونازل
وبالبيت، حَقِّ البيت، من بطن مكة وباللهِ إنَّ اللهَ ليسَ بغافِل
وبالحجر المُسْوَدِّ إذ يَمسَحُونه إذا اكْتَنَفُوه بالضُّحى والأصائل
ومَوْطىءِ إبراهيمَ فى الصَّخر رَطْبَةً على قَدميه حافيا غيرَ ناعل
وأشْواطِ بين المَرْوتين إلى الصَّفا وما فيهما من صُورة وَتَماثِل
ومَنْ حجَّ بيتَ اللهِ مِنْ كل راكب ومِنْ كل ذى نَذْر ومِنْ كل راجل
وبالمَشْعَرِ الأقْصَى إذا عَمَدوا له إلالٍ إلى مُفْضَى الشِّراج القَوابل
وَتَوْقافِهم فوْقَ الجبال عَشِيَّةً يُقيمون بالأيدى صُدورَ الرَّواحل
وليلةِ جَمْعٍ والمنازل مِن مِنى وهَلْ فوقها من حُرْمة ومَنازل
وَجَمْعٍ إذَا ما المُقْرَبات أجزْنَه سِراعا كما يَخْرُجْنَ من وَقْعِ وابِل

وبالجمرة الكبرى إذا صَمَدوا لها   يؤمُّون قذفا رأسها بالجنادل
وكِندة إذ هم بالحصاب عشيّة   تُجيز بهم حُجّاجَ بكر بن وائل
حليفان شدّا عقد ما احتلفا له   وردّا عليه عاطفات الوسائل
وحطمهم سُمْر الرماح وسَرْحَه   وشبرقه وخْدَ النعام الحوامل
فهل بعد هذا من مَعاذٍ لعائذ   وهل من مُعيذ يتقي الله عاذل
يُطاع بنا أمرُ العدا ودّ أننا   تُسَدُّ بنا أبوابُ تُرْك وكابل
كذبتم وبيتِ الله نترك مكّة   ونظعن إلا أمرُكم في بلابل
كذبتم ـ وبيتِ الله ـ نُبزَى محمداً   ولمّا نُطاعِن دونه ونُناضل
ونُسْلِمُه حتى نُصرَّع حوله   ونَذْهَل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قومٌ في الحديد إليكمُ   نُهوضَ الروايا تحت ذات الصلاصل
وحتى ترى ذا الضِّغْن يركب ردْعه   من الطّعن فعْل الأنكب المتحامل
وإنّا ـ لعمرُ الله ـ إنْ جدّ ما أرى   لتلتبسن أسيافُنا بالأماثل
بكفّيْ فتًى مثلِ الشهاب سَمَيْدَع   أخي ثقةٍ حامى الحقيقة باسل
شهوراً وأيّاما وحَوْلاً مُجرَّما   علينا وتأتى حِجّةٌ بعد قابل
وما ترْكُ قومٍ ـ لا أبا لك ـ سيّداً   يحُوط الذِّمار غير ذَرْبٍ مُواكل
وأبيضَ يُستسقى الغمامُ بوجهه   ثِمالَ اليتامى عِصْمةً للأرامل
يلوذ به الهُلاّكُ من آل هاشم   فهُمْ عنده في رحمة وفواضل
لعمْرى لقد أجرى أسيدٌ وبكرُه   إلى بُغضنا وجزّآنا لآكل

وعثمانُ لم يَرْبَع علينا وقُنْفُذٌ ولـكن أطاعا أمْرَ تلك القبائلِ
أطاعا أُبَيًّا ، وابنَ عَبْدِ يَغُوثِهِم ولم يَرْقُبا فينا مقالةَ قائلِ
كما قد لَقِينا مِنْ سُبَيْعٍ ونَوفَلٍ وكُلٌّ تَوَلى مُعْرِضاً لم يُجَامِلِ
فإنْ يُلْفَيا ، أو يُمْكنِ اللهُ منهما نَكِلْ لهما صاعا بِصَاعِ المُكايِلِ
وذاكَ أبو عَمْرو أبى غيرَ بُغْضنا لِيُظْعِنَنا فى أهْلِ شاءٍ وجامِلِ
يُناجِى بنا فى كلِّ مُمْسًى ومُصْبَحٍ فناجِ أبا عَمْرٍ بنا ثم خاتِلِ
ويُؤْلِى لنا باللهِ ما إنْ يَغُشُّنا بَلى قد تراهُ جَهْرَةً غير حائلِ
أضاق عليه بُغْضُنا كلَّ تَلْعةٍ من الأرض بين أخْشُبٍ فَمَجادِلِ
وسائِلْ أبا الوَليد ماذا حَبَوْتَنا بسَعْيِكَ فينا مُعْرِضاً كالمُخَاتِلِ
وكُنتَ امْرَءًا مِمَّنْ يُعاش برأْيِه ورَحْمتِه فينا ولستَ بجاهِلِ
فعُتْبةُ لاتَسْمع بنا قولَ كاشِحٍ حَسودٍ كَذوبٍ مُبْغِضٍ ذى دَغاوِلِ
وَمَرَّ أبو سُفْيانَ عَنِّىَ مُعْرِضاً كما مرَّ قَيْلٌ من عِظامِ المَقاوِلِ
يَفِرُّ إلى نَجْدٍ وَبَرْدِ مِياهِهِ ويزعمُ أنى لستُ عنكم بغافِلِ
ويُخبرنا فعلَ المُناصِحِ أنَّهُ شَفيقٌ ، ويُخفى عارِماتِ الدَّوَاخِلِ
أمُطْعِمُ لم أخْذُلْك فى يومِ نَجْدَةٍ ولا مُعْظِمٍ عند الأُمورِ الجلائلِ
ولا يومِ خَصْمٍ إذ أتوْكَ ألِدَّةً أُولى جَدَلٍ من الخُصومِ المَسَاجِلِ
أمُطْعِمُ إنَّ القَوْمَ ساموكَ خُطَّةً وإنى متى أُوكَلْ فلستُ بوائِلِ
جزَى اللهُ عنّا عبدَشمسٍ ونَوْفلاً عُقوبةَ شرٍّ عاجلا غيرَ آجِلِ

بميزان قِسْط لا يُخِسُّ شعيرةً ... له شاهدٌ من نفسه غير عائل

لقد سَفُهت أحلامُ قومٍ تبدَّلوا ... بني خَلَفٍ قَيْضاً بنا والغياطل

ونحنُ الصَّميمُ من ذُؤابة هاشمٍ ... وآلِ قُصَيٍّ في الخُطوب الأوائل

وسَهْمٌ وَمخزومٌ تمالَوْا وألَّبُوا ... علينا العِدَا من كلِّ طِمْلٍ وخاملِ

فعَبْدَ مَناف أنتمُ خيرُ قَوْمكم ... فلا تُشْرِكوا في أمْرِكم كلَّ واغل

لعَمْرِي لقد وَهَنْتُمُ وعَجزْتمُ ... وجِئتم بأمرٍ مُخْطِىءٍ للمفاصِل

وكنتم حَديثا حَطْبَ قِدْرٍ وأنتمُ ... ألآنَ حِطابُ أقدُرٍ ومَراجل

ليَهْنِىءْ بني عَبْد مَناف عُقوقُنا ... وخِذْلانُنا، وترْكُنا في المَعاقل

فإنْ نَكُ قوْما نَتَّئِرْ ما صنعتمُ ... وَتَحْتَلِبُوها لِقْحة غيرَ باهِل

وسائطُ كانت في لؤَيِّ بن غالبٍ ... نَفاهم إلينا كلُّ صَقْر حُلاحِل

ورهطُ نُفَيل شَرُّ مَن وطِىءَ الحَصَى ... وألأمُ حافٍ مِن مَعَدّ وناعِل

فأبلغ قُصَيًّا أن سيُنشر أمرُنا ... وبَشِّر قُصَيا بعدَنا بالتَّخاذل

ولو طرَقت ليلاً قصيًّا عظيمةٌ ... إذاً ما لجأنا دونهم في المَداخل

ولو صَدَقوا ضَرْبا خِلال بُيوتهم ... لكنَّا أُسًى عند النساء المَطافل

فكلُّ صديقٍ وابنِ أُخت نَعُدُّه ... لَعَمْرِي – وَجَدنا غِبَّه غيرَ طائل

سوى أنَ رهطا من كِلاب بن مُرَّة ... بَرَاءٌ إلَيْنا من مَعَقَّة خاذِل

وَهَناً لَهُم حتى تبدَّد جمْعُهمُ ... وَيحْسُرَ عنَّا كلُّ باغٍ وجاهل

وكان لنا حوض السِّقاية فيهم ... ونحنُ الكُدَى من غالب والكَواهل

• • • • • • • • • •

شَباب من الْمُطَيَّبين وهاشِمٍ كَبِيضِ السُّيوفِ بين أيدى الصَّياقِل
فما أدركوا ذَحْلاً ولا سَفَكوا دما ولا حالَفوا إلا شِرارَ القَبائل
بضربٍ ترَى الفِتْيان فيه، كأنهم ضَوَارى أُسُود فوق لَحْمٍ خَرادِل
بنى أَمَةٍ محْبوبةٍ هِنْدِكيَّة بنى جُمَح عُبَيدِ قَيس بن عاقِل
ولكنَّنا نسلٌ كِرامٌ لسادةٍ بهم نُعِيَ الأقوام عند البَواطِل
ونعم ابنُ أختِ القومِ غيرَ مُكَذَّب زهيرٌ حُساما مُفْرَداً مِنْ حَمائل
أَشَمُّ مِنَ الشُّمِّ البَهاليل يَنتمى إلى حسب فى حَوْمة المجْد فاضل
لعَمْرِى لقد كَلِفْتُ وجداً بأحمد وإخوته دَأْبَ المحِبِّ المواصل
فلا زال فى الدُّنيا جمالاً لأهلها وزَيْناً لمن والاه رب المشاكل
فمَنْ مِثْلُه فى النَّاس أىُّ مؤَمَّل إذا قاسه الحُكَّام عند التَّفاضل
حليمٌ رشيد عادل غيرُ طائش يُوالى إلٰها ليسَ عنه بغافِل
فوالله لولا أنْ أجىء بسُبَّة تُجَرُّ على أشْياخِنا فى المحافِل
لكنَّا اتبعْناه على كلِّ حالَة من الدَّهر جِدّا غير قول التَّهازل
لقد عَلِموا أنَّ ابنَنا لا مُكَذَّبٌ لَدَيْنَا، ولا يُعْنَى بقَوْل الأباطل
فأصبح فينا أحمدٌ فى أَرُومَة تُقَصِّر عنه سَوْرَةُ الْمُتَطاول
حَدِبْتُ بنفسى دونه وحَمَيْتُه ودافعتُ عنه بالذُّرا والكَلاكِل
فأيَّدَه ربُّ العِباد بنَصْره وأظهر دينا حقُّه غيرُ باطل
رجالٌ كِرامٌ غيرُ مِيلٍ نَماهُم إلى الخيْرِ آباءٌ كِرامُ المَحاصل

. . . .

فإن تكُ كعبٌ من لؤىّ صُقَيْبةً   فلابدَّ يوما مَرَّة مِنْ تَزايُل

قال ابن هشام : هذا ما صحّ لى من هذه القصيدة ، وبعضُ أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها .

قال ابن هشام : وحدثنى مَنْ أثق به ، قال : أقحط أهلُ المدينة ، فأتَوْا رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — فشَكَوْا ذلك إليه ، فصَعد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المنبرَ فاستسقى ، فما لبث أنْ جاء من المطر ما أتاه أهلُ الضواحى يشكون منه الغَرقَ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ حَوَالَيْنا ولا علينا، فانجاب السحابُ عن المدينة ، فصار حوَالَيْها كالإكليل ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : لو أدرك أبو طالب هذا اليومَ لسرّه ، فقال له بعضُ أصحابه : كأنك يارسولَ الله أردت قولَه :

وأبيضَ يُسْتسقى الغمامُ بوَجْهه   ثِمَالَ اليَتامى عِصْمةً للأَرامِل

قال : أجل

قال ابن هشام : وقوله « وشِبْرِقَهُ » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : والغياطل : من بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص ، وأبو سفيان بنُ حرب بن أُمَيَّة . ومُطْعِمُ بن عدىّ بن نَوْفل بن عبد مناف . وزُهير بن أبى أُمَيَّة بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ، وأمه : عاتكة بنت عبد المطلب . قال ابن إسحاق : وأَسِيدٌ، وبِكْرُهُ : عتَّابُ بن أسيد بن أبى

. . . .

العيص بن أميَّة بن عبد شمس بن عَبد مناف بن قصىّ . وعثمان بن عُبيد الله : أخو طلحة بن عُبيد الله التَّيمىّ . وقُنْفذ بنُ عُمير بن جُدْعان بن عَمْرو بن كَعْب بن سعد بن تَيمْ بن مُرَّة . وأبو الوليد : عُتْبةُ بنُ ربيعة . وأُبىٌّ : الأخنس بن شَرِيق الثقفىّ ، حليف بنى زُهْرة بن كلاب .

قال ابن هشام : وإنما سمى الأخنس ؛ لأنه خَنس بالقوم يوم بدْر ، وإنما اسمُه : أُبىٌّ ، وهو من بنى عِلاج ، وهو عِلاج بن أبى سَلَمة بن عوْف بن عُقْبَة. والأسود بنُ عَبد يَغُوث بن وَهْب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب . وسُبَيع ابنُ خالد ، أخو بَلْحارث بن فِهْر . ونوفل بنُ خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزّى ابن قُصَىّ ، وهو ابن العَدَوية . وكان من شياطين قُرَيش ، وهو الذى قَرَن بين أبى بكر الصدّيق وطَلْحة بن عُبَيْد الله رضى الله عنهما فى حَبْل حين أسْلما ، فبذلك كانا يُسمَّيان : القَرِينين ، قتله علىٌّ بنُ أبى طالب عليه السلام يوم بَدْر. وأبو عمرو : قُرَظَة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبدمناف . «وقوم علينا أظِنَّة» : بنو بكر بن عبد مَنَاة بن كنانة ، فهؤلاء الذين عَدَّد أبو طالب فى شعره من العرب .

ذكر الرسول «ص» ينتشر

فلما انتشر أمرُ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى العرب ، وبَلَغ البُلْدانَ ، ذُكِر بالمدينة ، ولم يكن حىٌّ من العرب أعلمَ بأمر رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين ذُكر ، وقبلَ أن يُذكر من هذا الحىّ من الأوْس والخَزْرَج ،

. . . .

وذلك لِمَا كانوا يسمعون من أحبار اليهود ، وكانوا لهم حلفاء ، ومعهم في بلادهم . فلما وقع ذِكْره بالمدينة ، وتحدّثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف. قال أبو قَيْس بن الأَسْلت . أخو بني واقف .

أبو قيس بن الأسلت ونسبه وشعره في الرسول «ص»

قال ابن هشام : نَسَبَ ابنُ إسحاق أبا قَيْس هذا هاهنا إلى بني واقف ، ونسبه في حديث الفِيل إلى خَطْمة ؛ لأن العرب قد تنسب الرجلَ إلى أخي جدّه الذي هو أشهر منه .

قال ابن هشام : حدثني أبو عُبيدة أنّ الحكم بن عَمْرو الغِفاريّ من ولد نُعَيلة أخي غِفار ، وهو غِفار بن مُلَيل ، ونُعَيْلة بنُ مُليل بن ضَمْرة بن بَكْر ابن عبد مناة ، وقد قالوا : عُتْبة بنُ غَزْوان السُّلَميّ ، وهو من ولد مازن ابن منصور وسُلَيم : ابن منصور .

قال ابن هشام : فأبو قيس بن الأسلت : من بني وائلٍ ، ووائلٌ ، وواقف وَخَطْمَةُ إخوة من الأوس .

قال ابن إسحاق : فقال أبو قَيْس بن الأسلت — وكان يحبّ قريشا ، وكان لهم صِهراً ، كانت عنده أَرْنب بنت أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصيّ ، وكان

يُقيم عندهم السنينَ بامرأته — قصيدةً يعظِّم فيها الحُرْمة ، وينهى قُرَيشا فيها عن الحرب ، ويأمرهم بالكف بعضهم عن بعض ، ويذكر فضلَهم وأحلامَهم ، ويأمرهم بالكَفِّ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ويذكِّرهم بلاء الله عندهم ، ودَفْعَه عنهم الفيل وكيدَه عنهم ، فقال :

يا راكبا إمَّا عَرَضْت فَبَلِّغن ... مُغَلْغَلةً عنّى لُؤَىَّ بن غالبِ

رسول امرىءٍ قد راعه ذاتُ بَيْنِكم ... على النأْيِ مَحْزونٍ بذلك ناصبِ

وقد كانَ عندى للهُموم مُعَرَّسٌ ... فلم أَقْضِ منها حاجتى ومآربى

نُبَيِّتُكم شَرْجَيْن كل قبيلة ... لها أزْمَلٌ مِنْ بين مُذْكٍ وحاطب

أُعيذكُمُ بالله مِنْ شرِّ صُنْعكم ... وشَرِّ تَباغِيكم ودَسِّ العَقارب

وإظْهار أخلاقٍ ، ونَجْوَى سَقيمةٍ ... كَوَخْز الأشافى وَقْعُها حقٌّ صائب

فذَكِّرْهُمُ بالله أوَّلَ وَهْلةٍ ... وإحلال أحرام الظِّباء الشَّوازب

وقُلْ لهم والله يحكم حُكْمَهُ ... ذَرُوا الحربَ تذهبْ عنكم فى المَراحب

متى تَبْعثوها ، تبعثوها ذَميمةً ... هى الغُول للأَقْصَيْن أو للأقارب

تُقَطِّع أرحاما ، وتُهْلِكُ أُمَّةً ... وتَبْرِى السَّديف من سَنام وغارب

وتَسْتبدلوا بالأَتْحَمِيَّة بعدها ... شَليلاً وأصداءَ ثيابَ الُمحارب

وبالمِسْك والكافور غُبْراً سَوابغا ... كأنَّ قَتيرَيْها عيونُ الجنادب

فإيَّاكُمُ والحربَ لا تَعْلَقَنَّكم ... وحَوْضاً وخيمَ الماء مُرَّ المشارب

تَزَيَّنُ للأقْوام ، ثُمَّ يَرَوْنها ... بعاقبةٍ إذ بَيَّنت ، أمَّ صاحب

تُحَرِّق ، لا تُشْوِى ضعيفا ، وتَنْتَحِى   ذوى العِزّ منكم بالحُتُوف الصَّوائبِ

ألم تعلموا ما كان فى حرب دَاحسٍ   فتَعْتبروا أو كان فى حَرْب حاطِبِ

وكم قد أصابتْ من شَريف مُسوَّد   طويلِ العِماد ، ضيفُه غيرُ خائب

عظيمِ رَمادِ النَّارِ يُحْمَد أمرُه   وذى شِيمةٍ مَحْضٍ كريم المَضاربِ

وماء هُرِيق فى الضَّلال كأنما   أذاعت به ريح الصَّبا والجَنائب

يخبّركُم عنها امرؤٌ حقٌّ عالمٍ   بأيّامها والعِلْمُ عِلْمُ التَّجارِب

فبِيعُوا الحِرابَ مِلْمُحَارب ، واذكُروا

حِسابَكُمُ ، وَاللهُ خَــــيرُ مُحاسِب

ولِىّ امرىء ، فاختار دِينا ، فلا يكُنْ

عليــــكم رقيبا غيرَ رَبّ الثَّواقب

أقيمُوا لَنا دينا حَنيفا ، فأنتمُ   لنا غايَةٌ قد يُهتدى بالذَّوائبِ

وأنتم لهَذا النَّاسِ نورٌ وعِصْمَةٌ   تُؤَمُّون ، والأحلام غير عَوازب

وأنتم ـ إذا ما حُصِّل الناسُ ـ جَوْهرٌ   لكم سُرَّة البَطْحاء شُمُّ الأرانب

تَصونون أجساداً كِراما عَتيقةً   مُهذَّبة الأنسَاب غيرَ أشائبِ

يرى طالبُ الحاجات نحو بُيوتكم   عصائبَ هلْكى تهتدِى بعَصائب

لقد علم الأقوامُ أنّ سَراتَــكم   على كلّ حالٍ خيرُ أهل الجَباجِب

وأفضله رأيا ، وأعلاه سُنَّة   وأقْوَلُه للحقّ وَسْط المواكب

فقوموا ، فصَلُّوا رَبَّكُم ، وتَمسَّحوا   بأركان هذا البيت بين الأخاشب

. . . .

فعِنْدَكم منـــــه بلاءٌ ومَصْدَق
غَـــداةَ أبى يَكْسُوم هادِى الـكَتَائب

كتيبتُه بالسَّهل تُمْسِى ، ورَجْلُه
على القاذفات فى رُءوس المناقب

فلما أتاكم نَصرُ ذى العَرْش ، ردَّهم
جُنودُ المليك بين سافٍ وحاصِب

فولَّوْا سِرَاعاهاربينَ ، ولم يَؤُبْ
إلى أهلهِ مِ الْحُبْشِ غيرُ عَصائب

فإن تَهْلِـكوا ، نَهْلِكْ وتَهلِكْ مَواسم
يُعـــاش بها ، قولَ امرىء غيرِ كاذب

قال ابن هشام : أنشدنى بيتَه : « وماء هُرِيق » ، وبيتَه : « فبيعوا الحراب » ، وقولَه : « ولِىُّ امرىء فاختار » ، وقوله :

على القاذفات فى رءوس المناقب

أبو زيد الأنصارىّ وغيره .

حرب داحس :

قال ابن هشام : وأما قوله :

ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس

فحدثنى أبو عُبيدة النحوىّ : أن داحسا فَرَس كان لقَيْس بن زُهير بن جَذيمة بن رَواحة بن رَبيعة بن الحارث بن مازن بن قُطَيْعة بن عَبْس بن بَغيض بن رَيْث ابن غَطَفان ، أجراه مع فرس لحُذَيفة بن بَدْر بن عَمْرو بن زيد بن جُؤَيَّة بن

لَوْذان بن ثَعْلَبَة بن عدىّ بن فَزارة بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان، يقال لها : الغَبْراء . فدسّ حُذيفة قوما وأمرهم أن يضربوا وَجْه داحس ، إن رأوه قد جاء سابقا ، فجاء داحس سابقا ، فضَربوا وجهَه ، وجاءت الغبراء . فلما جاء فارس داحس أخبر قيسا الخبرَ ، فوثب أخوه مالك بن زُهَير ، فلطم وجهَ الغبراء ، فقام حَمَلُ بنُ بدر ، فلطم مالكا . ثم إن أبا الجُنَيْدِب العَبْسىّ لقى عوفَ بن حُذيفة فقتله ، ثم لقى رجلٌ من بنى فَزارة مالكا فقتله فقال حَمَلُ بن بَدْر أخو حُذيفة بن بَدْر :

قَتَلْنا بعَوفٍ مالكا وهو ثأرُنا فإن تطلبوا منّا سوى الحقّ تَنْدَموا

وهذا البيت فى أبيات له . وقال الربيع بن زياد العَبْسى :

أَفَبَعْدَ مقتل مالكِ بن زُهَير ترجو النِّساء عواقبَ الأطهار

وهذا البيت فى قصيدة له .

فوقعت الحرب بين عَبْس وفَزارة ، فقُتِلَ حُذيفة بن بدر وأخوه حَمَل ابن بدر ، فقال قيس بن زُهَير بن جَذيمة يرثى حُذيفة ، وجزِع عليه:

كم فارسٍ يُدْعى وليس بفارسٍ وعلى الهَباءة فارسٌ ذو مَصْدَقِ
فابكوا حُذيفة لن تُرَثّوا مثلَه حتى تَبيد قبائلٌ لم تُخْلَق

وهذان البيتان فى أبيات له . وقال قيس بن زهير :

على أنّ الفتى حَمَلَ بنَ بَدْرٍ بَغَى ، والظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وخيم

وهذا البيت فى أبيات له : وقال الحارث بن زُهير أخو قيس بن زُهَير :

تركتُ على الهَباءة غيرَ فَخْرٍ حُذَيفةَ عنده قِصَدُ العَوالى

وهذا البيت فى أبيات له .

قال ابن هشام : ويقال : أرسل قيسٌ داحسا والغَبْراء ، وأرسل حُذَيفةُ الخطَّارَ والحَنْفاء ، والأوّل أصحّ الحديثين . وهو حديث طويل منعنى من استقصائه قَطْعُهُ حديثَ سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حرب حاطب

قال ابن هشام : وأما قوله : « حرب حاطب » . فيَعْنى حاطبَ بن الحارث ابن قَيْس بن هَيْشَة بن الحارث بن أميَّة بن معاوية بن مالك بن عَوْف بن عَمْرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس ، كان قتل يهوديًّا جاراً للخَزْرج ، فخرج إليه يزيدُ بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمَرَ بن حارثة بن ثَعْلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج — وهو الذى يقال له : ابن فُسْحُم ، وفُسْحم : أمّه ، وهى امرأة من القَيْن بن جَسْر — ليلاً فى نفر من بَنى الحارث بن الخزرج فقتلوه ، فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالا شديداً ، فكان الظفر للخزرج على الأوس ، وقُتل يومئذٍ سُوَيد بن صامت بن خالد بن عطيّة ابن حَوْط بن حَبيب بن عَمْرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، قتله المُجذَّر بن ذيَّادٍ البلوى ، واسمه عبد الله ، حليف بنى عَوْف بن الخزرج . فلما كان يوم أُحد

خرج المجذّر بن ذَيّاد مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وخرج معه الحارث بن سُوَيد بن صامت ، فوجد الحارثُ بن سُوَيد غِرَّة من المُجذَّر فقتله بأبيه . وسأذكر حديثَه فى موضعه – إن شاء الله تعالى – ثم كانت بينهم حروب منعنى من ذكرها واستقصاء هذا الحديث ما ذكرت فى حديث حرب داحس .

حكيم بن أمية ينهى قومه عن عداوة الرسول

قال ابن إسحاق : وقال حكيم بن أُمَيَّة بن حارثة بن الأوْقص السُّلمىّ ، حليف بنى أُمَيَّة وقد أسلم ، يورّع قومَه عمَّا أجمعوا عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فيهم شريفا مُطاعا :

هل قائلٌ قولاً من الحقّ قاعدٌ عليه، وهل غضْبانُ للرُّشْد سامعُ
وهل سَيِّدٌ تَرجو العشيرةُ نَفْعَه لأقصَى الموالى والأقارب جامعُ
تبرأتُ إلا وجهَ مَنْ يملك الصَّبا وأهْجُركم مادام مُدْلٍ ونازع
وأُسْلِم وَجْهِى للإله ومنْطِقِى ولو راعنى مِنَ الصَّديق روائع

موقف الوليد من القرآن :

وذكر خبر الوليد بن المغيرة وقوله : فيما جاء به النبى – صلى الله عليه وسلم من الوحى والقرآن : قد سمعنا الشعر فما هو بهَزَجِه ، ولا رَجَزَه . والهَزَجُ من أعاريض الشِّعر معروفٌ عند العَروضيين ، ولا أعرِفُ له اشتقاقا

. . . .

إلاأن يكون من قولهم فى وصف الذباب : هَزِجٌ ، أى : مُتَرَنِّم[١] ، وأما الرَّجَزُ فيحتمل أن يكون من رجزت الحمل إذا عدلته بالرِّجازة ، وهو شىء يعدل به الحمل ، وكذلك الرَّجَزُ فى الشعر أشطار مُعَدَّلة ، ويجوز أن يكون من رَجَزَتْ الناقَةُ إذا أصابتها رِعْدَةٌ عند قيامها ، كما قال الشاعر : حتى تقومَ تَـكَلُّفَ الرَّجْزَاء[٢] فالمُرْتَجِزُ كأنه مُرْتَمِدٌ عند إنشادِهِ لِقِصَرِ الأَبيات[٣] .

---

(١) فى المعجم الوسيط : هزج بفتح فكسر هزجا بفتح أوله وثانيه : تغنى والهزج كل صوت فيه ترنم خفيف مطرب وصوت فيه بحح ، وصوت الرعد وصوت الذباب ، ونوع من بحور الشعر العربى والفارسى ، سمى بذلك لتقارب أجزائه ، وهى : مفاعيلن ست مرات ، بجزوء وجوبا ، أى بأربع تفعيلات ، كل اثنتين فى شطرة

(٢) الشطرة فى اللسان وفيه « الرجزاء » وفى الروض كانت الرجزاء بلا همزة .

وفى أمالى القالى ج ٢ ص ٢٨٠ والرجز أن يرعد عجز البعير إذا أراد النهوض ، وأنشد :

تجد القيام كأنما هو نجـــدة حـــتى تقوم تـكلف الرجزاء

وفى سمط اللآلى شرح أمالى القالى للبكرى : وهو لأبى النجم ارتجله عند عبدالملك حين قال له : إنك لا تحسن القصيد ، فقال : إنى لأحسنه ، فقال : فقل فى هذه الجارية ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : شعثاء ، وكانت أدماء ، فقال :

علق الهوى بحبائل الشـــعثاء والموت بعض حبائل الأهواء

والنجدة الشجاعة والشدة ص ٩٢٤ .

(٣) الرجز : بحر من بحور الشعر ، وقد قال الحربى : لم يبلغنى أنه جرى على ـــــ

. . . .

وقوله : قد سمعنا الكهان ، فما هو بزَمْزَمَةِ الكاهِنِ ولاسَجْعه : الزَّمْزَمَةُ صوت ضعيف كنحو ما كانت الفُرْسُ تفعله عند شربها الماء ، ويقال أيضا : زَمْزَم الرَّعْد ، وهو صوت له قبل الهَدْرِ ، وكذلك الكُهَّان ، كانت لهم زَمْزَمَةٌ الله أعلم بكَيْفِيَّتِها ، وأما زَمْزَمَةُ الفُرْس ، فكانت من أُنُوفهم .

وقول الوليد : إن أصله لَعَذْقٌ ، وإن فَرْعَه لجَنَاة . استعارة من النَّخلة التى ثبَتَ أصلُها ، وقوى وطاب فرعها إذا جنى(١) ، والنخلة هى : العَذْقُ بفتح

= لسان النبي صلى الله عليه وسلم من ضروب الرجز إلا ضربان : المنهوك والمشطور ولم يعدهما الخليل شعرا ، فالمنهوك كقوله : « فى حديث رواه البخارى وأحمد ومسلم والنسائى » :

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب

والمشطور كقوله ، فى رواية جندب « هو فى البخارى » .

هل أنت إلا إصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت

وقوله : أنا ابن عبد المطلب ليس افتخارا ، فقد كان يكره الانتساب إلى الآباء الكفار . ولكنه أشار إلى رؤيا رآها عبد المطلب كانت مشهورة عندهم ، رأى تصديقها ، فذكرهم إياها بهذا القول « انظر النهاية لابن الأثير » والرجز مركب من « مستفعلن » ست مرات . والمشطور منه ما كان على ثلاث تفعيلات ، ويعتبر البيت فى الوقت نفسه شطرة فلا يجزأ بعد ذلك مثل :

رب أخ لى لم تلده أمى

والمنهوك ما بقى على تفعيلتين

مثل :

إلهنا ما أعد لك

ولم تكن العرب تعرف لهذه البحور هذه الأسماء .

(١) كل ما يجنى فهو جنى وجناة ، وفى حواشى أبى ذر : أى : فيه تمر يجنى ، وفى =

. . . .

العين ، ورواية ابن إسحاق أفصح من رواية ابن هشام ؛ لأنها استعارة تامة يشبه آخرُ الكلام أولَه ، ورواية ابن هشام : إن أصله لَغَدَقٌ ، وهو الماء الكثير ، ومنه يقال : غَيْدَق الرجلُ إذا كثر بصاقه ، وأحدُ أعمام النبي — صلى الله عليه وسلم — كان يُسَمى: الْغَيْداق لكثرة عطائه ، والْغَيْدَقُ أيضا ولدُ الضَّبِّ ، وهو أكبر من الْحِسْلِ قاله قُطْرُبٌ في كتاب الأفعال والأسماء له[1] .

ذرني ومن خلقت وحيدا :

فصل: وذكر ابن إسحاق قول الله تعالى : « ذَرْنى وَمَنْ خَلَقْتُ وحيداً » الآيات التي نزلت في الوليد ، وفيها له تهديد ووعيد شديد ، لأن مَعْنى: « ذَرْنى وَمَنْ خلقتُ » أي دَعْني وإياه ، فسترى ما أصنع به ، كما قال : « فَذَرْنى وَمَنْ يُكَذِّبُ بهذا الحديث » القلم : ٤٤ وهي كلمة يقولها المغتاظ إذا اشتد غيظه وغضبه ، وكرِه أن يُشَفَّعَ لمن اغتاظ عليه ، فمعنى الكلام : أي : لاشفاعةَ تنفع لهذا الكافِر ، ولا استغفار يامحمدُ منك ، ولامن غيرك وقوله : « وبنين شهوداً » أي : مقيمين معه غير محتاجين إلى الأسفار والغيبة عنه ، لأن ماله كان ممدوداً والمالُ الممدود عندهم : اثنا عشر ألف دينار ، فصاعداً « وَمَهَّدْتُ له تمهيداً »

= رواية البيهقي : « وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ، وما يعلى ، وإنه ليحطم ما تحته » ، وفي رواية الحاكم : « وإنه لمنير أعلاه مشرق أسفله » ، وقد أخرج الحديث الحاكم وصححه عن ابن عباس ، وقريب منه ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق أخرى .

(١) انظر ص ٩٢ نوادر أبي زيد .

. . . .

أى : هَيَّأتُ له ، وقدمت له مقدمات اسْتِدْراجاً له ، وقوله تعالى : « سأُرْهِقُه صَعُوداً » هى عَقَبَةٌ فى جهنم ، يقال لها : الصَّعُود مسيرُها سبعين سنةً ، يكلَّفُ الكافر أن يَصْعَدَها ، فإذا صعدها بعد عذاب طويل صُبَّ من أعلاها ، ولا يتنفس ، ثم لا يزال كذلك أبداً ، كذلك جاء فى التفسير (١) .

وقوله سبحانه : « فَقُتِلَ كيف قَدَّر » أى : لُعِن كيفما كان تقديُره فكيف هٰا هنا من حروف الشرط ، وقيل معنى قتل : أى هو : أهل أن يُدْعى عليه بالقتل ، وقد فسر ابنُ هشام : بَسَر والْبَسْرُ أيضاً : القهر ، والْبَسْر حمل الفحل على الناقة قبل وقت الضِّراب . وفسر عِضين ، وجعله من عَضَّيت أى فرّقت ، وفى الحديث : « لا تَعْضِيَة فى ميراث إلا ما احتمله الْقَسْمُ » ومعنى هذا الحديث موافقٌ لمذهب ابن القاسم ورأيه فى كل مالا ينتفع به إذا قسم (٢) أو كان فيه ضرر على الشريكين ألا يقسم ، وهو خلاف رأى مالك ، وحجة مالك قول الله تعالى : « مِمَّا قل منه أو كَثُرُ نصيباً مَفْروضاً » النساء : ٧ . وقد قيل فى عِضين إنه جمع عِضَة ، وهى السِّحر وأنشدوا :

---

(١) رواه أحمد والترمذى ثم قال : غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج ، وابن لهيعة ضعيف ، وأحسن ما قيل : هو تفسير مجاهد ، فقد قال فى تفسير : سأرهقة صعودا : أى : مشقة من العذاب ، وقال قتادة : عذاب لا راحة فيه واختاره ابن جرير . أو قربناه من العذاب الشاق لبعده عن الإيمان .

(٢) مثل لهذا الذى يضار به الورثة : قسم الجوهرة أو الطيلسان وما أشبه . ولهذا يباع ويقسم ثمنه بين الورثة ، لأن التقسيم فيه ضرر كبير على كل الورثة .

.. . .

أعوذ بربي من النافثا ت في عُقَد العاضه المُعْضِه

ومنه قولهم :

يا للعَضيهة(١) ويا للأفيكة [ويا للبَهِيتة]

شرح لامية أبي طالب ::

فصل :: وذكر قصيدة أبي طالب إلى آخرها ، وفيها :: وأبيض عَضْب من تُراث المَقاول . قد شرحنا الأقيال والمقاول ، فيما تقدم ، وتراث أصله : وُراث من ورثت ، ولكن لا تبدل هذه الواو تاء إلا في مواضع محفوظة ، وعلتها كثرة وجود التاء في تصاريف الكلمة ، فالتراث مال قد تُوُورِث ، وتوارثه قوم عن قوم ، فالتاء مستعملة في التوريث والتوارث ، وكذلك تجاه البيت ، التاء مستعملة في التَّوَجُّه والتَّوْجيه ونحوه ، فلما ألفوها في تصاريف الكلمة لم ينكروا قلب الواو إليها ، كما فعلوا في ريحان وهو من الرَّوْح لكثرة الياء

---

(١) كسرت اللام في ثلاث الكلمات على معنى : اعجبوا لهذا العضيهة الخ ، فإذا فتحت فمعناه الاستغاثة . ويقال ذلك عند التعجب من الإفك العظيم والزيادة من اللسان . وعضه بفتح الضاد وكسرها . وأعضه جاء بالعضيهة ، وعضهه يعضهه بفتح الضاد . قال فيه ما لم يكن وفي البخاري عن ابن عباس في هذه الآية أنه قال : هم أهل الكتاب جزأوه أجزاء ، وآمنوا ببعض ، وكفروا ببعض ونسب إلى ابن عباس أيضاً في غير البخاري أنه قال عن عضين : السحر . قال عكرمة : العضه : السحر بلسان قريش . ورأي ابن عباس الذي ذكره البخاري هو الأوفق

. . . .

فى تصاريف الـكلمة ، كما قدمنا قبل ، وهى فى تراث وبابه أبعد ؛ لأن الياء المألوفة فى مادة الـكلمة زائدة ، وياء ريحان ليست كذلك ، وكذلك التُّكَأة من توكأت وتَتْرَى من التَّواتر ، والتَّوْلَج من التَّوَلُّج والمُتَّلِج ، لأنهم يقولون : اتَّلَجَ بالتشديد ، فتصير الواو تاء للإدغام ، حتى يقولوا : مُتَّلِج فيجعلونها تاء دون الإدغام ، وهذا أشبه بقياس رَيْحان وبابه ؛ فإن التاء الأولى من مُتَّلِج أصلية وهى فى مُتَّلِج إذا ضُعِّفت أصلية أيضاً ، فهى هى ، فقف على هذا الأصل ؛ فإنه سر الباب(١) . وأراد بالمقاول : آباءه ، شبههم بالملوك ، ولم يكونوا ملوكا ، ولا كان فيهم مِنْ ملكٍ بدليل حديث أبى سفيان حين قال له هرقل : هل كان فى آبائه من ملك ؟ فقال : لا . ويحتمل أن يكون هذا السيف الذى ذكر أبو طالب من هِبَات الملوك لأبيه ، فقد وهب ابنُ ذى يزن لعبد المطلب هباتٍ جَزْلة حين وفد عليه مع قريش ، يهنئونه بظفره بالحبشة ، وذلك بعد مولد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعامين .

وقوله : مُوسَّمة الأعضاد أو قَصَراتها : يعنى [مُعَلَّمَة] بسمة فى أعضادها(٢) ،

---

(١) جاء فى شرح الشافية للرضى : «اعلم أن التاء قريبة من الواو فى المخرج لكون التاء من أصول الثنايا ، والواو من الشفتين ، ويجمعهما الهمس ، فتقع التاء بدلا منها كثيرا ، لكنه مع ذلك غير مطرد إلا فى باب افتعل نحو تراث وتولج وتترى من المواترة والتلج بضم التاء وفتح اللام «فرخ العقاب» والتكأة وتقوى . وتوراة عند البصريين فوعلة من ورى الزند كتولج ، فإن كتاب الله نور ، وعند الكوفيين هما تفعله وتفعل ، والأول أولى لكون فوعل أكثر من تفعل» ص ٨٠ ح ٣ ومنه تجاه ، وتكلان وتلاد ، وتيقور ، وتهمة وتوأم ، وتخمة وتلاد فأصلها : وجه ، ووكل وولاد ، ووقر ووهم ووأم ووخم وولاد وأصل توراة : وراة .

(٢) موسمة الأعضاد : معلمة ، والسمة العلامة ، القصرات : أصول الأعناق وزيادة معلمة التى وضعتها بين قوسين يقتضيها السياق .

. . . .

ويقال لذلك الوسم السِّطَاع والخِبَاط فى الفخذ والرَّقْمَة أيضاً فى العُضُد ، ويقال للوسم فى الكَشْحِ : الكِشاح ولما فى قَصَرة العُنُقِ : العِلاط ، والعُلْطَتَانِ والشِّغْب أيضاً فى العنق ، وهو كالمِحْجَن ، وفى العُنُقِ وسم آخر أيضاً يقال له: قَيْدُ الفَرَس . قال الراجز :

كُومٌ على أعناقها قَيْدُ الفَرَسْ   تنجو إذا الليل تدانى ، والْتَبَس

ولوسُوم الإبل أسماء كثيرة وباب طويل ، ذكر أبو عبيد أكثره فى كتاب الإبل ، فمنها المُشَيْطَنَةُ والمُفَقَّاة والقُرْمَة وهى فى الأنف ، وكذلك الجُرْف والخُطَّاف وهى فى العنق ، والدَّلْو وَالمُشْط وَالفِرْتاج والثُّؤْثُور والدِّمَاع فى موضع الدمع ، والصِّداغ فى موضع الصُّدْغ واللِّجَام من الخد إلى العين ، يقال منه : بعير مَلْجوم ، والهِلال والخِرَاش وهو من الصُّدغ إلى الذقن .

وقوله : أوقَصَراتها جمع قَصَرَة ، وهى أصل العنق ، وخفضها بالعطف على الأعضاد ، ولا يجوز أن تكون فى موضع نصب كما تقول : هو ضارب الرجل وزيداً فى باب اسم الفاعل ؛ لأن قوله : موَسَّمة الأعضاد من باب الصفة المشبهة ، وهى لا تعمل إلا مُضمرة ، واسم الفاعل يُضْمر إذا عطف على المخفوض ، وذلك أن الصفة لا تعمل بالمعنى ، وإنما تعمل بشَبَهٍ لفظى بينها ، وبين اسم الفاعل ، فإذا زال اللفظ ، ورجع إلى الإضمار لم تعمل ، وتخالف اسم الفاعل أيضاً ؛ لأن معمولها لا يتقدم عليها ، كما يتقدم المفعول على اسم الفاعل ، وذلك أن منصوبها فاعل فى المعنى ، والفاعلُ لا يتقدم ، والصفة

. . . .

لا يُفصل بينها وبين منصوبها بالظرف ، ويجوز ذلك فى اسم الفاعل ، والصفة لا تعمل إلا بمعنى الحال ، واسمُ الفاعل يعمل بمعنى الحال والاستقبال ، نعم ويعمل بمعنى الماضى إذا دخلت عليه الألف واللام ، ولو رُوِى : موسمةالأعضادَ بنَصب الدال على معنى: موسمةٌ الأعضادَ بالتنوين ، وحذفه لالتقاء الساكنين ، لجاز كما روى فى شعر حُنْدُجٍ(١) :

كَبِكْرِ مُقَانَاة البيـــاضَ

---

(١) فى الأصل : جندح ،ومقنأةالتى ستأتى فى الشطرة ، وهماخطأ ،والصواب ماأثبته ، وجاء صواب مقنأة فى موضع آخر من الروض . وحندج هو امرؤ القيس الشاعر الجاهلى ، والشعر من معلقته المشهورة ، والرواية فى المعلقة ، وفى اللسان هكذا .

كبكر المقاناة البيـــاض بصفرة غذاها نمير الماء غـــير محلل

البكر من كل صنف مالم يسبقه مثله . والمقاناة: الخلط ، والمقاناة — كما يقول الزوزنى — مصوغة للمفعول دون المصدر، وفى اللسان : فى شرح كبكر أخ . . أى : كالبيضه التى هى أول بيضة باضتها النعامة التىقونى بياضها بصفرة ، أى: خلط بياضها بصفرة . . فترك الألف واللام من البكر ، وأضاف البكر إلى نعتها » وفى اللسان له معنى آخر : « أراد : كبكر الصدفة المقاناة البياض بصفرة ؛ لأن فى الصدفة لونين من بياض وصفرة أضاف الدرة إليها » وبكر الصدفه درتها التى لم ير مثلها . شبهها فى صفاء اللون ونقائه بدرة فريدة تضمنتها صدفة بيضاء شابت بياضها صفرة ، ويقول الزوزنى : يروى البيت بنصب البياض وخفضه ، وهما جيدان بمنزلة قولهم زيد الحسن الوجه ، والحسن الوجه الخفض على الإضافة والنصب على التشبيه كقولهم : زيد الضارب الرجل » ص ١٥ ومابعدها لأبى عبدالله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزنى ط ٢٨٨ واللسان مادة قنا . هذا ورواية مقاناة مقترنة بالألف واللام لاتأتى بالتنوين . وقد جاء تصويب مقنأة فى مكان آخر بمقاناة .

. . . .

بالنصبِ وبالرفع أيضاً ، أى : البياض منها على نية التنوين فى مقاناة ، وحذفه لالتقاء الساكنين ، وأما الخفض فلا خفاء به ، وإذا كانت القَصَراتُ مخفوضةً بالعطف على الأعضاد ، ففيه شاهد لمن قال : هو حسن وَجْهِهِ كما روى سيبويه حين أنشد :

كُمَيْتَا الأعالى جَوْنَتا مُصْطَلاهُما(١)

---

(١) أنشده سيبويه فى الكتاب ص ١٠٢ ج ١ ط ١٣١٦ فى بيتين للشماخ ابن ضرار من قصيدة تبلغ أكثر من عشرين بيتا ، والبيتان اللذان أنشدهما سيبويه

أمن دمنتين عرس الركب فيهما   بحقل الرخامى قد عفا طلاهما

أقامت على ربعيهما جارتا صفا   كميتا الأعالى جونتا مصطلاهما

وتروى الشطرة الثانية من البيت الأول : « قد أنى لبلاهما » وفى الشعر شاهد على أن الصفة المشبهة قد تضاف إلى ظاهر مضاف إلى ضمير صاحبها . والدمنة : الموضع الذى أثر الناس فيه بنزولهم وإقامتهم ، وعرس : نزل آخر الليل قليلا للاستراحة ، والركب : جمع راكب والطلل : ما بقى من آثار الدار ، والرخامى : شجر مثل الضال ، وهو السدر البرى . والبلى : الفناء ، وأنى : حان . والربع : الدار والمنزل ، والضمير فى ربعيهما للدمنتين خلافا للمرتضى الذى يزعم فى أماليه أنه لامرأتين سيأتى ذكرهما ولم يتقدم . والصفا : الجبل . وجارتاه : أثفيتان ـ أى حجران للقدر — مقطوعتان من الجبل ، وتقربان منه ، فيكون هو ثالثة الأثافى . وكميتا الأعالى : صفة جارتا صفا ، وكميتا مثنى : كميت بالتصغير من الكمتة ، وهى الحمرة الشديدة المائلة إلى السواد ، الأعالى : أعالى الجارتين شبه أعلاهما بلون الكميت ؛ لأن النار لم تصل إليه فتسوده ، وجونتا مصطلاهما =

. . . .

وفى حديث أم زرع : صِفْرُ ردائِها ، ومِلْءُ كسائها(١) مثل حسنةُ وجهِها،

= صفة أخرى لجارتا صفا ، والجونة:السوداء ، وهو صفة مشبهة ، والمصطلى اسم مكان الصلاء ، أى : الاحتراق بالنار ، فيكون المصطلى موضع إحراق النار . يريد إن أسافل الأثافى « الأثافى هى أرجل القدر الذى يطبخ عليه » قد اسودت من إيقاد النار بينها . . . كل هذا فى وصف القدر الذى كان للأحبة بجوار الجبل يوقدون فيه النار . ومحل الشاهد فى قوله : جونتا مصطلاهما . فإنه أضاف جونتا إلى مصطلاهما ، فجونتا بمنزلة : حسنتا ، ومصطلاهما بمنزلة . وجههما ، والضمير الذى فى مصطلاهما يعود على قوله : جارتا صفا ، وفى خزانة الأدب للبغدادى تفصيل لما دار حول هذا البيت الذى استشهد به سيبويه « أقامت على ربعيهما » الخ فى قرابة عشر صفحات من ٢١٩ إلى ٢٢٨ حـ ٤ ط السلفية ، وانظر كتاب سيبويه ص ١٠٢ حـ ١ ، والأمالى للمرتضى حـ ٣ ص ١١٨ والأشمونى مع حاشية الصبان حـ ٣ ص ١٠ ط ١٣٠٥ .

(١) حديث أم زرع أخرجه البخارى ومسلم والترمذى فى الشمائل والطبرانى وأبو يعلى وغيرهم ، وفيه تتحدث عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن إحدى عشرة امرأة من أهل اليمن تعاهدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا ، ثم مضت تقص عائشة ما قالته كل زوجة حتى الحادية عشرة التى قالت : زوجى أبو زرع ، وما أبو زرع ؟ . . ثم مضت هذه فى ثنائها العظيم على زوجها وأهله حتى بلغت ذكر ابنة أبى زرع ، فقالت عنها : « طوع أبيها ، وطوع أمها ، وزين أهلها ونسائها ، وملء كسائها ، وصفر ردائها ، وغيظ جارتها » ثم تختم عائشة رضى الله عنها قصة أم زرع بأن زوجها طلقها ، فنكحت بعده رجلا سريا تقول عنه أم زرع : « لو جمعت كل شىء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبى زرع » قالت عائشة : فقال لى رسول الله « ص » كنت لك كأبى زرع لأم زرع . إلا أنه طلقها ، وإنى لا أطلقك » فقالت عائشة : « بأبى أنت وأمى ، لأنت خير لى من أبى زرع لأم زرع والمقصود من صفر ردائها أنها ضامرة البطن ، فكان رداؤها صفرا أى خاليا لشدة ضمور بطنها ، والرداء ينتهى إلى البطن ، فيقع عليه .

. . . .

وفى الأمالى من صفة النبى صلى الله عليه وسلم : شَثْنُ الكفين [١] طويلُ أصابِعِه ، أعنى : مثل صِفْر ردائها .

وقوله : ترى الودع فيه . الْوَدَع ، والْوَدْع بالسكون والفتح : خرزات تنظم ، ويتحلى بها النساء والصّبيان كما قال :

[السّنُّ من جَلْفَزِيزٍ عَوْزَمٍ خَلَقٍ]
والحِلْم حلم صبى يمرُس [٢] الوَدَعه

وقال الشاعرُ :

إن الرُّواة بلا فَهمٍ لما حفظوا   مثل الجمال عليها يُحْمَل الْوَدَعُ
لا الوَدْعُ ينفعه حملُ الجِمال له   ولا الجِمالُ بحمل الْوَدْع تَنتفع

ويقال : إن هذه الخرزات يقذفها البحر ، وأنها حيوان فى جوف البحر ، فإذا قذفها ماتت ، ولها بريق ولون حسن ، وتصلب صلابة الحجر ، فتثقب ، ويتخذ منها القلائد ، واسمها مشتق من وَدَعْته أى : تركته ، لأن البحر ينضب

---

(١) ورد أنه شثن الكفين والقدمين فى أحاديث بعضها رواه البخارى والترمذى ، والمعنى أن كفيه وقدميه يميلان إلى الغلظ والقصر ، وقيل : هو الذى فى أنامله غلظ بلا قصر و [illegible] هذا فى الرجل لأنه أشد لقبضته ، ويذم فى النساء وفى حديث المغيرة « شثنة الكف . أى غليظته » .

(٢) يلوكه ويمصه والبيت فى الأصمعيات لرجل من تميم .

. . . .

عنها ويدعها ، فهى وَدَع مثل قَبَض ونفَض[١] ، وإذا قلت الوَدْع بالسكون فهى من باب ما سمى بالمصدر .

وقوله : والرُّخام أى : ما قطع من الرُّخام ، فنظم وهو حجر أبيض ناصع : والعثاكل : أراد العثاكيل[٢] ، لحذف الياء ضرورة كما قال ابن مُضَاض : وفيها العصافر ، أراد : العصافير ، وفى أول القصيدة : وقد حالفوا قوماً علينا أظِنَّة [جمع ظَنِين[٣]] أى مُتَّهم ، ولو كان بالضاد مع قوله : علينا ، لعاد معناه مَدْحًا لهم ، كأنه قال : أشِحَّةً علينا ، كما أنشد عمرو بن بَحْر [الجاحظ] :

لو كنت فى قوم عليك أَشِحَّةٍ عليك ألا إن مَنْ طاح طائحُ
يودون لو خاطوا عليك جُلودَهم وهل يدفع الموتَ النفوسُ الشحائحُ[٤]

---

(١) القبض بمعنى : مقبوض . النفض بفتح وسكون : مصدر نفضت الثوب والشجرة وبالتحريك ماتساقط من الورق والثمر والنفض بفاء ساكنة مع كسر النون : خرء النحل فى العسالة أو مامات منه فيها . أو هو بالقاف وبالتحريك : ما سقط من الورق والثمر وحب العنب حين يوجد بعضه فى بعض .

(٢) العثاكل : جمع عثكال ، وعثكول : الأغصان التى ينبت عليها الثمر « الخشنى » .

(٣) زيادة ليست فى الأصل والسياق يقتضيها .

(٤) البيتان فى البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ص ٥٠ حـ ١ ط ١٩٤٨ والبيت الأول يروى هكذا . .

لقد كنت فى قوم عليك أشحة بنفسك لولا أن من طاح طائح

وهما للأغر ، والأغر لقب لشاعرين من بنى يشكر بن وائل .

. . . .

وفيها :

وثَوْرٍ ومن أرسى ثَبِيراً مكانَه ‌ ‌ ‌ ‌ وراقٍ ليرقَى فى حِرَاء ونازلِ

ثور : جبل بمكة ، وثَبير : جبل من جبالها ذكروا أن ثبيرا كان رجلا من هُذيل مات فى ذلك الجبل ، فعرف الجبل به ، كما عرف أبو قبيس بقُبَيْس بن شالَخ رجل من جُرْهم ، كان قد وشى بين عمرو بن مُضاض ، وبين ابنة عمه مَيَّة ، فنذرت ألا تكلمه ، وكان شديد الكَلَف بها ، فحلف ليقتلَنَّ قُبَيْسا ، فهرب منه فى الجبل المعروف به ، وانقطع خبرُه فإمَّا مات ، وإما تردَّى منه ، فسمى الجبل : أبا قبيس (١) وهو خبر طويل ذكره ابن هشام فى غير هذا الكتاب .

وقوله : وراق ليرقى قد تقدم القول فيه ، وأصح الروايتين فيه : وراق لبِرٍّ فى حراء ونازل (٢) . قال البَرْقِيُّ : هكذا رواه ابن إسحاق وغيره ، وهو الصواب . قال المؤلف : فالوهم فيه إذا من ابن هشام ، أو من البكَّائى . والله أعلم .

وقوله : وبالحجر الأسود ، فيه زحاف (٣) يسمى : الكَفّ ، وهو حذف

---

(١) فى القاموس : سمى برجل من مذحج حداد لأنه أول من بنى فيه .

(٢) وفى رواية : وعير وراق فى حراء ونازل . . وعير : اسم جبل .

(٣) فى السيرة : المسود . فلا يكون زحاف الكف

. . . .

النون من مفاعيلن(١) وهو بعد الواو من الأسود ونحوه قول جُنْدُجٍ :

ألا رُبَّ يوم لك منهن صالح(٢)

وموضع الزحاف بعد اللام من ذلك .

وقوله : إذا اكتنفوه بالضُّحى والأصائل. الأصائل: جمع أصيلة، والأُصُل جمع أصيل ، وذلك أن فعائل جمع فعيلة ، والأصيلة : لغة معروفة فى الأصيل ، وظن بعضهم أن أصائل : جمع آصال على وزن أفعال ، وآصال : جمع أُصُل نحو أطناب وطُنُب ، وأُصُل : جمع أصيل مثل رُغُفٍ : جمع رغيف ، فأصائل على قولهم : جَمْعُ جَمْعِ الجَمْعِ ، وهذا خطأ بيِّن من وجوه ، منها : أن جمعَ جمعِ الجمع لم يوجد قط فى الكلام ، فيكون هذا نظيره ، وعن جهة القياس إذ كانوا لا يجمعون الجمع الذى ليس لأدنى العدد ، فأحْرَى ألا يجمعوا جمع الجمع ، وأبين خطأ فى هذا القول غفلتُهم عن الهمزة التى هى فاء الفعل التى فى أصيل وأُصُل ، وكذلك هى فاء الفعل فى أصائل ، لأنها فعائل ، وتوهموها زائدة كالتى فى أقاويل ، ولو كانت كذلك كانت الصاد فاء الفعل ، وإنما هى عينه ، كما هى فى أصيل وأصل ، فلو كانت أصائل جمع آصال ، مثل أقوال

---

(١) من تفعيلات البحر الطويل وهى : فعولن مفاعيلن . أربع مرات للبيت الواحد .

(٢) هو من معلقته ، وشطرته الأخرى : ولاسيما يوم بدارة جلجل . وللشطرة الأولى رواية لم يدخلها زحاف الكف ، وهى : ألا رب يوم كان منهن صالح. ودارة جلجل : غدير بعينه .

. . . .

وأفاويل لاجتمعت همزة الجمع مع همزة الأصل ولقالوا فيه : أواصيل بتسهيل الهمزة الثانية ، ووجه آخر من الخطأ بيِّنٌ أيضاً ، وهو أن أفاعيل جمع أفعال لا بُدَّ من ياءٍ قبل آخره ، كما قالوا فى أقاويل ، فكان يكون أواصيل ، وليس فى أصائل حرف مَدٍّ ولِينٍ قبل آخره إنما هى همزة فعائل ، ومن الخطأ فى قولهم أيضاً : أن جعلوا أُصُلاً جمعاً كثيراً مثل رُغُف ، ثم زعموا أن آصالا جمعٌ له ، فهم بمنزلة من قال فى رُغُفٍ جمع أرغاف ، فإن قيل : فجمع أى شىء هى آصال ؟ قلنا : جمع أصُل الذى هو اسم مُفْرد فى معنى الأصائل لا جمع أُصُل الذى هو جمع ، فإن قيل : فهل يقال أُصُلٌ واحد ، كما يقال أَصيلٌ واحد ؟ قلنا : قد قال بعضُ أرباب اللغة ذلك ، واستشهدوا بقول الأعشى :

يوماً بأطيبَ منها نَشْرَ رائحةٍ ... ولا بأَحْسَنَ منها إذْدَنَا الأُصُلُ[1]

أى : دنا الأصيل ، فإن صح أن الأصُل بمعنى الأصيل ، وإلا فآصال جمع أصيل على حذف الياء الزائدة مثل طَوِىٍّ[2] وأطْواء ، ولا أعرف أحداً قال هذا القول ، أعنى : جَمْعَ جَمْعِ الجَمْعِ غير الزَّجَّاجِىِّ وابن عزيز .

---

(١) قصيدة أولها : « ودع هريرة إن الركب مرتحل » ومنها قبل هذا البيت :

ما روضة من رياض الحزن معشبة ... خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق ... مؤزر بعميم النبت مكتهـــل
يوما بأطيب منهـــا نشر رائحة ... ولا بأحسن منها إذدنا الأصل

(٢) الطوى كغنى : البئر .

. . . .

وقوله : وموطئ إبراهيم فى الصخر رطبة . يعنى موضع قدميه حين غسلت كَنَّتُه[١] رأسَه ، وهو راكب ، فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسَه ليُغسلَ ، وكانت سارة قد أخذت عليه عهداً حين استأذنها فى أن يطالع تِرْكَتَه[٢] بمكة ، فخاف لها أنه لاينزل عن دابته ، ولا يزيد على السلام ، واستطلاع الحال غَيْرَةً من سارة عليه من هاجر ، فحين اعتمد على الصخرة أبقى الله فيها أثر قدمه آيةً . قال الله سبحانه : ﴿ فيه آياتٌ بَيِّناتٌ مَقامُ إبراهيمَ ﴾ آل عمران : ٩٧ أى : منها مقام إبراهيم ، ومن جعل مَقاماً بدلا من آياتٍ ، قال : المَقامُ جمع مقامة ، وقيل : بل هو أثر قدمه حين رفع القواعدَ من البيت وهو قائم عليه[٣] .

وقوله : بين الْمَرْوَتَيْنِ : هو كنحو ما تقدم فى بطن المكتين والْمُمَتَّيْن

---

(١) الكنيت بفتح فكسر : سقاء مسيك ـ بكسر فسين مشددة مكسورة ـ كثير الأخذ للماء والكنة : امرأة الابن يعنى امرأة إسماعيل

(٢) بسكون الراء وفتح التاء بيض النعام يريد به ولده إسماعيل وأمه هاجر ولو روى بكسر الراء الكان من التركة ، وهى الشىء المتروك.

(٣) روى عن ابن عباس أن المقام هو الحرم كله . أو الحج كله ، وعن سعيد بن جبير : الحجر مقام إبراهيم ، فكان يقوم عليه ، ويناوله إسماعيل الحجارة ، ولو غسل رأسه كما يقولون لاختلت رجلاه . واختار ابن كثير أنه الحجر الذى كان إبراهم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل عليه السلام به ليقوم فوقه ، ويناوله الحجارة . فيضعها بيده لرفع الجدار . وكلما فرغ من جدار نقله إلى الناحية التى تليها ، وكان هذا المقام ملصقا بجدار الكعبة قديما ، ومكانه اليوم معروف .

. . . .

وعُنَيْزَتَيْن ، مما ورد مُثَنَّى من أسماء المواضع ، وهو واحد فى الحقيقة ، وذكرنا العلة فى مجيئه مثنى ومجموعا فى الشعر . وفيها قوله :

وبالْمَشْعَرِ الأَقْصَى إذا قَصَدُوا له إلاَ لاً

البيت . فالمشعر الأقصى : عَرَفَةُ ، وألالاً : جبل عَرَفة . قال النابغة :
يَزُرْنَ إِلاَلاً سَيْرُهُنَّ التَّدَافُعُ(١)

وسمى : إِلالاً لأن الحجيج إذا رأوه ألُّوا فى السير أى : اجتهدوا فيه ؛ ليدركوا الموقف قال الراجز :

مُهْرَ أبى الْحَبْحَابِ لا تَشَلِّى بارك فيكَ اللهُ من ذى أَلِّ(٢)

والشِّراج : جمع شَرْجٍ ، وهو مسيل الماء ، والقوابلُ : المتقابلة . وفيها قوله : وحَطْمِهُمُ سُمْرَ الصِّفَاحِ : جمع صَفْح ، وهو سَطْح الجبل ، والسُّمْر يجوز أن يكون أراد به السَّمُرَ ، يقال فيه : سَمُر وسَمْر بسكون الميم ، ويجوز نقل ضمة الميم إلى ما قبلها إلى السين ، كما قالوا فى حَسُنَ : حُسْنَ ، وكذا وقع فى الأصل بضم السين ، غير أن هذا النَّقل إنما يقع غالباً فيما يراد به المدح أو الذم

---

(١) شطرة البيت الأولى : « بمصطحبات من لصاف وثبرة » وفى المراصد : إلال : جبل بعرفات . قيل جبل رمل بعرفات عليه يقوم الإمام ، وقيل عن يمين الإمام ، وقيل : هو جبل عرفة نفسه . وفى البكرى قريب مما ذكر المراصد . وقد يقال عنه الإل ، وإلال كسحاب أو كبلال .

(٢) البيت لأبى الخضر اليربوعى يمدح عبد الملك بن مروان ، وكان أجرى مهرا ، فسبق . وانظر ص ٢٣ إصلاح المنطق لابن السكيت .

. . . .

نحو حَسُن وقبُح ، كما قال : وحُسْنَ ذا أدبا . أى حَسُن ذا أدَبا[١] ، وجائز أن يراد بالسُّمْر ههنا جمع : أسْمَرَ وسَمْراء ويكون وصفا للنبات ، والشجر كما يوصف بالدُّهْمَة إذا كان مُخْضَرًّا ، وفى التنزيل : ﴿مُدْهَامَّتَان﴾ الرحمن : ٦٤ أى : خضراوان إلى السواد .

وقوله : وشِبْرِقَة . وهو نبات يقال لِيابسه : الحَلِيّ ، وللرطبة : الشِّبْرِق .

---

(١) يقول الجوهرى : تقول : قد حسن الشىء ، وإن شئت خففت الضمة ، فقلت حسْن الشىء بسكون السين ، ولا يجوز أن تنقل الضمة إلى الحاء ، لأنه خبر . وإنما يجوز النقل إذا كان بمعنى المدح والذم لأنه يشبه فى جواز النقل بنعم وبئس ، وذلك أن الأصل فيهما : نعِم وبئِس . . . قال سهم بن حنظلة الغنوى :

لم يمنع الناس منى ما أردت ، وما أعطيهم ما أرادوا حسن ذا أدبا

أى حسن هذا أدبا ، فخفف ، ونقله « اللسان » فى مادة حسن وقال ابن السكيت فى إصلاح المنطق ص ١٤٠ : ويقال : عظم بضم الظاء البطن بطنك وعظم بسكون الظاء البطن بطنك بتخفيف الضمة ، ويقال عظم بضم العين وسكون الظاء البطن بطنك ، يخففون ضمة الظاء ، وينقلونها إلى العين ، وإنما يكون النقل فيما يكون مدحا أو ذما ، فإذا لم يكن مدحا ولا ذما ، كان الضم والتخفيف ، ولم يكن النقل ، تقول : حسن الوجه بضم السين وجهك ، وحسن بفتح الحاء سكون السين الوجه وجهك : وحسن بضم الحاء وسكون السين الوجه وجهك وقد حسن بسكون السين وجهك وفتح الحاء ، وحسن بضم السين وجهك قال : حسن على أن يكون على مذهب نعم وبئس ، نقل وسطه إلى أوله ، ومالم يحسن لم ينقل ، وقد حسن وجهك لا تنقل ضمة السين إلى الحاء . وقد فصل هذا أيضاً التبريزى فى تهذيب إصلاح المنطق ص ٥٤ ط أولى ، ثم قال =

. . . .

وقوله : نبذى محمدا[١] أى نسلبه ونُغْلب عليه .

وقوله : نُهوضَ الرَّوايا . هى الإبل تحمل الماء واحـــدتها : راوية ، والأَسْقِيَةُ أيضاً يقال لها : روايا ، وأصل هذا الجمع : رَوَاوِى ثم يصير فى القياس: رَوائى مثل حوائل جمع : حول ، ولـكنهم قلبوا الـكسرة فتحة بعد ما قدموا الياء قبلها، وصار وزنه: فوالع ، وإنما قلبوه كراهية اجتماع واوين ، واو فواعل، الواو التى هى عين الفعل ، ووجه آخر ، وهو أن الواو الثانية قياسها أن تنقلب همزة فى الجمع لوقوع الألف بين واوين ، فلما انقلبت همزة قلبوها ياء ، كما فعلوا فى خطايا وبابه ، مما الهمزة فيه معترضة فى الجمع ، والصَّلاصل . المزادات لها صَلْصَلة بالماء[٢] ،

وفيها قوله : غير ذَرْبٍ مواكل . وهو مخفف من ذَرِب والذَّرِبُ : اللسان الفاحش المنطق ، والمواكل الذى لاجِد عنده فهو يكل أموره إلى غيره .

= فى شرح هذا البيت : « يريد أنه يقهر الناس ، فيمنعهم ما يريدون منه ، ولا يمنعونه ما يريد منهم لعزه ، وجعله أدبا حسنا ، وقال أبو العلاء فى معنى هذا البيت : كان ينكر على نفسه أن يعطيه الناس ، ولا يعطيهم ، وهو صواب ، وذا فاعل حسن ، وأدبا منصوب على التمييز ، وأراد حسن ، فخفف ، ونقل ، لأن هذا مذهب التعجب

(١) فى السيرة والروض يبذى بالذال وهو خطأ والصواب نبزى أى نسلب ونغلب عليه — كما شرح الخشنى وصاحب الروض — وقد رواه اللسان فى مادة : يبزى على البناء للمفعول ورفع محمد . ونقل عن شمر أن معناه : يقهر ويستذل ، وأنه من باب ضربته وأضربت به . . وأراد : لا يبزى ، فحذف لا من جواب القسم ، وهى مرادة ، أى لا يقهر ، ولم نقاتل عنه وندافع

(٢) فى شرح السيرة للخشنى : الصلاصل : جمع صلصلة . وهى بقية الماء .

. . . .

وفيها قوله : ثِمالَ اليتامى ، أى : يَشْمُلُهم ، ويقوم بهم ، يقال : هو ثِمال مالٍ أى يقوم به .

وفيها : قوله لِيُظْعِنَنَا فى أهل شاء وجامل . الشَّاء والشَّوِىُّ : اسم للجمع مثل الباقر والبقير ، ولا واحد لشاء ، والشَّوِىُّ من لفظه ، وإذا قالوا فى الواحد : شاة ، فليس من هذا ؛ لأن لام الفعل فى شاة هاء بدليل قولهم فى التصغير : شُوَيْهة ، وفى الجمع شياه ، والجامل[1] اسم جمع بمنزلة الباقر .

وقوله : وكنتم زمانا[2] حَطْبَ قِدرٍ : حَطْب اسم للجمع مثل رَكْب ، وليس بجمع ، لأنك تقول فى تصغيره : حُطَيْب ورُكَيْب .

وقوله : حِطابُ أَقدُرٍ : هو جمع حاطب فلا يُصغَّر ، إلا أن ترده إلى الواحد ، فتقول : حُوَيْطبون ، ومعنى البيت: أى : كنتم متفقين لا تحْطِبون إلا لقِدْرٍ واحدةٍ ، فأنتم الآن بخلاف ذلك .

وفيها قوله : من الأرض بين أَخْشُبٍ ، فَمَجَادِل . أراد الأخاشب ، وهى جبال مكة[3] ، وجاء به على أَخْشُب ، لأنه فى معنى أَجْبُل ، مع أن الاسم

---

(١) فى القاموس أن جامل جمع جمل .

(٢) فى السيرة : وكنتم حديثا

(٣) هى أربعة أخاشب ، فأخشبا مكة : جبلاها ، وأخشبا المدينة : حرتاها المكتنفتان لها ، وهما لابتاها ، وأخاشب الصمان فى محلة بنى تميم ، ويروى : أخشب على أنها مفرد

. . . .

قد يجمع على حذف الزوائد كما يصغرونه كذلك . والمَجَادِل : جمع مِجْدَل وهو : القصر ، كأنه يريد ما بين جبال مكة ، فقصور الشام أو العراق ، والفاء من قوله : فمجادل تعطى الاتصال بخلاف الواو ، كقوله بين الدَّخُول فَحَوْمَل . وتقول : مُطِرْنا بين مكة فالمدينة إذا اتصل المطر من هذا إلى هذه ، ولو كانت الواو لم تعط هذا المعنى .

وقوله : أُولِي جَدَلٍ من الْخُصُوم الْمَسَاجِل يُروى بالجيم وبالحاء . فمن رواه بالجيم فهو من الْمُسَاجَلة فى القول ، وأصله فى استقاء الماء بالسَّجْل ، وصبِّه فكأنه جمع مَساجِل على تقدير حذف الألف الزائدة من مفاعل ، أو جمع مِسْجَل بكسر الميم ، وهو من نعت الخصوم ، ومن رواه المساحِل بالحاء ، فهو جمع مِسْحل وهو اللسان ، وليس بصفة للخصوم ، إنما هو مخفوض بالإضافة ، أى : خصماء الألسنة ، وقال ابن أحمر :

مَنْ خطيبٌ إذا ما انحلَّ مِسْحَله [1]

أى : لسانهُ وهو أيضاً من السَّحْل وهو الصَّبُّ ، ومنه حديث أيوب حين فرج عنه ، فجاءت سحابة فسَحَلَتْ فى بَيْدَرِه ذهبا ، وجاءت أخرى فسَحَلته فى البيدرِ الآخر فضة [2] .

---

(١) روايته فى اللسان :

ومن خطيب إذا ما انساح مسحله مفرج القول ميسورا ومعسوراً

ومن معانى مسحل أيضا : الخطيب الماضى وغير هذا .

(٢) البيدر : الجرن أو القمح ونحوه بعد دياسه . ويقول الحافظ فى الفتح =

. . . .

فصل : وفيها :

لقــد سَفُهَت أحلامُ قوم تبدلوا بنى خَلَفٍ قَيْضاً بنا والغَياطِل

قَيْضاً أى : معاوضة ، ومنه قول النبى عليه السلام لذى الجَوْشن[1] : إن شئت قايَضْتُك به المختارَ من دُروع بَدْرٍ ، فقال : ما كنتُ لأقيضه

= ولم يثبت عند البخارى فى قصة أيوب شيء سوى : «بينا أيوب يغتسل عريانا خر عليه رجل جراد من ذهب ، فجعل يحثى فى ثوبه ، فناداه ربه : يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال : بلى يارب ، ولكن لاغنى لى عن بركتك» . ومسألة السحابة عند ابن أبى حاتم وابن جريج وابن حبان والحاكم ، ولكنها لاتخلو من غرابة ونكارة ، أقول : ويجب أن نقف عند الذى ذكره القرآن ، وما صح صحة قوية عن رسول الله «ص» حتى لانرجم بالغيب فى قصص النبيين التى وصلت زياداتها إلينا عن طريق أسفار اليهود ، وألسنة اليهود التى نافقت بكلمة التوحيد ، وخدع بها الكثير من ذوى القلوب الصافية

(١) أصل الجوشن : الصدر والدرع ، قال أبو السعادات ابن الأثير : يقال إنه لقب ذا الجوشن ، لأنه دخل على كسرى ، فأعطاه جوشنا ، فلبسه فكان أول عربى لبسه ، وقال غيره : لأن صدره كان ناتئا ، وفى القاموس مثله ، واختلف فى اسمه فقيل اسمه : أوس بن الأعور ، وقيل : شرحبيل - وهو الأشهر - بن الأعور بن عمرو ابن معاوية ، وينتهى إلى عامر بن صعصعة . وقيل : عثمان بن نوفل . وفى القاموس : شرحبيل بن قرط الأعور . ويقول ابن حجر فى الإصابة له حديث عند أبى داود من طريق أبى إسحاق عنه ، ويقال : إنه لم يسمع منه ، وإنما سمعه من ولده شمر . وفى ذخائر المواريث أن حديثه هذا هو الذى ذكره السهيلى : «أتيت النبى «ص» بعد أن فرغ من أهل بدر بابن فرس لى يقال لها القرحاء» ، وذكر أن أبا داود رواه فى الجهاد عن مسدد .

. . . .

اليوم بشىء يعنى : فَرَساً له ، يقال له : ابن القَرْحاء . وقال أبو الشِّيص [١] :

لا تنكرى صَدِّى ولا إعراضى ليس المُقِلُّ عن الزمان براض
بُدِّلت من بُرْدِ الشباب مُلاءةً خَلَقاً ، وبئس مَثُوبة المُقْتاض

والغياطل : بنو سهم ، لأن أمهم الغَيْطَلةُ ، وقد تقدم نسبها ، وقيل : إن بنى سهم سُموا بالغياطل ، لأن رجلا منهم قتل جانًّا طاف بالبيت سَبْعاً ، ثم خرج من المسجد فقتله ، فأظلمت مكةُ ، حتى فزعوا من شدة الظلمة التى أصابتهم [٢] ، و الغَيْطَلَةُ : الظُّلْمة الشديدة ، والغَيْطَلةُ أيضاً : الشجرُ الملتف ، والغَيْطَلةُ : اختلاط الأصوات ، والغيطلة : البقرة الوحشية ، والغيطلة : غَلَبة النعاس ، وقوله : يُخِسُّ شعيرةً ، أى : ينقص ، والخَسيسُ : الناقص من كل شىء ، ويروى فى غير السيرة : يَحُصُّ بالصاد والحاء مهملةً من حَصَّ الشَّعر :

---

(١) هو محمد بن رزين ، أو ابن عبد الله بن رزين ، وأبو الشيص : لقب غلب عليه ، والشيص : ردىء التمر ، وكان من شعراء الرشيد ، فأخمل أبو نواس ومسلم ابن الوليد ذكره ، ومن قصيدته هذه :

ولقد أقول لشيبة أبصرتها فى مفرق ، فمنحتها إعراضى
عنى إليك ، فلست منتهيا ، ولو عممت منك مفارقى ببياض
هل لى سوى عشرين عاما قدمضت مع ستة فى إثرهن مواضى
ولقلما أرتاع منك . وإننى فيما هويت وإن وزعت لماض
فعليك ما اسطعت الظهور بلمتى وعلى أن ألقاك بالمقراض

انظر ص ٣٢٧ سمط اللآلى ، ونكت الهميان : « كان أبو الشيص أعمى » وص ١٢٣ ح ٣ البيان للجاحظ بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون

(٢) أسطورة

. . . .

إذا أذهبه(١) . وقولُه : من كل طِمْلٍ وخاملٍ : الطِّمْلُ : اللص ، كذا وجدته في كتاب أبي بحر ، وفي العين : الطِّمْلُ الرجل الفاحش ، والطِّمل والطِّمْلَالُ : الفقير ، والطِّمْلُ : الذئب (٢) . وقوله : لِقْحَةٌ غير باهل : الباهل : الناقة التي لا صِرَارَ على أَخْلَافِها ، فهي مباحة الحَلْبِ يقال : ناقة مَصْرورة ، إذا كان على خَلْفِها صِرار يمنع الفصيل من أن يرضع ، وليست الْمُصَرَّاةُ من هذا المعنى ، إنما هي التي جُمع لَبنُها في ضَرْعِها ، فهو من الماء الصَّرَى (٣) ، وقد غلط أبو علي في البارع ، فجعل الْمُصَرَّاة بمعنى الْمَصْرُورَةِ ، وله وجه بعيد ، وذلك أن يُحْتَجَّ له بقلبِ إحدى الراءين ياء مثل : قَصَّيْتُ أظفاري ، غير أنه بعيد في المعنى ، وقالت امرأةُ المغيرةِ تعاتب زوجَها ، وتذكر أنها جاءته كالناقة الباهِلةِ التي لا صِرار على أخلافِها : أطعمتُك مَأْدُومي وأَبْثَثْتُكَ مَكْتومي ، وجِئْتُك باهلاً غيرَ ذاتِ صِرَارٍ ، وفي الحديث : لا تورد الإبل بُهْلاً [أو بُهَّلاً] ، فإن الشياطينَ تَرْضَعُها ، أي : لا أَصِرَّةَ عليها .

وفيها قوله : بُرَاءٌ إلينا من مَعَقَّةِ خاذل . يقال قومٌ بُرَاءٌ [بالضَّمِّ](٤)

---

(١) ويروى : لا يخيس : من قولهم : خاس بالعهد : إذا نقضه وأفسده . والعائل هنا : الحائر « الخشني ص ٩١ » .

(٢) وكذلك الطمل « بكسر الطاء والميم وتشديد اللام » والطملال بكسر الطاء أما الفقير : فالطمل « والطملال والطمليل بكسر الطاء في الجميع ، والطملول بضمها « اللسان » .

(٣) الذي طال مكثه .

(٤) الزيادة يقتضيها السياق وزيادة بهل من اللسان

. . . .

وبَرَاء بالفتح ، وبِراء بالكسر ، فأما بِراء بالكسرِ ، فجمعُ برىء ، مثل كريم وكِرام ، وأما بَراء فمصدر ، مثل سَلَام والهمزةُ فيه ، وفى الذى قبله لام الفعلِ ، ويقالُ : رجلٌ بَراء ورجلان بَرَاء ، وإذا كسرتها أو ضممتها لم يجز إلا فى الجمع ، وأما بُراء بضم الباء ، فالأصل فيه بُرآء مثل كُرَمَاء فاستثقلوا اجتماعَ الهمزتين ، فحذفوا الأولى ، وكان وزنه فُعَلاَء ، فلما حَذَفوا التى هى لام الفعل صار وزنه فُعاَء ، وانصرف لأنه أشبه فُعالا ، والنسب(١) إليه إذا سميت به : بُراوى ، والنسب إلى الآخرين بَرائِىّ وبِرائى ، وزعم بعضهم إلى أن بُراء بضم أوله من الجمع الذى جاء على فُعال ، وهى ثمانية ألفاظ : فَرير وفُرار وعَرْنَ وعُرْان (٢) ، ولم يصنع شيئاً ، وقال النحاس : بُراء بضم الباء .

---

(١) حكى الفراء فى براء أنه غير مصروف على حذف إحدى الهمزتين . ونص ابن جنى على أن لبرىء أربعة جموع : براء مثل ظريف وظراف ، وبرآء مثل : شريف وشرفاء ، وأبرياء مثل أصدقاء ، وبراء مثل تؤام ورباء بضم الأول فيهما جمع توأم ، وربى .

(٢) فى أدب الكاتب ص ٥٥٨ لابن قتيبة : « قال الفراء : الفرار بضم الفاء ولد البقرة الوحشية قال : ويقال : فرير وفرار مثل طويل وطوال وكان غيره يزعم أن فرارا : جمع فرير » ، وفى القاموس : فرير بفتح الفاء وفرار بضم الفاء وفرور بفتح الفاء الخ ولد النعجة والماعز والبقرة الوحشية ، أو هى الخرفان والحملان ، وجمعها فرار نادر . وقال أبو عبيدة ، لم يأت شىء من الجمع على فعال إلا أحرف : هذا أحدها . وأما عرق فالعظم أكل ما عليه من اللحم ، ومثله عراق بضم العين . ويقول القالى فى أماليه : لم يأت من فعال بضم الفاء جمعا إلا أحرف قليلة جداً مثل رباب جمع ربى بضم الراء وتشديد الباء مع فتح وهى الحديثة النتاج ونعم جفال : الكثيرة الشعر ، ونعم كباب كثيرة ، وفرار جمع فرير وهو ولد البقرة ، وبراء : جمع برىء . وعند ابن السكيت والسيرا فى أنها تؤام جمع=

. . . .

الاستسقاء :

فصل : وذكر حديث استسقاء رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالمدينة ، وهو حديث مَرْوِى من طرق كثيرة ، وبألفاظ مختلفة .

وقوله : حتى أتاه أهلُ الضواحى يشكون الغَرق. الضواحى : جمع ضاحية ، وهى الأرض البَرازُ التى ليس فيها ما يُكِنُّ من المطر ، ولا مَنْجاة من السيول ، وقيل : ضاحية كل بلد : خارجه . وقوله عليه السلام : اللهمحَوَالَيْنَا ، ولا علينا ، كقوله فى حديث آخر : اللهم مَنَابِتَ الشجر ، وبطون الأودية ، وظهور الآكام ، فلم يقل : اللهم ارفعه عنا — هو من حسن الأدبِ فى الدعاء ؛ لأنها رحمة الله ، ونعمته المطلوبة منه ، فكيف يطلب منه رفع نعمته ، وكشف رحمته ، وإنما يُسْئَل سبحانه كشف البلاء ، والمزيد من النعماء ، ففيه تعليم كيفية الاستسقاء . وقال : اللهم مَنَابِتَ الشجر ، ولم يقل : اصْرِفها إلى منابت الشجر ؛ لأن الرب تعالى أعلم بوجه اللطف ، وطريق المصلحة كان ذلك بمطرٍ

= توأم ، وشاة ربى وغنم رباب ، وظئر وظؤار وعرق بفتح العين وعراق ورخل بكسر الراء ورخال ، وفرير وفرار ، كل الجمع بضم الأول . وقال الزجاجى مثل قول السيرافى . وقال ابن خالويه فى كتاب ليس : عرق وعراق ، ورخل من أولاد الضأن ورخال وشاة ربى ورباب ، وتوأم وتؤام ، وفرير وفرار ولد الظبية ونذل ونذال ورذل ورذال وثنى وثناء ، وهو الولد الذى بعد البكر ، وناقة بسط أو بسط بضم الباء أو كسرها إذا كانت غزيرة والجمع : بساط ، فتكون ثلاث عشرة كلمة . وزاد الزمخشرى : عرام بمعنى عراق . ونظمها فى أبيات وزاد السيوطى عنه : نذال ص ٧٢ ، المزهر للسيوطى ج٢

. . . .

أو بِندًى أو طَلٍّ ، أو كيف شاء ، وكذلك بطون الأودية ، والقدر الذى يحتاج إليه من مائها .

فصل : فإن قيل : كيف قال أبو طالب :

وأبْيضَ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوجهه

ولم يَرَهُ قط استسق ، وإنما كانت استسقاءاته عليه السلام بالمدينة فى سفر وحَضَر ، وفيها شوهد ما كان من سرعة إجابة الله له .

فالجواب : أن أبا طالب قد شاهد من ذلك أيضاً فى حياة عبد المطلب مادله على ما قال ، روى أبو سُلْمَان حَمَد بن محمد بن إبراهيم [بن الخطاب الخطابى] البُسْتِى النيسابورى(١) ، أن رُقَيْقَةَ(٢) بنت أبى صَيْفِىٍّ بن هاشم قالت : تتابعت على قريش سِنُو جَدْبٍ قد أَقْحَلَتْ الظِّلفَ ، وأَرَقَّتِ العظم ، فبينا أنا راقدة اللهم ، أو مُهَدَّمة ، ومعى صِنوى إذ أنا بهاتفٍ صَيِّتٍ يصرخ بصوتٍ صَحِلٍ يقول : يا معشر قريش إن هذا النبىَّ المبعوثَ منكم ، هذا إبَّانُ

---

(١) هو صاحب معالم السنن توفى ببست سنة ٣٨٨ ﻫ كما فى معجم الأدباء ، وفى وفيات الأعيان . وفى اللباب لابن الأثير أنه توفى سنة ٣٥٤ . وبست مدينة من بلاد كابل بين هراة وغزنة وقد سمع فى اسمه : أحمد ، والأصح حمد كما ذكر والزيادة الموضوعة بين قوسين من اللباب لابن الأثير .

(٢) اسمها فى نسب قريش : رقية ، ونص قوله عن أبى صيفى « انقرض إلا من بنته رقية » ص ١٦ ولكنها رقيقة فى كثير من الكتب . وفى الاشتقاق أن أبا صيفى أحد من حضر من بنى هاشم حلف عبد المطلب وخزاعة . ص ٦٩ .

. . . .

نُجومِه ، فَحَيَّ هَلاً بالحَيَا والخصب ، ألا فانظروا منكم رجلا طُوَّالاً عُظَّاماً أبيضَ فَطًّا ، أشَمَّ العِرْنين ، له فخر يَكْظِمُ(١) عليه. ألاَ فليَخْلُص هو وولدُه، وليُدْلِفْ إليه من كل بَطْنٍ رجلٌ ، ألا فَلْيَشُنُّوا من الماء ، وليَمَسُّوا من الطيب ، وَليطوفوا بالبيت سَبْعاً ، ألاَ وفيهم الطيب الطاهر لذاته ، ألاَ فليدْعُ الرجلُ ، وليؤمِّن القومُ ، ألا فَغِثْتُم أبدا ما عشتم . قالت : فأصبحتُ مذعورة قدَ قَفَّ جلدى ، ووَلِه عَقلى ، فاقْتَصَصْتُ رُؤياى ، فوالحرمةِ وَالحَرَم إنْ بقى أَبْطَحِىٌّ (٢) إلاَّ قال : هذا شَيْبةُ الحَمْدِ ، وَتَتَامَّت عنده قريشٌ ، وَانفض إليه الناس من كُلِّ بَطْنٍ رجلٌ ، فَشَنُّوا وَمَسُّوا وَاستلموا وَاطوَّفوا ، ثم ارْتَقَوا أبا قُبَيْسٍ ، وطَفِقَ القوم يَدِفُّون حوله ، ماإن يدركَ سعيُهُمْ مُهَلةً ، حتى قَرُّوا بذروة الجبل ، وَاسْتَكَفُّوا جَنَابيه ، فقام عبدُ المطلب ، فاعْتَضَد ابنَ ابنهِ محمداً — صلى الله عليه وَسلم — فرفعه على عاتِقِه ، وَهو يومئذ غُلام قد أيْفَع ، أو قد كَرَبَ ، ثم قال : اللهم سادَّ الخَلَّة ، وكاشفَ الكُرْبة أنت عالم غير مُعلَّم ، ومسئول غيرُ مُبَخَّلٍ ، وهذه عِبِدَّاؤُكَ ، وإماؤك بِعَذِرات حَرَمِك يشكون إليك سَنَتَهم ، فاسْمَعَنَّ اللهم ، وأمطِرنَّ علينا غَيْثاً مَريعاً مُغْدِقاً ، فما راموا والبيت ، حتى انفجرت السماء بمائها ، وكَظَّ الوادى بثَجِيجِه . رواه أبو سليمان عن ابن الأعرابى . قال : حدثنا محمد بن على بن البُخْتُرِىّ ، نا يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ،

---

(١) لا يبدو به ولا يظهره .

(٢) فى رواية « فقمت فى شعاب مكة فما بقى بها أبطحى الخ »

. . . .

نا عبد العزيز بن عِمْران ، عن ابن حُوَيِّصَةَ ، قال يحدث مَخْرَمة بن نُفَيل عن أمه رُقَيْقَة بنت أبى صَيْفِىٍّ .

وذكر الحديث ، ورواه بإسناد آخر إلى رُقَيْقَة ، وفيه : ألا فانظروا منكم رجلا وَسيطا عُظَاما جُسَامًا أَوْطَف الأهداب ، وأن عبد المطلب قام ومعه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد أَيْفَعَ أو كَرَبَ ، وذكر القصة(١) .

---

(١) دلت الأحاديث الصحيحة على مشروعية صلاة الاستسقاء ، وبذلك قال جمهور العلماء من السلف والخلف ، ولم يخالف فى ذلك إلا أبو حنيفة مستدلا بأحاديث الاستسقاء التى ليس فيها صلاة ، وقد وقع الإجماع من المثبتين للصلاة على أنها ركعتان ، ووقع الاتفاق على أنها سنة غير واجبة . وفى كيفيتها خلاف فارجع إليها فى كتب السنة والفقه . أقول : إذا كان المعتمد هنا هو الحديث ، فلم لا نقول إنها تجوز بصلاة فيها دعاء ، وتجوز بالدعاء من غير صلاة ؟ !

هذا وليس فى البخارى ما رواه ابن هشام إنما فيه ما رواه بسنده عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه قال : سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبى طالب « وأبيض الخ » وروى أيضاً من حديث سالم عن أبيه : ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبى يستسقى . فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب : « وأبيض الخ » أما القول المنسوب إلى الرسول « ص » فى السيرة : لو كان أبو طالب الخ فلم يروه أحد من أصحاب الصحيح كالحديث الذى ذكر فى الروض . وأحب أن أذكر هنا بما رواه الخمسة عن أنس رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو يخطب يوم الجمعة ، فقال : يا رسول الله هلكت المواشى ، وانقطعت السبل ، فادع الله ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى رواية : فرفع يديه — ثم قال : اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، فمطروا من جمعة =

. . . .

ابن الأسلت وقصيدته :

فصـل : وذكر ابنُ هشام[1] كل من سماه أبو طالب فى قصيدته ،

= إلى جمعة ، فجاء رجل ، فقال : يارسول الله تهدمت البيوت ، وتقطعت السبل ، وهلكت المواشى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم على رءوس الجبال والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر ، وفى رواية : اللهم حوالينا ، ولا علينا ، فانجابت عن المدينه انجياب الثوب ، فجعلت تمطر حولها ، لا تمطر بها قطرة ، فنظرت إلى المدينة وإنها لفى مثل الإكليل رواه الخمسة إلا الترمذى . وفى الحديث المتفق عليه أنه «ص» خرج بالناس إلى المصلى يستسقى ، فصلى بهم ركعتين جهر فيهما بالقراءة ، واستقبل القبلة يدعو ، ورفع يديه ، فما حول رداءه حين استقبل القبلة . وكان إذا رأى المطر يقول : اللهم صيبا نافعا ، وروى عنه أنه كان يخرج متبذلا متواضعا متخشعا متضرعا « الترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجة » .

ومن الأحاديث الصحيحة ، نؤمن أن الاستسقاء النبوى إنما هو إلى الله ضراعة وابتهال فى صلاة أو فى غير صلاة ، وأن التوسل بذات فلان أو وجهه أو جاهه ليس من هدى الرسول «ص» ولا سنته ، فلنحذر نزغة الشرك . ولم يخرج قصة عبد المطلب أحد من أصحاب الصحيح ، وإنما هى عند ابن عساكر وابن أبى الدنيا وابن سعد والبيهقى والطبرانى . ورواية الحديث بهذه الصورة لا توحى بالاقتداء فإنه عمل عبد المطلب ، وهى لا تثبت جواز الاستسقاء بالوجوه أو بالذوات ، فالرواية تسند إلى عبد المطلب أنه دعا الله ، ولم يدعه بوجه أحد أو ذات أحد .

ولم تسند إليه الرواية أنه حمل محمدا معه ليستسقى بوجهه أو بذاته . وحمل عبد المطلب ابن ابنه فى مثل هذا أمر تفرضه عاطفة رجل شيخ ، فقد ابنه ، فهو يحبه مرتين فى هذا الحفيد العظيم .

(١) ذكر ابن هشام حديث الأخنس ، وهو صحابى من مسلمة الفتح شهد حنينا ومات أول خلافة عمر

. . . .

أو أشار إليه ، وعرف بهم تعريفاً مُسْتغنيا عن المزيد . وذكر قصيدة أبى قيس صَيْفِى بن الأَسْلَت ، واسمُ الأسلتِ : عامرٌ ، والأَسْلَتُ : هو الشديد الْعَطَسِ يقال : سَلَتَ اللهُ أنفَه ، ومن الأسلت حديث بشر بن عاصم حين أراد عمر أن يستعمله ، فلما كتب له عهدَه أبى أن يقبله ، وقال : لا حاجة لى به . إنى سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : إن الوُلاةَ يُجاء بهم يوم القيامة ، فيقفون على جِسْرِ جَهَنَّم ، فمن كان مُطاوِعاً لله تناوله بيمينه حتى ينجيه ، ومن كان عاصيا لله انخرق به الجسر إلى وادٍ من نارٍ تلتهب التهابا ، قال : فأرسل عمرُ إلى أبى ذَرٍّ ، وإلى سَلْمانَ ، فقال لأبى ذَرٍّ : أنت سمعت هذا من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : نعم والله ، وبعد الوادى وادٍ آخر من نارٍ . قال : وسأل سَلْمانَ ، فكره أن يخبره بشىء ، فقال عمر : من يأخذها بما فيها (١) ؟ فقال أبو ذر . من سَلَتَ اللهُ أَنْفَه وعينيه ، وأَضْرَعَ خَدَّه إلى الأرض ذكره ابن أبى شيبة .

وأول القصيدة : يا راكبا إمَّا عَرَضت فَبَلِّغَنْ . البيت . الْمُغَلْغَلَةُ : الداخلة إلى أقصى ما يراد بُلوغه منها(٢) ، ومنه تغلغل فى البلاد : إذا بالغ فى الدخول فيها ، وأصله : تَغَلَّلَ وَمُغَلَّلَةَ ، ولكن قلبوا إحدى اللامين غينا ، كما فعلوا فى كثير من المضاعف ، وأصله من الْغَلَلِ وَالْغِلاَلَةِ ، فأما الْغَلَلُ فماء يستره النباتُ وَالشجرُ ، وأما الْغِلاَلَةُ فساترةٌ لما تحتها

وفيها . نُبَيِّتُكم شَرْجَيْن . أى : فريقين مختلفين ، وَنُبِّئْتُكم لفظٌ مشكل

(١) يعنى الخلافة .
(٢) المغلغلة : الرسالة .

. . . .

وفى حاشية الشيخ : نبيتكم شرجين[١] ، وهو بيّن فى المعنى ، وفيه زحاف خرْم ، ولكن لا يعاب المعنى بذلك ، وأما لفظ التّبيُّت فى هذا البيت ، فبعيد من معناه ، والأزْمَلُ : الصوت ، والمُذْكى : الذى يوقد النار ، والحاطب : الذى يَحْطِب لها ، ضُرِب هذا مثلا لنار الحرب ، كما قال الآخر :

أرى خَلَلَ الرّمادِ وَميضَ جَمْرٍ ... وَيوشك أن يكونَ لها ضِرام

فإن النارَ بالعُودين تُذْكَى ... وإن الحربَ أولُها الكلامُ[٢]

وقوله : هى الغُول للأدنى[٣] ، أى : هى الهلاك ، يقال : الغضبُ : غول الحِلْم ، أى يهلكه ، والغَوْلُ بفتح الغين : وَجَعُ البطن ، قاله البخارى فى تفسير قوله : ﴿ لا فيها غَوْلٌ ﴾ . وقوله : وإحلالُ إحرامِ الظباء الشّوازِب[٤] . أى : إن بلدَكم بلدٌ حَرَامٌ تأمن فيه الظباء الشوازِبُ التى تأتيه من بُعْدٍ ، لتأمنَ

---

(١) والذى فى السيرة : نبيتكم .

(٢) من أبيات ضمنها نصر بن سيار والى خراسان فى آخر أيام بنى أمية ـ كتابه إلى مروان بن محمد حينما وجد أمر أبى مسلم الخراسانى يشتد فى الدعوة إلى آل العباس . ومنها :

أقول من التعجب : ليت شعرى ... أأيقاظ أمية أم نيام

فإن يك قومنا أضحوا نياما ... فقل : قوموا فقد حان القيام

فقرى عن رحالك ، ثم قولى ... على الإسلام والعرب السلام

ص ٢٥٦ حـ ٣ مروج الذهب .

(٣) فى السيرة : للأقصين .

(٤) التى يحرم صيدها فى الحرم « الخشنى »

. . . .

فيه ، فهى شازِبة أى : ضامرة من بعد المسافة ، وإذا لم تَحِلُّوا بالظباء فيه ، فَأَحْرَى ألا تَحِلُّوا بدمائكم ، وإحرامُ الظباء : كونُها فى الحرم ، يقال لمن دخل فى الشهر الحرام ، أو فى البلد الحرام : مُحْرِمٌ . والأَتْحَمِيَّةُ : ثيابٌ رِقاقٌ تصنع باليمن ، والشليل : دِرْعٌ قصيرة(١) ، والأَصْدَاء : جمع صَدَأ الحديد ، والقَتِير : حَلَقُ الدِّرْع (٢) شبهها بعيون الجَرَادِ ، وأخذ هذا المعنى التَّنُوخِيُّ فقال :

كأثوابِ الأراقمِ مَزَّقتها   فخاطتها بأعينهــــا الجرادُ

وقوله فى وصف الحرب :

تَزَيَّنَ للأقوام ، ثم يَرَوْنَهَا   بعاقبةٍ إذ بَيَّنت أُمَّ صاحب

هو كقول عمرو بن معدى كرب :

الحربُ أولُ ما تكون فَتِيَّةٌ   تسعى بِبِزَّتِهَا لكل جَهُول

حتى إذا اشتعلت وشَبَّ ضِرامُها   ولَّت عجوزًا غيرَ ذاتِ خليل

شَمْطاءَ جَزَّت رأسَها ، فتنكرت   مكروهةً للشَّمِّ والتَّقْبِيــــل

---

(١) أو هى ثياب تلبس تحت الدروع .

(٢) فى اللسان : الصدأ مهموز مقصور : الطبع والدنس يركب الحديد ، وصدأ الحديد : وسخه . وفى شرح الخشنى : أصداء : يعنى دروعا متغيرة بالصدأ . وفى الخشنى أيضاً : أن القتير : مسامير حلق الدروع

. . . .

فقوله : أم صاحب ، أى : عجوزاً كأم صاحب لك ، إذ لا يصحب الرجلَ إلا رجُلٌ فى سنه ، وفى جامع البخارى : كانوا إذا وقعت الحرب يأمرون بحفظ هذه الأبيات، يعني: أبيات عمرو المتقدمة . وقوله : ألم تعلموا ما كان فى حرب داحسٍ . يُذْكَر معنى داحسٍ إذا ذكره ابن إسحاق بعد هذه القصيدة إن شاء الله تعالى .

وقوله فيها : وَلِىّ امرىء فاختار ديناً فإنما (١) . أى : هو ولى امرىء اختار ديناً ، والفاء زائدة على أصلِ أبى الحسن ، قال فى قولهم : زيداً فاضرِب : الفاء مُعَلَّقة أى : زائدة ، ومن لا يقول بهذا القول يجعل الفاء عاطفة على فعل مضمر ، كأنه قال : ولى امرىء تَدَيَّن ، فاختار ديناً ، أو نحو هذا ، وقد تقدم شرح باقى القصيدة فى آخر قصة الحبشة .

وقال فيها : كريم المضارب ، وفى حاشية كتاب الشيخ : لعله الضرائب ، يريد : جمع ضريبة ، ولا يبعد أيضاً أن يكون قال : المضارب . يريد أن مضارب سيوفهِ غير مذمومة ، ولا راجعة عليه إلا بالثناء والحمد والوصف بالمكارم .

وفيها قوله : وماء هُريق فى الضلال . ويروى : فى الضُّلال جمع ضَلَّة ، وهى الأرض التى لا تمسك الماء . أى رُبَّ ماء هُريق فى الضلال من أجل السراب ، لأنه لا يُهْرِيقُ ماءً من أجل السَّرابِ إلا ضال غير مميز بمواضع

---

(١) فى السيرة : فلا يكن بدلا من « فإنما »

. . . .

الماء ، وأذاعت به، أى: بددته ، فلم ينتفع به ، وهذا مثل ضربه للنظر فى عواقب الأمور ، ويروى : وما اهْرِيق فى أمر ، ومعناه : والذى أُهْرِيق فى أمر الضلال ، فوصل ألف القطع ضرورة ، ويقال : أُرِيق الماء ، وأُهْرِيق بالجمع بين الهمزة والهاء ، وهى أقلها ، ولتعليلها موضع غير هذا .

وقوله فيها : بين سافٍ وحاصب : السافى : الذى يَرْمى بالتراب ، والحاصب الذى يَقْذف بالحصباء .

وفيها ذكر الجَباجِب ، وهى منازل منى . كذا قال ابن إسحاق ، وقال البَرْقِىُّ : هى حُفَر بمنى ، يجمع فيها دم البُدْن ، والهدايا ، والعرب تعظمها وتفخر بها ، وقيل: الجباجب : الكُروش . يقال للكَرِشِ : جَبْجَبة بفتح الجيم ، والذى تقدم واحدُه : جُبْجُبَة بالضم (١) .

حرب داحس:

فصل : وذكر حديث حرب داحس مختصراً ، وداحس : اسم فرس كان لقيس بن أبى زهير ، ومعنى داحس : مدحوس كما قيل : ماء دافق ، أى : مدفوق ، والدَّحْسُ : إدخال اليد بقوة فى ضيق ، كما روى ن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مر بغلام يسلخ شاة ، فأمره أن يتنحى ليريه ، ثم دَحَس (٢)

---

(١) المراصد : الجبجبة بالضم : ماء معروف بنواحى اليمامة . والجباجب والأخاشب : جبال مكة .

(٢) أدخلها بين جلدها ولحمها ليسلخها ، وفى الأصل عن الإبط التى ستأتى : الاربط : والتصويب من اللسان والنهاية لابن الأثير

. . . .

عليه السلام بيده بين الجلد واللحم ، حتى بلغ الإبطَ ثم صلى ، ولم يتوضأ .

فَدَاحِسٌ سمى بهذا الاسم ؛ لأن أمه كانت لرجل من بنى تَمِيمٍ ، ثم من بنى يَرْبُوعٍ اسمه : قِرْواش بن عَوْف ، وكان اسم الفرس : جَلْوَى ، وكان ذو العُقَّال فرساً عتيقاً لِحَوْطِ بن جابر ، فخرجت به فتاتان له ، لتسقياه ، فبصر بجَلْوَى ، فأَدْلَى حين (١) رآها ، فضَحِك غِلْمةٌ كانوا هنالك ، فاستحيت الفتاتان ، ونكَّستا رأسيهما ، فأفلت ذو العُقَّال حتى نَزَا على جَلْوى ، وقيل ذلك لِحَوْطٍ فأقبل مغضباً ، وهو يسعى حتى ضرب بيده فى التراب ، ثم دَحَسها فى رَحم الفرس ، فسطاَعليها ، فأخرج ماء الفحل منها ، واشتملت الرحمُ على بقية الماء ، وحملت بمهر فسَمَّوه : داحِساً ، وأظهرُ ما فيه أن يكون مِثْلَ : لابِنٍ وتامِرٍ ، وأن لا يكون فاعِلا بمعنى مفعول ، فهو داحس بن ذى العُقَّال بن أَعْوَج الذى تُنْسب إليه الخيل الأَعْوَجِيَّة (٢) فى قول بعضهم ، وقد تقدم غير هذا القول ـ ابن سَبَلٍ (٣) ، وكان لغنى بن يَعْصُر ، وفيه يقال :

---

(١) أدلى الفرس وغيره أخرج جردانه ليبول ، أو يضرب .

(٢) أعوج : فرس لبنى هلال تنسب إليه الأعوجيات كان لكندة ، فأخذته سليم ، ثم صار إلى بنى هلال، أو صار إليهم من بنى آكل المرار ، وفرس لغنى ابن أعصر أو يعصر كما فى الروض

(٣) فى اللسان عن الأصمعى أن سبل هى أم أعوج وكانت لغنى ، وأعوج لبنى آكل المرار، ثم صار لبنى هلال بن عامر

. . . .

إن الجواد بن الجواد بن سَبَل إنْ دَيَّمُوا جاد ، وإن جادَ وَبَل [١]

وفى ذى العُقَّال يقول جرير :

تمسى جيادُ الخيل حول بيوتنا من آل أعوجَ ، أو لذى العُقَّال [٢]

وأنشد :

أفَبعْد مَقْتَلِ مالكِ بن زُهَيْرٍ ترجو النساء عواقبَ الأطهار [٣]

وفيه إقواء ، وهو حذف نصف سبب من القسم الأول ، وقد تكلمنا على معنى الإقواء قبل ، وأما اختلاف القوافى فيسمى : اكتفاء ، وإقواء أيضاً لأنه من الكُفْء ، فكأنه جعل الرفع كفئاً للخفض ، فسوى بينهما .

وفيها قوله :

---

(١) قال ابن برى : الشعر لجهم بن شبل ، وقال أبو زياد الكلابى : وهو من بنى كعب بن بكر . قال وقد أدركته يرعد رأسه ، وهو يقول :

أنا الجواد بن الجواد بن سبل إن ديموا جاد ، وإن جادوا وبل .

قال ابن برى : فثبت بهذا أن سبل اسم رجل وليس باسم فرس . هذا ماذكره اللسان فى مادة سبل ، وفى مادة : دوم رواه : «هو الجواد الخ» .

(٢) وفى النقائض «إن الجياد يبتن حول قبابنا

(٣) القصيدة للربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن قارب العبسى ، وقد ذكر ابن هشام نسبه مختصرا وأول قصيدته :

نام الخلى ، وما أغمض حار من سيء النبأ الجليل السارى .

ص ٨١ وما بعدها ج ١ النقائض بين جرير والفرزدق لأبى عبيدة معمر ابن المثنى ط ١٢٥٣ هـ ، ص ١٥١ ج ١ أمالى المرتضى

. . . .

ترجو النساء عواقبَ الأطهار . كقول الأخطل :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار

فيقال : إن حرب داحس دامت أربعين سنة ، لم تحمل فيها أنثى ، لأنهم كانوا لا يقربون النساء ما داموا محاربين ، وذكر الأَصْبهَانِيُّ أن حرب داحِس كانت بعد يوم جَبَلة بأربعين سنة ، وقد تقدم يوم جَبَلة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد فى تلك الأيام ، وقال لبيد :

وغَنِيتُ حَرْساً قبل مَجْرى داحسٍ
لو كان للنفسِ اللَّجُوجِ خُـــلُودُ

وكان لبيدٌ فى حربِ جَبَلةَ ابنَ عَشْرِ سنين ، وقوله : حَرْساً أى : وقتاً من الدهر ، وَيروى سَبْتاً وَالمعنى وَاحد ، وَكان إجراء داحس وَالغبراء على ذاتِ الإصادِ موضعٍ فى بلاد فَزَارَةَ ، وَكان آخرُ أيام حرب داحس بقَلَهَى من أرضِ قيس ، وَهناك اصطلحت عبس وَمَنُولة : وَهى أم بنى فَزَارة : شَمْخ وَعَدِى وَمازن ، فيقال لهذا الموضع : قَلَهَى ، وَأما قَلَهِّى فموضع بالحجاز ، وَفيه اعتزل سعدُ بن أبى وَقاص حين قُتل عثمان ، وَأمر ألاّ يُحَدَّث بشىء من أخبار

(١) فى اللسان فى مادة سبت وجرى رواه :

وغنيت سبتاً قبل مجرى داحس . وفى الأصل : مجراء

(٢) فى المراصد : الإصاد : اسم الماء الذى لطم عليه داحس ، وكانت الحرب المشهورة بسببها ، وذات الإصاد . ردهة فى ديار بنى عبس وسط هضب القليب

ذكرى مالقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه

مفتريات قريش وإيذاؤهم للرسول (ص):

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشا اشتدّ أمرهم للشقاء الذى أصابهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومَنْ أسلم معه منهم، فأغروْا برسول الله صلى الله عليه وسلم: سفهاءهم، فكذّبوه، وآذَوْه، ورموه بالشِّعر والسِّحر والكَهانة والجنُون، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُظْهِرٌ لأمر الله لا يَسْتخفى به، مُبادِلهم بما يكرهون من عَيْب دينهم، واعتزال أوثانهم، وفراقه إيّاهم على كفرهم.

الناس، وَألا يسمع منها شيئاً، حتى يصطلحوا، وَيقال: إن الْخَنْفاءَ كانت فرسَ حُذَيْفَةَ(١)، وَأنها أجريت مع الغبراء ذلك اليوم، قال الشاعر:

إذا كان غيرُ الله للمرء عُدَّةً ... أتته الرَّزايا من وُجوه الفوائد

فقد جرَّت الْخَنْفَاءُ حَتْفَ حُذَيْفَةٍ ... وَكان يراها عُدَّةً للشدائدِ (٢)

وَأما حرب حاطب الذى ذكرها، فهى حربٌ كانت على يد حاطب بن الحارث بن قَيْس بن هَيْشَةَ بن الأوسِ، فنُسبَت إليه، وَكانت بين الأوس وَالْخزْرج.

---

(١) فى اللسان أن الحنفاء أخت داحس لابيه من ولد العقال، والغبراء: خالة داحس، وأخته لابيه ١ ا والحنفاء: فرس حجر بن معاويه.

(٢) فصل القول فى حرب داحس كتاب النقائض بين جرير والفرزدق لابى عبيدة ص ٧٦ ح ١

قال ابن إسحاق : فحدثني يَحْيي بنُ عروة بن الزبير ، عن أبيه عُرْوة ابن الزبير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قلت له : ما أكثرُ ما رأيْتَ قريشا أصابوا من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما كانوا يُظْهرون من عداوته ؟ قال : حضرْتُهُم ، وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحِجْر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ما رأينا مثلَ ماصَبرْنا عليه من أمر هذا الرجل قطُّ : سفَّه أحلامَنا ، وشتم آباءنا ، وعاب دينَنا ، وفرّق جماعَتنا ، وسبّ آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيمٍ ، أو كما قالوا ، فبيناهم في ذلك إذطلع رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مرّ بهم طائفا بالبيت ، فلما مرّ بهم غَمَزُوه ، ببعض القول ، قال : فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم مضى ، فلما مرّ بهم الثانيةَ غمزوه بمثلها ، فعرفتُ ذلك في وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم مرّ بهم الثالثةَ فغمزوه بمثلها ، فوقف ، ثم قال : أتسمعون يامعشرَ قُريش ؟! أما والذي نفسي بيده ، لقد جِئْتُكم بالذَّبح . قال : فأخذت القومَ كلمتُه حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائرٌ واقع ، حتى إن أشدّهم فيه وَصَاةً قَبْل ذلك ليَرْفَؤُه بأحسن ما يجدُ من القول ، حتى إنه ليقول : انصرفْ يا أبا القاسم ، فوالله ما كنتَ جهولا . قال فانصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان الغدُ اجتمعوا في الحِجْر وأنا معهم ، فقال بعضُهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه . فبيناهم في ذلك طلع عليهم رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوثبوا إليه وثبةَ

. . . .

رجلٍ واحد، وأحاطوا به، يقولون: أنت الذى تقول كذا وكذا، لِماَ كان يقول من عَيب آلهتهم ودينهم ؟! فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم أنا الذى أقول ذلك، قال: فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه. قال: فقام أبو بكر رضى الله عنه دونه، وهو يبكى ويقول: أتقتلون رجلا أنْ يقول ربى الله ؟! ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشدّ ما رأيتُ قريشا نالوا منه قطُّ.

قال ابن إسحاق: وحدثنى بعضُ آل أُمّ كُلثوم ابنة أبى بكر، أنها قالت: رجع أبو بكرٍ يومئذٍ وقد صَدَعوا فَرْق رأسه، ممَّا جَبَذُوه بلِحْيته، وكان رجلاً كثيرَ الشعر.

قال ابن هشام: حدثنى بعض أهلِ العلم: أن أشدّ مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش أنه خرج يوما فلم يَلقه أحدٌ من الناس إلا كذّبه وآذاه، لا حُرّ ولا عَبْد، فرجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله، فتدثَّر من شدَّة ما أصابه، فأنزل الله تعالى عليه: «يأيُّها المُدَّثِرُ، قُمْ فأَنْذِرْ» المدثر: ١، ٢.

إسلام حمزة رضى الله عنه

قال ابن إسحاق: حدثنى رجل من أسلم، كان واعيةً: أنّ أبا جهل مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصَّفا فآذاه وشتمه، ونال منه بعضَ ما يكره من العَيْب لدينه، والتضعيف لأمره، فلم يكلّمه رسولُ الله ـ صلى الله

عليه وسلم ، ومَوْلاةٌ لعبدالله بن جُدْعان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَـيْم ابن مُرّة فى مَسْكن لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه ، فعَمَد إلى ناد من قريش عند الكعبة ، فجلس معهم ، فلم يلبث حمزةُ بن عبد المطلب رضى الله عنه أن أقبل مُتَوَشّحا قوسَه ، راجعا من قَنَصٍ له ، وكان صاحبَ قَنَصٍ يرْميه ، ويخرج له ، وكان إذا رجع من قَنَصه لم يصل إلى أهله ، حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمرّ على ناد من قريش إلا وقف ، وسلم ، وتحدّث معهم ، وكان أعزّ فتى فى قريش ، وأشدّ شَكِيمة ، فلما مرّ بالمَوْلاةِ ، وقد رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته قالت له : يا أبا عُمارة ، لو رأيتَ ما لقى ابنُ أخيك محمدٌ آنفا من أبى الحَكَم بن هشام : وَجَده هاهنا جالسا ، فآذاه وسبَّه وبلغ منه مايكره ، ثم انصرف عنه ، ولم يكلِّمه محمدٌ صلى الله عليه وسلم .

فاحتمل حمزةَ الغضبُ لِمَا أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى ، ولم يَقِفْ على أحد ، مُعِدًّا لأبى جهل إذا لَقِيه أن يُوقع به ، فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا فى القومِ فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه ، رفع القوس ، فضربه بها ، فشجه شجَّةً مُنكرة ، ثم قال : أتشتمه ، فأنا على دينه أقول مايقول ؟! فَرُدّ ذلك علىّ إن استطعت . فقامت رجالٌ من بنى مخزوم إلى حَمْزة ، لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل : دعُوا أبا عُمارة ، فإنى والله قد سَبَبْتُ ابن أخيه سَبًّا قبيحا ، وتَمَّ حمزةُ رضى الله عنه على إسلامه ، وعلى ما تابع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه . فلما أسلم حمزةُ عرفت قريشٌ

. . . .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عزّ وامتنع ، وأنّ حمزةَ سيمنعه ،
فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

عتبة بن ربيعه يذهب إلى الرسول (ص)

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كَعْب القُرَظيّ، قال :
حُدّثت أن عُتبة بن ربيعة — وكان سيِّداً — قال يوماوهو جالس في نادي قريش،
ورسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ،
ألا أقوم إلى محمد فأ كلِّمه ، وأعْرِضَ عليه أموراً لعلَّه يقبل بعْضَها ، فنعطيه
أيَّها شاء ، ويكفّ عنَّا ؟ وذلك حين أسلم حمزةُ ، ورأوْا أصحابَ رسول الله
— صلى الله عليه وسلم — يزَيدون ويكْثُرون ؛ فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قُم
إليه ، فكلِّمه ، فقام إليه عُتبةُ حتى جلس إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
فقال : يا بن أخي ، إنك منَّا حيثُ قد علمتَ من السِّطَة في العشيرة ، والمكان
في النَّسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرَّقْتَ به جماعتهم ، وسفَّهت به
أحلامهم ، وعِبْت به آلهتهم ودينَهم ، وكفّرت به مَن مضى من آبائهم ، فاسمع
مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضَها . قال : فقال له
رسول الله — صلى الله عليه وسلم : قُلْ يا أبا الوليد ، أسمَع ، قال : يا بن أخي
إن كنت إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالا ، جمعنا لك من أموالنا ،
حتى تكون أ كثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سوّدناك علينا ، حتى
لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به مُلْكا ملّكناك علينا ، وإن كان

هذا الذى يأتيك رَئِيًّا تراه لا تَستطيع ردَّه عن نفسك ، طَلَبْنا لك الطبَّ ، وبذَلنا فيه أموالَنا حتى نُبرئك منه ، فإنه ربما غاب التابعُ على الرجل حتى يُداوَى منه ، أو كما قال له ، حتى إذا فرغ عتبةُ ، ورسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — يستمع منه ، قال : أقد فرغتَ يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال : فاسمَعْ منى ، قال : أفعل ، فقال : ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . حمٓ . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرآنا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعلَمُونَ . بَشِيراً وَنَذِيراً ، فأعْرَضَ أكْثَرُهُمْ ، فهم لا يَسْمَعُونَ ، وَقالُوا : قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ ﴾ . فصلت : ١ — ٥ . ثم مضى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبةُ أنْصت لها ، وألْقى يَدَيْهِ خَلْفَ ظهره معتمدا عليهما ، يسمع منه ، ثم انتهى رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعتَ ، فأنت وذاك .

فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضُهم لبعض : نحلف بالله : لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوَجْه الذى ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائى أنى قد سمعتُ قولا والله ما سمعت مثلَه قطُّ ، والله ما هو بالشِّعر ، ولا بالسِّحر ، ولا بالكهانة . يا معشرَ قُريش ! أطيعونى واجعلوها بى ، وخلُّوا بين هذا الرجل ، وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعتُ منه نبأٌ عظيم ، فإن تُصبْه العربُ فقد كُفيتُموه بغيركم ، وإن يَظْهَرْ على العرب ، فمُلْكُه مُلْكُكم ، وعزه عزُّكم ، وكنتم أسعدَ الناس به ، قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأيى فيه ، فاصنعُوا مابدا لكم .

. . . .

بين النبي (ص) و بين قريش

قال ابن إسحاق : ثم إن الإسلام جعل يَفْشو بمكة فى قبائل قريش فى الرجال والنِّساء ، وقُريش تحْبِس مَنْ قَدَرَت على حَبْسه ، وتَفْتن من استطاعت فِتْنَتَه من المسلمين ، ثم إن أشراف قُريش من كل قَبيلة - كما حدثنى بعضُ أهل العلم عن سَعيد بن جبير ، وعن عِكْرِمة مولى ابن عبَّاس ، عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما قال :

اجتمع عُتْبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو سُفيان بن حَرْب ، والنَّضْر بن الحارث ، أخو بنى عبد الدّار ، وأبو البَخْتَرِىّ بن هشام ، والأسودُ بن المطَّلِب بن أسدٍ ، وَزَمَعة بن الأسود ، والوليد بن المُغيرة ، وأبو جهل بن هشام - لعنه الله - وعبد الله بن أبى أمية ، والعاصُ بن وائل ، ونُبيه ومُنَبِّه ابنا الحجَّاج السَّهْميَّان ، وأمية بن خلف ، أو من اجتمع منهم . قال : اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظَهْر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلِّموه وخاصموه حتى تُعْذِروا فيه ، فبعثوا إليه : إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلِّموك ، فأتهم ، فجاءهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سريعا ، وهو يظنّ أنْ قد بدا لهم فيما كلَّمهم فيه بَدَاء ، وكان عليهم حريصا يحب رشدَهم ، ويعزّ عليه عَنَتُهم ، حتى جلس إليهم ، فقالوا له يا محمد ، إنا قد بعثنا إليك ؛ لنكلِّمك ، وإنَّا والله ما نعلم رجلا من العرب أدْخل على قومه مثلَ ما أدخلتَ على قومك ، لقد شتمتَ الآباء ، وعِبْتَ

الدينَ ، وشتمتَ الآلهة ، وسفَّهت الأحلامَ ، وفرقت الجماعة ، فما بقى أمرٌ قبيحٌ إلا قد جئتَه فيما بيننا وبَينْك ـ أو كما قالوا له ـ فإن كنتَ إنما جئتَ بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطاب به الشَّرَف فينا ، فنحن نُسَوِّدك علينا ، وإن كنت تريد به مُلكا ملَّكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رَئِيًّا تراه قد غلب عليك ـ وكانوا يسمون التابع من الجنّ رَئِيًّا ـ فربما كان ذلك ، بذلنا لك أموالَنا فى طَلَب الطبّ لك حتى نُبرئك منه ، أو نُعْذِر فيك ، فقال لهم رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم : ما بى ما تقولون ، ما جئتُ بما جئتكم به أطلبُ أموالكم ، ولا الشرفَ فيكم ، ولا المُلْك عليكم . ولكنَّ الله بعثنى إليكم رسولا ، وأنزل علىّ كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلَّغتكم رسالات ربى ، ونصحتُ لكم ، فإن تقبلوا منى ما جئتكم به ، فهو حظُّكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علىَّ أصبرْ لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم ، أو كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالوا : يا محمد ، فإن كنت غيرَ قابل منا شيئا مما عَرَضْناه عليك ، فإنك قد علمتَ أنه ليس من الناس أحدٌ أضيقَ بلداً ، ولا أقلَّ ماء ، ولا أشدّ عيشا منَّا ، فسَلْ لنا ربَّك الذى بعثك بمابعثك به ، فليُسَيِّرْ عنا هذه الجبالَ التى قد ضَيَّقَت علينا ، وليبسط لنا بلادَنا ، وليفجِّر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا مَن مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يُبعث لنا منهم : قُصىّ بن كلاب ، فإنه كان شيخَ صِدْق ، فنسألهم عما تقول : أحقّ هو أم باطل ، فإن صدّقوك ، وصنعتَ ماسألناك ، صَدَّقناك ، وعرفنا به منزلَتَك

من الله ، وأنه بعثك رسولاً — كما تقول — فقال لهم صلواتُ الله وسلامُه عليه : ما بهذا بُعِثتُ إليكم ، إنما جئتكم من الله بما بعثنى به ، وقد بلّغتكم ما أُرْسِلت به إليكم ، فإن تقبلوه ، فهو حظّكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردّوه علىّ أصبر لأمر الله تعالى ، حتى يحكم الله بينى وبينكم ، قالوا : فإذا لم تفعل هذا لنا ، فخذ لنفسك ، سَلْ ربك أن يبعث معك ملكا يصدّقك بما تقول ، ويراجعنا عنك وسَله ، فليجعل لك جنانا وقُصوراً وكنوزاً من ذهب وفضّة يُغنيك بها عما نراك تَبْتغى ، فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم ، وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، حتى نعرفَ فضلك ومنزلَتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذى يسأل ربَّه هذا ، وما بُعِثْت إليكم بهذا ، ولكنّ الله بعثنى بشيراً ونذيراً — أو كما قال — فإن تقبلوا ما جئتكم به ، فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردُّوه علىّ أصبرْ لأمر الله ، حتى يحكم الله بينى وبينكم ، قالوا : فأسقط السماء علينا كِسَفا كما زعمت أن ربَّك لو شاء فعل ، فإنَّا لا نؤمن لك إلا أن تفعل ، قال : فقال رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم : ذلك إلى الله ، إن شاء أن يفعله بكم فعل ، قالوا : يا محمد ، أفما عَلِم ربُّك أنَّا سنجاس معك ، ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدّمَ إليك فيُعلمك ما تُراجعنا به ، ويخبرك ماهو صانعٌ فى ذلك بنا ، إذا لم نقبل منك ماجئتنا به ! إنه قد بلغنا أنك إنما يعلّمك هذا رجلٌ باليمامة يقال له : الرحْمٰن ، وإنَّا والله لا نؤمن بالرحْمٰن أبداً ، فقد أعذرنا إليك يا محمد ، وإنَّا والله لا نتركك

وما بلغتَ منّا حتى نهلكك ، أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله . وقال : قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قَبيلا .

فلما قالوا ذلك لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، قام عنهم ، وقام معه عبدُ الله بن أبى أُمَيَّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — وهو ابن عمّته فهو لعاتكة بنت عبد المطلب — فقال له : يا محمد ، عَرَض عليك قومُك ما عَرضوا فلم تقبلْه منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ، ليعرفوا بها منزلَتك من الله كما تقول ، ويصدّقوك ويتّبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذَ لنفسك ما يَعْرفون به فضلَك عليهم ، ومنزلَتك من الله ، فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجِّل لهم بعض ما تخوّفهم به من العذاب ، فلم تفعل — أو كما قال له — فوالله لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلّما ، ثم ترقَى فيه ، وأنا أنظر إليكَ حتى تأتيها ، ثم تأتى معك أربعةٌ من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول . وايم الله أنْ لو فعلتَ ذلك ما ظننتُ أنى أصدّقك ، ثم انصرف عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وانصرف رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — إلى أهله حزينا آسفا لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دَعَوه ، ولما رأى من مُباعدتهم إياه .

فلما قام عنهم رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — قال أبو جهل : يا مَعْشَرَ قريش ، إن محمداً قد أبى إلا ما ترونَ من عَيْب ديننا ، وشَتْم آبائنا ، وتَسْفيه أحلامنا ، وشتْمِ آلهتنا ، وإنى أعاهد الله لأجْلسَنَّ له غداً بحَجَر ما أطيق حَمْله

ـ أو كما قال ـ فإذا سجد فى صلاته ، فَضَخْتُ به رأسه ، فأسلِمونى عند ذلك ، أو امنعونى ، فليصنَعْ بعد ذلك بنو عبد مَناف ما بداً لهم ، قالوا : والله لا نُسْلمك لشىء أبداً ، فامْضِ لما تريد .

فلما أصبح أبو جهل، أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينتظره ، وغدا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما كان يغدو ، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكّة وقِبْلَتُهُ إلى الشام ، فكان إذا صلَّى صَلَّى بين الركن اليمانى والحجر الأسود ، وجعلَ الكعبة بينه وبين الشام . فقام رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُصَلِّى وقد غدتْ قُريش ، فجلسوا فى أنْديتهم يَنْتَظِرون ما أبو جهل فاعل . فلما سَجَد رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رَجَع منهزما . مُنْتَقَعاً لونُه مرعوبا . قد يَبِست يداه على حَجَره . حتى قَذَف الحَجَر من يده . وقامت إليه رجال قُريش . فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قمتُ إليه لأفعلَ به ما قلتُ لكم البارحةَ ، فلما دنوتُ منه عَرَض لى دونه فَحْلٌ من الإبل ، لا والله ما رأيت مثلَ هامَتِه ، ولا مثل قَصَرته ، ولا أنيابه لفَحْلٍ قطُّ . فهَمَّ بى أن يأكلنى .

قال بن إسحاق : فذُكِر لى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : ذلك جبريلُ عليه السلام : لو دنا لأخذه .

فلما قال لهم ذلك أبو جَهْل . قام النَّضرُ بن الحارث بن كَلَدَة بن عَلْقمة ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَىّ .

قال ابن هشام : ويقال : النضرُ بنُ الحارث بن عَلْقمة بن كَلَدة بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : فقال : يا معشر قريش . إنه والله قد نزل بكم أمرٌ ما أتيتم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاما حَدَثا ، أرْضاكم فيكم . وأصدقكم حديثا . وأعظمكم أمانة . حتى إذا رأيتم فى صُدْغيه الشَّيبَ ، وجاءكم بما جاءكم به . قلتم : ساحرٌ ، لا والله ما هو بساحر . لقد رأينا السحرة ونَفْثهم وعَقْدهم ، وقلتم : كاهن . لا والله ما هو بكاهن ؛ قد رأينا الكهنة ، وتخالُجَهُمْ وسَمِعْنا سَجْعهم ، وقلتم : شاعر ، لا والله ماهو بشاعر ؛ قد رأينا الشعرَ ، وسَمِعْنا أصنافَه كلَّها : هَزَجَه ورَجزه ، وقلتم : مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنونَ ، فما هو بخَنَقه ، ولا وَسْوسته ، ولا تخليطه ، يا معشر قريش ، فانظروا فى شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمرٌ عظيم .

وكان النَّضْر بن الحارث من شياطين قُريش ، وممن كان يؤذى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وينصب له العداوةَ ، وكان قد قَدِم الحِيرةَ ، وتعلَّم بها أحاديثَ ملوك الفرس ، وأحاديث رُسْتُم وَاسبنديار ، فكان إذا جلس رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مجلسا فذكَّر فيه بالله ، وحذّر قومه ما أصاب مَنْ قبلَهم من الأمم من نقمة الله ، خَلَفه فى مجلسه إذا قام ، ثم قال : أنا والله يا معشر قُريش ، أحسنُ حديثا منه ، فهَلُمَّ إلىّ ، فأنا أحدّثكم أحسنَ من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورُستم واسبنديار . ثم يقول : بماذا محمدٌ أحسنُ حديثا منى ؟

. . . .

قال ابن هشام : وهو الذى قال فيما بلغنى : سأنزل مثلَ ما أنزل الله .

قال ابن إسحاق : وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول ـ فيما بلغنى : نزل فيه ثمان آيات من القرآن : قولُ الله عزّ وجلّ : ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ . القلم : ١٥ وكلّ ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن .

فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه ، وبعثوا معه عُقْبة بن أبى مُعَيط إلى أحبار يهود بالمدينة ، وقالوا لهما : سَلاهم عن محمد ، وصفا لهم صِفَته ، وأخبراهم بقَوْله ، فإنهم أهلُ الكتاب الأوّل ، وعندهم عِلمٌ ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرَجا حتى قدما المدينةَ ، فسألا أحبارَ يهود عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووَصَفا لهم أمْره . وأخبراهم ببعض قوله . وقالا لهم : إنكم أهلُ التَّوراة . وقد جِئْنا كم لتُخْبِرونا عن صاحبنا هذا . فقالت لهما أحبار يهود : سَلُوه عن ثلاث نَأمُركم بهنّ . فإن أخبركم بهنّ، فهو نبيّ مُرْسَلٌ . وإن لم يفعل فالرجل مُتقوِّل . فَرَوْا فيه رأيكم . سَلُوه عن فِتْيَةٍ ذهبوا فى الدّهر الأوّل ما كان أمرهم ، فإنه قد كان لهم حديثُ عجب ، وسَلوه عن رجل طَوّاف قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربها ما كان نبؤُهُ ، وسلوه عن الرُّوح ماهى ؟ فإن أخبركم بذلك فاتّبعوه ، فإنه نبىّ . وإن لم يفعل ، فهو رجلٌ متقوّل . فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم . فأقبل النَّضْر بن الحارث ، وعُقْبة بن أبى مُعيط بن أبى عمرو بن أُميَّة بن عبد شَمْس بن عبد مناف بن قُصَىّ حتى قدما مكّة على قُريش . فقالا : يامعشر قريش ، قد جئناكم بفَصْل ما بينكم وبين محمدٍ . قد أخبرَنا أحبارُ يهود أنْ

نسأله عن أشياء أمَرونا بها ، فإن أخبركم عنها فهو نبىّ ، وإن لم يفعل فالرجلُ مُتَقوِّل . فرَوْا فيه رأيَكم .

فجاءوا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقالوا : يا محمد ، أخْبرنا عن فِتْية ذهبوا فى الدَّهر الأوّل قد كانت لهم قصّة عَجَبٌ ، وعن رجل كان طوّافا قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربها . وأخْبرنا عن الرُّوح ما هى ؟ قال : فقال لهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أخبركم بما سألتم عنه غداً ، ولم يستثْن ؛ فانصرفوا عنه ، فمكث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فيما يذكرون — خمسَ عشْرةَ ليلةً لا يُحدث الله إليه فى ذلك وَحْيا ، ولا يأتيه جبريل ، حتى أرْجف أهل مكة وقالوا : وَعَدنا محمدٌ غداً ، واليوم خمسَ عشرةَ ليلةً . قد أصبحنا منها لا يخْبرنا بشىء ممّا سألناه عنه ، وحتى أحزنَ رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — مُكثُ الوحى عنه ، وشقّ عليه ما يتكلّم به أهلُ مكة ، ثم جاءه جبريلُ من الله عزّ وجلّ بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه على حُزْنه عليهم ، وخبرُ ما سألوه عنه من أمر الفِتْيَة ، والرجل الطّوّاف ، والروح .

قال ابن إسحاق : فذُكر لى أن رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — قال لجبريل حين جاءه : لقد احتبستَ عنى يا جبريل حتى سُؤتُ ظنًّا ، فقال له جبريل : « وماَ نَتَنزّلُ إلاّ بأمْرِ ربِّكَ ، لَهُ ما بينَ أيْدِينا وماَ خَلْفَنا ، وما بينَ ذلكَ ، وماَ كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا » مريم : ٦٤ فافتتح السورة — تبارك وتعالى — بحمده وذكر نُبُوّةَ رسوله ، لما أنكروه عليه من ذلك ، فقال : ﴿ الحَمْدُ للهِ الّذِى أنْزَلَ على عَبْدِهِ الكِتابَ ﴾ الكهف : ١ :٢٦ يعنى : محمدا صلى الله عليه وسلم ،

إنك رسول منى : أى تحقيق لما سألوه عنه من نبوتك . ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً ﴾ : أى : معتدلا ، لا اختلاف فيه . ﴿ لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ ﴾ : أى عاجل عقوبته فى الدنيا ، وعذابا أليما فى الآخرة من عند ربك الذى بعثك رسولا . ﴿ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً ، مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً ﴾ : أى دار الخلد لا يموتون فيها الذين صدّقوك بما جئت به مما كذّب به غيرهم ، وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال . ﴿ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا : اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً ﴾ يعنى : قريشا فى قولهم : إنا نعبد الملائكة ، وهى بنات الله . ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ﴾ الذين أعظموا فراقهم وعَيْب دينهم . ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ أى : لقولهم : إن الملائكة بناتُ الله . ﴿ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً ، فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ ﴾ يا محمد ﴿ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً ﴾ أى : لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم ، أى : لا تفعل .

قال ابن هشام : باخعٌ نفسَك ، أى : مُهلِك نفسَك ، فيما حدثنى أبو عُبيدة . قال ذو الرُّمَّة :

ألا أيُّهذا الباخع الوَجْدُ نفسَه   لشَىْء نَحَتْه عن يَدَيْه المقادِرُ

وجمعه : باخعون وبَخَعة . وهذا البيت فى قصيدة له . وتقول العرب : قد بخعتُ له نُصْحى ونَفْسى ، أى جَهَدْت له . ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ .

قال ابن إسحاق : أى : أيهم أتبع لأمرى ، وأعمل بطاعتى . ﴿وإنا لجاعلونَ ماعَلَيْها صَعِيداً جُرُزا﴾ : أى : الأرض ، وإنّ ماعليها لفانٍ وزائل ، وإن المرجع إلىّ ، فأجزى كلاّ بعمله ، فلاَ تَأْسَ ، ولا يَحْزنك ماتسمع وترى فيها .

قال ابن هشام : الصعيد : الأرض ، وجمعه : صُعُد . قال ذو الرُّمّة يصف ظَبْيا صغيراً :

كأنّه بالضُّحى تَرْمى الصعيدَ به　　　دَبَّابَةٌ فِى عِظام الرأسِ خُرْطومُ

وهذا البيت فى قصيدة له . والصعيد أيضا : الطريق . وقد جاء فى الحديث : « إياكم والقعودَ على الصُّعُدات » يريد الطرق . والجرز : الأرض التى لا تُنبت شيئا ، وجمعها : أجراز . ويقال : سَنة جُرز ، وسنون أجراز ، وهى التى لا يكون فيها مطر ، وتكون فيها جُدُوبة ويُبْس وشدّة . قال ذو الرِّمّة يصف إبلا :

طَوى النَّحْزُ والأَجْرازُ مافى بُطونها　　　فما بقيتْ إلا الضّلوعُ الجَراشعُ

وهذا البيت فى قصيدة له :

حول سورة الكهف

قال ابن إسحاق : ثم استقبل قصّة الخبر فيما سألوه عنه من شأن الفِتْية ، فقال : ﴿أمْ حَسِبْتَ أنّ أصحابَ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَبا﴾ :

أى : قد كان من آياتى فيما وضعت على العباد من حُجَجى ما هو أعجب من ذلك .

قال ابن هشام : والرقيم : الكتاب الذى رُقِم فيه بخبرهم ، وجمعه : رُقُم . قال العجّاج :

ومُسْتَقَرُّ المُصْحَفِ المُرَقَّمِ

وهذا البيت فى أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : ﴿إِذْ أَوَى الفِتْيَةُ إِلى الكَهْفِ فَقالُوا : رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ، وَهَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً ، فَضَرَبْنا على آذانِهِمْ فِى الكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً . ثُمَّ بَعَثْناهُمْ : لِنَعْلَمَ أَىُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِما لَبِثُوا أَمَداً﴾ . ثم قال تعالى : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بالحَقِّ﴾ : أى : بصدق الخبر عنهم : ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ، وَزِدْناهُمْ هُدًى ، وَرَبَطْنا على قُلُوبِهِمْ إِذْ قامُوا ، فَقالُوا : رَبُّنا رَبُّ السَّمٰواتِ والأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلٰهاً ، لَقَدْ قُلْنا إِذاً شَطَطاً﴾ : أى لم يشركوا بى كما أشركتم بى ما ليس لكم به علم .

قال ابن هشام : والشطط : الغلو ومجاوزة الحق . قال أعشى بنى قَيْس ابن ثعلبة :

لا يَنْتهون ، ولا يَنْهَى ذَوِى شَطَط كالطَّعْنِ يذهبُ فيه الزيتُ والفُتُلُ

وهذا البيت فى قصيدة له .

. . . .

﴿هَؤُلاءِ قَوْمُنا اتَّخذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ﴾ .

قال ابن إسحاق : أى بحجة بالغة .

﴿ فَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى على اللهِ كَذِبا . وإذِ اعْتَزَلْتُموهُمْ ، وما يَعْبُدونَ إلا اللهَ ، فأْوُوا إلى الكَهْفِ ، يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَته ، ويُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أمْرِكُمْ مِرْفَقا . وَتَرَى الشَّمْسَ إذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذاتَ اليَمِينِ ، وَإذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُم ذَاتَ الشِّمالِ ، وَهُمْ فى فَجْوَةٍ مِنْهُ » .

قال ابن هشام : تزاور : تميل ، وهو من الزَّوَر : وقال امرؤ القيس بن حُجْر :

وإنى زَعيمٌ إن رجعتُ مُمَلَّكا   بسَيْرٍ ترى منه الفُرانِقَ أزْوَرا

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال أبو الزّحف الكُليبى يصف بلداً :

جَأْبُ المُنَدَّى عن هَوانا أزْوَرُ   يُنْضِى المَطايا خِمْسُه العَشَنْزَرُ

وهذان البيتان فى أرجوزة له . و « تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمالِ » : تجاوزهم وتتركهم عن شمالها . قال ذو الرمة :

إلى ظُعُنٍ يَقْرِضْن أقْوازَ مُشْرفٍ   شِمالاً وعن أيمانهنّ الفوارسُ

وهذا البيت فى قصيدة له . والفجوة : السَّعة ، وجمعها : الفِجاء قال الشاعر :

أَلَبِسْتَ قومَكَ مَخزاةً ومَنْقَصةً حتى أُبيحوا ، وخَلَّوْا فجوةَ الدارِ

« ذلكَ مِنْ آياتِ اللهِ » أى فى الحجة على مَنْ عَرَف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب ، ممَّن أمر هؤلاء بمسألتك عنهم فى صِدْق نبوَّتك بتحقيق الخبر عنهم . ﴿ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً . وتَحْسَبُهُمْ أيْقاظا وَهُمْ رُقُودٌ ، وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ اليَمِينِ ، وَذَاتَ الشِّمالِ وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ » .

قال ابن هشام : الوصيد : الباب . قال العَبْسى ، واسمه : عُبَيْد بنُ وَهْب :

بأرضِ فَلاةٍ لا يُسَدُّ وَصِيدُها عَلَيَّ ، ومَعْروفى بها غيرُ مُنْكَرِ

وهذا البيت فى أبيات له . والوصيد أيضا : الفِناء ، وجمعه : وصائد ، ووُصُد ، ووُصْدان ، وأُصُد ، وأُصْدان .

﴿ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً ، ولَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبا ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا على أمْرِهِمْ ﴾ أهل السلطان والملك منهم: ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدا سَيَقُولُونَ ﴾ يعنى: أحبار يهود الذين أمروهم بالمسألة عنهم : ﴿ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْما بالغَيْبِ) أى: لا علم لهم (وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّى أعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ما يَعْلَمُهُمْ إلاَّ قَلِيلٌ ، فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إلاَّ مِرَاءً ظَاهِرا ﴾ : أى : لا تكابرهم . ﴿ وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أحَداً ﴾ فإنهم لا علم لهم بهم . ﴿ ولا تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ : إنى فاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إلاَّ أنْ يَشاءَ اللهُ ، وَاذْكُرْ

. . . .

رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ، وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ : أى : ولا تقولنّ لشىء سألوك عنه كما قلت فى هذا : إنى مخبركم غداً . واستثن مشيئة الله ، واذكر ربك إذا نسيت ، وقل : عسى أن يهدين ربى لخير مما سألتمونى عنه رشداً ، فإنك لاتدرى ما أنا صانع فى ذلك . ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ : أى : سيقولون ذلك . ﴿ قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ، لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ ، وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ أى لم يخف عليه شىء مما سألوك عنه .

وقال فيما سألوه عنه من أمر الرجل الطواف : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ : سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا . إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ ، وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ الكهف : ٨٣ حتى انتهى إلى آخر قصة خبره .

وكان من خبر ذى القرنين أنه أوتى ما لم يؤت أحدٌ غيره فمُدّت له الأسبابُ ، حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها ، لا يطأ أرضا إلا سُلط على أهلها ، حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراءه شىء من الخلق .

قال ابن إسحاق : حدثنى من يسوق الأحاديث عن الأعاجم ، فيما توارثوا من علمه : أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر ، اسمه : مَرْزُبان بن مَرْذَبة اليونانى ، من ولد يونان بن يافث بن نوح .

. . . .

قال ابن هشام : واسمه : الإسكندر ، وهو الذى بنى الإسكندرية ، فنسبت إليه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى ثَوْر بن يزيد عن خالد بن مَعْدان الكَلاعى وكان رجلاً قد أدْرك أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سُئِل عن ذى القرْنين ، فقال : مَلِك مَسَح الأرض من تحتها بالأسباب .

وقال خالد : سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقول : يا ذا القرنَين ، فقال عمر : اللهمَّ غَفْراً ، أما رَضِيتم أن تَسَمَّوْا بالأنبياء حتى تَسَمَّيتم بالملائكة ؟!

قال ابن إسحاق : والله أعلم أىّ ذلك كان ، أقال ذلك رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم ، أم لا ؟ فإن كان قاله ، فالحق ما قال .

أسباب نزول بعض الآيات وعن الروح :

وقال تعالى فيما سألوه عنه من أمر الروح : ﴿ ويَسْأَلُونَكَ عَنِ الروح ، قُلِ : الرُّوحُ مِنْ أمْرِ رَبى ، وما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلا قَليلاً ﴾ الإسراء : ٨٥ .

قال ابن إسحاق : وحُدِّثت عن ابن عبَّاس ، أنه قال : لما قدم رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — المدينةَ ، قالت أحبارُ يَهود : يا محمد ، أرأيتَ قولَك : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلا قليلا ﴾ إيانا تريد ، أم قومك ؟ قال : كُلاًّ ، قالوا : فإنك تتلو فيما جاءك : أنَّا قَدْ أُوتينا التَّوْرَاة فيها بَيان كُلِّ شَىْء . فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : إنها فى عِلْم الله قليل ، وعندكم فى ذلك ما يكفيكم

لو أقمتموه . قال : فأنزل الله تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك : ﴿ وَلَوْ أَنَّ ما فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ ، وَالبَحْرُ يَمُدُّه من بَعْدِه سَبْعَةُ أبحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ الله ، إنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ لقمان: ٢٧ : أى : إن التوراة فى هذا من علم الله قليل .

عن تسيير الجبال وبعث الموتى :

قال : وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومُه لأنفسهم من تَسْيير الجبال ، وَتَقْطِيع الأرض ، وَبَعْث مَنْ مَضَى من آبائهم من الموتى : ﴿ وَلَو أَنَّ قُرآنا سُيِّرَتْ به الجبال ، أو قُطِّعَت به الأرض ، أو كُلِّمَ به الموتى ، بل لله الأَمْرُ جَمِيعا ﴾ أى : لا أصنع من ذلك إلا ماشئت .

وأنزل عليه فى قولهم : خُذْ لنفسك ، ماسألوه أن يأخذ لنفسه ، أن يجعل له جنانا وقُصوراً وكُنوزاً ، ويبعَث معه ملَكا يصدّقه بما يقول ، ويردّ عنه : ﴿ وقالُوا : ما لِهَذا الرَّسُول يَأْكُلُ الطَّعامَ ، ويمشى فى الأَسْوَاق ؟ لَوْلا أُنزل إِلَيْه مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً ، أَوْ يُلْقَى إِلَيْه كَنزٌ ، أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يأْكُلُ مِنْها ، وقال الظَّالِمُونَ : إنْ تَتَّبِعُونَ إلا رَجُلاً مَسْحُوراً انظُر : كَيْفَ ضَرَبُوا لك الأَمْثالَ ، فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعون سَبِيلاً ، تبارَكَ الذى إنْ شاءَ جعَل لك خَيراً مِنْ ذلك ﴾ : أى من أن تمشى فى الأسواق وتلتمس المَعاش ﴿ جَنات تَجْرى مِنْ تحتها الأنهارُ ، ويجعَلْ لكَ قُصُوراً ﴾ الفرقان ٧ : ١٠ .

وأنزل عليه فى ذلك من قولهم : ﴿ومَا أرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرسَلِينَ إلا إنهم لَيأْكُلُونَ الطَّعامَ ، ويمشُون فى الأسْوَاق ، وَجَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ، أتَصْبِرُونَ وكان ربُّكَ بَصيراً﴾ الفرقان : ٢٠ أى جعلت بعضكم لبعض بلاء ، لتصبروا ، ولوشئتُ أن أجعل الدنيا مع رُسلى فلا يُخالَفوا لفعلت .

وأنزل الله عليه فيما قال عبد الله بن أبى أمية : ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حتى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأرْض يَنْبُوعا : أوْ تَكُونَ لك جَنة مِنْ نَخيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأنهارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً . أوْ تُسْقِطَ السَّماء كما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً ، أوْ تأْتِىَ بالله وَالمَلائكة قَبِيلاً . أوْ يكُونَ لك بَيْتٌ مِنْ زُخْرُف أوْ تَرْقَى فى السَّماء ، وَلَنْ نُؤْمن لِرُقِيِّكَ . حتى تُنزِّل عَلَيْنا كتابا نَقْرؤُهُ . قُلْ : سُبحان ربى . هَلْ كُنْتُ إلا بَشَراً رَسُولاً﴾ . الإسراء : ٩٠ — ٩٥ .

قال ابن هشام : الينبوع : ما نبع من الماء من الأرض وغيرها . وجمعه ينابيع . قال ابن هَرْمَة . واسمه : إبراهيم بن عبد الله الفِهْرىّ .

وإذا هَرَقْتَ بكلّ دارٍ عَبْرةً نُزِفَ الشُّئونُ . ودَمْعُكَ اليَنبوعُ

وهذا البيت فى قصيدة له . والكِسَف القِطَع من العذاب . وواحدته : كِسْفَةٌ . مثل سِدْرة وسدر . وهى أيضا : واحدة الكِسَف . والقَبيل : يكون مقابلة ومعاينة . وهو كقوله تعالى : ﴿أوْ يَأْتِيَهُمُ العَذَابُ قُبُلاً﴾ : أى : عيانا . وأنشدنى أبو عُبيدة لأعشى بنى قَيْس بنى ثعلبة :

أُصالحكم ، حتى تبوءوا بِمثْلِها كصَرْخة حُبْلَى يسَّرتْها قَبيلُها

يعنى : القابلة ؛ لأنها تُقابلها ، وتَقبل ولدها . وهذا البيت فى قصيدة له . ويقال القبيل : جمعه قُبُل ، وهى الجماعات ، وفى كتاب الله تعالى : ﴿ وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً ﴾ . الأنعام : ١١١ فقُبل : جمع قَبيل ، مثل سُبل : جمع سَبيل وسُرر : جمع سرير ، وقُمص : جمع قميص . والقَبيل أيضا : فى مَثَل من الأمثال وهو قولهم : ما يعرف قَبيلاً من دَبِير : أى : لا يعرف ما أقبل ممَّا أدبر ، قال الكُميت بن زيد :

تفرَّقت الأمُـــورُ بِوِجْهَتَيْهِم ... فمَا عرَفوا الدَّبير من القَبيل

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال : إنما أريد بهذا : الفتل ، فما فُتِل إلى الذراع فهو القَبيل ، وما فُتل إلى أطراف الأصابع فهو الدَّبير ، وهو من الإقبال والإدبار الذى ذكرتُ . ويقال : فَتْلُ المِغْزَل . فإذا فُتل إلى الركبة فهو القَبيل ، وإذا فُتِل إلى الوَرِك فهو الدَّبير . والقَبيل أيضا : قومُ الرجل . والزخرف : الذهب . والمزخرف : المزين بالذهب . قال العجاج :

مِنْ طَلَلٍ أمْسى تخال الْمُصْحَفَا ... رُسومَه والْمُذْهَب المُزَخرَفا

وهذان البيتان فى أرجوزة له ، ويقال أيضا لكلّ مُزَيَّن : مُزخرف .

قال ابن إسحاق : وأُنزل عليه فى قولهم : إنا قد بَلَغَنا أنك إنما يُعلّمك رجل باليمامة . يقال له : الرحمن . ولن نؤمن به أبداً : ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِى أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ . وَهُمْ

. . . .

يَكْفُرُونَ بالرَّحمنِ . قُلْ : هُوَ رَبى . لا إلَهَ إلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ . وَإلَيْه مَتاب ﴾ . الرعد : ٣٠ .

وأنزل عليه فيما قال أبو جَهْل بن هشام ـ لعنه الله ـ وما همّ به : ﴿ أرأيْتَ الذي يَنْهَى عَبْداً إذا صَلى ، أرأيْتَ إنْ كانَ على الهُدَى أوْ أمَرَ بالتَّقْوى ، أرأيْتَ إنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ، ألَمْ يَعْلَمْ بأنَّ اللهَ يَرَى ، كَلاَّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بالنَّاصِيَةِ ، ناصِيَةٍ كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ ، فَلْيَدْعُ نادِيَهُ ، سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ ، كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ سورة العلق .

قال ابن هشام : لَنَسفعاً : لنجذبن ، ولنأخذن . قال الشاعر :

قومٌ إذا سَمِعوا الصُّراخ رأيتَهم ... من بين مُلْجِم مُهْرِه أو سافِع

والنادى : المجلس الذى يجتمع فيه القومُ ، ويقضُّون فيه أمورَهم ، وفى كتاب الله تعالى : ﴿ وتَأْتُونَ في نادِيكُمُ المُنْكَرَ ﴾ العنكبوت : ٢٩ وهو النَّدِيُّ . قال عَبيد بن الأبرص:

اذهب إليك فإنى من بنى أسَد ... أهل النَّدِيِّ ، وأهل الجُرْد والنادِى

وفى كتاب الله تعالى : ﴿ وأحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ مريم . ٧٣ . وجمعه : أنْدية . يقول: فَلْيَدْعُ أهل ناديه . كما قال تعالى : ﴿ واسْئَلِ القَرْيَةَ ﴾ يوسف : ٨٢ يريد أهل القرية . قال سلامة بن جَنْدَل ، أحدُ بنى سَعْد بن زيد مَناة بن تميم :

يَوْمانِ : يومُ مَقامات ، وأنديةٍ ... ويومُ سَيْرٍ إلى الأعداء تأويب

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال الكُمَيت بن زَيْد :

لا مَهَاذِيرَ فى النَّدِىِّ مكاثيرَ ولا مُصْمِتِين بالإفْحَامِ

وهذا البيت فى قصيدة له . ويقال : النادى : الجلساء . والزبانية : الغلاظ الشِّداد، وهم فى هذا الموضع : خَزَنة النار . والزَّبَانية أيضاً فى الدنيا : أعوانُ الرجل الذين يخدمونه ويُعينونه ، والواحد : زِبْنِيَة . قال ابن الزِّبَعْرَى فى ذلك :

مَطاعيمُ فى المَقْرَى ، مَطاعينُ فى الوَغَى
زَبَانيةٌ غُلْبٌ ، عِظامٌ حُلُومُها

يقول : شِدَادٌ . وهذا البيت فى أبيات له . وقال صَخْر بن عَبْد الله الهُذلىّ ، وهو صَخْر الغَىّ :

وَمِنْ كَبِيرٍ نَفَرٌ زَبانِيَهْ

وهذا البيت فى أبيات له .

قال ابن إسحاق : وأنزل اللهُ تعالى عليه فيما عَرَضوا عليه من أموالهم : ﴿ قُلْ : ما سألْتُكُمْ مِنْ أجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ، إنْ أجْرِىَ إلاّ على الله ، وَهُوَ على كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ . سبأ : ٤٧ ﴾ .

فلما جاءهم رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما عرَفوا من الحق ، وعرَفوا صِدْقه فيما حدث ، ومَوْقع نُبوّته فيما جاءهم به من علم الغُيوب حين سألوه عمّا

. . . .

سألوا عنه ، حال الحسدُ منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه فعتَوْا على الله وتركوا أمرَه عيانا ، ولَجُّوا فيما هم عليه من الكفر ، فقال قائلهم : لا تَسْمَعُوا لهذا القرآن والغَوْا فيه لعلكم تَغْلبون ، أى : اجعلوه لغواً وباطلا ، واتخذوه هُزواً لعلكم تَغْلبونه بذلك ، فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه يوما غَلَبكم .

فقال أبو جهل يوما — وهو يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الحق : يا معشر قريش ، يزعمُ محمدٌ أنَّ جنود الله الذين يعذبونكم فى النَّار ، ويَحْبسونكم فيها تسعةَ عشر ، وأنتم أكثر الناس عدداً ، وكَثْرَةً ، أفَيعجِزُ كلُّ مائةِ رجلٍ منكم عن رجل منهم ؟ فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك من قوله : ﴿ وماَ جَعَلْنا أصحاَبَ النَّارِ إلاّ مَلائِكَةً ، وماَ جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إلاّ فِتْنَةً لِلّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . المدثر : ٣١ إلى آخر القصة ، فلما قال ذلك بعضُهم لبعض ، جعلوا إذا جهر رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – بالقرآن وهو يصلى ، يتفرقون عنه ، ويأبون أن يَسْتمعوا له ، فكان الرجلُ منهم إذا أراد أن يَسْتمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو من القرآن ، وهو يُصلى ، استرق السمعَ دونهم فرَقا منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يَسْتمع منه ذهب خَشْية أذاهم ، فلم يستمع ، وإن خَفَض رسولُ الله — صلى الله عليه عليه وسلم — صوتَه ، فظن الذى يستمع أنهم لا يستمعون شيئاً من قراءته ، وسمع هو شيئاً دونهم أصاخ له يَسْتمع منه .

قال ابن إسحاق : حدثنى داود بن الحُصَين ، مولى عمرو بن عثمان ، أن عِكْرمة مولى ابن عبَّاس حدثهم أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما حدثهم :

. . . .

إنما أنزلت هذه الآية : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بين ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء : ١١٠ . من أجل أولئك النفر . يقول : لا تجهر بصلاتك فيتفرّقوا عنك ، ولا تخافت بها ، فلا يَسْمعها مَنْ يُحبُّ أن يَسْمعها ممّن يَسْتَرق ذلك دونهم ، لعله يَرْعَوى إلى بعض ما يسمع ، فينتفع به .

أول صحابى جهر بالقرآن :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عروة بن الزّبير ، عن أبيه ، قال : كان أوّلَ من جَهر بالقرآن بعد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بمكة عبدُ الله ابن مَسْعود رضى الله عنه ، قال : اجتمع يوما أصحابُ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقالوا : والله ما سمعتْ قريشٌ هذا القرآن يُجْهر لها به قطُّ ، فمَنْ رجُل يُسْمعهموه ؟ فقال عبد الله بن مَسْعود : أنا ، قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرةٌ يمنعونه من القوم إن أرادوه ، قال : دَعُونِى فإن الله سيَمْنَعنى . قال : فغدا ابن مَسْعود حتى أتى المَقام فى الضّحى ، وقريشٌ فِى أنْديتها حتى قام عند المَقام ثم قرأ : ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ رافعا بها صوته ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ قال : ثم استقبلها يقرؤها . قال : فتأملوه فجعلوا يقولون ماذا قال ابنُ أُمّ عبدٍ ؟ قال : ثم قالوا : ليَتْلو بعض ما جاء به محمدٌ ، فقاموا إليه ، فجعلوا يَضْربون فى وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ . ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثّروا فى وجهه ، فقالوا له : هذا الذى خَشِينا عليك فقال : ما كان أعداء الله أهونَ على منهم الآن ، ولئن شئْتم لأغادينَّهم بمثلها غداً ، قالوا : لا ، حَسْبُك ، قد أسمعتَهم ما يكرهون .

. . . .

. . . .

مالقى رسول الله (ص) من قومه :

فصل : فيما لقى رسول الله صلى عليه وسلم من قومه ، ذكر ابن إسحاق والواقدى والتَّيْمِى ، وابن عُقْبَةَ وغيرهم فى هذا الباب أموراً كثيرةً تتقارب ألفاظها ومعانيها ، وبعضهم يزيد على بعض ، فمنها حَثْوُ سفهائهم الترابَ على رأسه ، ومنها أنهم كانوا يَنْضِدُون[١] الْفَرْثَ والأفحَاث والدماَء على بابه ، ويطرحون رحم الشاة فى بُرْمَتِه ، ومنها : بَصْقُ أُميَّة بن خلف فى وجهه ، ومنها : وطء عقبة بن أبى مُعَيْط[٢] على رقبته ، وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان ، ومنها أخذُهم بِمُخَنَّقِهِ حين اجتمعوا له عند الحِجْر ، وقد ذكره ابن إسحاق ، وزاد غيره الخبر أنهم خنقوه خنقاً شديداً وقام أبو بكر دونه فَجَبَذُوا

---

(١) ينضدون : يضعون بعضه فوق بعض ، والأفحاث جمع الفحث — بسكون الحاء وكسرها — شيء متصل بالكرش ذو أطباق وأجواف، والفرث ما فى داخل الكرش

(٢) قتل بعد بدر ، وقيل : قتل صبرا مع النصر فى بدر وقد روى البخارى فى كتاب خلق أفعال العباد . وأبويعلى وابن حبان عن عمرو بن العاصى : « مارأيت قريشا أرادوا قتل النبى - صلى الله عليه وسلم — إلا يوم أغروا به وهم فى ظل الكعبة جلوس ، وهو يصلى عند المقام ، فقام إليه عقبة ، فجعل رداءه فى عنقه ، ثم جذبه ، حتى وجب لركبتيه ، وتصايح الناس ، وأقبل أبو بكر يشتد حتى أخذ بضبع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ورائه ، وهو يقول : أتقتلون رجلا أن يقول : ربى الله ، ثم انصرفوا عنه ، فلما قضى صلاته ، مربهم ، فقال : والذى نفسى بيده ما أرسلت إليكم إلا بالذبح ، فقال له أبو جهل : يا محمد ما كنت جهولا ، فقال : أنت منهم »

. . . .

رأسه ولحيته حتى سقط أكثرُ شَعره ، وأما السَّبُّ والهَجْو والتلقيب وتعذيب أصحابه وأحبائه ، وهو ينظر ، فقد ذكر من ذلك ابن إسحاق ما فى الكتاب ، وقد قال أبو جهل لسُمَيَّة أمّ عمّار بن ياسر: ما آمنتِ بمحمد إلا لأنك عَشِقْتِه لجماله ، ثم طعنها بالحربة فى قُبُلها حتى قتلها ، والأخبار فى هذا المعنى كثيرة.

السبب في تلقيبه بالمدثر والنذير العريان :

وذكر ابن إسحاق قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: «دَثِّرُونى دَثِّرُونى» فأنزل الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾[1] قال بعض أهل العلم : فى تسميته إياه

(١) ذكر فى أسباب نزول هذه الآيات — روايتان . أما الأولى : فعن يحيى قال : سألت أبا سلمة رضى الله عنه : أى القرآن أنزل أول ؟ فقال : يأيها المدثر . قلت : أنبئت :أنه اقرأ باسم ربك ، فقال : لا أخبرك إلا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : جاورت فى حراء ، فلما قضيت جوارى هبطت ، فاستبطنت الوادى ، فنوديت ، فنظرت أمامى وخلفى وعن يمينى ، وعن شمالى فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض ، فأتيت خديجة ، فقلت : دثرونى ، وصبوا على ماء باردا ، ففعلوا ، وأنزل على :يأيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

أما الرواية الأخرى فعن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما قال : سمعت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يحدث عن فترة الوحى ، فقال فى حديثه : « فبينا أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء ، فرفعت رأسى ، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض ، فجئثت منه رعبا ، فرجعت فقلت : زملونى ، فدثرونى ، فأنزل الله تعالى: يأيها المدثر — إلى — والرجز فاهجر قبل أن تفرض الصلاة. البخارى ومسلم والإمام أحمد . والروايتان عن جابر بن عبدالله .

وذكر الطبرانى رواية ثالثة بسند ضعيف عن ابن عباس قال : إن الوليد ابن المغيرة صنع لقريش طعاما ، فلما أكلوا منه قال: ما تقولون فى هذا الرجل؟

. . . .

بالمدَّثِّرِ فى هذا المقام مُلاَطَفَةٌ وتأنيسٌ ، ومن عادة العرب إذا قصدت الملاطفة أن تسمى المخاطَب باسم مُشْتَقٍّ من الحالة التى هو فيها ، كقوله عليه السلام لحذيفة: قم يا نَوْمان ، وقوله لعلى بن أبى طالب — وقد تَرِبَ جنبُهُ: قم أبا تُرَابٍ (١) فلو ناداه سبحانه، وهو فى تلك الحال من الكرب باسمه، أو بالأمر المجرد من هذه الملاطفة لَهَالَهُ ذلك ، ولكن لما بدىء: يأيها المدثر أَنِسَ ، وعلم أن ربه راض عنه ، ألا تراه كيف قال عندما لقى من أهل الطائف من شدة البلاء والكرب مالقى : رَبِّ إن لم يكن بك غَضَبٌ عَلَىَّ فلا أُبالى (٢) إلى آخر الدعاء ، فكان مطلوبُهُ رضا ربه ، وبه كانت تهون عليه الشدائد. فإن قيل : كيف ينتظم يأيها المدثر مع قوله : قم فأنذر ، وما الرابط بين المعنيين ، حتى يلتئما فى قانون البلاغة ، ويتشا كلا فى حكم الفصاحة ؟ قلنا: من صفته عليه السلام ما وَصَفَ به نفسَه حين قال : أنا النذير العُرْيان ، وهوَ مَثَلٌ معروف عند العرب ، يقال لمن أَنْذَرَ بقرب

= فقال بعضهم : ساحر . وقال بعضهم: ليس بساحر ، وقال بعضهم : كاهن ، وقال بعضهم : ليس بكاهن ، وقال بعضهم : شاعر ، وقال بعضهم : ليس بشاعر ، وقال بعضهم : بل سحر يؤثر ، فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر ، فبلغ ذلك النبى — صلى الله عليه وسلم — فحزن ، وقنع رأسه ، وتدثر ، فأنزل الله تعالى : (يأيها المدثر قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر) وأخرجه البزار بنحوه عن جابر .

(١) كان على رضى الله عنه قد غاضب فاطمة ، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم منزل فاطمة ، وعلم بهذا ، أرسل من يبحث عنه ، فجاء ، فأخبره أنه فى المسجد ، فجاءه رسول الله «ص» وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب . فجعل رسول الله «ص» يمسحه عنه ، ويقول : قم أبا التراب ، قم أبا التراب .. مختصر من حديث رواه الشيخان .

(٢) من حديث رواه الطبرانى فى الكبير عن عبد الله بن جعفر .

. . . .

العدو ، وبالغ فى الإنذار ، وهو النذير العُرْيان[1] ، وذلك أن النذير الجادَّ يُجرِّد ثوبه ، ويُشير به إذا خاف أن يسبق العَدوُّ صوتَه ، وقد قيل : إن أصل المثل لرجل من خَثْعَم سلَبه العدوُّ ثوبَه ، وقطعوا يده ، فانطلق إلى قومه نذيراً على تلك الحال ، فقوله عليه السلام : أنا النذير العريان أى : مثلى مثل ذلك ، والتدثر بالثياب مُضادٌّ للتَّعرِّى ، فكان فى قوله : (يأيها المدثر) مع قوله : (قم فأنذر) والنذيرُ الجادُّ يسمى: العُرْيان : تشاكلٌ بَيِّنٌ ، والتئام بديعٌ وسَمَاقة فى المعنى ، وجَزَالة فى اللفظ .

تقديم المفعول على الفعل :

وقوله بعد هذا : (ورَبَّك فَكَبِّر) أى : ربك كبر ، لا غيره لا يَتكبَّر عليك شىء من أمر الخلق ، وفى تقديم المفعول على فعل الأمر إخلاصٌ ، ومثله قوله: إيَّاكَ نَعْبُدُ [وإياك نستعين] أى : لا نعبد غيرك [ولا نستعين إلا بك][2] ، ولم يَقُل: نعبدك ونستعينك ، وفى الحديث: إذا قال العبد : إياك نعبد، وإياك نستعين ، يقول الله تعالى: أخلص لى عبدى العبادةَ ، واستعان نى عليها، فهذه بينى وبين عبدى[3] .

---

(١) روى الصحيحان قول النبى «ص» : « إنما مثلى ، ومثل ما بعثنى الله كمثل رجل أتى قومه ، فقال : يا قوم : إنى رأيت الجيش بعينى ، وإنى أنا النذير العريان ، فالنجاء النجاء ، فأطاعته طائفة من قومه ، فأدلجوا ، وانطلقوا على مهلهم ، فنجوا ، وكذبته طائفة منهم ، فأصبحوا مكانهم ، فصبحهم الجيش ، فأهلكهم ، واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعنى ، واتبع ما جئت به ، ومثل من عصانى ، وكذب ما جئت به من الحق » وانظر مجمع الأمثال

(٢) الزيادة يقتضيها سياق الكلام .

(٣) فى رواية مسلم : « وإذا قال: إياك نعبد ، وإياك نستعين، قال: هذا بينى وبين عبدى ، ولعبدى ما سأل »

. . . .

عتبة بن ربيعة والرَّئى :

فصل : وذكر قول عتبة : إن كان هذا رَئِيًّا تراه . ولغةُ بنى تميم : رِئىّ بكسر الراء ، وكذلك يقولون فى كل فعيل عين الفعل منه همزة ، أو غيرها من حروف الحَلْق ، يكسرون أوله،مثل : رحيم وشهيد والرَّئىُّ : فَعِيل بمعنى مَفْعول (١) ، ولا يكون إلا من الجِن ، ولا يكون فَعِيل بمعنى مفعول فى غير الجن . إلا أن يؤثر فيه الفِعْل نحو : جريح وقتيل وذبيح وطحين ، ولا يقال من الشكر : شكير ، ولا ذكرته فهو ذكير ، ولافيمن لُطم : لطيم إلا أن تغير منه اللطمة ، كما قالوا : لطيم الشيطان. قال ابن الزبير حين قُتل عَمْروُ بن سعيد الأشْدَق [ابن العاص] (٢) : ألاَ إن أبا ذِبَّانَ قتل لطيمَ الشيطان : ﴿كذلك نُوَلِّى بعضَ الظالمين بَعْضاً بما كانوا يكسبون﴾ الأنعام : ٢٩ . وقالوا من الحمد : حميد . ذهبوا به مذهب كريم ، وكذلك قالوا فى الجن : رَئِىّ ، وإن كانت الرؤيا لا تؤثر فى المَرْئِىِّ ؛ لأنهم ذهبوا به مذهب قرين ونَجِىّ .

---

(١) وعن اللحيانى : رئى بكسر الراء — إذا كان يحبه ويؤالفه ، وفى اللسان كذلك : هو فعيل أو فعول سمى به لأنه يتراءى لمتبوعه ، أو هو من الرأى من قولهم : فلان رئى قومه بفتح الراى وكسر الهمزة وتضعيف الياء ، إذا كان صاحب رأيهم . وحروف الحلق هى حروف الهجاء التى تخرج من الحلق عند النطق ، وهى الهمزة والحاء والخاء والعين والغين والهاء .

(٢) الذى قتله عبد الملك بن مروان ، وكان الأشدق يلقب بلطيم الشيطان فلما بلغ ابن الزبير مقتله ، وهو بمكة صعد المنبر ، وقال ماذكره السهيلى ، وأبو ذبان بكسر الذال وتشديد الباء مع فتح كنية لعبد الملك بن مروان . وقد كنى بها لشدة بخره ، وموت الذبان إذا دنت من فيه (ص ٧٩ الاشتقاق لابن دريد وتعليقاته للأستاذ عبد السلام هارون »

(٣) عن قصة عتبة روى عبد ابن حميد فى مسنده عن ابن أبى شيبة بسنده عن

. . . .

جابر وأبو يعلى أيضا بسنده عن جابر : (اجتمعت قريش يوما . فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر ، فليأت هذا الرجل الذى قد فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعاب ديننا ، فليكلمه ولننظر ماذا يرد عليه ، فقالوا : ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعه ، فقالوا : أنت يا أبا الوليد ، فأتاه عتبة . فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله «ص» فقال : أنت خير أم عبدالمطلب ؟ فسكت رسول الله «ص» فقال : إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك ، فقد عبدوا الآلهة التى عبت ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم ، فتكلم حتى نسمع قولك ، وإنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعبت ديننا ، وفضحتنا فى العرب حتى لقد طار فيهم أن فى قريش ساحرا وأن فى قريش كاهنا ، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى . أيها الرجل ، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا ، وأخذا ، وإن كان إنما بك من الباءة ، فاختر أى نساء قريش شئت ، فلنزوجك عشرا . فقال رسول الله « ص » فرغت ؟ قال : نعم ، فقرأ رسول الله « ص » من أول سورة فصلت إلى قوله سبحانه : (فإن أعرضوا فقل : أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فقال عتبة : حسبك حسبك ماعندك غير هذا ؟ فقال رسول الله «ص» لا . فرجع إلى قريش ، قالوا : ماوراءك . قال : ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمون به إلا كلمته قالوا : فهل أجابك ؟ قال : نعم والذى نصبها بنية مافهمت شيئا مما قاله ، غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . قالوا : ويلك يكلمك الرجل بالعربية لاتدرى ماقال ؟! قال : لا والله مافهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة ، وقد ساقه البغوى بسنده عن محمد بن فضيل عن الأجلح وهو ابن عبد الله الكندى الكوفى ، وقد ضعف بعض الشىء عن الزبال بن حرملة عن جابر ، فذكر الحديث إلى قوله « فإن أعرضوا » فأمسك عتبة على فيه ، وناشده بالرحم ، ورجع إلى أهله ، ولم يخرج إلى قريش ، واحتبس عنهم ، فقال أبو جهل : يا معشر قريش والله مانرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد ، وأعجبه طعامه ، وماذاك إلا من حاجة

. . . .

إسلام حمزة :

فصل : وذكر إسلام حمزةَ ، وأمُّه : هالةُ بنت أُهَيب بن عبد مناف بن زُهرة ، وأُهَيبٌ : عمُّ آمنه بنت وهب تزوجها عبدُ المطلب ، وتزوج ابنهُ عبدُ الله آمنة في ساعةٍ واحدة ، فولدت هالةُ لعبد المطلب حمزة . وولدت آمنةُ لعبد الله رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم أرضعتهما ثُوَيْبَةُ كما تقدم ، وزاد غير

= أصابته ، فانطلقوا بنا إليه ، فانطلقوا إليه ، فقال أبو جهل : يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك صبأت إلى محمد ، وأعجبك طعامه ، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا مايغنيك عن طعام محمد ، فغضب عتبة ، وأقسم ألا يكلم محمدا أبداً . وقال : والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا ، ولكنى أتيته ، وقصصت عليه القصة ، فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ، ولا كهانة ، ولا سحر . وقرأ السورة إلى قوله تعالى : (فإن أعرضوا . .) فأمسكت بفيه ، وناشدته بالرحم أن يكف ، وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب ، فخشيت أن ينزل بكم العذاب ، وسياق ابن إسحاق أشبه .

(١) حمزة هو أخو النبي «ص» من الرضاعة أرضعتهما ـ كما سيذكر السهيلي ـ ثويبة مولاة أبي لهب ، وقد ثبت هذا في الصحيحين . وقد أسلم حمزة في الثانية أو الثالثة ـ كما في الإصابة والاستيعاب ـ أو في السادسة كما ذكر ابن الجوزي .

(١) في الإصابة أنه ولد قبل النبي بأربع ، ولايشكل هذا مع حديث الأخوة من الرضاعة إذ يمكن القول بأنها أرضعتهما في زمنين مختلفين . وكنيته : أبو عمارة بابن له من امرأة من بني النجـــار ، وقيل : هي بنت له ، وقيل : كنيته أبو يعلى الذي قيل إنه لم يعش له ولد سواه . وفي ابن هشام أن التي كلمته هي مولاة عبد الله بن جدعان . وعند غيره أن صفية أخته هي التي كلمته . ولا منافاة فعند ابن أبي حاتم : أخبرته امرأتان .

. . . .

ابن إسحاق فى إسلام حمزة أنه قال : لما احتملنى الغضب ، وقلت : أنا على قوله ، أدركنى الندم على فراق دين آبائى وقومى ، وبت من الشَّكِّ فى أمر عظيم لا أكتحل بنوم ، ثم أتيت الكعبة ، وتضرعت إلى الله سبحانه أن يشرح صدرى للحق ، ويذهب عنى الريب(١) فما اسْتَتْمَمْتُ دعائى حتى زَاحَ عنى الباطِلُ ، وامتلأ قلبى يقينا — أو كما قال — فغدوت إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما كان من أمرى ، فدعا لى بأن يُثَبِّتَنِى الله ، وقال حمزة بن عبد المطلب حين أسلم :

حَمِدْتُ اللهَ حين هَدى فُؤَادى إلى الإسلامِ والدينِ الحَنِيفِ
لِدين جاء من رَبٍّ عزيزٍ خبيرٍ بالعبادِ بهم لطيفِ
إذا تُلِيتْ رسائِلُهُ علينا تحدَّر دمعُ ذى اللُّبِّ الحَصيفِ
رسائلُ جاء أحمدُ مِن هداها بآياتٍ مُبَيَّنَةِ الحُرُوف
وأحمد مُصْطَفَى فينا(٢) مطاعٌ فلا تَغْشَوْه بالقول العنيف
فَلا واللهِ نُسلِمه لقوم ولَمَّا نَقْضِ فيهم بالسيوف
ونترك منهم قَتْلى بقاعٍ عليها الطيرُ كالوِرد العُكُوف

(١) وعند يونس بن بكير عن ابن إسحاق أنه قال لنفسه بعد رجوعه من شج أبى جهل : أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابىء ، وتركت دين آبائك . الموت خير لك مما صنعت . ثم قال : اللهم إن كان هذا رشدا ، فاجعل تصديقه فى قلبى ، وإلا فاجعل لى مما وقعت فيه مخرجا . ثم غدا إلى رسول الله يطلب نصيحته ، فوعظه حتى ثبت إيمانه .

(٢) فى الأصل : فينا مصطفى وهو خطأ يكسر البيت .

. . . .

وقد خُبِّرتُ ما صنعت ثقيف به ، فجزى القبائلَ من ثقيف
إلهُ الناس شَرَّ جزاءِ قومٍ ولا أسقاهم صَوْبَ الخَرِيف

طلب الآيات :

فصل : وذكر ماسأله قومُه من الآيات وإزالة الجبال عنهم ، وإنزال الملائكة عليه ، وغير ذلك ، جهلا منهم بحكمة الله تعالى فى امتحانه الخلقَ ، وتعبُّدِهم بتصديق الرسل ، وأن يكون إيمانُهم عن نظر وفكر فى الأدلة ، فيقع الثواب على حسب ذلك ، ولو كشف الغطاء ، وحصل لهم العلم الضرورى ، بطَلَتْ الحكمة التى من أجلها يكون الثواب والعقاب ، إذ لا يُؤجَر الإنسان على ماليس من كسبه ، كما لا يؤجر على ماخُلق فيه من لون وشعر ونحو ذلك ، وإنما أعطاهم من الدليل مايقتضى النظرُ فيه العلمَ الكَسْبى ، وذلك لا يحصل إلا بفعل من أفعال القلب ، وهو النظر فى الدليل ، وفى وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول ، وإلا فقد كان قادرا سبحانه أن يأمرهم بكلام يسمعونه ، ويغنيهم عن إرسال الرسل إليهم ، ولكنه سبحانه قسم الأمر بين الدارين ، فجعل الأمرَ يُعْلَمَ فى الدنيا بنظرٍ واستدلال وتفكر واعتبارٍ ؛ لأنها دار تعبد واختبار ، وجعل الأمرَ يُعلم فى الآخرة بمعاينة واضطرار ، لا يُستحَق به ثواب ولا جزاء ، وإنما يكون الجزاء فيها على ماسبق فى الدار الأولى ، حكمة دبرها ، وقضية أحكمها ، وقد قال الله تعالى : ﴿ومامنعنا أن نُرْسِلَ بالآيات إلاّ أنْ كَذَّبَ بها الأوَّلونَ﴾ الإسراء : ٥٩ . يريد - فيما قال أهل التأويل - إن التكذيب بالآيات نحو ماسألوه من إزالة الجبال عنهم وإنزال الملائكة يوجب فى حكم

. . . .

الله ، ألاّ يُلْبِث الكافرين بها ، وأن يعاجِلَهم بالنقمة ، كما فعل بقوم صالح وبآل فرعون ؛ فلو أُعطيت قريشٌ ماسألوه من الآيات ، وجاءهم بما اقترحوا ثم كذبوا لم يَلْبَثُوا ، ولكن الله أكرم محمدا فى الأمة التى أرسله إليهم ؛ إذ قد سبق فى علمه أن يكذِّب به مَن يكذب ، ويصدق به مَن يصدق ، وابتعثه رحمة للعالمين بَرِّ(١) وفاجرٍ ، أما البَرُّ فرحمته إياهم فى الدنيا والآخرة ، وأما الفاجر ، فإنهم أمنوا من الخَسْفِ والغرق وإرسال حاصب عليهم من السماء .

كذلك قال بعض أهل التفسير فى قوله : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ الأنبياء : ١٠٧ مع أنهم لم يسئلوا ماسألوا من الآيات إلا تَعَنُّتا واستهزاء ، لا على جهة الاسترشاد ، ودفع الشك ، فقد كانوا رأوا من دلائل النبوة مافيه شفاء لمن أنصف ، قال الله سبحانه : ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أنَّا أنزلنا عليك الكتاب﴾ العنكبوت ٥١ الآية ، وفى هذا المعنى قيل :

لولم تكن فيه آياتٌ مبينة كانت بداهتُهُ تُنْبيك بالخبر

وقد ذكر ابن إسحاق فى غير هذه الرواية أنهم سألوا أن يجعل لهم الصفا

---

(١) يقول ابن كثير عن مجلس المشركين وسؤالهم ما سألوا : « وهذا المجلس الذى اجتمع هؤلاء له ، لو علم الله منهم أنهم إنما يسألون ذلك استرشادا لأجيبوا إليه ، ولكن علم أنهم إنما يطلبون ذلك كفرا وعنادا فقيل لرسول الله «ص» : إن شئت أعطيناهم ماسألوا ، فإن كفروا عذبتهم عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة . فقال : بل تفتح عليهم باب التوبة والرحمة » وختام كلام ابن كثير ورد فى حديث رواه أحمد عن ابن عباس .

. . . .

ذهبا ، فَهَمَّ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يدعو الله لهم ، فنزل جبريل ، فقال لهم : ماشئتم إن شئتم فعلت ماسألتم ، ثم لانُلْبِثُكُمْ إن كذبتم بعد معاينة الآية ، فقالوا : لاحاجة لنا بها(١) .

عبد الله بن أبى أمية :

فصل: وذكر قول عبد الله بن أبى أمية له ، واسم أبى أمية : حُذَيْفَةُ : والله لا أومن بك حتى تتخذَ سُلَّمًا(٢) إلى آخر الكلام ، وقد أسلم عبد الله بن أبى أمية قبل فتح مكة ، وسيأتى ذكر إسلامه .

هم أبى جهل بإلقاء الحجر:

وذكر خبر أبى جهل ، وماهمّ به من إلقاء الحجر على رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو ساجد ، وقد رواه النَّسَوِىُّ بإسناد إلى أبى هُرَيْرَةَ قال : قال أبو جهل ، وذكر الحديث إلى قوله : فنكص أبو جهلٍ على عَقِبَيْه ، فقالوا: مالك؟ فقال: إن بينى وبينه لَخَنْدَقًا من نار ، وهَوْلاً وأجنحةً ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه سلم ـ لودنا لاختطفته الملائكة عُضوا عضوا ، وخرّجه أيضا مسلم(٣) وذكر النَّسَوِىُّ أيضا بإسناده إلى ابن عباس أن أبا جهل قال له :

---

(١) روى أحمد قريبا منه

(٢) فى ابن كثير بعد حديثه فى السيرة : حتى تأتيها : « وتأتى معك بصحيفة منشورة ، ومعك أربعة . . الخ »

(٣) وابن حنبل والنسائى وابن جرير وابن أبى حاتم ،وسيأتى نص الأحاديث التى ذكرت حول هذا فى الصفحة الآتية .

. . . .

ألم أَنْهَكَ ؟ فوالله ما بمكة نادٍ أعز من نادِيَّ ، فأنزل اللهُ تعالى : ﴿ أرأيتَ الذى ينهى عَبْداً ﴾ إلى قوله : ﴿ فَلْيَدْعُ ناديه ، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ [1] ﴾ العلق .

---

(١) روى البخارى عن ابن عباس قال : « قال أبو جهل : لئن رأيت محمدا يصلى عند الكعبة لأطأن على عنقه ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ـ فقال : لئن فعل ، لأخذته الملائكة » وكذا رواه الترمذى والنسائى فى تفسيرهما ، وهكذا رواه ابن جرير .

وروى أحمد والترمذى والنسائى وابن جرير — وهذا لفظه من طريق داود ابن أبى هند — عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند المقام ، فمر به أبو جهل بن هشام ، فقال : يا محمد ! ألم أنهك عن هذا ؟ وتوعده ، فأغلظ له رسول الله ـ صلى عليه وسلم ، وانتهره ، فقال : يا محمد بأى شىء تهددنى ؟ ! أما والله إنى لأكثر هذا الوادى ناديا فأنزل الله : (فليدع ناديه ، سندع الزبانية) وقال ابن عباس : لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته ، وقال الترمذى : حسن صحيح . وعن أبى هريرة قال : قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا : نعم ، قال : فقال : واللات والعزى لئن رأيته يصلى كذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه فى التراب ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو يصلى ليطأ على رقبته ، قال : فما فجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقى بيديه ، قال : فقيل له : مالك ؟ فقال إن بينى وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا ، قال : وأنزل الله لا أدرى فى حديث أبى هريرة أم لا : (كلا إن الإنسان ليطغى) إلى آخر السورة ، رواه مسلم وابن حنبل والنسائى وابن جرير وابن أبى حاتم ، وهكذا تؤكد هذه الأحاديث فرضية الصلاة قبل الإسراء .

. . . .

تفسير أرأيت :

قال محمد بن يزيد : فى الـكلام حذفٌ ، تقديرُه : أرَأَيْتَ الذى ينهى عبداً إذا صَلَّى ، أمُصيبٌ هو أو مُخْطِئ ؟ وكذلك فى قوله : ﴿ أرأيتَ إن كان على الهدى ﴾ العلق كأنه قال : أليسَ مَن ينهاه بضالٍّ ؟ وقوله ﴿ لَنَسْفَعاً بالنَّاصِيةِ ﴾ العلق أى لنأخُذَنَّ بها إلى النار ، وقيل معنى السَّفْع هٰهنا : إذلاله وقَهْرُه ، والنادى والنَّدِيُّ والمُنْتَدَى بمعنى واحدٍ ، وهو : مجلسُ القوم الذين يَتَنَادَوْن إليه ، وقال أهل التفسير فيه أقوالا متقاربةً ، قال بعضهم : فَلْيَدْعُ حَيَّه ، وقال بعضهم : عشيرتَه ، وقال بعضُهم : مجلسَه ، وفى أرأيتَ معنى : أخبِرْنى ، ولذلك قال سيبويه : لم يجز إلغاؤها ، كما تلغى : علمتُ إذا قلتَ : علمتُ أزَيْدٌ عندك أم عَمْرٌو ، ولا يجوز هذا فى : أرأيت ، ولا بُدَّ من النَّصْبِ إذا قلت : أرأيت زَيْداً ، أبُوه مَنْ هو ؟ قال سيبويه : لأن دخولَ معنى أخبرنى فيها لا يجعلها بمنزلة : أخبرنى فى جميع أحوالها ، قال المؤلف : وظاهرُ القرآن يقضى بخلافِ ماقال سيبويه إلاَّ بعد البيان ، وذلك أنها فى القرآن مُلْغاةٌ ؛ لأن الاستفهامَ هو مطلوبُها ، وعليه وقعت فى قوله : ﴿ أرأيتَ ، إن كَذَّبَ وتولى ، أَلَمْ يَعْلَمْ ﴾ العلق : فقوله : أَلَمْ يعلم : استفهامٌ ، وعليه وقعت : أرأيت ، وكذلك : أَرَأَيْتُمْ ، وأَرَأَيْتَكُمْ فى الأنعام ، فإن الاستفهام واقع بعدها نحو : ﴿ هلْ يُهلَكُ إلا القومُ الظالمون ﴾ الأنعام : ٤٧ . وهذا هو الذى منع سيبويه فى : أرأيتَ وأرأيتك أبو من أنت ؟ وأما البيانُ فالذى قاله سيبويه صحيح ، ولـكن إذا ولى الاستفهامُ : أرأيتَ ، ولم يكن لها مَفْعُولٌ سوى الجملة ، وأما فى هذه المواضع التى فى التنزيل ، فليست الجملةُ المستفهَمُ عنها هى مَفْعُول : أرأيت ، إنما مَفْعُولها محذوفٌ يدل عليه

. . . .

الشرطُ ، ولابد من الشرط بعدها فى هذه الصور ؛ لأن المعنى : أرأيتم صنيعكم إن كان كذا ، وكذا ، كما يقول القائل : أرأيت إن لقيت العدو أتقاتله أم لا؟ تقدير الكلام : أرأيتَ رأيك أو صنيعك إن لقيت العدو فحرف الشرط ، وهو : إن ، دالٌ على ذلك المحذوف ، ومُرْتبط به ، والجملة المستفهَمُ عنها كلامٌ مُستأنَف منقطع ، إلا أن فيه زيادةَ بيانٍ لما يستفهم عنه ، ولو زال الشَّرط ، ووليها الاستفهامُ لَقَبُحَ كما قال سيبويه ، ويحسُن فى : علمت ، وهل علمت وهل رأيت ، وإنما قُبْحُه مع أرأيت خاصة ، وهى التى دخلها معنى : أخبرنى فتدَبَّرْه .

الأساطير وشىء عن الفرس :

فصل : وذكر حديثَ النَّضْر بن الحارث ، وما نزل فيه من قول الله تعالى : ﴿قالوا : أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِين﴾ واحد الأساطير : أُسْطُورة كأُحْدُوثة وأحاديث ، وهو ماسَطَّره الأوَّلون ، وقيل : أساطير : جمع أسطار ، وأسطارٌ جمعُ : سَطَر بفتح الطاء ، وأما سَطْرٌ بسكون الطاء ، فجمعه : أَسْطُرٌ ، وجمع الجمع : أساطر بغير ياء ، وذكر أن النضر بن الحارث كان يُحَدِّث قريشا بأحاديث رُسْتُمَ وأسفنديار ، وما تعلَّم فى بلاد الفرس من أخبارهم ، وذكر ما أنزل الله فى ذلك من قوله ، وقد قيل فيه نزلت : ﴿ومن قال : سَأُنْزِلُ مثلَ ماأنزل الله﴾ الأنعام : ٩٣ . وأما أحاديث رستم ، ففى تاريخ الطبرى أن رُسْتُم بن ريسان(١) كان يحارب كى يستاسب بن كى لهراسب ، بعد ماقتل أباه لطراسب ابن كى اجو . وكى

---

(١) فى الطبرى ص ٥٠٤ ج ١ « رستم الشديد بن دستان بن بريمان »

. . . .

فى أوائل هذه الأسماء عبارة عن البهاء ، ويقال : عبارة عن إدراك الثأر ، ويقال لهؤلاء الملوك : الكينية من أجل هذا ، وكان رُسْتُم الذى يقال له : رُسْتَم سَيِّد بنى ريسان من ملوك الترك ، وكان كى يستاسب قد غضب على ابنه ، فسجنه حسداً له على ما ظهر من وقائعه فى الترك ، حتى صار الذكر له ، فعندها ظهرت الترك على بلاد فارس ، وسبَوا بنتين : ليستاسب ، اسم إحداها : خمانة ، أو نحو هذا ، فلما رأى يستاسب ألاَّ يدَين له بقتالهم أطاق ابنه من السجن ، وهو اسفنديار ، ورضى عنه وولاه أمر الجيوش ، فنهد إلى رستم ، وكانت بينهما ملاحم يطول ذكرها ، لكنه قتل رستم ، واستباح عساكره ، ودوّخ فى بلاد الترك ، واستخرج أختيه من أيديهم ، ثم مات اسفنديار قبل أبيه ، وكان ملك أبيه نحواً من مائة عام ، ثم عهد إلى بهمن بن اسفنديار ، فولاه الأمر بعد موته وبهمن بلغتهم : الحسن النية ، ودام ملكه نيفًا على مائة عام ، وكان له ابنان : ساسان ودارا ، وقد أملينا فى أول الكتاب طرفا من حديث ساسان وبنيه ، وهم الساسانية الذين قام عليهم الإسلام ، ورُسْتَم آخرُ مذكور أيضا قبل هذا فى أحاديث كى قباذ ، وكان قبل عهد سليمان ، ثم كان رستم وزيرا بعد كى قباذ لابنه كى قاووس ، وكانت الجن قد سُخِّرت له . يقال إن سليمان أمرهم بذلك ، فبلغ ملكُه من العجائب مالا يكاد أن يصدقه ذوو العقول لخروجها عن المعتاد لكن محمد بن جرير الطبرى ذكر منها أخبارًا عجيبة(١) .

---

(١) إنما سخر الجن بأمر الله لسليمان ، لا بأمر سليمان . وانظر ماقصه السهيلى فى الطبرى جـ ١ من ص ٥٠٤ ط المعارف ، وفيه : سياوخش بدلا من شاوخش ، وفيه بعض ما يخالف ما هنا ، ففى ص ٥٦٤ جـ ١ يذكر الطبرى أن =

. . . .

وذكر أنه هَمَّ بما هم به نمروذ من الصعود إلى السماء ، فطرحته الريح ، وضَعْضَعَتْ أركانه ، وهدمت بنيانه(١) ، ثم ثاب إليه بعض جنوده ، فصار كسائر الملوك يغلب تارة ، ويُغلب بخلاف ما كان قبل ذلك ، وسار بجنوده إلى اليمن فَنَهَدَ إليه عمرو ذو الأذْعَار ، فهزمه عَمْرو ، وأخذه أسيرا ، وحبسه فى مَحْبِس حتى جاء رُسْتَم ، وكان صاحب أمره ، فاسْتَنْقَذَه من عَمْرٍو ، إمَّا بَطَوْعٍ ، وإمَّا بإكراه ، ورده إلى بلاد فارس . ولابنه شاوخش مع قراسيات ملك الترك خبر عجيب ، وكان رستم هو القيِّم على شاوخش والكافل له فى صغره ، وكان آخر أمر شاوخش بعد عجائب أن قتله قراسيات ، وقام ابنه كى خسرو يطلب بثأره ، فدارت بينه وبين الترك وقائع لم يسمع بمثلها ، وكان الظفر له ، فلما ظفروا رأى أمله فى أعدائه ماملأ عينه قُرَّة ، وقلبه سرورا زهد فى الدنيا ، وأراد السياحة فى الأرض ، فَتَعاتَّ به أبناء فارس ، وحذرته من شَتَات الشَّمْل بعده ، وشماتة العدو ، فاستخلف عليهم : كى لهراسب ، بن كى اجو ، بن كى كينة ، بن كى قاووس المتقدم ذكره(٢) ، ولا أدرى : هل رستم الذى قتله أسفندياذ هو رُسْتَم

= مقتل اسفنديار كان على يد رستم ، وأما الذى قتل رستم وأباه دستان فهو أزدشير بهمن ابن بشتاسب ص ٥٦٨ .

(١) فى الطبرى ص ٥٠٧ ج ١ ويذكر الطبرى عن كى قاوسى : «أن الله أعطاه قوة ارتفع بها ، ومن معه فى الهواء ، حتى انتهو إلى السحاب ، ثم إن الله سلبهم تلك القوة ، فسقطوا ، فهلكوا ، وأفلت كى قاوس بنفسه » أكانت لديهم معرفة بغزو الفضاء ؟ وقد ظهر الترك على بلاد فارس فى عهد ملك الترك خزاسف . واسم ابنة ليستاسب الأخرى : باذفراه

(٢) نسبه فى الطبرى هكذا : كيلهراسب بن كيوجى بن كيمنوش بن كيفاوشين ابن كيبيه بن كيقباذ الأكبر ص ٥١٥ ، وتستطيع فصل كى عن كل اسم مما سبق .

. . . .

صاحب كي قاووس ، أم غيره ، والظاهر أنه ليس به ، لأن مدة ما بين كي قاووس وكي يستاسب بعيدة جدا ، وأحسبه كما قدمنا أنه كان من الترك ، وهذا كله كان في مدة الكينية ، وعند اشتغالهم بقتال الترك استعملوا بُخْتَ نَصَّرَ البابلي على العراق ، فكان من أموره مع بني إسرائيل وإثخانه فيهم ، وهدمه لبيت المقدس وإحراقه للتوراة وقتله لأولاد الأنبياء ، واسترقاقه لنساء ملوكهم ولذراريهم مع عيشه في بلاد العرب حين جاس خلال ديارهم ، ما هو مشهور في كتب التفاسير ، ومعلوم عند أصحاب التواريخ (١) .

فهذه جملة مختصرة تشرح لك ما وقع في كتاب ابن إسحاق من ذكر رستم واسفندياذ ، وكانت الكينية قبل مدة عيسى بن مريم ، أولهم في عهد أفريذون قبل موسى عليه السلام بمئين من السنين ، وآخرهم في مدة الاسكندر

---

(١) أخبار بختنصر في الجزء الأول من تاريخ الطبري ص ٥٢٨ ، وكان في أيام لهراسب أحد ملوك الفرس ، ويذكر الطبري أن بختنصر وجد في سجن بني إسرائيل إرميا النبي ، فسأله : ما خطبك : فأخبره أن الله بعثه إلى قومه — بني إسرائيل ؛ ليحذرهم الذي حل بهم — يعني : من بختنصر — فكذبوه ، وحبسوه ، فقال بختنصر : بئس القوم قوم عصوا رسول ربهم . ثم أطلق سراحه ، وأحسن إليه ص ٥٣٨ ج ١ وفي سفر أرميا إصحاح ٢٦ أن بني إسرائيل هموا بقتل أرميا لأنه قال لهم : « ارجعوا كل واحد عن طريقه الرديء وعن شر أعمالكم .. ولا تسلكوا وراء آلهة أخرى لتعبدوها وتسجدوا لها » إصحاح ٢٥ . وفيه أيضاً أنه حذرهم من « نبوخذ راصر » أي : بختنصر فإن الله سيسلطه عليهم إن لم يرجعوا . ويقع سفر أرميا هذا في أكثر من ستين صفحة ، وكله حول هذا . وبعده سفر آخر اسمه : مراثي أرميا ، وهي منسوبة إليه في رثاء أورشليم بعد تخريب بختنصر لها .

. . . .

ابن قليس[١] والإسكندر هو الذى سلب ملكهم ، وقتل دارا بن دارا ، وهو آخرهم ، ثم كانت الأشغانية مع ملوك الطوائف أربعمائة وثمانين عاما ، وقيل : أقل من ذلك فى قول الطبرى ، وقولُ المسعودى : خمسمائةوعشر سنين فى خلال أمرهم بُعِثَ عيسى بن مريم ، ثم كانت الساسانية نحوا من ثلاثين ملكا حتى قام الإسلام ، ففض خَدَمَتَهُمْ . وخَضَدَ شوكتَهم ، وهدم هيا كلهم ، وأطفأ نيرانهم التى كانوا يعبدون ، وذلك كله فى خلافة عمر .

عن سورتى الكهف والفرقان ـ سبب نزول الكهف :

فصل : وذكر ابن إسحاق إرسال قُرَيْشٍ النضرَ بن الحارث وعُقْبَةَ بن أبى مُعَيط إلى يهود ، وما رجعا به من عندهم من الفصل بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم ، فسألوه عن الأمورِ الثلاثة التى قالت اليهود : إن أخبركم بها فهو نبى وإلا فهو مُتَقَوِّل ، فقال لهم : سأخبركم غدا ، ولم يقل : إن شاء الله ، فأبطأ عنه الوحى فى قول ابن إسحاق خمسة عشر يوماً[٢] ، وفى سير التَّيمِى وموسى بن عُقْبَةَ

---

(١) يعنى اسكندر المقدونى بن فليبس .

(٢) جاء فى حديث روى بعضه فى كتب الصحاح مايخالف ما ذهب إليه ابن إسحاق فى شأن إرسال النضر وعقبة ، وإليك ماروى فى هذا الشأن .

روى البخارى ومسلم وأحمد والترمذى وقال : إنه صحيح ـ عن ابن مسعود : « كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرث المدينة ، وهو متوكىء على عسيب ، فمر بقوم من اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، وقال بعضهم : لاتسألوه ، قال : فسألوه عن الروح ، فقالوا : يا محمد : ما الروح ؟ فما زال متوكئا على العسيب ، قال : فظننت أنه

. . . .

أن الوحىَ إنما أبطأ عنه ثلاثة أيام ، ثم جاء جبريل بسورة الكهف .

لم قدم الحمد على الكتاب ؟ !

وذكر افتتاحَ الربِّ سبحانه بحمد نفسه، وذكر نبوة نبيه. حمْدُه لنفسه تعالى خبرٌ باطنُه الأمرُ والتعليمُ لعبده كيف يَحمدُه ، إذ لولا ذلك لاقتضت الحالُ الوقوف عن تسميته ، والعباراتِ عن جلاله ، لقصور كلِّ عبارةٍ عما هنا لك من الجلال، وأوصافِ الكمال، ولما كان الحمدُ واجباً على العبد قُدِّم في هذه الآيةِ ليقترنَ في اللفظِ بالحمد الذى هو واجبٌ عليه ، وليستشعرَ العبدُ وجوبَ الحمدِ عليه ، وفى سورة الفرقان قال : « تبارَكَ الذى نَزَّلَ الفُرقانَ على عبده » وبدأ بذكر الفُرقانِ الذى هو الكتابُ المبارَك . قال الله سبحانه : ﴿وهذا كتابٌ أنزلناه[1]

= يوحى إليه ، فقال : (ويسئلونك عن الروح. قل: الروح من أمر ربى، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) قال : فقال بعضهم لبعض : قد قلنا لكم : لا تسألوه ». وفى رواية البخارى : «فلم يرد عليهم شيئا ، فعلمت أنه يوحى إليه ، فقمت مقامى. فلما نزل الوحى ، قال : (ويسألونك عن الروح قل : الروح من أمر ربى)». والمشكل هنا أن سورة الإسراء : مكية وظاهر القصة يوحى بان الآية مدنية . ولو كان الأمر قاصرا على الرواية الأولى : « فظننت أنه يوحى إليه » لقلنا إن الرسول انما سكت ليتذكر الآية التى يرد بها عليهم ، فظن ابن مسعود أنه يوحى إليه ، إما ابن كثير فيقول : «وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية ، كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك ، أو أنه نزل عليه الوحى بأنه يجيبهم عما سألوه بالآية المتقدم إنزالها عليه . والذى يدل على نزول هذه الآية بمكة ما رواه أحمد أن قريشا قالت ليهود : أعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل ، فقالوا : سلوه عن الروح ، فنزلت الآية » وإجابة ابن كثير غير مقنعة والعسيب: غصن من جريد النخلة .

(١) هذا جزء من آية رقم ٩٢ و ١٥٥ من سورة الأنعام . والذى ذكره =

. . . .

مُبَارَكٌ ﴾ فلما افتتح السورة بتبارَكَ الذى ، بدأ بذكر الفرقان ، وهو الكتاب المبارك ، ثم قال : على عبده ، فانظر إلى تقديم ذكر عبده على الكتاب ، وتقديم ذكر الكتاب عليه فى سورة الفرقان ، وما فى ذلك من تشاكُلِ اللفظِ والتئامِ الكلامِ ترى الإعجازَ ظاهراً ، والحكمةَ باهرةً ، والبرهانَ واضحاً ، وأنشد لذى الرُّمَّةِ .

شرح شواهد شعرية :

كأنه بالضُّحى ترمى الصعيدَ به دَبَّابَةٌ فى عظام الرأس خُرْطُومُ

يصف ولدَ الظبية : والخُرْطُومُ : من أسماء الخمر ، أى : كأنه من نشاطه دَبَّتِ الخمرُ فى رأسه . وأنشد له أيضاً :

طوى النَّحْزُ والأجرازُ . البيت . والنَّحْزُ : النَّخْسُ ، والنُّحازُ : داء يأخذ الإبلَ والنحيزَةُ : الغَريزَةُ ، والنحيزة(١) : نسيجة كالحزام : والضلوعُ الجَرَاشِعُ . هو جمع جُرْشُع . قال صاحب العين . الجُرْشُعُ : العظيم الصدر ، فمعناه إذاً فى البيت على هذا : الضلوعُ من الهزال قد نتَأَتْ ، وبرزت كالصدر البارز.

ابن إسحاق فى أسباب نزول ، وما نتنزل إلا بأمر ربك ، روى فيه الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله «ص» لجبرائيل : مايمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟! قال : فنزلت هذه الآية ، انفرد بإخراجه البخارى فرواه عند تفسير هذه الآية عن أبى نعيم عن عمر بن ذربة

(١) فى اللسان أيضاً . النحز : الضرب والدفع والسعال عامة ، والنحاز : داء يأخذ الإبل والدواب ، والنحيزة : الطريق بعينه . وشىء ينسج أعرض من الحزام يخاط على طرف شقة البيت ، وفى القاموس : تكون على الفساطيط والبيوت ، والأجراز : جمع جرز : السنة أو الأرض المجدبة .

. . . .

الرقيم وأهل الكهف :

فصل : وذكر الرَّقِيمَ وفيه سوى ماقاله أقوال . روى عن أنس أنه قال : الرقيمُ : الكلبُ ، وعن كعب أنه قال : هو اسم القرية التى خرجوا منها ، وقيل : هو اسم الوادى وقيل : هو صخرة ، ويقال : لوح كتب فيه أسْمَاؤُهم ودينهم وقصتهم ، وقال ابن عباس : كل القرآن أعلم إلا الرقيمَ والغِسْلين وحناناً و الأَوَّاه(١) ، وقد ذكرت أسماؤهم على الاختلاف فى بعض ألفاظها وهى : مليخا ، كسلميا ، مرطوش ابن أنس ، اريطانس ، أيونس ، شاطيطوش(٢) . وقيل فى اسم مدينتهم : أفوس ، واختلف فى بقائهم إلى الآن ، فروى عن ابن عباس أنه أنكر أن يكون بقى شىء منهم ، بل صاروا ترابا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال بعض أصحاب الأخبار غير هذا ، وأن الأرضَ لم تأكلهم ، ولم تغيرهم ، وأنهم على مَقْرُبة من القُسْطَنْطِينِيَة ، فالله أعلم . روى أنهم سيحجون البيتَ إذا نزل عيسى بن مريم . ألفيتُ هذا الخبرَ فى كتاب البدء لابن أبى خَيْثَمة(٣) .

إعراب أحصى :

وذكر قول الله تعالى : ﴿ لنعلَم أىُّ الحِزْبَيْن أَحْصى لما لبثوا أمداً ﴾ الكهف : ١٢ قد أمْلينا فى إعراب هذه الآية نحوا من كراسة . وذكرنا ماوهم فيه الزَّجَّاجُ من إعرابها ؛ حيث جعل أحصى اسما فى موضع رفع على خبر المبتدأ ، وأمَداً : تمييز وهذا لايصح ؛ لأن التمييز هو الفاعل فى المعنى ، فإذا قلت : أيهم أعلم أباً ، فالأب هو العالم ، وكذلك إذا قلت أيهم أفْرَهُ عَبْدا ، فالعبد هو الفارهُ ،

(١) لاشك فى أنه نقل غير صحيح عن ابن عباس يراد به غرض خبيث .

(٢) رجم بالغيب فالسند فى معرفتها ضعيف جدا

(٣) الحق فيما نقل عن ابن عباس ، وما قيل بعده فأساطير .

. . . .

فيلزم على قوله إذاً أن يكونَ الأَمَدُ فاعلا بالإحصاء ، وهذا محال ، بل هو مفعُول ، وأَحصى : فعل ماضٍ ، وهو الناصب له ، وذكرنا فى ذلك الإملاء أنَّ أيهم ، قد يجوز فيه النصبُ بما قبله إذا جملته خبرا ، وذلك على شُروط بيناها هنالك لمن أراد الوقوف على حقيقتها ، أى : ومواضعها ، وكشفنا أسرارها .

عن الضرب وتزاور الشمس وفائدة القصة :

وقوله سبحانه : ﴿فضربنا على آذانهم﴾ أى : أَنَمْناهم ، وإنما قيل فى النائم: ضُرِب على أذنه ؛ لأن النائم ينتبه من جهة السَّمْع ، والضربُ هنا مُستعار من ضربت القُفْلَ على البابِ ، وذكر قوله تعالى : ﴿ تَزَاوَرُ عن كهفهم ذات اليمين ﴾ الآية . وقيل فى تَقْرِضُهم : تحاذيهم ، وقيل : تتجاوزهم شيئاً شيئاً من القَرْضِ ، وهو القطع ، أى : تقطع ما هنالك من الأرض ، وهذا كله شرح اللفظ ، وأَمَّا فائدة المعنى ، فإنه بيَّن أنهم فى مَقْنُوَةٍ من الأرض ، لاتدخل عليهم الشمسُ ، فتحرقهم ، وتبلى ثيابهم ، ويقلَّبون ذات اليمين وذات الشمال . لئلا تأكلَهم الأرضُ ، والفائدة العُظمى فى هذه الصفة بيان كيفية حالهم فى الكهف ، وحال كلبهم ، وأين هو من الكهف ، وأنه بالوَصيد منه ، وأن باب الكهف إلى جهة الشمال للحكمة التى تقدمت ، وأن هذا البيان لا يكاد يعرفه من رآهم ، فإن المطلع عليهم يُملأ منهم رُعبا ، فلا يمكنه تأمُّل هذه الدقائق من أحوالهم ، والنبى عليه السلام لم يرهم قط ، ولا سمع بهم ، ولا قرأ كتاباً فيه صفتُهم ؛ لأنه أُمِّىٌّ فى أمة أمية ، وقد جاءكم ببيان لا يأتى به مَن وصل إليهم حتى إن كلبَهم قد ذكر ، وذُكِر موضعُه وبسطُه ذراعيه بالوَصيد ، وهم فى

. . . .

الفجوة، وفى هذا كله برهانٌ عظيم على نبوته، ودليلٌ واضح على صدقه ، وأنه غير مُتَقَوِّلٍ ، كما زعموا ، فقِفْ بقلبك على مضمون هذه الأوصاف ، والمرادبها تَعْصَمْ إن شاء الله مما وقعت فيه الْمُلْحِدَةُ من الاستخفاف بهذه الآية من كتاب الله ، وقولهم : أىّ فائدة فى أن تكون الشمسُ تَزَاوَرُ عن كهفهم ، وهكذا هو كل بيت يكون فى مَقْنُوَةٍ ، أى:بابه لجهة الشمال ، فنبّه أهلَ المعانى على الفائدة الأولى المنبئة عن لطف الله بهم ، حيث جعلهم فى مَقْنُوَةٍ تزاور عنهم الشمسُ فلا تؤذيهم ، فيقال: لمن اقتصر من أهل التأويل على هذا : فما فى ذكر الكلب وبسط ذراعيه من الفائدة ، وما فيه من معنى اللطف بهم ؟ فالجواب : ما قدمناه من أن الله سبحانه لم يترك من بيان حالهم شيئاً ، حتى ذكر حال كلبهم مع أن تأملهم متعذر على من اطلع عليهم من أجل الرعب ، فكيف من لم يرهم، ولا سمع بهم ، لولا الوحى الذى جاءه من الله سبحانه بالبيان الواضح الشافى ، والبرهان الكافى، والرعب الذى كان يلحق الْمُطَّلِعَ عليهم ،قيل : كان مما طالت شعورهم وأظفارهم . ومن الآيات فى هذه القصه قوله سبحانه : ﴿فى فَجْوَةٍ منه﴾ أى : فى فضاء ، ومع أنهم فى فضاء منه ، فلا تصيبهم الشمس . قال ابن سلام : فهذه آية . قال : وكانوا يقلَّبون فى السنة مرتين (١) ، ومن فوائد الآية : أنه أخرج الكلب عن التقليب ، فقال : باسط ذراعيه ، ومع أنه كان لا يقلَّب لم تأكله الأرض ؛ لأن التقليب كان من فعل الملائكة بهم ، والملائكةُ أولياء المؤمنين فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، والكلبُ خارجٌ من هذه الآية . ألا تراه

---

(١) قوله : مرتين رجم بالغيب أيضا ، واللفظ يفيد أكثر من مرتين .

. . . .

كيف قال : بالوصيد ، أى : بفناء الغار لاداخلا معهم ؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب (١) فهذه فوائد جمة قد اشتمل عليها هذا الكلام . قال ابن سلام : وإنما كانوا يقلّبون فى الرقدة الأولى قبل أن يبعثوا .

المتنازعون فى أمرهم :

فصل : وذكر قول الله سبحانه : (قال الذين غَلَبُوا على أمرهم لَنَتَّخِذَنَّ عليهم مَسْجِدا) الكهف : ٢١ وقال : يعنى أصحاب السلطان، فاستدل بعض أهل العلم على أنهم كانوا مسلمين بقوله : لنتخِذَنَّ عليهم مسجدا(٢) . وذكر الطبرى أن أهلَ

(١) البخارى ومسلم والترمذى وأحمد والنسائى وابن ماجة . ولكن الله لم يذكر كلب أهل الكهف بما يفيد لعنه ، وقد أباح الله فى القرآن لنا تربية الجوارح ، وأكل ماصادته ، يقول ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : (وما علمتم من الجوارح) : « وأحل لكم ما صدتموه بالجوارح وهى من الكلاب والفهود والصقور وأشباهها ، كما هو مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والأئمة . وقد ثبت فى الصحيحين عن عدى بن حاتم قال : قلت : يارسول الله إنى أرسل الكلاب المعلمة ، وأذكر اسم الله ، فقال : إذا أرسلت كلبك المعلم ، وذكرت اسم الله ، فكل ما أمسك عليك قلت : وإن قتلن ؟ قال : وإن قتلن ، مالم يشركها كلب ليس منها ، فإنك إنما سميت على كلبك ، ولم تسم على غيره فأصيب . قلت له : فإنى أرمى بالمعراض الصيد ، فقال : إذا رميت بالمعراض فخزق فكله ، وإن أصابه بعرض ، فإنه وقيذ ، فلا تأكله » خزق السهم وخسق : إذا أصاب الرمية ونفذ فيها . والمعراض بالكسر : سهم بلا ريش ولا نصل ، وإنما يصيب بعرضه دون حده ، وشاة وقيذ : قتلت بالخشب . فلعل المراد : كلب الزينة لا كلب الصيد والحرث .

(٢) ذكرت مراراً أن دين رسل الله جميعاً من لدن نوح إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم ـ هو دين الإسلام . ويقال عن أتباعهم إنهم مسلمون ، والذين

. . . .

تلك المدينة تنازعوا قبل مبعثهم فى الأجساد والأرواح : كيف تكون إعادتها يوم القيامة ، فقال قوم : تعاد الأجساد كما كانت بأرواحها ، كما يقوله أهل الإسلام ، وخالفهم آخرون ، وقالوا : تبعث الأرواح دون الأجساد ، كما يقوله النصارى ، وشَرِيَ بينهم الشرُّ ، واشتد الخلاف ، واشتد على مَلِكهم مانزل بقومه من ذلك ، فلبس المُسُوح ، وافترش الرماد ، وأقبل على البكاء والتضرع إلى الله أن يريه الفَصْل فيما اختلفوا فيه ، فأحيا الله أصحاب الكهف عند ذلك ، فكان من حديثهم ما عرف وشهر ، فقال الملك لقومه : هذه آية أظهرها الله لكم لتتفقوا ، وتعلموا أن الله عز وجل كما أحيا هؤلاء ، وأعاد أرْوَاحهم إلى أجسادهم ، فكذلك يعيد الخلق يوم القيامة كما بدأهم ، فرجع الكل إلى ما قاله الملك ، وعلموا أنه الحق .

= تنازعوا فى أمر الفتية طائفتان . إحداهما : قالت ما يقوله المسلم الذى يكل الأمر إلى الله ، ولا يعدو على الغيب . إذ قالت : « ابنوا عليهم بنياناً » وعللت الأمر بكلمة مؤمنة ، لا تصدر إلا عن مؤمن ، وهى قولهم : « ربهم أعلم بهم » وفى كل لفظة هنا إشراقة من نور الإيمان القوى بالله . أما الآخرون ، فقد وصفوا بغير ما يوصف به المؤمن التقى الخاشع ، إذ وصفوا بأنهم : « غلبوا على أمرهم » فهم إذاً أخذوا الأمر بالقهر والغلبة دون ترو أو نزوع إلى معرفة أمر الله ، أو انعطاف إلى خشوع . ثم اقترحوا مصممين على ما اقترحوا : « لنتخذن عليهم مسجداً » هكذا بالتوكيد والقهر المستعلى . ووازن بين اقتراح الأولين وهو بناء بنيان عليهم ، أى : سد باب الكهف تجده عملا إسلامياً ، وبين اقتراح الآخرين ، وهو اتخاذ مسجد ، واتخاذ المساجد على القبور أمر لعنه الله ورسوله ، وهو أشمل من إقامة مسجد

عن واو الثمانية :

فصل : وذكر قول الله سبحانه ﴿ ويقولون : سَبْعَةٌ وثامنهم كلبُهم ﴾ قد أفردنا للكلام على هذه الواو التي يسميها بعض الناس : واو الثمانية (١) باباً

(١) أي الواو التي تأتي بعد استيفاء سبعة أشياء ، ثم تذكر قبل الثامن ، وقد استشهد أصحابها بقوله سبحانه : « التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر » التوبة : ١١٢. فقالوا : إن الواو جاءت بعد استيفاء الأوصاف السبعة . واستدلوا أيضاً بقوله سبحانه : (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات ، عابدات ، سائحات ثيبات وأبكاراً) التحريم : ٥ فجاءت بعد استيفاء الأوصاف السبعة . واستشهدوا بالآية التي سيتكلم عنها السهيلي : « سبعة وثامنهم » . واستشهدوا أيضاً بقوله سبحانه: (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا ، حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها » الزمر : ٣ - ٧ . فأتى بالواو لما كانت أبواب الجنة ثمانية. وقال في النار :« حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها » لما كانت سبعة . وقد رد الإمام ابن القيم على هذا رداً طيبا . فقال عن آية التوبة باختصار : إن كل صفة لم تعطف على ماقبلها فيها كان فيه تنبيه على أنهما في اجتماعهما كالوصف الواحد لموصوف واحد، فلم يحتج إلى عطف . فلما ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهما متلازمان مستمدان من مادة واحدة ، حسن العطف ليتبين أن كل وصف منهما قائم على حدته. مطلوب تعيينه ، لايكتفي فيه حصول الوصف الآخر ، بل لابد أن يظهر أمره بالمعروف بصريحه، ونهيه عن المنكر بصريحه ، وأيضاً فحسن العطف ههنا ماتقدم من التضاد ، فلما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضدين أحدهما : طلب الإيجاد ، والآخر: طلب الإعدام ، كانا كالنوعين المتغايرين المتضادين . وقال : عن آية التحريم : إن دخول الواو قبل أبكار متعين ؛ لأن الأوصاف التي قبلها المراد اجتماعها في النساء . وأما وصفا البكارة والثيوبة ، فلا يمكن اجتماعهما ، فتعين العطف ؛ لأن المقصود أنه يزوجه بالنوعين : الثيبات والأبكار، وسيأتي الكلام عن آية الكهف . أما آية الزمر عن الجنة والنار ، فقال : لادلالة في اللفظ على الثمانية حتى تدخل الواو لأجلها ، بل هذا من باب حذف

. . . .

طويلا ، والذى يليق بهذا الموضع أن تعلم : أن هذا الواو تدل على تصديق القائلين لأنها عاطفة على كلام مُضْمَر ، تقديره : نعم ، وثامنهم كلبهم ، وذلك أن قائلا لو قال : إن زيدا شاعرٌ ، فقلت له : وفقيه ، كنت قد صدقته ، كأنك قلت : نعم هو كذلك ، وفقيه أيضا ، وفى الحديث : سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيتوضأ بما أفضلت الحمر ، فقال : وبما أفضلت السباع . يريد : نعم ، وبما أفضلت السباع . خرجه الدارقطنى . وفى التنزيل : (وارْزُقْ أهلَه من الثمرات مَنْ آمَنَ منهم بالله واليوم الآخر ، قال : ومَنْ كَفَرَ) البقرة : ١٢٦ هو من هذا الباب . فكذلك ما أخبره عنهم من قولهم : ويقولون : سبعة ، فقال سبحانه : «وثامنهم كلبهم» وليس كذلك : سادسهم كلبهم ، ورابعهم كلبهم ؛ لأنه فى موضع النعت لما

= الجواب لنكتة بديعة ، وهى أن تفتيح أبواب النار كان حال موافاة أهلها ، ففتحت فى وجوههم ؛ لأنه أبلغ فى مفاجأة المكروه ، وأما الجنة فلما كانت ذات الكرامة ، وهى مائدة الله ، وكان الكريم إذا دعا أضيافه إلى داره ، شرع لهم أبوابها ، ثم استدعاهم إليها مفتحة الأبواب ، أتى بالواو العاطفة هكذا ، الدالة على أنهم جاءوها بعد ما فتحت أبوابها ، وحذف الجواب تفخيما لشأنه ، وتعظيما لقدره كعادتهم فى حذف الأجوبة ، ويقول عن دعوى واو الثمانية فى مسألة أبواب الجنة فى مكان آخر : « إن هذا لو صح ، فإنما يكون إذا كانت الثمانية منسوقة فى اللفظ واحدا بعد واحد ، فينتهون إلى السبعة ، ثم يستأنفون العدد من الثمانية بالواو ، وهنا لا ذكر للفظ الثمانية فى الآية ولا عدها » انظر ص ٥٢ وما بعدها ج ٢ بدائع الفوائد وص ١٧٤ ج ٢ من نفس الكتاب وفيه قال : « على أن فى كون الواو تجىء للثمانية كلاما آخر قد ذكرناه فى الفتح المكى ، وبينا المواضع التى ادعى فيها أن الواو للثمانية ، وأين يمكن دعوى ذلك ، وأين يستحيل » .

. . . .

قبله ، فهو داخل تحت قوله سبحانه : (رَجْماً بِالْغَيْبِ) ولم يقل ذلك فى آخر القصة (١) .

آية الاستثناء :

فصل : وذكر قول الله تعالى (ولا تقولنَّ لشىء) وفسره ، فقال : أى استثنِ بمشيئة الله . الشيئة : مصدر شاء يشاء ، كما أن الخيفة مصدر خاف يخاف ، ولكن هذا التفسير ، وإن كان صحيح المعنى ، فلفظ الآية مُشْكِل جدًّا ؛ لأن قوله : (لا تقولنَّ لشىء إنى فاعل ذلك غدًا) الكهف : ٢٣ نهى عن أن يقول هذا الكلام ، ولم ينه عن أن يصله بإلا أنْ يشاء الله ، فيكون العبد المنهى عن هذا القول منهيا أيضا عن أن يصله بقوله إلا أن يشاء الله . هذا محال : فقوله إذاً : إلا أن يشاء الله استثناء من الله ، راجعٌ إلى أول الكلام ، وهذا أيضا إذا تأملته نقضٌ لعزيمة النهى ، وإبطالٌ لحكمه ، فإن السيد إذا قال لعبده : لا تقم إلا أن يشاء الله أن تقوم ، فقد حل عقدة النهى ؛ لأن مشيئة الله للفعل لا تُعلم إلا بالفعل ، فالعبد إذاً أن يقوم ، ويقول : قد شاء الله أن نقوم ، فلا يكون للنهى معنى على هذا ، فإذا لم يكن رد حرف الاستثناء إلى النهى ، ولا هو من

(١) يقول الإمام ابن القيم عن كلام السهيلى هذا «واستنباطه حسن ، غير أنه إنما يفيد «يعنى أن الواو تقتضى تقرير الجملة الأولى ، اذا كان المعطوف بالواو ليس داخلا فى جملة قولهم : بل يكون قد حكى سبحانه أنهم قالوا : سبعة ، ثم أخبر تعالى أن ثامنهم الكلب ، فحينئذ يكون ذلك تقريرا لما قالوه ، وإخبارا بكون الكلب ثامنا ، وأما إذا كان الإخبار عن الكلب من جملة قولهم ، وأنهم قالوا هذا ، وهذا ، لم يظهر ماقاله ، ولا تقتضى الواو فى ذلك تقريرا ولا تصديقا فتأمله «ص ١٧٦ جـ ٢ بدائع الفوائد وانظر أيضاً جـ ٣ ص ٥٤ .

. . . .

الكلام الذى نهى العبد عنه ، فقد تبين إشكاله ، والجواب : أن فى الكلام حذفاً وإضماراً تقديره : ولا تقولن : إنى فاعل ذلك غداً إلاّ ذاكراً إلاّ أن يشاء الله ، أو ناطقاً بأن يشاء الله ، ومعناه : إلا ذاكراً مشيئة الله ، كما قال ابن إسحاق ؛ لأن المشيئة مصدر ، وأنْ مع الفعل ، فى تأويل المصدر ، وإعراب ذلك المصدر مفعول بالقول المضمر ، والعرب تحذف القول ، وتكتفى بالمقول. ففى التنزيل : (فأما الذين اسْوَدَّتْ وجوهُهم أكَفَرْتم) آل عمران : ١٠٦ أى : يقال لهم : أكفرتم ، فحذف القول ، وبقى الكلام المقول ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ يَدْخُلُون عليهمْ من كُلّ باب : سلامٌ عليكم ﴾ الرعد : ٢٤ أى يقولون : سلام عليكم ، وهو كثير ، وكذلك إذاً قوله ﴿ إلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ ﴾ هى من كلام الناهى له سبحانه ، ثم أضمر القول ، وهو الذكر الذى قدمناه ، وبقى المقول ، وهو : أن يشاء الله ، وهذا القدر يكفى فى هذا المقام ، وإن كان فى الآية من البسط والتفتيش ماهو أكثر من هذا .

ولبثوا فى كهفهم :

فصل : وقد فسر قوله تعالى : ﴿ ولبثوا فى كَهْفِهِم ﴾ فقال : معناه أى : سيقولون ذلك ، وهو أحد التأويلات فيها . وعلى هذا القول قرأه ابن مسعود : وقالوا : لبثوا ، بزيادة قالوا . ثم قال ابن إسحٰق : قل : ربى أعلم بما لبثوا ، وهو وهم من المؤلف أو غيره ، وإنما التلاوة : ﴿ قُلِ : اللهُ أعلمُ بما لَبِثوا ﴾ (١).

---

(١) فى النسخة التى معى : هى كما فى المصحف . وتأويل ابن هشام قوله تعالى : « ولبثوا فى كهفهم » تأويل رائع ، إذ يجعل هذا القول من قول أهل الكتاب ، وبهذا يستقيم فهمنا للآية . ويتفق هذا مع ما بعده ، وهو قوله سبحانه : (قل الله أعلم بما لبثوا) =

. . . .

وقد قيل : إنه إخبار من الله تعالى عن مقدار لَبْثِهم ، ولكن لما علم استبعاد قريش وغيرهم من الكفار لهذا المقدار ، وعلم أن فيه تنازعا بين الناس ، فمن ثَمَّ قال : ﴿ قل : الله أعلم بما لبثوا ﴾ وقوله : ﴿ ثلاثمائة سنين ، وازدادوا تسعا ﴾ أى : إنها ثلاثمائة بحساب العجم ، وإن حسبت الأهلَّة ، فقد زاد العدد تسعا ، لأن ثلاثمائة سنةٍ بحساب الشمس تزيد تسع سنين بحساب القمر[١] فإن قيل : فكيف قال ثلاثمائة سنين ، ولم يقل : سنة ، وهو قياس العدد فى العربية[٢] ، لأن المائة تضاف إلى لفظ الواحد ، فالجواب أن سنين فى الآية بدل مما قبله ، ليس على حد الإضافة ولا التمييز ، ولحكمة عظيمة عُدِل باللفظ عن الإضافة إلى البدل ، وذلك أنه لو قال : ثلاثمائة سنةٍ ، لكان الكلام كأنه جواب لطائفة واحدة من الناس ، والناسُ فيهم طائفتان : طائفة عرفوا طول لُبْثِهم ، ولم يعلموا كمية السنين ، فعرَّفهم أنها ثلاثمائة ، وطائفةٌ لم يعرفوا طول لبثهم ، ولا شيئا من خبرهم ، فلما قال : ثلاثمائة معرفا للأولين بالكمية التى شكُّوا فيها ، مبينا للآخرين أن هذه الثلاثمائة سنون ، وليست أياما ولا شهوراً ، فانتظم البيان للطائفتين

اذ لو كان : « ولبثوا » من كلام الله نفسه ما كان لقوله : قل الله أعلم معنى . وقراءة ابن مسعود قراءة شاذة ورواية قتادة لها منقطعة .

(١) بل تزيد عن هذا . وهذا تأويل لايليق بكتاب الله ، ولا بكلام الله إنما يضطرون إليه ، لأنهم يرون أن قوله تعالى : « ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين » هو من قول الله نفسه . وليس قولا يقصه الله عن غيره ، وليس فى الآية مايشير مطلقاً إلى هذا التأويل ، وقد أعرب سنين بدلا ؛ لأن تمييز العدد مائة وما بعدها يكون مفردا مجرورا بالإضافة كقوله تعالى . فأماته الله مائة عام ثم بعثه ، وكقوله : « كألف سنه مما تعدون » .

. . . .

من ذكر العدد ، وجمع المعدود ، وتبين أنه بدل ؛ إذ البدل يراد به : تبيين ماقبله .
ألا ترى أن اليهود قد كانوا عرفوا أن لأصحاب الكهف نبأ عجيبا ، ولم يكن
العجب إلا من طول لُبثهم غير أنهم لم يكونوا على يقين من أنها ثلاثمائة أو أقل .
فأخبر أن تلك السنين ثلاثمائة ، ثم لو وقف الكلام ههنا لقالت العرب ، ومن
لم يسمع بخبرهم : ماهذه الثلاثمائة ؟ فقال كالمبين لهم : سنين ، وقد روى معنى هذا
التفسير عن الضحاك ، ذكره النحاس .

السنة والعام :

فصل : وقال : سنين ، ولم يقل أعواما ، والسنة والعام ، وإن اتسعت العرب
فيهما ، واستعملت كُلَّ واحد منهما مكان الآخر اتساعا ، ولكنَّ بينهما فى حكم
البلاغة والعلم بتنزيل الكلام فرقاً ، فَخُذْه أولا من الاشتقاق ، فإن السنة من سَنا
يَسْنُو إذا دار حول البئر ، والدابة : هى السَّانِيَةُ ، فكذلك السنة دَوْرَةٌ من
دورات الشمس ، وقد تسمى السنة : دارا ، ففي الخبر : إن بين آدمَ ونوحٍ
ألفَ دارٍ ، أى : ألف سنة ، هذا أصل الاسم ، ومن ثَمَّ قالوا : أكلتهم السَّنَةُ .
فَسَمَّوْا شدةَ القحط سَنَةً ، قال الله سبحانه : ﴿ولقد أخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بالسِّنِينَ﴾
الأعراف : ١٣ ومن ثَمّ قيل : أسْنَتَ القومُ إذا أقحطوا ، وكأن وزنه أفْعَتُوا ،
لا أفْعَلُوا ، كذلك قال بعضهم ، وجعل سيبويه التاء بدلا من الواو ، فهى عنده :
أفعلوا ، لأن الجُدوبة والخِصب مُعتبر بالشتاء والصيف ، وحساب العَجَم إنما هو
بالسنين الشمسية بها يُؤَرِّخون ، وأصحاب الكهف من أُمَّةٍ عجمية ، والنصارى
يعرفون حديثهم ، ويؤرِّخون به ، فجاء اللفظ فى القرآن بذكر السنين الموافقة
لحسابهم ، وتمم الفائدة بقوله : وازدادوا تسعا ليوافق حساب العرب ، فإن

. . . .

حسابَهم بالشهور القمرية كالمحرم وصفر ونحوهما(١) وانظر بعد هذا إلى قوله : ﴿ تَزْرَعُون سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً ﴾ يوسف : ٤٧ الآية ، ولم يقل أعواما ، ففيه شاهد لما تقدم ؛ غير أنه قال : (ثم يأتى من بعد ذلك عام) ، ولم يقل : سنة عدولا عن اللفظ المشترك ، فإن السنة قد يعبر بها عن الشدة والأزمة(٢) كما تقدم ، فلو قال : سنة لذهب الوهم إليها ؛ لأن العامَ أقل أياما من السنة ، وإنما دلت الرؤيا على سَبْع سنين شدادٍ ، وإذا انقضى العدد ، فليس بعد الشدة إلا رخاء ، وليس فى الرؤيا مايدل على مدة ذلك الرخاء ، ولا يمكن أن يكون أقل من عام ، والزيادةُ على العام مشكوكٌ فيها ، لاتقتضيها الرؤيا ، فحكم بالأقل ، وترك مايقع فيه الشك من الزيادة على العام ، فهاتان فائدتان فى اللفظ بالعام فى هذا الموطن ، وأما قوله : (وبلغ أربعين سنةً) فإنما ذكر السنين ، وهى أطول من الأعوام ، لأنه مُخْبِرٌ عن اكْتِهَال الإنسان ، وتمام قوته واستوائه ، فلفظ السنين أولى بهذا الموطن ؛ لأنها أكمل من الأعوام ، وفائدة أخرى : أنه خبر عن السن ، والسن معتبر بالسنين ، لأن أصلَ السِّن فى الحيوان لايعتبر إلا بالسنة الشمسية ، لأن النِّتَاجَ ، والحمل يكون بالربيع والصيف ، حتى قيل رِبْعِىٌّ للبَكِير وصَيْفِى(٣) المؤخر ، قال الراجز :

---

(١) رأى يحتاج إلى دليل أقوى مما ذكر .

(٢) فى الراغب : أكثر ماتستعمل السنة فى الحول الذى فيه الحرب .

(٣) فى القاموس : « وجمع الربيع : ربع بضمتين ، وكصرد : الفصيل ينتج فى الربيع ، وهو أول النتاج . . فإذا نتج فى آخر النتاج فهبع ، وهى هبعة »

. . . .

إن بَنِيَّ صِبْيَةٌ صَيْفِيُّونْ أَفْلَحَ مَنْ كان له رِبْعِيُّونْ(١)

فاستعمله فى الآدميين ، فلما قيل فى الفصيل ونحوه : ابن سنة وابن سنتين ، قيل ذلك فى الآدميين ، وإن كان أصله فى الماشية لما قدمنا ، وأما قوله : ﴿وحَمْلُه وفِصالُه فى عامين﴾ فلأنه قال سبحانه : ﴿يسْئَلُونَكَ عن الأَهِلَّةِ ، قل : هى مواقيتُ للناس والحج﴾ البقرة : ١٨٩ فالرضاع من الأحكام الشرعية ، وقد قصرنا فيها على الحساب بالأهلة ، وكذلك قوله : ﴿يُحِلُّونَهُ عاماً ويُحَرِّمونه عاما﴾ ولم يقل : سنةً ؛ لأنه يعنى شهر المحرم وربيع إلى آخر العام ، ولم يكونوا يحسبون بأيلول ولا بتشرين ولا بيَنَيْر(٢) ، وهى الشهور الشمسية وقوله سبحانه : ﴿فأماته الله مائةَ عامٍ﴾ إخبارٌ منه لمحمد — صلى الله عليه وسلم — وأمته وحسابهم بالأعوام والأهِلَّةِ كما وقَّت لهم سبحانه ، وقوله سبحانه فى قصة نوح : ﴿فلبث فيهم ألفَ سنةٍ إلا خمسين عاما﴾ العنكبوت : ١٤٠ قيل: إنما ذكر أولا السنين ؛ لأنه كان فى شدائد

---

(١) البيت لسعد بن مالك بن ضبيعة ، وقيل : هى لأكثم بن صيفى « اللسان مادة ربع ، وصيف » ونسبه أبو زيد الأنصارى فى نوادره إلى أكثم بن صيفى . وقال : « يقال : أصاف الرجل فهو مصيف إذا ترك النساء شابا لم يتزوج ، ثم تزوج بعد ما أسن ، ويقال لولده : صيفيون » ثم استشهد بهذا البيت ثم قال : « الربعيون الذين ولدوا وآباؤهم شباب فهم رجال » ص ٨٧ طبع لبنان .

وفى إصلاح المنطق ص ٤٧٠ : « يقال للرجل إذا ولد له فى فتاء السن : قد أربع ، وهو مربع وولده : ربعيون ، وإذا تأخر ولده إلى آخر عمره قيل : أصاف فلان ، وهو مصيف ، وولده : صيفيون » ثم استشهد بهذا البيت «٢» يعنى يناير .

. . . .

مدته كلها إلا خمسين عاما منذ جاءه الفرج ، وأتاه الغوث ، ويجوز أن يكون الله ـ سبحانه ـ علم أن عمره كان ألفا ، إلا أن الخمسين منها ، كانت أعواما ، فيكون عمره ألف سنة ، تنقص منها ما بين السنين الشمسية والقمرية فى الخمسين خاصة ؛ لأن خمسين عاماً بحساب الأهلة أقل من خمسين سنة شمسية بنحو عام ونصف ، فإن كان الله سبحانه قد علم هذا من عمره ، فاللفظ موافق لهذا المعنى ، وإلا ففى القول الأول مقنع ، وَالله أعلم بما أراد ، فتأمل هذا ، فإن العلم بتنزيل الكلام ، ووضع الألفاظ فى مواضعها اللائقة بها يفتح لك بابا من العلم بإعجاز القرآن ، وابن هذا الأصل تعرف المعنى فى قوله تعالى : ﴿ فى يوم كان مِقْدارُه خَمْسين أَلْفَ سنة ﴾ المعارج : ٤ وقوله تعالى : ﴿ [وإن يوما عند ربك] كألف سنة مما تعدون ﴾ الحجر : ٤٧ وأنه كلام ورد فى معرض التكثير والتفخيم ، لطول ذلك اليوم والسنة أطول من العام ، كما تقدم ، فلفظها أليق بهذا المقام .

ذكر قصة الرجل الطواف ذى القرنين :

فصل : وذكر قصة الرجل الطواف ، والحديث الذى جاء فيه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان مَلِكا مسح الأرض بالأسباب ، ولم يشرح معنى الأسباب . ولأهل التفسير فيه أقوال متقاربة ، قالوا فى قوله تعالى : ﴿ وآتيناه من كُلِّ شَىْءٍ سَبَباً ﴾ الكهف : ٨٤ : أى : علماً يتبعه ، وفى قوله تعالى : ﴿ فأَتْبَعَ سَبَباً ﴾ الكهف : ٨٥ أى : طريقاً موصلة ، وقال ابن هشام فى غير هذا الكتاب السببُ : حبل من نور ، كان ملَكٌ يمشى به بين يديه ، فيتبعه ، وقد قيل فى اسم ذلك الملَك : زياقيل ، وهذا يقرب من قول من قال : سبباً أى : طريقاً ، ويقربُ

. . . .

أن يكون تفسيراً لقول النبي صلى الله عليه وسلم : مسح الأرض بالأسباب[١]،
واختلف فى تسميته بذى القرنين، كما اختلف فى اسمه ، واسم أبيه ، فأصح ماجاء
فى ذلك مارُوى عن أبى الطُّفَيْل عامر بن واثلة قال : سأل ابن الكَوَّاء على بن
أبى طالب ، فقال: أرأيت ذا القرنين، أنبيا كان أم ملكا؟ فقال : لا نبيا كان،
ولا ملكا ، ولكن كان عبداً صالحا دعا قومه إلى عبادة الله، فضربوه على قَرْنَىْ
رأسه ضربتين ، وفيكم مثله . يعنى : نفسه ، وقيل : كانت له ضفيرتان من
شَعر ، والعربُ تسمى الْخُصْلَة من الشعر : قرنا ، وقيل : إنه رأى فى المنام
رؤيا طويلة أنه أخذ بَقَرْنَى الشمس ، فكان التأويل أنه المشرق والمغرب ،
وذكر هذا الخبر على بن أبى طالب الْقَيْرَوانى العابد فى كتاب البستان له ، قال :
وبهذا سمى ذا القرنين ، وأما اسمه ، فقال ابن هشام فى هذا الكتاب : اسمه
مَرْزَبَى بن مَرْذَبَة بذال مفتوحة فى اسم أبيه، وزاى فى اسمه ، وقيل فيه :

(١) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدى وقتادة والضحاك
وغيرهم عن السبب : العلم . وقال قتادة أيضاً : منازل الأرض وأعلامها . وقال
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : تعليم الألسنة . أما كعب الأحبار ، فيروى عنه ابن
لهيعة أنه قال : كان يربط خيله بالثريا . وقد أنكر معاوية على كعب قوله هذا
وكان يقول عن كعب : وإن كنا لنبلو عليه الكذب . وما أحسن مايقول ابن كثير :
« قال الله فى حق بلقيس « وأوتيت من كل شىء » أى : مما يؤتى مثلها من الملوك ،
وهكذا ذو القرنين يسر الله له الأسباب، أى: الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم
والرساتيق والبلاد والأراضى وكسر الأعداء، وكبت ملوك الأرض. وإذلال أهل
الشرك قد أوتى من كل شىء مما يحتاج اليه مثله سببا ، والله أعلم . خلاصة هذا
أن الله من عليه . فعلمه أسباب ما سخره له ، ومسألة الملائك يهودية صارخة .

(٢) فى السيرة : مرزبان .

. . . .

هرمس(١) ، وقيل : هرديس . وقال ابن هشام فى غير هذا الكتاب (٢) اسمه الصَّعْب بن ذى مَرَاثِد، وهو أول التَّبَابعة ، وهو الذى حكم لإبراهيم عليه السلام فى بئر السبع حين حاكم إليه فيها ، وقيل : إنه أفريدون بن أثفيان الذى قتل الضحاك(٣) ، ويروى فى خطبة قيس بن ساعدة التى خطبها بسوق عكاظ ، أنه قال فيها : يامعشر إياد ! أين الصعب ذو القرنين ، مَلَكَ الخافِقَيْنِ ، وأذلَّ الثقلين ، وعَمَّر ألفين ، ثم كان ذلك كلحظة عين ، وأنشد ابن هشام للأعشى :

والصعبُ ذو القرنين أَصْبَحَ ثَاوِياً   بالحِنْوِفى جَدَثٍ أُمَيْمَ مُقِيم(٤)

---

(١) هو رأى ابن ما كولا والدار قطنى .

(٢) ذكره فى كتاب « التيجان » فى ملوك حمير و روايته عن وهب بن منبه

(٣) تقرأ أخبار الضحاك وأفريدون فى الطبرى ص ١٩٤ جـ ١ المعارف

(٤) هو فى اللسان والمحبر: للبيد. ورواه ابن كثير فى البداية نقلا عن السهيلى فى الروض الأنف « أشم مقيما » بدلا من « أميم مقيم » كما فى نسخة الروض التى بين أيدينا انظر ص ١٠٥ جـ ٢ البداية . وفى فتح البارى : والذى يقوى أن ذا القرنين من العرب أنهم ذكروه كثيرا فى أشعارهم . قال أعشى بن ثعلبة .

والصعب ذو القرنين أمسى ثاويا   بالحنو فى جدث هناك مقيم

والحنو بكسر المهملة وسكون النون فى ناحية المشرق ، وقال الربيع بن ضبيع :

والصعب ذو القرنين عمر ملكه   ألفين أمسى بعد ذاك رميما

وقال قيس بن ساعدة .

والصعب ذو القرنين أصبح ثاوياً   باللحد بين ملاعب الأرياح

وقال النعمان بن بشير الأنصارى الصحابى ابن الصحابى :

ومن ذا يعادينا من الناس معشر   كرام ، وذو القرنين منا وحاتم

ووقع ذكر ذى القرنين فى شعر امرىء القيس وأوس بن حجر وطرفة وغيرهم ص ٢٦١ جـ ٦ فتح البارى للحافظ بن حجر ط ١٣٣٨

. . . .

وقوله بالحِنْوِ يريد : حِنْو قُرَاقِر الذى مات فيه ذو القرنين بالعراق، وقول ابن هشام فى السيرة : إنه من أهلِ مِصْرَ، وإنه الإسكندر الذى بنى الإسكندرية، فعرفت به : قولٌ بعيد مما تقدم ، ويحتمل أن يكون الإسكندر سمى ذا القرنين أيضاً تشبيها له بالأول، لأنه ملك مابين المشرق والمغرب فيما ذكروا أيضاً، وأذَلَّ ملوكَ فارس ، وقتل دارا بن دارا ، وأذل ملوكَ الروم وغيرهم ، وقال الطبرى فى الإسكندر : وهو اسكندروس بن قليقوس ، ويقال فيه : ابن قليس ، وكانت أمه زِنْجيَّة ، وكانت أُهِدْيت لدارا الأكبر أو سباها ، فوجد منها نَكْهَةً استثقلها ، فعولجت ببقلة ، يقال لها : اندروس ، فحملت منه بدارا الأصغر ، فلما وضعته ردها ، فتزوجها والد الإسكندر ، فحملت منه بالإسكندروس ، فاسمه عندهم مُشْتَقٌ من تلك البَقْلة التى طهّرت أمه بها فيما ذكروا ، وذكر عن الزبير : أنه قال : ذو القرنين هو : عبد الله بن الضحاك بن مَعَدٍّ [وقال ابن حبيب فى] المُحبَّر فى ذكر ملوك الحيرة ، قال: الصَّعْبُ بن قرين [بن الهمال] (٢) : هو ذُو القرنين ، ويحتمل أن يكونوا ملوكا فى أوقاتٍ شَتَّى ، يسمى كلٌّ واحد منهم : ذا القرنين والله أعلم . والأول كان على عهد إبراهيم عليه السلام ، وهو صاحب الخضر حين طلب عينَ الحياة فوجَدها الخضرُ ، ولم يجدها ذُو القرنين ، حالت بينه وبينها الظلماتُ التى وقع فيها هو وأجنادُه فى خبر طويل مذكور فى بعض التفاسير مشهور عند الأخباريين(١) .

---

(١) وهى أخبار ترضى عشاق الأساطير . وأسارى العبودية الوثنية للمجهول ، وقد اخترع المفترون عين الحياة؛ لكى ينسبوا إلى الخضر الخلود والبقاء حتى الآن . وهى فرية لا يصدقها مسلم ؛ لأنها أسطورة .

(٢) الزيادة من المحبر .

. . . .

حكم التسمي بأسماء النبيين

وأما قول عمر لرجل سمعه يقول : ياذا القرنين : لم يكفكم أن تتسموا بالأنبياء حتى تسميتم بالملائكة ، إن كان عمر قاله بتوقيف من الرسول عليه السلام ، فهو ملك ، لايقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا الحق ، وإن كان قاله بتأويل تأوله [فقد] خالفه عليّ فى الخبر المتقدم ، والله أعلم أيُّ الخبرين أصح نقلا، غير أن الرواية المتقدمة عن عليّ يقويها مانقله أهلُ الأخبار عن ذى القرنين ، والله أعلم[1] . وكان من مذهب عُمَرَ رحمه الله كراهيةَ التَّسَمِّى بأسماء الأنبياء ، فقد أنكر على المغيرة تكنيته بأبى عيسى ، وأنكر على صُهَيْبٍ تكنيته بأبى يحيى، فأخبر كلٌّ واحدٍ منهما أن رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كَنَّاه بذلك، فسكت، وكأن عمر إنما كره من ذلك الإكثار، وأنْ يظن أن للمسلمين شَرَفًا فى الاسم إذا سُمِّى باسم نبى، أو أنه ينفعه ذلك فى الآخرة، فكأنه استشعر من رعيته هذا الغرضَ أو نحوه ، هو أعلم بما كره من ذلك[2] . وإلا فقد سَمَّى بمحمد طائفةٌ من الصحابة منهم : أبو بكر وعليٌّ وطلحةُ وأبو حذيفة وأبو جَهْم ابن حذيفة ، وخاطبٌ وخطَّاب ابنا الحارث، كل هؤلاء المحمدين كانوا يُكْنَوْن بأبى القاسم إلا محمد بن خطاب ، وسَمَّى أبو موسى ابناً له بموسى ، فكان يُكْنَى به ، وأُسَيْدُ بن حُضَيْر سمى ابنَه بيَحْيى ، وعلم به النبيُّ عليه السلام فلم يُنكر عليه ، وكان لطلحةَ عَشَرَةٌ من الولد ، كُلُّهم يُسَمَّى باسم نَبِىٍّ ، منهم: موسى بن طلحة عيسى ، وإسحاق ويعقوب وإبراهيم ، ومحمد ، وكان للزبير

---

(١) نستطيع الجزم بأن الخبر المنسوب إلى عمر خبر غير صحيح ، لأنه يخالف هدى القرآن ، ويخالف المعروف من سيرة عمر وعلمه وفقهه .

(٢) هذا تعليل طيب من السهيلى .

. . . .

عشرةٌ ، كلُّهم يسمى باسم شهيد ، فقال له طلحة: أنا أسميهم بأسماء الأنبياء، وأنت تسميهم بأسماء الشهداء ، فقال له الزبير : فإنى أطمع أن يكون بنىَّ شهداء ، ولا تطمع أنت أن يكون بنوك أنبياء ' ذكره بن أبى خَيْثَمَةَ، وسمى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ابنه إبراهيم ، والآثارُ فى هذا المعنى كثيرةٌ ، وفى السنن لأبى داود أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : سَمُّوا بأسماء الأنبياء ، وهذا محمول على الإباحة ، لا على الوجوب ، وأما التَّسَمِّى بمحمد ، ففى مُسْنَد الحارث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : من كان له ثلاثة من الولد ، ولم يُسَمِّ أحدَهم بمحمد ، فقد جَهِل[٤] ، وفى المُعَيْطِى عن مالكٍ أنه سُئل عَمَّن اسمُه محمد ، ويكنى أبا القاسم ، فلم يَرَ به بأساً ، فقيل له : أكَنَّيْتَ ابنك أبا القاسم ، واسمه محمد ؟ فقال : ما كَنَّيتُه بها ولكن أهله يُكَنُّونه بها ، ولم أسمع فى ذلك نَهْياً ، ولا أرى بذلك بأسا ، وهذا يدل على أنَّ مالكا لم يبلغه ، أو لم يصح عنده حديث النهى عن ذلك ، وقد رواه أهلُ الصحيح[١]

---

(١) عن جابر « رضى الله عنه » قال : ولد لرجل منا غلام فسماه القاسم ، فقالوا لا نكنيه حتى نسأل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : سموا باسمى، ولا تكنوا بكنيتى ، رواه الأربعة ، ولعل المقصود ـــ والله أعلم ـــ العمل بمقتضاه طول مدة حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـــ فقط . وسيأتى رأى ابن سيرين . وعن الأسماء ورد حديث رواه ابن عمر رضى الله عنهما : « إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن » مسلم وأبو داود والترمذى . وعن أبى هريرة عن النبى «ص» : « أخنع الأسماء يوم القيامة عند الله رجل تسمى ملك الأملاك » رواه الأربعة « وزاد مسلم » لا مالك إلا الله تعالى » وعن ابن عمر قال : « إن ابنة لعمر كانت تسمى عاصية ، فسماها رسول الله «ص» جميلة » مسلم وأبو داود والترمذى ونستطيع بتدبر هذه الأحاديث تبين الهدى فى الأسماء. وأخنع = أوضع

. . . .

فالله أعلم ـ ولعله بلغه حديثُ عائشة أن عليه السلام ـ قال : ما الذى أحَلَّ اسمى وحَرَّم كُنْيَتِى ، وهذا هو الناسخ لحديث النهى ، والله أعلم ، وكان ابن سيرين يكره لكل أحد أن يَتَكَنَّى بأبى القاسم ، كان اسمُه محمداً ، أو لم يكن . وطائفة إنما يكرهونه لمن اسمُه محمد ، وفى المُعَيْطِى أيضاً أنه سُئِل عن التسمية بِمَهْدِى فكرهه ، وقال : وما علمه بأنه مَهْدِىٌّ ، وأباح التسمية بالهادى ، وقال : لأن الهادى هو الذى يهدى إلى الطريق ، وقد قدمنا كراهية مالك للتسمِّى بجبريل . وقد ذكر ابن إسحاق كراهيةَ عُمَرَ للتسمى بأسماء الملائكة ، وكره مالكٌ التَّسَمِّى بياسين[1] .

الروح والنفس:

فصل : وذكر سؤالهم عن الروح ، وما أنزل الله فيه من قوله تعالى : ﴿ ويَسْئَلونك عن الرُّوح ﴾[2] الآية ورُوِى عن ابن إسحاق من غير طريق البَكَّائِىِّ أنه قال فى هذا الخبر : فناداهم رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم : هو جبريلُ ، وهذه الرواية عن ابن إسحاق تدل على خلاف ما روى غيرُه أن يهودَ قالت لقريش : اسْئَلوه عن الروح ، فإن أخبركم به فليس بنبى ، وإن لم يخبركم فهو نبى ، وقال ابن إسحاق فيما تقدم من الحديث : اسْئَلُوه عن الرجل

---

(١) ليس يا سين اسما للرسول «ص» كما يظن بعض المفسرين ، إنما هى مثل : حم ، وطس وطه ونون فهى مركبة من حرفين : الياء والسين .

(٢) سبق ذكر الأحاديث حول هذا

. . . .

الطَّوَّافِ ، وعن الفِتْية ، وعن الروح ، فإن أخبركم وإلاَّ فالرجلُ مُتَقَوِّلٌ.
فسوَّى فى الخبر بين الروح وغيره ، واختلف أهل التأويل فى الروح المسئول
عنه ، فقال بعضهم : هو جبريل ؛ لأنه الروح الأمين ، وروح القدس ، وعلى
هذا رواية ابن إسحاق أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لقريش حين
سألوه : هو جبريل ، وقالت طائفة : الروح خَلْقٌ من الملائكة على صُوَرِ
بنى آدم ، وقالت طائفة: الروحُ خَلْقٌ يرون الملائكة ، ولا تراهم، فهم للملائكة
كالملائكة لبنى آدم ، وروى عن على أنه قال : الرُّوحُ مَلَكٌ له مائة ألف
رأسٍ ، لكل رأسٍ مائةُ ألفِ وجه ، فى كل وجه مائةُ ألفِ فم ، فى كل فم
مائةُ ألفِ لسانٍ ، يُسَبِّح الله بلغات مختلفة(١) ، وقالت طائفة : الروح الذى
سألتَ عنه يهود هو : روحُ الإنسان ، ثم اختلف أصحاب هذا القول ، فمنهم
من قال : لم يجبهم رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — عن سؤالهم ، لأنهم
سألوه تَعَنُّتًا واستهزاء ، فقال الله له : قُل : الروحُ من أمر ربى ، ولم يأمره أن
يُبَيِّنه لهم ، وقالت طائفة: بل قد أخبرهم الله به، وأجابهم عما سألوا ؛ لأنه قال
لنبيه : قُلِ الرُّوحُ من أمر ربى ، وأَمْرُ الرَّبِّ هو الشرع ، والكتابُ الذى
جاء به ، فمن دخلَ فى الشرع وتفقه فى الكتابِ والسُّنَّةِ عَرَفَ الرُّوحَ ،
فكأن معنى الكلام : ادخلوا فى الدين تعرفوا ما سألتم عنه ، فإنه من أمر
ربى ، أى: من الأمر الذى جئت به مُبَلِّغا عن ربى ، وذلك أن الروح لا سبيل
إلى معرفته من جهة الطبيعة ، ولا من جهة الفلسفة ، ولا من جهة الرأى

---

(١) إنما هى مفتريات على منها برىء .

. . . .

والقياس ، وإنما يُعرف من جهة الشرع ، فإذا نظرت إلى ما فى الكتاب والسنة من ذكره نحو قوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ سَوَّاه ونَفَخَ فيه من رُوحه ﴾ السجدة : ٩ أى من روح الحياة ، والحياةُ من صفات الله سبحانه ، والنفخُ فى الحقيقة مضافٌ إلى مَلَكٍ ينفخ فيه بأمر ربِّه ، وتنظر إلى ما أخبر به الرسول عليه السلام أن الأرواحَ جُنودٌ مُجَنَّدَةٌ ، وأنها تتعارف[1] وتَتَشَامّ فى الهواء ، وأنها تُقبَضُ من الأجساد بعد الموت ، وأنها تُسْئَل فى القبر ، فتفهم السؤال وتسمع وترى ، وتُنَعَّم وتُعَذَّب وتلتذ وتَألم ، وهذه كلُّها من صفات الأجسام ، فتعرف أنها أجسام بهذه الدلائل ، لكنها ليست كالأجساد فى كثافتها وثقلها وإظلامها ، إذ الأجساد خُلقت من ماء وطين وحمإٍ مَسْنُون ، فهو أصلُها ، والأرواحُ خُلِقت مما قال الله تعالى ، وهو النفخ المتقدم المضاف إلى الملك . والملائكة خلقت من نور كما جاء فى الصحيح[2] ، وإن كان قد أضاف النفخَ إلى نفسه ، فكذلك أضاف قَبْضَ الأرواح إلى نفسه فقال : ﴿ الله يَتَوَفَّى الأنفُسَ حين مَوْتِها ﴾ الزمر : ٤٢ وأضاف ذلك إلى الملك أيضاً فقال : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الموتِ ﴾ السجدة : ١١ والفعل مضاف إلى الملك مجازاً ، وإلى الرب حقيقةً ، فهو أيضاً جِسْمٌ ، ولكنه من جِنْس الريح ، ولذلك سُمِّى رُوحاً من لفظ الريح ، ونفخُ الملك فى معنى الريح غير أنه ضُم أوله ؛ لأنه نُورانِى .

---

(١) « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف » مسلم والبخارى فى الأدب وغيرهما .

(٢) فى مسلم عن عائشة : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق إبليس من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم »

. . . .

والريح هواء متحرك ، وإذا كان الشرعُ قد عرَّفنا من معانى الروح وصفاته بهذا القدر ، فقد عُرف من جهة أمره كما قال سبحانه : ﴿ قُل: الروحُ من أمر ربى ﴾ وقوله : من أمر رَبِّى أيضاً ، ولم يقل من أمر الله ، ولا من أمر رَبِّكم يدل على خصوص ، وعلى ما قدمناه من أنه لا يعلمه إلا من أخذ معناه من قول الله سبحانه ، وقولِ رسوله بعد الإيمان بالله ورسوله واليقين الصادق والفقه فى الدين ، فإن كان لم يخبر اليهود حين سألوه عنه ، فقد أحالهم على موضع العلم به[1] .

الفرق بين الروح والنفس :

فصــل : ومما يتصل بمعنى الروح وحقيقته أن تعرف : هل هى النفسُ أو غيرها ، وقد كثرت فى ذلك الأقوالُ ، واضطربت المذاهبُ ، فتعلق قومٌ

---

(١) وأحسن ما قيل : إن المقصود بالروح هو القرآن نفســه ، وقد كان الكلام قبل هذا فى شأنه ، وقد وصف كلام الله بأنه روح فى القرآن : (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) النحل : ٢ (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) غافر : ١٥ (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) الشورى : ٥٢ وهذا الرأى قريب مما ذكره السهيلى حول أمر الله . وليت السهيلى سكت عند الصحيح المنقول ! ! فقد بلغت الأقوال فى حقيقة النفس والروح بلغت المائة أو الألف كما نقل الزرقانى فى شرح المواهب عن ابن جماعة : ويقول ابن بطال شارح البخارى ومن شيوخ ابن عبد البر عن الروح الإنسانى : « معرفة حقيقتها مما استأثر الله بعلمه » وقال القرطبى عن الحكمة فى إبهام حقيقة الروح : « إظهار عجز المرء لأنه إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق « أى الله » من باب أولى »

. . . .

بظواهر من الأحاديث لا توجب القطع ، لأنها نقل آحادٍ[١] ، وأيضاً فإن ألفاظها محتملة للتأويل ، ومجازات العرف واتساعاتها فى الكلام كثيرة ، فمما تعلقوا به فى أن الروح هى النفس قولُ بلال: «أخذَ بنفسى الذى أخذَ بنفسك»[٢] مع قول النبى عليه السلام : إن الله قبض أرواحنا ، وقوله — عز وجل — ﴿ الله يتوفى الأنْفُس ﴾ والمقبوضة هى الأرواح ، ولم يفرقوا بين القبض والتوفى، ولا بين الأخذِ فى قول بلالٍ : « أَخَذَ بِنَفْسِى الذى أَخَذَ بنفسِك » وبين قول النبى عليه السلام : « قبض أرواحنا » ، وتنقيح الأقوال وترجيحها يطول .

وقد روى أبو عُمَرَ فى التمهيد حديثاً يدل على خلافِ مَذهبهِ فى أن النفس هى الروحُ ، لكن علله فيه أن الله خلق آدم ، وجعل فيه نفساً وروحاً ، فمن الروح : عفافه ، وفهمه وحلمُهُ وسخاؤه ، ووفاؤه ، ومن النفس :شهوته وطيشه وسفَهُه وغضبه ، ونحو هذا ، وهذا الحديث معناه صحيح إذا تُؤُمِّل صحَّ نقله أو لم يصح ، وسبيلك أن تنظر فى كتاب الله أولاً ، لا إلى الأحاديث التى تُنقل مرة على اللفظ ، ومرة على المعنى ، وتختلف فيها ألفاظ المحدثين[٣] ، فنقول قال الله تعالى : ﴿ فإذا سَوَّيْتُهُ ، ونفختُ فيه من رُوحى[٤] ﴾ ولم يقل : من نفسى وكذلك قال : ﴿ ثُم سَوَّاه ونَفخَ فيهِ من رُوحهِ ﴾ السجدة : ٩ ولم يقل من

---

(١) لماذا إذاً يأخذ بأضعف الأحاديث ؟

(٢) من حديث فى البخارى ومسلم وغيرهما

(٣) هذا مبدأ عظيم، غير أن السهيلى لم يأخذ به فى كثير من الأحيان، فاعتمد على أضعف الأحاديث .

(٤) ذكرت مرة فى سورة الحجر رقم ٢٩ وفى ص رقم ٧٢ .

. . . .

نفسه ، ولا يجوز أيضاً أن يقال هذا ، ولا خفاء فيما بينهما من الفرق فى الكلام ، وذلك يدل على أن بينهما فرقا فى المعنى ، وبعكس هذا قوله سبحانه : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ ولم يقل : تعلم ما فى روحى ، ولا أعلم ما فى روحك ، ولا يحسن هذا القول أيضاً أن يقوله غير عيسى[1] ، ولو كانت النفس والروح اسمين لمعنى واحد ، كالليث والأسد لصح وقوع كل واحد منهما مكان صاحبه ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ يقولُون فى أنفُسِهِمْ ﴾ ولا يحسن فى الكلام : يقولون فى أرواحهم ، وقال تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ ﴾ ولم يقل : أن تقول روحٌ ، ولا يقوله أعرابى ، فأين إذاً كون النفس والروح بمعنى واحد لولا الغفلة عن تدبر كلام الله تعالى ؟! ولكن بقيت دقيقة يُعرف منها السر والحقيقة ، ولا يكون بين القولين اختلاف متباين إن شاء الله ، فنقول وبالله التوفيق : الروح مشتق من الريح ، وهو جسم هوائى لطيف ، به تكون حياة الجسد عادة ، أجراها الله تعالى ؛ لأن العقل يوجب ألا يكون للجسم حياة ، حتى ينفخ فيه ذلك الروح الذى هو فى تجاويف الجسد ، كما قال ابن فورك وأبو المعالى وأبو بكر المرادى ، وسبقهم إلى نحو منه أبو الحسن الأشعرى ، ومعنى كلامهم واحد أو متقارب .

الروح سبب الحياة :

فصل : فإذا ثبت أن الروح سبب الحياة عادة ، أجراها الله تعالى ، فهو

---

(١) قول النبوة أزكى الأقوال وأهداها . فلم لا يقولها غير عيسى ؟ !

. . . .

كالماء الجارى فى عروق الشجرة صُعُدا ، حتى تحيا به عادة ، فنسميه ماء باعتبار أوَّلِيَّتِه ، ونسمى أيضاً هذا روحاً باعتبار أوليته ، واعتبار النفخة التى هى ريح ، فمادام الجنين فى بطن أمه حيًّا ، فهو ذو روح ، فإذا نشأوا كتسب ذلك الروحُ أخلاقاً وأوصافا لم تكن فيه ، وأقبل على مصالح الجسم كلفا به ، وعشق مصالح الجسد ولذَّاته ، ودفع المضارّ عنه سمى : نفساً ، كما يكتسب الماء الصاعد فى الشجرة من الشجرة أوصافا لم تكن فيه ، فالماء فى العنبة مثلاً هو : ماء باعتبار الأصل والبَدْأة ، ففيه من الماء الميوعة والرطوبة ، وفيهِ منَ العنبة الحلاوة ، وأوصاف أخر ، فتسميه مُصْطَارًا إن شئتَ ، أو خمرًا إن شئتَ ، أو غير ذلك مما أوجبه الاكتساب لهذه الأوصاف ، فمن قال : إن النفس هى الروحُ على الإطلاق من غير تقييد ، فلم يحسن العبارة ، وإنما فيها من الروح الأوصاف التى تقتضيها نفخة الملك ، وَالملَكُ موصوف بكلِّ خلقٍ كريم ؛ وَلذلك قال فى الحديث : فمن الروح عفافه وَحلمه وَوَفاؤه وَفهمه ، وَمن النفس شهوته وَغضبه وَطيشه ، وَذلك أن الروح كما قدمنا مازج الجسد الذى فيه الدم ، وَيسمى الدم : نفساً ، وَهو مجرى الشيطان ، وَقد حكمت الشريعة بنجاسة الدم لسرٍّ لعله أن يفهم مما نحن بسبيله ، فمنْ يعرف جوهرَ الكلام ، وَيُنزل الألفاظَ منازلها ، لا يُسمى رُوحاً إلا ما وَقع به الفَرق بين الجماد والحى ، وَالذى كان سبباً للحياة ، كما فى الكتاب العزيز عند ذكر إحياء النطفةِ ، ونفخ الروح فيها ، ولا يُقال : نفخ النفس فيها إلا عند الاتساع فى الكلام ، وتسمية الشىء بما يؤول إليه ،

---

(١) مصطار بضم الميم : الخمر ، ومسطار بكسر الميم وبالسين : الخمرة الصارعة لشاربها أو الحامضة أو الحديثة .

. . . .

ومن هٰهنا سمى جبريل عليه السلام : روحا ، والوحى: روحا ، لأن به تكون حياة القلوب ، قال الله سبحانه : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً [فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا] ﴾ الأنعام : ١٢٢ وقال فى الكفار : ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾ النحل : ٢١ وقال فى النفس ما تقدم ، وقال : ﴿ إن النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ ﴾ يوسف : ٥٣ ولم يقل إن الرُّوحَ لأَمَّارة ؛ لأن الروح الذى هو سبب الحياة لا يأمر بسوء ، ولا يسمّى أيضاً نفسا ، كما قدمنا حتى يكتسب من الجسد الأوصاف المذكورة ، وما كان نحوها ، والماء النازل من السماء جنس واحد ، فإذا مازج أجساد الشجر كالتفاح والْفِرْسِك(١) والحَنْظَلِ والْعُشَرِ ، وغير ذلك اختلفت أنواعه ، كذلك الروح الباطنة التى هى من عند الله ، هى جنس واحد ، وقد أضافها إلى نفسه تشريفاً لها حين قال : ونَفَخَ فيه من رُوحه،ثم يخالط الأجساد التى خُلقت من طين ، وقد كان فى ذلك الطين طيب وخبيث ، فينزع كلُّ فرع إلى أصله ، وينزع ذلك الأصل إلى ما سبق فى أم الكتاب ، وإلى ما دبّره وأحكمه الحكيمُ الخبير ، فعند ذلك تتنافر النفوس ، أو تتقارب ، وتتحابُّ أو تتباغض على حسب التشاكل فى أصل الخلقة ، وهى معنى قول النبى — صلى الله عليه وسلم : فما تَعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف . وقد كتب بعض الحكماء إلى صديق له: « إن نفسى غير مشكورة على الانقياد إليك بغير زمام ؛ فإنها صادفت عندك بعض جواهرها ، والشىء يتبع بعضُه بعضا » .

---

(١) الفرسك: الخوخ أو ضرب منه أجرد أحمر، أو ما يتفلق عن نواه والعشر شجر يخرج من زهره وشعبه سكر .

. . . .

الإنسان روح وجسد :

فصل : وقد يُعبَّر بالنفس عن جملة الإنسان روحه وجسده ، فتقول: عندى ثلاثة أنفس، ولا تقول: عندى ثلاثة أرواح ، لا يعبر بالروح إلا عن المعنى المتقدِّم ذكره ، وإنما اتسع فى النفس ، وعبر بها عن الجملة لغلبة أوصاف الجسد على الروح ، حتى صار يسمى نفسا ، وطرأ هذا الاسم بسبب الجسد ، كما يطرأ على الماء فى الشجر أسماء على حسب اختلاف أنواع الشجر من حلو وحامض ومُرٍّ وحِرِّيف ، وغير ذلك فتحصَّل من مضمون ما ذكرنا ألا يقال فى النفس : هى الروح على الإطلاق ، حتى تُقيد بما تقدم ، ولا يقال فى الروح : هو النفس إلا كما يقال فى الْمَنِىِّ هو الإنسان ، أو كما يقال للماء المغذِّى لِلْكَرْمَة هو : الخمر ، أو الخل ، على معنى أنه ستنضاف إليه أوصاف يسمى بها خمرا أو خلا ، فتقييد الألفاظ هو : معنى الكلام ، وتنزيل كل لفظ فى موضعه ، هو معنى البلاغة. فافهمه .

النفس

فصل : وإذا ثبت هذا فلم يبق إلا قولُ بلال : أَخَذَ بنَفْسِى الذى أخَذَ بنفسك ، فذكر النفس ؛ لأنه معتذر من ترك عمل أمر به ، والأعمال مضافة إلى النفس : لأن الأعمال جَسَدَانِيَّة ، وقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم : إن الله قبض أرواحنا ، فذكر الروح الذى هو الأصل ، لأنه أنَّسهم من فزعهم ، فأعلمهم أن خالق الأرواح يقبضها إذا شاء ، فلا تنبسط انبساطها فى اليقظة وروح النائم وإن وُصِف بالقبض ، فلا يدل لفظ القَبْضِ على انتزاعه بالكلية ،

. . . .

كما لايدل قوله سبحانه فى الظل : ﴿ ثمَّ قَبَضْنَاه إلينا قَبْضاً يسيرا ﴾ الفرقان : ٤٦ . على إعدام الظل بالكلية ، وقوله تعالى : ﴿ الله يَتَوَفَّى الأنفسَ ﴾ فلم يقل : الأرواح ، لأنه وعظ العباد الغافلين عنه ، فأخبر أنه يتوفى أنفسهم ، ثم يعيدها حتى يتوفاها ، فلا يعيدها إلى الحشر لِتَزْدَجِرَ النفوسُ بهذه العظة عن سوء أعمالها ؛ إذ الآية مكية ، والخطابُ للكفار ، وقد تنزلت الألفاظ منازلها فى الحديث والقرآن ، وذلك معنى الفصاحة وسر البلاغة .

ابن هرمة :

فصل : واستشهد ابن هشام بقول ابن هَرْمة ونسبه فقال : فهرى ، وإنما هو خُلْجِىّ ، والخُلْج اسمه : قيس ابن الحارث بن فهر ، واختلف فى تسمية بنى

---

(١) فى الاشتقاق : والخلج بطن يزعمون أنهم من قريش منهم ابن هرمة الشاعر ، وفيه أيضاً : الخلج بفتح فكسر الشاعر ، واسمه : عبد الله ، وسمى الخلج لقوله :

كأن تخالج الأشطان فيها   شآبيب تجود من الغوادى

وفى حاشية الاشتقاق للأستاذ عبد السلام هارون : وأما خلج بكسر الخاء وتخفيف اللام وسكونها فهو عبد الله بن الحارث بن عمرو بن وهب ابن الحارث . بن سعد الجعفى ، وقيل : الخلج بفتح الخاء وكسر اللام . وفى الطبقات لابن قتيبة عنه : « هو من الخلج من قيس عيلان ، ويقال : إنهم من قريش » وفى الأغانى أن نسبه ينتهى إلى قيس بن الحارث ، وقيس : هم الخلج .. فلما تولى عثمان أثبتهم فى بنى الحارث بن فهر ، وجعل لهم ديوانا ، فسموا الخلج ، لأنهم اختلجوا عما كانوا عليه من عدوان ، وورد عن ابن هرمة فى سمط اللآلى للبكرى ما نصه : « إبراهيم بن على بن سلمة من هرمة من خلج

. . . .

قيس بن الحارث الْخُلج ، فقيل : لأنهم اختلجوا من قريش وسكان مكة ، وقيل: لأنهم نزلوا بموضع فيه خُلْج من ماء ، ونسبوا إليه ، وابن هَرْمة واسمه: إبراهيم بن على بن هَرْمة ، وهو شاعر من شعراء الدولة العباسية ، وبيته :

وإذا هَرَقْتَ بكلِّ دار عَبْرَةً نُزِفَ الشُّئُونُ ودمعُك الينبوعُ

والشئونُ : مجارى الدمع ، وهى أطباق الرأس ، وهى أربعة للرجل ، وثلاثة للمرأة، كذلك ذكروا عن أهل التشريح، وكذلك ذكر قاسم بن ثابت فى الدلائل ، فالله أعلم .

من شرح الآيات :

وكل ماشرح ابن هشام من الآيات التى تلاها ابن إسحاق ، فقد تقدم مايحتاج بيانه منه،وفى قوله سبحانه : ﴿بَيْتٌ من زُخْرُفٍ﴾ دليل على أن البيت يراد به : القصر والمنزل ، وإن كان عظيما ، فإنه يسمى بيتا كما قدمنا فى شرح بيت القصب فى حديث خديجة .

= قريش ـ بزيادة : ابن سلمة قبل ابن هرمة ـ والخلج هو : قيس بن الحارث بن فهر ، سموا بذلك لأنهم كانوا فى عدوان ، ثم فى هوازن ، فلما استخلف عمر أتوه ليفرض لهم ، فأنكر نسبهم، فلما استخلف عثمان أتوه ، فأثبتهم فى بنى الحارث ابن فهر ، فسموا بذلك : الخلج ، لأنهم اختلجوا ممن كانوا معه ، ثم ذكر أن الموضع الذى نزلوا فيه كان على خاج بالمدينة .وأن ابن هرمة من متقدمى الشعراء وممن أدرك الدولتين الأموية والهاشمية يكنى أبا إسحاق . . وفى السيرة: إبراهيم بن عبد الله، وعند مصعب الزبيرى عن الكلبى ورد نسبه : سلمة بن عامر بن هرمة بن الهذيل بن ربيع بن عامر بن صبيح بن كنانة بن عدى بن قيس بن الحارث بن فهر انظر ٢٩٨ سمط اللآلى ، والذهبى يضبط الخلج بضم فسكون

. . . .

خزنة جهنم وأبو الأشدين :

فصل : وذكر ابن إسحاق قول أبي جهل مستهزئاً : يزعم محمد أن جنود ربه التي يخوفكم بها تسعةَ عشر ، وأنتم الناس، إلى آخر القصة . وأهل التفسير يعزون هذه المقالة إلى أبي الأَشَدَّين الجُمَحِيّ(١) ،واسمه: كَلَدَة بن أُسَيْد بن خلف ، وأبو دَهْبَل الشاعر هو ابن أخيه ، واسمه : وَهْب بن زَمَعَة بن أُسيد بن خلف ابن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ، وكانت عند أبي دَهبل التَّوْأَمَةُ التي يعرف بها صالح مولى التَّوْأَمةِ ، وهي أخت عبد الله بن صَفْوان بن أمية ، ولدت له عبد الرحمن قبل يوم الجمل ، وأنه قال : اكفوني منهم اثنين ، وأنا أكفيكم سبعة عشر إعجابا منه بنفسه، وكان بلغ من شدته ـ فيما زعموا ـ أنه كان يقف على

---

(١) وقيل كما ذكر ابن أبي حاتم: إن رهطا من اليهود سألوا رجلا من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن خزنة جهنم ، فقال : الله ورسوله أعلم ، فجاء رجل ، فأخبر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى عليه ساعتئذ :(عليها تسعة عشر) الخ .

وهناك رواية أخرى للترمذى وأحمد والبزار أن رجلا جاء إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له : غلب أصحابك اليوم ، فقال : بأي شيء ، قال : سألتهم يهود: هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار ـ ؟ قالوا : لانعلم حتى نسأل نبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. أفغلب قوم يسئلون عما لا يعلمون ، فقالوا : لا نعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم ـ على بأعداء الله ، لكنهم قد سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة . فأرسل إليهم محمد فدعاهم . قالوا : يا أبا القاسم :كم عدة خزنة أهل النار : قال : هكذا ، وطبق كفين ثم طبق كفيه مرتين ، وعقد واحدة الخ

. . . .

جلد البقرة ، ويجاذبه عشرة ، لينتزعوه من تحت قدمه ، فيتمزق الجلد ، ولا يتزحزح عنه ، وقد دعا النبي — صلى الله عليه وسلم — إلى المصارعة ، وقال : إن صرعتني آمنت بك ، فصرعه رسول الله — صلى الله عليه وسلم مراراً ، فلم يؤمن ، وقد نسب ابن إسحاق خبر المصارعة إلى رُكَانة بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب ، وسيأتي في الكتاب والله أعلم ، وأما ما قال أهل التأويل في خَزَنَة جهنم التسعة عشر ، فروى عن كعب أنه قال : بيد كل واحد منهم عمود له شُعْبَتان ، وإنه ليدفع بالشعبة تسعين ألفا إلى النار ، وقد أملينا في معنى أبواب الجنة وأبواب النار فائدة عددها وتسميتها ، وذكر الزَّبَانِيَة ، والحكمة في كونهم عددا قليلا مسئلةً في قريب من جزء ، فلتنظر هناك .

بهت الرسول «ص» أنه بشرا يعلمه :

فصل : وذكر قول قريش : إنما يعلمه رجل باليمامة يقال له : الرحمن ، وإنا لا نؤمن بالرحمن ، فأنزل الله سبحانه : ﴿وهم يَكْفُرُون بالرَّحْمٰن قل : هُوَ رَبِّي﴾ كان مُسَيْلِمَةُ بن حبيب الحنفي ، ثم أحد بني الدُّول قد تسمى : بالرحمن في الجاهلية ، وكان من المعمرين ، ذكر وَثِيمَةُ بن موسى أن مسيلمة تسمى بالرَّحْمٰن قبل أن يولد عبدُ الله أو رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم .

كبير :

وأنشد في تفسير الزَّبانية :

الذين استمعوا إلى قراءة النبي (ص)

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مُسلم بن شِهاب الزّهرى أنه حدّث : أن سفيان بن حَرْب ، وأباجهل بن هشام ، والأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وَهْب الثقفىّ حليف بنى زُهْرة ، خرجوا ليلةً ؛ ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلى من الليل فى بيته ، فأخذ كلّ رجلٍ منهم مجلسا يستمع فيه ، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجْرُ تفرّقوا . فجمعهم الطريقُ ، فتلاوَموا ، وقال بعضُهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رآكم بعضُ سُفهائكم لأوْقعتم فى نفسه شيئا ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية ، عاد كلّ رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجرُ تفرّقوا ، فجمعهم الطريقُ ، فقال بعضُهم لبعض مثلَ ماقالوا أوّل مرّة ، ثم انصرفوا . حتى

ومن كَبيرٍ نَفرٌ زَبانيه[1]

وجدت فى حاشية كتاب الشيخ على هذا البيت : كبير : حَىٌّ من هُذَيْل قال المؤلف : وفى أسد أيضا : كبير بن غَنْم بن دُودَان بن أسد ، ومن ذريته : بنو جَحْش بن رِيَاب بن يَعْمَر بن صَبْرَة بن مُرَّة بن كبير[2] ولعل الراجز أن يكون أراد هؤلاء ، فإنهم أشهر ، والله أعلم ، وبنو كبير أيضا : بطن من بنى غامد ، وهم من الأزد ، والذى تقدم ذكره من هذيل هو : كبير بن طابخة بن لِحْيان ابن سعد بن هُذَيل .

---

(١) سبق ذكر الأحاديث التى وردت فى هذا الشان ، والذى نقله السهيلى عن كعب الأحبار فى أمر خزنة جهنم لاسند له

(٢) من شعراء هذيل من كنيته أبو كبير ، وفى اللسان : كبير بن هند : حى من هذيل .

إذا كانت الليلةُ الثالثة أخذ كلُّ رجل منهم مجلسَه ، فباتوا يَسْتمعون له ، حتى إذا طلع الفجرُ تفرّقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضُهم لبعض : لانبرحُ حتى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرّقوا .

فلما أصبح الأخنسُ بن شَريق أخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى أباسفيان فى بيته ، فقال : أخْبرنى يا أبا حَنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ، فقال : ياأباثعلبة والله لقدسمعت أشياء أعْرفها، وأعرف مايُراد بها ، وسمعتُ أشياء ماعرفت معناها ولا مايُراد بها ، قال الأخنسُ : وأنا والذى حلفت به .

قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جَهْل ، فدخل عليه بيتَه ، فقال : يا أبا الحكم ، مارأيك فيما سمعتَ من محمَّد ؟ فقال :ماذاسمعتُ ، تنازعْنا نحنُ وبنو عبد مناف الشرفَ ، أطعموا فأطْعمنا ، وحَملوا فحمَلْنا ، وأعْطَوْافأعْطَينا ، حتى إذا تحاذينا على الرُّكَب ، وكُنَّا كفَرَسَىْ رِهان ، قالوا : منَّا نبىّ يأتيه الوحىُ من السماء، فمتى نُدْرك مثلَ هذه ، والله لا نُؤْمن به أبداً، ولا نصدّقه . قال : فقام عنه الأخنسُ وتركه .

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا تلا عليهم القرآن ، ودعاهم إلى الله ، قالوا يهزءون به : (قلُوبنا فِى أَكِنَّة مما تدعونا إليه) لانفقه ماتقول: (وفى آذاننا وَقْر) لانسمع ما تقول:(ومن بينناوبينك حجابٌ) قد حال بيننا وبينك (فاعمل) بما أنت عليه (إنَّنا عاملون) بما نحن عليه ، إنَّا لانفقه عنك شيئا ، فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك من قولهم : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ

القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستوراً ﴾ إلى قوله : ﴿ وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً ﴾ الإسراء : ٤٥ ، ٤٦ أى : كيف فهموا توحيدك ربك إن كنتُ جعلتُ على قلوبهم أكنة ، وفى آذانهم وقراً ، وبينك وبينهم حجابا بزعمهم ؛ أى : إنى لم أفعل ذلك . ﴿ نحن أعلم بما يستمعون به ، إذ يستمعون إليك : وإذ هم نجوى ، إذ يقول الظالمون : إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً ﴾ الإسراء : ٤٧ أى : ذلك ماتواصوا به من ترك مابعثتك به إليهم . ﴿ انظر : كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ﴾ الإسراء : ٤٨ أى : أخطئوا المثل الذى ضربوا لك ، فلا يُصيبون به هدًى ، ولا يعتدل لهم فيه قول ﴿ وقالوا : أءذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً ﴾ أى : قد جئت تخبرنا : أنا سنُبعث بعد موتنا إذا كنا عظاما ورفاتا ، وذلك مالا يكون . ﴿ قل : كونوا حجارةً أو حديداً ، أو خلقاً مما يكبر فى صدوركم ، فسيقولون : من يعيدنا ، قل : الذى فطركم أول مرة ﴾ الإسراء : ٤٩ ـ ٥١ : أى : الذى خلقكم مما تعرفون ، فليس خلقكم من تراب بأعز من ذلك عليه .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبدالله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : سألته عن قول الله تعالى : ﴿ أو خلقا مما يكبر فى صدوركم ﴾ ما الذى أراد الله به ؟ فقال : الموت .

ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة

قال ابن إسحاق : ثم إنهم عَدَوْا على من أسْلم، واتَّبع رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - من أصحابه، فوثبتْ كلُّ قبيلةٍ على من فيها من المسلمينَ، فجعلوا يحبِسُونهم ويعذِّبونهم بالضرب والجوع والعَطش، وبرَمْضاء مكة إذا اشتدَّ الحرّ، مَنْ استضعفوا منهم، يَفْتنونهم عن دينِهِمْ، فمنهم من يُفْتَن من شدّة البلاء الذى يُصيبه، ومنهم من يَصْلُب لهم، ويَعْصِمه الله منهم.

تعذيب بلال وعتقه

وكان بلالٌ مَوْلى أبى بكر رضى الله عنهما، لبعض بنى جُمَح، مُوَلَّدا من مولديهم، وهو بلالُ بن رباح، وكان اسْمُ أمِّه: حَمامة، وكان صادقَ الإسلام طاهرَ القَلب، وكان أميَّة بن خَلَف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح يُخرجه إذا حميت الظَّهِيرةُ، فيطرَحه على ظهره فى بَطْحاء مكة، ثم يأمر بالصَّخرة العظيمة فتوضع على صَدْره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت، أوْ تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى؛ فيقول وهو فى ذلك البلاء: أَحَدٌ أَحَدٌ.

قال ابن إسحاق: وحدثنى هشام بن عروة عن أبيه، قال: كان وَرَقة بن نوفل يمرّ به وهو يعذّب بذلك، وهو يقول: أَحد أحد، فيقول: أَحَدٌ أحَدٌ والله يابلال، ثم يُقْبِل على أميَّة بن خَلَف، ومن يَصْنع ذلك به من بنى جُمَح، فيقول: أحلفُ بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنَّه حَنَانا، حتى مرَّ به أبو بكر

الصدّيق بن أبي قُحافة ـ رضى الله عنه ـ يوما ، وهُم يصْنعون ذلك به ، وكانت دارُ أبي بكر فى بنى جُمَح ، فقال لأمية بن خَلف : ألا تتقى الله فى هذا المسكين؟! حتى متى ؟ قال : أنت الذى أفسدته ، فأنقِذْه مما ترى ، فقال أبو بكرٍ : أفعلُ عندى غلام أسودُ أجْلَدُ منه وأقوى ، على دينك ، أُعْطيكه به ، قال : قد قبلتُ فقال : هو لك . فأعطاه أبو بكر الصديقُ رضى الله عنه غلامَه ذلك وأخذه فأعتقه .

من عتقاء أبى بكر

ثم أعْتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب ، بلال سابعهم: عامر بن فُهَيرة ، شَهِد بدراً وأُحُداً ، وقُتِل يوم بئر مَعُونة شهيداً ، وأمّ عُمَيْس وزِنِّيرة ، وأصيب بصرُها حين أعتقها، فقالت قُريش : ما أذهب بصرَها إلا اللات والعُزّى ؛ فقالت : كذَبُوا ـ وبيت الله ـ ما تضر اللات والعُزّى ، وما تَنفعان ، فردّ اللهُ بصرَها .

وأعتق النَّهدية وبنتَها ، وكانتا لامرأة من بنى عَبْد الدار ، فمر بهما وقد بعثتهما سيدتُهما بطَحين لها ، وهى تقول : والله لا أُعْتقكما أبداً ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : حِلاًّ يا أمّ فلان، فقالت:حِلٌّ ، أنت أفسدتَهما فأعْتِقهما؛ قال : فبكم هما ؟ قالت : بكذا وكذا ، قال : قد أخذتُهما وهما حُرّتان ، أرْجعا إليها طَحينها ، قالتا : أوَ نَفْرُغ منه يا أبا بكر ، ثم نردّه إليها ؟! قال : وذلك إن شِئتُما .

ومرّ بجارية بنى مُؤَمَّل ، حىّ من بنى عدىّ بن كعب ، وكانت مسلمة

وعمرُ بن الخطاب يُعذّ بها لتترك الإسلام ، وهو يومئذ مشركٌ وهو يضربها ، حتى إذا ملّ قال : إنى أعتذر إليك ، إنى لم أتركْك إلا مَلَالةً ، فتقول : كذلك فَعل الله بك ، فابتاعها أبو بكر ، فأعتقها .

بين أبى بكر وأبيه

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن عبد الله بن أبى عَتيق ، عن عامر ابن عبد الله بن الزُّبير ، عن بعض أهله ، قال :

قال أبو قحافة لأبى بكر : يا بُنَىَّ ، إنى أراكَ تُعتِق رِقابا ضِعافا ، فلو أنك إذ فعلت مافعلتَ أعتقتَ رجالا جُلْداً يمنعونك ، ويقومون دونَك ؟ قال : فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا أبتِ ، إنى إنما أُريد ماأُريد ، لله عزّ وجل ، قال: فيُتحدّث أنه مانزل هؤلاء الآياتُ إلا فيه ، وفيما قال له أبوه : ﴿فأمَّا مَنْ أعْطَى واتَّقَى وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى﴾ الليل : ٥ ، ٦ . . . إلى قوله تعالى : ﴿وما لأحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إلاَّ ابْتِغاء وَجْهِ رَبِّهِ الأعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ الليل ١٩ ، ٢١ .

تعذيب عمار بن ياسر

قال ابن إسحاق : وكانت بنو مَخْزُوم يَخرجون بعمَّار بن ياسر ، وبأبيه ـ وأمه ـ وكانوا أهل بيت إسلام ـ إذا حَميتِ الظهيرةُ ، يُعذّبونهم برَمْضاء مكة ؛ فيمرّ بهم رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقول ، فيما بلغنى : صبراً آل ياسر ، موعدُكم الجنَّة . فأمَّا أمُّه فقتلوها ، وهى تأبى إلا الإسلام .

وكان أبو جهل الفاسق الذى يُغرِى بهم فى رجال من قريش ، إذا سَمِع

. . . .

بالرجل قد أسلم ، له شرف ومَنَعة أنبّه وأخزاه وقال : تركتَ دِين أبيك وهو خير منك : لَنُسَفِّهَنّ حِلمَكَ ولنفيِّلَنّ رأيك ، ولنضعنّ شرفك ، وإن كان تاجراً، قال : والله لنُكَسِّدنّ تجارتك ، ولنهلكنّ مالك ، وإن كان ضعيفا ضَرَبه وأغرى به .

فتنة المعذبين

قال ابن إسحاق : وحدثنى حَكِيم بن جُبير عن سَعيد بن جُبير ، قال : قلت لعبد الله بن عبَّاس : أكان المشركون يَبْلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يُعذَرون به فى تَرْك دينهم ؟ قال : نعم ، والله ، إن كانوا لَيَضْربون أحدهم ، ويُجيعونه ، ويُعطِّشونه حتى ما يقدر أن يستوى جالسا من شدّة الضُر الذى نزل به ، حتى يُعطيهم ما سألوه من الفِتْنة ، حتى يقولوا له ، آللّاتُ والعُزَّى إلهُك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، حتى إن الجُعَل ليمر بهم، فيقولون له : أهذا الجُعَل إلهُك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، افتداءً منهم ممَّا يبلغون من جَهْده .

رفض تسليم الوليد لتقتله قريش

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزبيرُ بن عُكَّاشة بن عبد الله بن أبى أحمد أنه حُدّث أن رجالا من بنى مَخزوم مَشَوْا إلى هشام بن الوليد ، حين أسْلم أخوه الوليدُ بن الوليد ، وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتيةً منهم كانوا قد أسلَموا ، منهم : سَلَمةُ بن هشام ، وعيَّاش بن أبى ربيعة . قال : فقالوا له — وخشُوا شَرّهم : إنا قد أردنا أن نُعاتِب هؤلاء الفِتْية على هذا الدين الذى أحدثوا ، فإنَّا نأمن بذلك فى غيرهم . قال : هذا ، فعليكم به . فعاتبوه وإياكم ونفسَه . وأنشأ يقول :

. . . .

ألا لا يُقْتَلَنَّ أخي عُيَيْشٍ فيبقى بيْننا أبداً تَلاحِي

احذروا على نفسه ، فأُقسم بالله لئن قتلتموه ، لأقتلن أشرفكم رجلاً . قال : فقالوا : اللهمّ العنه . من يُغرّر بهذا الخبيث ، فوالله لو أصيب في أيدينا لقُتل أشرفنا رجلاً . قال : فتركوه ونزَعوا عنه . قال : وكان ذلك مما دفع الله به عنهم .

ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق : فلما رأى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما يَصيب أصحابَه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله ، ومن عمه أبى طالب ، وأنه لا يقدر على أن يَمنعهم مما هم فيه من البلاء . قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشَة ، فإنّ بها مَلِكا لا يُظلم عنده أحد . وهى أرض صِدْق ، حتى يجعلَ الله لكم فرجا مما أنتم فيه ، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى أرض الحبشة ، مخافةَ الفتنة ، وفراراً إلى الله بدينهم . فكانت أوّلَ هجرة كانت فى الإسلام .

أصحاب الهجرة الأولى إلى الحبشه

وكان أوّلَ من خرج من المسلمين من بنى أُمَيَّة بنِ عَبْد شَمْس ابن عبد مناف ابن قُصَىّ بن كلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب ابن فِهْرٍ : عثمانُ بن عفّان بن أبى العاص بن أمية ، معه امرأتُه : رُقَيَّة بنتُ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومن بَنى عبد شَمْس بن عبد مناف : أبو حُذيفة

ابن عُتْبة بن رَبيعة بن عَبْد شَمْس ، معه امرأتهُ : سَهْلَةُ بنت سُهَيْلِ بن عمرو ، أحد بني عامر بن لُؤَيّ ، ولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبي حُذَيفة . ومن بَني أَسَد ابن عبد العُزّى بن قصيّ : الزُّبير بن العوّام بن خُوَيلد بن أَسَد . ومن بَني عبد الدار بن قُصَيّ : مُصْعب بن عُمَير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . ومن بني زُهرة بن كِلاب : عبد الرحمن بن عَوف بنَ عَبْد عَوْف بن عبد بن الحارث ابن زُهرة . ومن بني مَخزوم ابن يَقَظة بن مُرّة : أبو سَلَمَة بن عبد الأسد بن هِلال بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزُوم ، معه امرأتهُ أُمُّ سَلَمة بنت أبي أُمَيَّة ابن المُغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزُوم . ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصيص بن كعب : عثمانُ بن مَظْعون بن حَبِيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمح . ومن بني عديّ بن كعب : عامرُ بن رَبيعة ، حليف آل الخطّاب ، من عَنز بن وائل معه امرأته : لَيلى بنت أبي حَثْمة بن حُذَيْفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عَوْف بن عبيد بن عُوَيج بن عديّ بن كعب . ومن بني عامر بن لُؤَيّ أبو سَبْرة ابن أبي رُهْم بن عبد العُزّى بن أبي قَيْس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك ابن حِسْل بن عامر ، ويقال : بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ ابن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر .

ويقال : هو أول من قدمها . ومن بني الحارث بن فهر : سهيل بن بيضاء ، وهو : سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أُهَيب بن ضَبَّة بن الحارث . فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة ، فيما بلغني .

قال ابن هشام : وكان عليهم عثمان بن مظعون ، فيما ذكر لي بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : ثم خرج جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، وتتابع المسلمون ، حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ، فكانوا بها ، منهم من خرج بأهله معه ، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه .

المهاجرون من بنى هاشم و بنى أمية

ومن بنى هاشم بن عبد مناف بن قُصَىّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب ابن لُؤَىّ بن غالب بن فهر : جعفرُ بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، معه امرأتهُ : أسماء بنت عُمَيْس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خَثْعم ، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن جعفر ، رجل .

ومن بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان بن أبى العاص ابن أمية بن عبد شمس ، معه امرأتهُ : رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأتهُ : فاطمةُ بنت صَفْوان ابن أمية ابن مُحَرِّث بن حَمَلِ بن شِقِّ بن رَقَبَةَ بن مُخْدِجِ الكنانى ، وأخوه خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته : أُمَيْنَةُ بنت خلف بن أسعد ابن عامر بن بَياضة بن سُبَيْع بن جُعْثُمة بن سعد بن مُلَيْح بن عمرو ، من خزاعة

قال ابن هشام : ويقال: هُمَينة بنت خلف .

قال ابن إسحاق : ولدت له بأرض الحبشة سَعيدَ بن خالد ، وأَمَةَ بنت خالد ، فتزوج أَمَةَ بعد ذلك الزبيرُ بن العوام ، فولدت له عمرو بن الزبير ، وخالد بن الزبير .

المهاجرون من بنى أسد وبنى عبد شمس

ومن حلفائهم ، من بنى أسد بن خزيمة : عبد الله بن جَحْش بن رِئاب بن يَعْمَر بن صَبِرَة بن مُرّة بن كَبير بن غَنْم بن دُودان بن أسَد ؛ وأخوه عُبيد الله بن جَحْش، معه امرأته : أمّ حَبيبة بنتُ أبى سُفْيان بن حَرْب بن أميَّة ، وقيسُ بن عبد الله ، رجل من بنى أسد بن خُزَيمة ، معه امرأته بَرَكة بنت يَسار ، مولاة أبى سُفيان بن حَرْب بن أمية ، ومُعَيْقيب بن أبى فاطمة ، وهؤلاء آلُ سَعيد بن العاص ، سبعة نفر .

قال ابن هشام : مُعيقيب من دَوْس .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عَبْد شَمْس بن عَبْد مناف ، أبو حُذَيفة ابن عُتْبة بن رَبيعة بن عبد شمس ، وأبو موسى الأشعرىّ ، واسمه : عبدُ الله ابن قَيْس حليف آل عتبة بن ربيعة ، رجلان .

المهاجرون من بنى نوفل وبنى أسد

ومن بنى نَوْفل بن عَبْد مناف : عُتْبةُ بن غَزْوان بن جابر بن وهْب ابن نَسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن مَنْصور بن عِكْرمة بن خَصَفة ابن قَيْس بن عَيْلان ، حليف لهم ، رجل .

ومن بنى أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ : الزبيرُ بن العوّام بن خُوَيلد ابن أسد ، والأسودُ بن نَوْفل بن خُوَيلد بن أسَد ، ويزيد بن زَمْعَة بن الأسود ابن المُطَّلب بن أسَد . وعمرو بن أُميَّة بن الحارث بن أسَد ، أربعة نفر .

. . . .

المهاجرون من بنى عبد وعبد الدار ولدى قصى

ومن بنى عَبْد بن قُصَىّ : طُليب بن عُمير بن وهب بن أبى كثير بن عبد [ابن قُصَى] رجل .

ومن بنى عبد الدّار بن قُصَىّ : مُصْعب بن عُمَير بن هاشم بن عبد مناف ابن عَبْد الدار ، وسُوَيط بن سَعْد بن حَرْملة بن مالك بن عُميلة بن السَّبّاق ابن عبد الدار ، وجَهْم بن قَيْس بن عبد شُرَحْبيل بن هاشم بن عَبْد مناف ابن عبد الدار ، معه امرأتُهُ أم حَرْملة بنت عبد الأسود بن جذيمة بن أُقَيْشِ بن عامر ابن بياضة بن سُبيع بن جُعْثُمة بن سَعْد بن مُليح بن عمرو ، من خزاعة ، وابناه : عَمْرو بن جَهْم وخُزيمة بن جَهْم ، وأبو الرّوم بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عَبْد الدار ، وفِراس بن النَّضْر بن الحارث بن كَلَدة بن علْقمة بن عبد مناف ابن عبد الدار ، خمسة نفر .

المهاجرون من بنى زهرة وبنى هذيل وبهراء

ومن بنى زُهرة بن كِلاب : عبدُ الرحمن بن عَوْف بن عبد عوف بن عَبْد ابن الحارث بن زُهرة ، وعامر بن أبى وقّاص ، وأبو وقاص : مالك بن أُهيب ابن عَبْد مناف ابن زُهرة ، والمطّلب بن أزْهر بن عبد عَوف بن عَبْد بن الحارث ابن زُهرة ، معه امرأته : رَمْلة بنت أبى عَوْف بن ضُبيرة بن سُعيد بن سَعْد ابن سَهْم ، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطّلب .

ومن حُلفائهم من هُذيل : عبدُ الله بن مَسْعود بن الحارث بن شَمْخ

ابن مَخْزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، وأخوه: عُتْبة بن مَسْعود .

ومن بَهْرَاء : الْمِقْدادُ بن عمرو بن ثَعْلبة بن مالك بن رَبيعة بن ثُمامة ابن مَطْرود بن عمرو بن سعد بن زُهير بن لؤى بن ثعلبة بن مالك بن الشَّرِيد ابن أبى أَهْوَز بن أبى فائش بن دُرَيم بن القَيْن بن أَهْوَد بن بَهْراء بن عمرو ابن الحاف بن قُضاعة .

قال ابن هشام : ويقال هَزْل بن فاس بن ذرّ ، ودَهِير بن ثور .

قال ابن إسحاق : وكان يقال له : المِقداد بن الأسود بن عَبْد يَغُوثَ ابن وهب بن عَبْدمناف بن زُهْرة ، وذلك أنه تبنّاه فى الجاهلية ، وحالفه ، ستة نفر .

المهاجرون من بنى تميم وبنى مخزوم

ومن بنى تَيْم بن مرة : الحارثُ بن خالد بن صَخْر بن عامر بن عمرو ابن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم ، معه امرأتهُ رَيْطة بنت الحارث بن جَبَلة بن عامر ابن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم ، وَلَدت له بأرض الحَبَشة موسى بن الحارث ، وعائشة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث ، وفاطمةَ بنت الحارث ، وعمرُو ابن عثمان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم ، رجلان .

ومن بنى مَخْزوم بن يَقَظة بن مُرّة : أبو سَلمة بن عبد الأسَد بن هِلال ابن عبدالله بن عمر بن مَخْزوم ، ومعه امرأتُه : أمّ سَلمة بنت أبى أُمَيّة بن المُغيرة

ابن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم ، ولدت له بأرض الحبشة زينب بنت أبي سَلَمة ، واسم أبي سَلَمة : عبدُ الله ، واسم أمّ سلمة : هند . وشَمَّاس بن عثمان بن الشَّريد ابن سُوَيد بن هَرْمِيّ بن عامر بن مَخزوم .

من سيرة الشماس

قال ابن هشام : واسم شماس : عثمان ، وإنما سمى شَمَّاسًا ؛ لأن شماسا من الشمامسة ، قدم مكّة فى الجاهلية ، وكان جميلا فعجب النّاس من جماله ، فقال عتبةُ بنُ ربيعة — وكان خالَ شماسٍ : أنا آتيكم بشماس أحسنَ منه ، فجاء بابن أخته عثمانَ بن عثمان ، فسمى : شَمَّاسا . فيما ذكر ابنُ شهاب وغيرُه .

قال ابن إسحاق : وهَبَّار بن سفيان بن عبد الأسد بن هِلال بن عبد الله ابن عمر بن مَخزوم ، وأخوه عبد الله بن سفيان ، وهشام بن أبي حُذيفة ابن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخزوم ، وسَلَمة بن هشام بن المُغيرة ابن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم ، وعيَّاش بن أبي رَبيعة بن المُغيرة بن عبد الله ابن عُمر بن مَخْزوم .

المهاجرون من حلفاء بنى مخزوم ومن بنى جمح

ومن حلفائهم : مُعتّب بن عَوْف بن عامر بن الفَضْل بن عَفيف بن كُلَيب ابن حَبَشية بن سَلُول بن كَعْب بن عمرو ، من خُزاعة ، وهو الذى يُقال له : عَيْهامة ، ثمانية نَفر .

قال ابن هشام : ويقال : حُبْشية بن سلول ، وهو الذى يقال له مُعَتِّب ابن حمراء .

ومن بنى جُمح بن عَمْرو بن هُصَيص بن كعب : عثمانُ بن مَظْعون،
ابن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمح ، وابنه : السائب بن عثمان ، وأخواه :
قُدامة بن مَظعون ، وعبدُ الله بن مَظْعون ، وحاطب بن الحارث بن مَعْمر
ابن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمح ، معه امرأتُهُ : فاطمةُ بنت المُجَلِّل.
ابن عبد الله بن أبى قَيْسِ بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ،
وابناه : محمد بن حاطب ، والحارث بن حاطب ، وهما لبنت المُجَلِّل ، وأخوه : حطَّاب
ابن الحارث ، معه امرأته فُكيهة بنت يسار ، وسفيان بن مَعْمر بن حَبيب
ابن وهْب بن حُذافة بن جُمح ، معه ابناه جابر بن سُفيان ، وجُنادة بن سفيان ،
ومعه امرأته حَسَنة ، وهى أمهما ، وأخوهما من أمهما : شُرَحْبيل بن حَسَنة ،
أحد الغوث .

قال ابن هشام : شرحبيل بن عبد الله أحدُ الغوث بن مُرّ ، أخى تميم
ابن مُرّ .

المهاجرون من بنى سهم وبنى عدى وبنى عامر

قال ابن إسحاق : وعثمان بن ربيعة بن أهْبَان بن وهْبَ بن حُذافة بن جُمَح ،
أحدَ عشرَ رجلا .

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب : خُنَيس بن حُذافة بن
قَيْس بن عدىّ بن سعد بن سَهْم ، وعبد الله بن الحارث بن قَيْس بن عدىّ
ابن سعد بن سهل ، وهشام بن العاص بن وائل بن سعد بن سهم .

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم .

قال ابن إسحاق : وقَيس بن حُذافة بن قَيْس بن عدى بن سعد بن سهم ، وأبو قيس بن الحارث بن قَيْس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سَهم ، وعبد الله بن حُذافة بن قَيْس بن عدى بن سعد بن سَهم ، والحارث ابن الحارث بن قَيْس بن عدى بن سعد بن سَهم ، ومَعْمر بن الحارث بن قَيس بن عدىّ بن سعد بن سَهم ، وبِشْر بن الحارث بن قَيْس بن عدىّ ابن سعد بن سهم ، وأخ له من أمه من بنى تميم ، يقال له : سعيد بن عمرو ، وسعيد بن الحارث بن قيس بن عدىّ بن سعد بن سهم ، والسائب بن الحارث ابن قيس بن عدىّ بن سعد بن سهم ، وعُمير بن رِئاب بن حُذَيفة بن مُهَشّم بن سعد بن سهم ، ومَحْمِيَة بن الجزاء ، حليف لهم ، من بنى زُبيد ، أربعة عشر رجلاً .

ومن بنى عدىّ بن كعب : مَعْمَرُ بن عبد الله بن نَضْلة بن عبد العُزّى بن حُرثان بن عوف بن عُبيد بن عُوَيج بن عدىّ ، وعروة بن عبد العزّى بن حُرثان بن عَوْف بن عبيد بن عويج بن عدىّ ، وعدىّ بن نَضْلة بن عبد العُزّى ابن حُرثان بن عَوْف بن عُبيد بن عُوَيج بن عدىّ ، وابنه النعمانُ بن عدىّ ، وعامر بن رَبيعة ، حليف لآل الخطّاب ، من عَنْز بن وائل ، معه امرأتُه : ليلى بنت أبى حَثْمة بن غانم . خمسة نفر .

ومن بنى عامر بن لُؤَىّ : أبو سَبْرة بن أبى رُهْم بن عبد العُزّى بن أبى قَيْس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، معهُ امرأتُه :

. . . .

أمُّ كُلْثوم بنت سُهيل بن عمرو بن عَبْد شَمْس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك ابن حِسْل بن عامر ، وعبد الله بن مَخْرمة بن عبد العزّى بن أبى قَيْس بن عبدوُد بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو ابن عبد شَمْس بن عبدودّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وسَلِيط بن عَمْرو بن عبد شمس بن عبدود بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وأخوه : السَّكران بن عَمْرو ، معه امرأتُهُ : سَوْدة بنت زَمْعَة بن قَيْس بن عبد شَمْس ابن عبدودّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، ومالك بن زَمْعَة بن قَيْس ابن عبد شَمْس بن عبدود بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، معه امرأتُه : عَمْرة بنت السَّعْدىّ بن وَقْدان بن عبد شمس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وحاطب بن عمرو بن عبد شَمْس بن عبدوُدّ بن نصر بن مالك ابن حِسْل بن عامر ، وسعد بن خَوْلة ، حليف لهم . ثمانية نفر .

قال ابن هشام : سعد بن خَوْلة من اليمن .

المهاجرون من بنى الحارث

قال ابن إسحاق : ومن بنى الحارث بن فِهْر : أبو عبيدة بن الجرّاح ، وهو : عامر بن عبد الله بن الجرّاح بن هِلال بن أُهيب بن ضَبَّة بن الحارث ابن فهر ، وسُهيل بن بَيْضاء ، وهو : سُهيل بن وَهْب بن رَبيعة بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث ، ولكن أمه غلبتْ على نَسبه ، فهو ينسب إليها ، وهى : دَعْد بنت جَحْدم بن أُميَّة بن ظَرِب بن الحارث بن فِهر ، وكانت

. . . .

تدعى : بَيضاء ، وعمرو بن أبى سَرْح بن ربيعة بن هلال بن أُهَيب بن ضَبَّة ابن الحارث ، وعِيَاض بن زُهير بن أبى شدّاد بن ربيعة بن هِلال بن أُهيب ابن ضَبَّة بن الحارث ، ويقال : بل ربيعةُ بن هلال بن مالك بن ضَبَّة ابن الحارث ، وعمرو بن الحارث بن زُهَيْر بن أبى شَدَّاد بن ربيعة بن هِلال بن مالك ابن ضبة بن الحارث ، وعثمان بن عَبْد غَنْم بن زُهير بن أبى شدّاد بن رَبيعة ابن هلال بن مالك بن ضَبَّة بن الحارث ، وسعد بن عبد قَيْس بن لَقيط بن عامر ابن أُمَيَّة بن ظَرب بن الحارث بن فهر ، والحارث بن عبد قَيْس بن لَقِيط ابن عامر بن أُمَيَّة بن ظَرِب بن الحارث بن فهر . ثمانية نفر .

عدد الذين هاجروا إلى الحبشة

فكان جميع من لحق بأرض الحبشة ، وهاجر إليها من المسلمين ، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها ، ثلاثة وثمانين رجلا ، إن كان عمَّار بن ياسر فيهم ، وهو يُشك فيه .

من شعر الهجرة الحبشية

وكان مما قيل من الشعر فى الحبشة ، أن عبد الله بن الحارث بن قيس ابن عدى بن سعد بن سَهم ، حين أمنوا بأرض الحبشة ، وحمدوا جِوار النجاشى ، وعبدوا الله ، لا يخافون على ذلك أحداً ، وقد أحسن النجاشى جوارهم حين نزلوا به ، قال :

يا راكِباً بَلِّغَنْ عَنّى مُغَلْغَلَةً ... مَنْ كان يرجو بلاغَ الله والدينِ

كلَّ امرئ من عباد الله مُضْطَهَد ... ببَطْنِ مكةَ مَقْهورٍ وَمَفْتُون

أَنَّا وَجَدْنا بلادَ الله وَاسِعَةً تُنْجِي من الذلّ والْمَخْزاة والهُون

فلا تُقِيموا على ذل الحياة ، وخِزْ يٍ في الْمَمات، وعَيْبٍ غيرِ مأمون

إِنَّا تَبِعنا رسولَ الله ، واطَّرَحوا قول النَّبي ، وعالُوا في الْمَوازين

فاجْعَل عذابكَ بالقوْم الذين بَغَوْا وعائذا بك أنْ يَعْلوا فيُطْغوني

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً ، يذكر نَفْيَ قُريش إياهم من بلادهم ، ويعاتب بعضَ قومه في ذلك :

أبتْ كَبِدِي لاأَكْذِبَنْكَ قِتالَهم عليَّ ، وتَأْباه عليَّ أنامِلي

وكَيْفَ قِتالي مَعْشَراً أدَّبُوكُمُ على الحق أن لا تَأْشِبوه بِباطِل

نَفَتْهم عبادُ الجنّ مِنْ حُرّ أرضِهم فأضْحَوْا على أمْر شَديد البَلابل

فإن تكُ كانت في عَدِيّ أمانـــة

عدى بن سَعْد عن تُقًى ، أو تَواصل

فقد كنتُ أرجو أنّ ذلكَ فِيكمُ بَحْمد الذي لا يُطَّبَى بالجَعائل

وبُدّلت شِبلاً شبلَ كل خبيثة بذي فَجَرٍ مأْوَى الضِّعاف الأرامل

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً :

وتلكَ قُرَيشٌ تَجْحَدُ الله حقَّه كما جَحَدت عادٌ ومدَينُ والحِجْرُ

فإن أنا لم أبْرِق فلا يَسَعَنَّنِي من الأرض بَرٌّ ذُو فَضاء ولا بحر

بأرْضٍ بها عَبْدُ الإله مُحمدٌ أُبيّن ما في النَّفس إذ بلغ النَّقْرُ

فسمِّى عبد الله بن الحارث — يرحمه الله — لبيته الذى قال : المُبْرِق .

وقال عثمان بن مَظْعون يُعاتب أُميَّة بن خَلَف بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح، وهو ابن عمِّه ، وكان يُؤذيه فى إسلامه ، وكان أُميَّة شريفا فى قومه فى زمانه ذلك :

أتَيْمَ بن عَمْرٍو لِلَّذى جاء بِغْضَةً
ومِنْ دونه الشَّرْمَانِ والبَرْكُ أكتعُ

أأخرجْتَنى مِنْ بطْنِ مكَّةَ آمِنا
وأسكنْتَنى فى صَرْحٍ بيضاءَ تقذع

تَرِيش نِبالاً لا يُواتيكَ رِيشُها
وتَبْرى نبالا رِيشُها لكَ أجْمَعُ

وحارَبْتَ أقواما كِرَاماً أعِزَّةً
وأهلكتَ أقواما بهم كنتَ تَفْزع

ستَعْلم إنْ نابَتْك يوْما مُلِمَّةٌ
وأسلمَك الأوْباش ما كنتَ تَصْنع

وتيم بن عمرو ، الذى يدعو عثمانُ ، جمحُ ، كان اسمه : تَيْماً .

حول آيات من القرآن :

فصل : وذكر استماع أبى جهل وأبى سفيان والأخنس إلى قول أبى جهل: فلما تجاذْينا على الرُّكَب. وقع فى الجمهرة : الجاذِى : المُقْعِى على قدميه[1] قال: وربما جعلوا الجاذى والجاثِى سواء .

---

(١) فى القاموس : جذا جذوا وجذوا كسمو ثبت قائما ، كأجذى ، أو جثا، أو قام على أطراف أصابعه : وتجاذى : نسل ، وهى فى النسخة التى معى لابن هشام : تحاذينا

. . . .

وذكر قول الله سبحانه خبراً عنهم : ﴿جَعَلْنَا بينك ، وبين الذين لا يُؤْمِنون بالآخرةِ حِجَابا مَسْتُوراً﴾ الإسراء : ٤٥ قال بعضهم : مستور بمعنى : ساتِر كما قال : «وكان وَعْدُه مأْتِيًّا» أى : آتياً ، والصحيح أن مستوراً هنا على بابه؛ لأنه حِجابٌ على القلب ، فهو لا يُرى .

وذكر حديث ابن عباس حين سئل عن قوله : ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ

= هذا وقد ذكر ابن هشام سبب نزول قوله سبحانه : «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها» وإليك هنا ماورد عن هذا فى الصحيحين وأحمد عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية ورسول الله — صلى الله عليه وسلم — متوار بمكة : (ولا تجهر بصلاتك ، ولا تخافت بها) قال : كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ، وسبوا من أنزله ، ومن جاء به ، قال : فقال الله لنبيه — صلى الله عليه وسلم — (ولا تجهر بصلاتك) أى بقراءتك ، فيسمع المشركون ، فيسبون القرآن ، ولا تخافت بها عن أصحابك ، فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك : (وابتغ بين ذلك سبيلا) ولكن قصر الآية على هذا السبب يجعلها معطلة الآن ، إذ ماثم بيننا مثل هؤلاء المشركين الذين نخشاهم . ومن زعم أنها للدعاء فقد أخطأ ، فالدعاء يقول الله فيه : (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) وقد روى عن ابن عباس: «لا تصل مراءاة الناس ، ولا تدعها مخافة الناس» ، وعن الحسن البصرى : لا تحسن علانيتها ، وتسىء سريرتها .

وقد روى ابن جرير عن ابن سيرين قوله : نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ خفض صوته ، وأن عمر كان يرفع صوته ، فقيل لأبى بكر : لم تصنع هذا ؟ قال : أناجى ربى عز وجل — وقد علم حاجتى . فقيل : أحسنت ، وقيل لعمر : لم تصنع هذا ؟ قال أطرد الشيطان ، وأوقظ الوسنان ، قيل : أحسنت ، فلما نزلت: (ولا تجهر بصلاتك ، ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) قيل لأبى بكر : ارفع شيئا ، وقيل لعمر : اخفض شيئا . هذا هدى القرآن فى القراءة فى الصلاة

. . . .

فى صُدورِكم ﴾ فقال : الموت ، وهو تفسير يحتاج إلى تفسير ، ورأيت لبعض المتأخرين فيه، قال : أراد ابن عباس أن الموت سيَفْنى كما يفنى كل شىء، كما جاء أنه يُذبح على الصِّراط ، فكان المعنى أن لو كنتم حجارة أو حديداً لأدرككم الفناء والموت ، ولو كنتم الموت الذى هو كبير فى صدوركم ، فلابُدَّ لكم من الفناء — والله أعلم — بتأويل ذلك ، وقد بقى فى نفسى من تأويل هذه الآية شىء[1] ، حتى يكمل الله نعمته بفهمها إن شاء الله تعالى — وقوله سبحانه : ﴿ وَلَّوْا على أدبارهم نُفُوراً ﴾ يجوز أن يكون : نفوراً : جمع نافر ، فيكون نصباً على الحال ، ويجوز أن يكون مصدراً مؤكداً لوَلَّوا . ومما أنزل الله فى استماعهم : ﴿ ومنهم مَنْ يَسْتَمِعُون إليك ، أفأنت تُسْمِع الصُّمَّ ﴾ يونس:٤٢ ألا ترى كيف جمع يستمعون ، والحمل على اللفظ إذا قرُب منه أحسن ،ألا ترى إلى قوله سبحانه: ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وجْهَه إلى الله ﴾ فأفرد، حملا على لفظ مَنْ، وقال فى آخر الآية : ولا خوْفٌ عليهم ، فجمع حملا على المعنى ، لما بعد عن اللفظ ، وهكذا كان القياس فى قوله : ﴿ ومنهم مَنْ يَسْتَمِعُون ﴾ ، ولكن لما كانوا جماعة ، ونزلت الآية فيهم بأعيانهم ، صار المعنى : ومنهم نفر يستمعون ، يعنى أولئك النفر ، وهم أبوجهل وأبو سفيان والأخنس بن شَرِيق ، ألا ترى كيف قال بعد : ﴿ ومنهم مَنْ ينظر إليك ﴾ فأفرد حملا على اللفظ لارتفاع السبب المتقدم ، والله أعلم .

---

(١) الآية واضحة يعنى : أى خلق يكبر فى صدور هؤلاء ومنهم على شاكلتهم، ولهذا قال مجاهد : السماء والأرض والجبال , وفى رواية : ماشئتم فكونوا فسيعيدكم الله بعد موتكم .

. . . .

المكره على الكفر والمعصية :

فصل : وذكر تعذيبَ من أسلم وطرحَهم فى الرَّمْضاء ، وكانو يُلبسونهم أدراعَ الحديد ، حتى أعطوهم بألسنتهم ماسألوا من كلمة الكفرِ إلا بلالا ـ رحمه الله ـ وأنزل الله فيهم : ﴿ إلاَّ مَنْ أُكْرِه وقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمان ﴾ ونزل فى عَمَّارٍ وأبيه : ﴿ إلاَّ أَنْ تَتَّقُوا منهم تُقَاةً ﴾[1] ولما كان الإيمانُ أصلهُ فى القلب ، رخص للمؤمن فى حال الإكراه أن يقول بلسانه إذا خاف على نفسه حتى يأمن . قال ابن مسعود : ما من كلمة تدفع عنى سَوْطين إلا قُلْتُها هذا فى القول ، فأما الفعل ، فتنقسم فيه الحال : فمنه مالا خلاف فى جوازه كشرب الخمر ، إذا خاف على نفسه القتل ، وإن لم يخف إلا مادون القتل ، فالصبر له أفضل ، وإن لم يخف فى ذلك إلا كسجن يوم ، أوطرف من الهَوان خفيف ، فلا تحل له المعصية من أجل ذلك ، وأما الإكراه على القتل ، فلا خلاف فى حظره ؛ لأنه إنما رخص له فيما دون القتل ، ليدفع بذلك قتل نفس مؤمنة ،

---

(١) روى العوفى عن ابن عباس أن الآية : « إلا من أكره » نزلت فى حق عمار ابن ياسر ، وهكذا قال الشعبى وقتادة وأبو مالك وابن جرير ، ورواه البيهقى ، وفيه أنه سب النبى «ص» وذكر آلهتهم بخير ، فشكا ذلك إلى النبى ، فقال : يارسول الله ما تركت حتى سببتك ، وذكرت آلهتهم بخير ، قال : كيف تجد قلبك ؟ قال : مطمئنا بالإيمان ، فقال : إن عادوا فعد . أما الأخرى فلم يذكر لها سبب . وروى قصة تعذيب بلال أحمد فى مسنده ، وروى ابن أبى شيبة أن أبا بكر اشتراه بخمس أواق وهو مدفون ، كما روى الطبرانى أن عامر بن فهيرة كان ممن يعذب فى الله ، فاشتراه أبو بكر وأعتقه .

. . . .

وهى نفسه ، فأما إذا دَفَع عن نفسه بنفسٍ أخرى ، فلا رُخْصَة ، واختلف فى الإكراه على الزِّنى ، فذكر عن ابن الماجُشُونِ أنه قال : لارُخْصَة فيه ؛ لأنه لاينتشر له إلا عن إرادة فى القلب أو شهوة ، وأفعالُ القلب لاتُباح مع الإكراه ، وقال غيره : بل يرخص فى ذلك لمن خاف القتل ، لأن انبعاث الشهوة عند المُمَاسَّة بمنزلة انبعاث اللعاب عند مَضْغ الطعام ، وقد يجوز أكل الحرام إذا أكره عليه .

فصل : واختلف الأصوليون فى مسئلة من الإكراه ، وهى : هل المُكْرَه على الفعل مخاطَبٌ بالفعل، أم لا ؟ فقالت المعتزلة: لايصح الأمر بالفعل مع الإكراه عليه ، وقالت الأشعرية : ذلك جائز ؛لأن العزم إنما هو فعل القلب ،وقد يتصور منه فى ذلك الحين العزم والنية ، وهى القصد إلى امتثال أمر الله تعالى،وإن كان ظاهره أنه يفعله خوفا من الناس،وذلك إذا أكره على فرض كالصلاة مثلا، إذا قيل: صَلِّ وإلا قُتلت ، وأما إذا قيل له : إن صليت قُتلت ، فظن القاضى أن الخلاف بيننا ، وبين المعتزلة فى ذلك ، وغلطه بعض أصحابه ، وقالوا : لاخلاف فى هذه المسئلة أنه مخاطَب بالصلاة مأمور بهـا ، وإن رخص له فى تركها ، فليس الترخيص مما يخرجه عن حكم الخطاب ، وإنما يرفع عنــــه الإكراهُ المأثَمَ ، ولايخرجه عن أن يكون مخاطباً بها ، وهذا الغلط المنسوب إلى القاضى فى هذه المسألة ليس بقول له ، وإنما حكاه فى كتاب التقريب والإرشاد عن طائفة من الفقهاء . قالوا : لايتصور القصد والإرادة للفعل مع الإكراه عليه . قال القاضى : وهذا باطل؛لأنه يتصور انكفافه عنه مع الإكراه ، فكذلك يتصور منه القصد إلى الامتثال له ، وبه يتعلق التكليف ، فإنما غلط من نسب إليه من الأصوليين

. . . .

هذا القول الذى أبطله ، وبين بطلانه ، وإنما ذكرت ما قالوه قبل أن أرى كلامه فى المسألة ، وأقف على حقيقة مذهبه ، وهو برىء من الغلط فيها .

آل ياسر :

فصل : وذكر فيمن عُذِّب فى الله : سُمَيَّةَ أمَّ عمار ، وقد ذكرنا قتلَ أبى جهلٍ لها ، وهى أول شهيد فى الإسلام ، وروى أن عماراً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد بلغ منا العذابُ كل مبلغ ، فقال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : صبراً أبا اليقظان[1] ، ثم قال : اللهم لاتعذب أحداً من آل عمار بالنار، وسُمَيَّة أمه، وهى بنت خَيَّاط[2]، كانت مَوْلاة لأبى حُذَيْفة بن المغيرة ، واسمه مُهَشِّم ، وهو عم أبى جهل ، وغلط ابن قُتَيْبة فيها ، فزعم أن الأزرق مولى الحارث بن كَلَدة خلف عليها بعد ياسر ، فولدت له سلَمَةَ بن الأزرق ، وقال أهل العلم بالنساء : إنما سُمَيَّةُ أم سلمة بن الأزرق سُمَيَّةُ أخرى ، وهى أم زياد ابن أبى سفيان، لا أم عمار ، وعمارٌ والحُوَيْرِث وعبود بنو ياسر بن عامر بن مالك ابن كِنانة بن قيس بن الحُصَين بن لوذين ، ويقال الوَذِيم بن ثَعْلبةَ بن عوف بن عامر بن حارثة بن زيام بن عَنْس[3] بن مالك بن أُدَدَ بن زيد العَنسِيِّ المَذْحِجِيِّ

---

(١) ذكره ابن عبد البر .

(٢) وقيل خباط بضم الخاء وتشديد الباء، وعند الفاكهى : خبط بفتح الخاء وسكون الباء وعند ابن سعد أنها بنت سليم

(٣) فى الاشتقاق: عمار والحريث وعبدالله بنو ياسر . وفيه الوذيم. ويام بدلا من زيام وهذه أيضاً فى الإصابة . وقد روى أحمد فى مسنده أن الرسول «ص» مر على عمار وأبيه وأمه، وهم يعذبون. فقال أبو عمار: يارسول الله الدهر هكذا ؟ فقال له:

. . . .

حليف لبنى مخزوم ، ومن ولد عمار : عبدُ الله بن سعد بن الحسن بن عثمان ابن الحسن بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر ، وهو المقتول بالأندلس ، قتله عبد الرحمن بن معاوية .

زنيرة وغيرها :

فصل : وذكر زِنِّيرَة(١) التي أعتقها أبو بكر، وأول اسمها : زاى مكسورة بعدها نون مكسورة مشددة على وزن فِعِّيلة، هكذا صحت الرواية فى الكتاب، والزِّنِّيرَة : واحدة الزنانير ، وهى الحصا الصغار(٢) ،قاله أبو عبيدة ، وبعضهم يقول فيها : زَنْبرة بفتح الزاى وسكون النون وباء بعدها ، ولا تُعْرف زَنْبَرَة فى النساء، وأما فى الرجال فَزَنْبَرَةُ بن زُبير بن مخزوم بن صاهِلة بن كاهل بن الحارث ابن تميم بن سعد بن هُذَيل بن مُدْرِكة بن الياس بن مُضر ، وابنه : خالد بن زَنْبَرَة ، وهو الغَرِقُ قاله الدارقطنى .

أم عميس :

فصل : وذكر أُمَّ عُمَيْسٍ(٣) ، وكانت لبنى تَيْم بن مُرَّة أعتقها أبو بكر ،

= النبى «ص» اصبر ثم قال : اللهم غفرا لآل يا سر ، وقد فعلت . وعند الطبرانى فى الأوسط: اصبروا آل ياسر موعدكم الجنة . أو أبشروا آل يا سر موعدكم الجنة

(١) كان أبو جهل يتهكم بها وبمن آمن ، فيقول : « ألا تعجبون إلى هؤلاء وأتباعهم . لو كان ما أتى محمد خيرا وحقا ماسبقونا إليه ، أفتسبقنا زنيرة إلى رشد » ص ٢٦٩ حـ ٦ شرح المواهب .

(٢) وذباب صغار أيضاً .

(٣) أو عنيس ، أو عبيس بالتصغير .

. . . .

وذكر غير ابن إسحاق هؤلاء الذين عذبوا فى الله لما أعطوا بألسنتهم ما سُئلوا من الكفر ، جاءت قبيلةُ كل رجل منهم بأنطاع الأُدُم فيها الماء ، فوضعوهم فيها ، وأخذوهم بأطراف الأنطاع ، واحتملوهم إلاَّ بلالا .

عن بلال :

وقول وَرَقَة بن نَوْفَل : لئن قَتَلْتُمُوه يعنى : بلالا ، وهو على هذا الحال، لأَتَّخِذَنَّه حنانا[1] . أى : لأَتَّخِذَنَّ تربه مَنْسَكاً ومُسْتَرْحَماً . والحنان : الرحمة ، وكان بلال رحمه الله يكنى : أبا عبد الكريم ، وقيل :أبا عبد الله ، وأخته غُفَيْرَة ، وقد تقدم فى أول الكتاب ذكر عمر مولى غُفْرَة ، وهى هذه . والغُفْرَةُ : الأنثى من أولادِ الأرَاوِىّ[2] ، والذكر : غُفْر .

باب الهجرة إلى أرض الحبشة

وقد ذكرنا نسب الحبشة فى أول الكتاب ، وأما النَّجاشِىُّ فاسم لكل ملك يلى الحبشة ، كما أن كِسْرى اسم لمن ملك الفرس ، وخاقان اسم لملك الترك كائنا مَنْ كان ، وبَطْلَيْمُوسُ : اسم لمن مَلَكَ يُونَانَ ، وقد ذكرنا هذا المعنى قبل ، واسم هذا النجاشى : أصْحَمَة[3] بن أبْجَر . وتفسيره : عطية . وذكر

---

(١) هو عند الزبير بن بكار وأبى الفتح اليعمرى .

(٢) أراوى بفتح أوله وثانيه وكسر الواو وتضعيف الياء: جمع قلة لأروية بضم أو كسر فسكون فكسر ففتح مع تشديد : أنثى الوعول، أو أنثى التيس الجبلى، وكذلك غفرة وجمع الكثرة : أروى على وزن أفعل ، على غير قياس . وفى اللسان عن أبى العباس: « والصحيح عندى أن أراوى تكسير أروية . كأرجوحة وأراجيح ، والأروى: اسم للجمع، وأروى تنون ولا تنون » انظر اللسان مادة روى »

(٣) كذلك ورد اسمه فى البخارى ، وفى مصنف ابن أبى شيبة بحذف الهمزة وحكى

. . . .

فى أول من خرج إلى الحبشة : عثمانَ بن عَفَّان وزوجَه رقية بنت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكان حين تزوجَها يغنيها النساء :

أَحْسَنُ شخصين رأى إنسان رُقَيَّـــةُ وبَعْلُها عُثْمان

ولدت رقية لعثمان ابنَه عبد الله ، وبه كان يكنى ، ومات عبد الله وهو ابن ست سنين ، وكان سبب موته أن ديكا نقره فى عينه ، فتورم وجهه فمرض ، فمات . وذلك فى جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة ، ثم كنى بعد ذلك أبا عمرو ، وهذا هو عبد الله الأصغر . وعبد الله الأكبر هو ابنه من فاختة بنت غَزْوَان ، وأكبر بنيه بعد هذين : عمرو ، ومن بنيه عُمر وخالد وسعيد والوليد والمغيرة وعبد الملك[1] وأبَانٌ ، وفى السيرة من غير هذه الرواية أن رقية كانت

═══ الإسماعيلى : أصخمة وقيل : أصحبة وقيل : صحبة ، وقيل : مصحمة ، وقيل اسمه : مكحول وقال مغلطاى : ملك الترك خاقان ، والروم : قيصر واليمن : تبع ، واليونان : بطليموس ، واليهود : القيطون فيما قيل ، والمعروف : مالح ، وملك الصابئة : النمروذ ودهمز ، وملك الهند : يعفور ، والزنج : زغانة ، ومصر والشام : فرعون ، فإن أضيف إليهما الإسكندرية سمى : العزيز ، ويقال المقوقس . وللملك العجم : كسرى ، وللملك فرغانة : الإخشيد ، والعرب من قبل العجم : النعمان ، وملك البربر : جالوت . وجمع الحبش : أحبوش بضم أوله ، وأما قولهم : الحبش فعلى غير قياس ، وقالوا : حبشان وقالوا : أحبش وأصل التحبيش : التجميع . وكان النجاشى قديما لقبا لملوك الحبشة ، ثم غير إلى الحطى . والنجاشى إما بفتح النون وإسكان الياء أو تشديدها أو بكسر النون مع مد الشين .

(١) فى نسب قريش : عمرو وعمر وخالد وأبان وحريم وأمهم : أم عمرو بنت جندب بن عمر بن حممة من الأزد من دوس . ومنهم الوليد وسعيد وأم عثمان ═══

. . . .

من أحسن البشر ، وأن رجالا من الحبشة رأوها بأرضهم ، فكانوا يُدَرْكِلون(١) إذا رأوها إعجابا منهم بحسنها ، فكانت تتأذى بذلك ، وكانوا لا يستطيعون لغربتهم أن يقولوا لهم شيئاً ، حتى خرج أولئك النفر مع النَّجاشِي إلى عدوه الذى كان ثار عليه ، فقتلوا جميعاً ، فاستراحت منهم ، وظهر النجاشى على عدوه ، وروى الزبير فى حديث أسنده أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعث رجلا بِلُطُفٍ إلى عثمان ورقية ، فاحتبس عليه الرسول ، فقال له عليه السلام : إن شئت أخبرتك ما حبسك، قال : نعم ، قال : وقفت تنظر إلى عثمان ورقية تعجب من حسنهما .

وذكر ابن إسحاق تسمية المهاجرين(٢) إلى أرض الحبشة ، وقد تقدم التعريف ببعضهم ، وذكرنا سبب إسلام عمرو بن سعيد بن العاصى ، وأنه

= أمهم : فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . ومنهم عبد الملك لا بقية له ، وتوفى رجلا ، أمه : أم البنين بنت عيينة بن حصين ابن حذيفة بن بدر . ومنهم : عائشة ، وأم أبان ، وأم عمرو . وأمهم : رملة بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس ص ١٠٤

(٢) الدركلة كشرذمة وسبحلة أى بكسر ففتح فسكون ففتح : لعبة للعجم أو ضرب من الرقص أو هى حبشية

(٣) فى فتح البارى : « أن الهجرة وقعت مرتين ، وذكر أهل السير أن الأولى كانت فى شهر رجب من سنة خمس من المبعث ، وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلا وأربع نسوة ، وقيل : وامرأتان ، وقيل : كانوا اثنى عشر رجلا ، وقيل : كانوا عشرة ، وأنهم خرجوا . حتى وصلوا إلى شعيبة مكان على ساحل البحر الأحمر ، فاستأجروا سفينة — فى غير الفتح : سفينتين — بنصف دينار

. . . .

رأى نوراً خرج من زمزم أضاءت له منه نخل المدينة ، حتى رأوا البُسْرَ فيها ، فقص رؤياه ، فقيل له : هذه بئر بنى عبد المطلب ، وهذا النور فيهم يكون ، فكان سبباً لبداره للإسلام .

رؤيا سعد وخالد ولدى العاص :

وقد ذكرنا فيما تقدم أن هذه الرؤيا إنما كانت لأخيه ، وأن عَمراً هو الذى عبرها له ، وهذا هو الصحيح فيها ، والله أعلم ، وأما أخوه خالد بن سعيد ، فكان يرى — قبل أن يسلم — نفسه قد أشفى على نار تأَجّجُ ، وكأن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد أخذ بحُجْزَتِه[1] ، يصرفه عنها ، فلما استيقظ علم أن نجاته من النار على يدى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلما أظهر إيمانه ضربه أبوه بِمِقْرَعَةٍ ، حتى كسرها على رأسه ؛ وحلف ألاّ ينفق عليه ، وأغرى به إخوته ، فطردوه وآذَوه ، فانقطع إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى هاجر إلى أرض الحبشة — كما ذكر ابن إسحاق — وأبوه سعيد بن العاص أبو أُحَيْحَة الذى يقول فيه القائل :

أبو أحيحة :

أبو أُحَيْحَةَ مَنْ يَعْتَمَّ عِمَّتَه ... يُضْرَب وإن كان ذا مال وذا عدد

وكان إذا اعْتَمَّ لم يعتم قرشى إعظاماً له[2] ، وقد قيل فى عِمَّتِه أيضاً ما أنشده عَمْرو بن بحر الجاحظ :

وكان أبو أُحَيْحَةَ قد علمتم ... بمكة غير مُهْتَضَمٍ ذميم

إذا شَدَّ العصابةَ ذاتَ يَوْمٍ ... وقام إلى المجالس والخصوم

---

(١) الحجزة : معقد الإزار

(٢) انظر أيضاً ص ٧٨ الاشتقاق ، وفيه يقول فوق ما ذكره السهيلى : أحيحة : تصغير : أحة ، وهو ما يجده الإنسان فى قلبه من حرارة غيظ وحزن .

. . . .

لقد حَرُمت على مَنْ كان يمشى بمكة غير مُحْتَقِرٍ لئيم(١)

مات أُحَيْحَة الذى كان يُكْنَى به فى حرب الفِجَار ، وأسلم من بنيه أربعةٌ أَبَانٌ وخالدٌ وعمرو والحكَم الذى سمَّاه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عبدَ الله ، ومات أُحَيْحَة بن سعيد ، والعاصى بن سعيد وغيرهما من بنيه على الكفر ، قتل العاصى منهم يوم بدر كافرا .

أمة بنت خالد وأبوها :

وذكر أَمَةَ بنت خالد بن سعيد التى ولدت بأرض الحبشة ، قال : وتزوجها الزبير بن العوام ، وهى التى كساها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهى

---

(١) الأبيات لأبى قيس بن الأسلت ، وهى فى البيان والتبيين للجاحظ ص ٩٧ ح٣ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر . والشطرة الثانية من البيت الثالث هكذا « بمكة غير مدخل سقيم » وبعدها .

وكان البخترى غداة جمع يدافعهم بلقمان الحكيم
بأزهر من سراة بنى لؤى كبدر الليل راق على النجوم
هو البيت الذى بنيت عليه قريش السر فى الزمن القديم
وسطت ذوائب الفرعين منهم فأنت لباب سرهم الصميم

وفى الروض : « إذا ماشد العصابة » وهو خطأ .

ملحوظة : مازدته فى الأنساب هو من نسب قريش ، كما حدث فى نسب عبد الرحمن بن عوف . فقد زدت بين عبد الحارث كلمة ابن من صفحة ٢٦٥ ومن الإصابة وثمت خلافات يسيرة عما هنا . ويقول ابن سعد إن الخطاب كان قد تبنى عامر بن ربيعة ، فكان يقال : عامر بن الخطاب حتى نزلت : ادعوهم لآبائهم .

. . . .

صغيرة ، وجعل يقول : سَنَّاهْ ، سَنَاهْ يا أم خالد !! أى : حَسَنٌ حَسَنٌ[١] بلغة الحبشة ، وكانت قد تعلمت لسان الحبشة ؛ لأنها ولدت بأرضهم ، وولدت للزبير عمراً وخالداً ، يقال : إن أباها خالد بن سعيد أول من كتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، مات بأجْنَادَيْنِ[٢] شهيداً ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد استعمله على صَنْعَاءَ واليمن ، فلما توفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أراد أبو بكر أن يستعمله ، فقال : لا أعمل لأحدٍ بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبداً ، ويُروى أن أباه سعيد بن العاصى مرض ، فقال : إن رفعنى الله من مرضى لا يعبد إلٰه ابن أبى كَبْشَة[٣] بمكة أبداً ، فقال ابنه خالد : اللهم لا ترفعه فهلك مكانه ، فهؤلاء بنو سعيد بن العاصى بن أمية :

عبد شمس :

وعثمان : هو ابن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، ولا يختلف فى عبد شمس أنه بالدال ، وأما عَبْ شمس بن سَعيد بن زَيد مناة بن تميم ،

(١) حديثها فى البخارى ، وأن النبى كساها خميصة لها أعلام ، فجعل رسول الله « ص » يمسح الأعلام بيده ، ويقول : سناه سناه . قال الحميدى : يعنى : حسن حسن ويقال سنا بالتشديد والتخفيف أو سنه

(٢) إذا نطقت بفتح الدال كسرت النون كالمثنى ، وإذا قرئت بكسر الدال فتحت النون كالجمع

(٣) أبو كبشة هو : وجز بن غالب الذى كانت قريش تنسب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إليه ؛ لأنه - صلى الله عليه وسلم - خالف دين قريش ، فقالت قريش : « نزعه أبو كبشة » لأن أبا كبشة خالف الناس فى عبادة الشعرى ، والعرب تزعم أن أحداً لا يعمل شيئاً إلا بعرق ينزعه شبهه . وكان أبو كبشة سيداً فى خزاعة . لم يعيروا رسول الله صلى الله عليه وسلم به من تقصير كان فيه ، ولكنهم أرادوا أن يشبهوه بخلاف أبى كبشة ، فيقولون : خالف كما خالف أبو كبشة . ص ٢٦٢ نسب قريش .

. . . .

فقال فيه أبوعبيد والُقتَبيُّ : عبد شمس كما فى الأول . وقال أكثر الناس فيه: عَبْ شمس[١] ، ثم اختلفوا فى معناه ، فقيل ، معناه : عبدشمس ، لـكن أدغمت الدال ، وقيل: بل[عَبُّ شَمْسٍ و] عَبُّالشمس هو ضَوْؤُها أو صفاؤها ، وقيل فى المثل : هو أبرد من عَبْقُرّ أى : البَرْدُ ، وبعضهم يقول : وهو المبرد : من عَبْ قُر أى: بياضِ قُرٍّ،ومن حَبْ قُرٍّ أيضاً[٢] . وفيه قول ثالث : أعنى : عَبْ شَمْس . وهو مروى عن ابن عمر . وقال معناه : عَبْء شمس بالهمز . ثم حُذِفت الهمزة تسهيلا . وعَبْء الشمس . وعَبْوها مثله[٣] .

عمار لم يهاجر إلى الحبشة :

وشك ابن إسحاق فى عمار بن ياسر : هل هاجر إلى أرض الحبشة ، أم لا . والأصح عند أهـل السير كالواقدى وابن عُقْبَة . وغيرهما أنه لم يكن فيهم .

---

(١) يكتب : عبشمس ، ولقبه : مقروع ويقال بتضعيف الباء مع الإضافة

(٢) فى القاموس . حبقر « بفتح فسكون فضم فراء مشددة ، كفعلل ذكروه فى الأبنية ، ولم يفسروه ، ومعناه : البرد حب الغمام ، يقال : أبرد من حبقر ، ويقال : عبقر ، وأصله : حب قر « بفتح حاء حب وتشديد الباء مع إضافتها إلى قر » والقر — بضم القاف — البرد ، والدليل على ما ذكرته : أن أباعمر ابن العلاء يرويه : أبرد من عب قر ، والعب ـ بفتح فتضعيف : اسم للبرد . انتهى » . وعب الشمس الذى هو ضوؤها بفتح العين وتشديد الباء أو تخفيفها.

(٣) ضوؤها ويقول محمد بن حبيب فى كتابه متشابه القبائل : كل شىء فى العرب عبد شمس غير عبشمس بن سعد فى تميم ، وعبشمس بن آخر فى طيىء. هكذا قال بسكون الباء فيهما ، وذكر غيره أن الذى فى تميم : عبشمس — بفتح الباء — والذى فى طيء : عبشمس « بكسر الباء » انظر ص ٤٥٠ ح٢ المزهر

. . . .

حول بنى الحارث بن قيس:

وذكر ابن إسحاق من بنى الحارث بن قيس مَن هاجر إلى أرض الحبشة ، ولم يذكر فيهم تميم بن الحارث . وذكره الواقدى وغيره . والحارث ابن قيس كان أبوه[1] من المستهزئين الذين أنزل الله فيهم : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ الحجر : ٩٥ .

حول بنى زهرة وطليب بن عبد :

وذكر من بنى زُهْرة من هاجر إلى أرض الحبشة ، وهم ستة نفر ، ولم يذكر السابع، وهو : عبدالله بن شهاب[2] جد محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى ، وكان اسمه : عبد الجان ، فسماه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : عبد الله[3] مات بمكة بعد الفتح[4] وأخوه : عبد الله الأصغر شهد أحداً مع المشركين ، ثم أسلم .

---

(١) الحارث بن قيس بن عدى السهمى إليه فى الجاهلية كانت الحكومة والأموال . ذكر ابن عبد البر أنه أسلم ، وهاجر إلى الحبشة مع بنيه الحارث وبشر ومعمر ، وتعقبه ابن الأثير بأن الزبير بن بكار وابن الكلبى ذكرا أنه كان من المستهزئين ، وزاد الذهبى فى التجريد : لم يذكر أحد أنه أسلم إلا أبا عمر ، ورده فى الإصابة بأنه ذكره فى الصحابة أيضاً : أبو عبيد ومصعب والطبرى وغيرهم ، ولا مانع من أن يكون قد تاب وصحب وهاجر ، والآية ليست صريحة فى عدم توبة بعضهم .

(٢) هو عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن زهرة بن كلاب الزهرى . ذكره الزهرى والزبير وغيرهما فيمن هاجر إلى الحبشة ، ومات بمكة قبل هجرة المدينة وكذا قال الطبرى

(٣) عن ابن سعد والزبير وزاد ابن سعد : ليس له حديث

(٤) رد الحافظ فى الإصابة قوله هذا ؛ لأنه مأخوذ عن رواية الوقاصى

. . . .

وذكر المطلب بن عبدعوف ولم يذكر أخاه طايبا ، وكلاهما هاجر إلى أرض الحبشة ، ومات بها ، وهما أخوا أزهر بن عبد عوف .

من شعر الهجرة الحبشية ومسائله النحوية :

فصل : وأنشد لعبد الله بن الحارث ماقاله فى أرض الحبشة ¹ وفيه قوله :

أَلِحَقٍّ عذَابك بالقوم الذين طَغَوا   وعائذا بك أنْ يَعْلُو فيُطْغُونى

أنشده سيبويه فيما ينتصب على الفعل المتروك إظهارُه ، وذلك لحكمة ، وهى أن الفعل لو ظهر لم يخل أن يكون ماضيا أو مستقبلا ، فالماضى يوهم الانقطاع ، والتكلم إنما يريد أنه فى مقام العائذ ، وفى حال عوذ ، والفعل المستقبل أيضا يؤذن بالانتظار ، وفعل الحال مشترك مع المستقبل فى لفظ واحد ، وذلك يوهم أنه غير عائذ ، فكان مجيئه بلفظ الاسم المنصوب على الحال أدلّ على مايريد ، فإن عائذا كقائم وقاعد ، وهو الذى يسمى عند الكوفيين : الدائم ، فالقائل : عائذا بك يارب ، إنما يريد : أنا فى حال عِياذٍ بك ، والعامل فى هذه الحال : تكلُّمه ونداؤه ، أى : أقول قولى هذا عائذا ، وليس تقديره : عذت ولا أعوذ ، إنما يريد أن يسمعه ربه ، أو يراه عائذاً به .

وقوله : أن يعلو يجوز أن تكون أن مع مابعدها فى موضع نصب ،

= بن الزهرى ، وهى تقول أنه قدم مع جعفر فى السفينة . لكن الوقاصى ضعيف . وذكر البخارى فى تاريخه عن عبد الله أنه أقام بالحبشة .

(١) فى السيرة : فاجعل عذابك . وانظر ص ١٧ ج١ من كتاب سيبوية

. . . .

وفى موضع خفض عند النحويين ، أما النصب فعلى إضمار الفعل ، لأنه قال : عائذاً، فأعلم أنه خائف ، فكأنه قال : أخاف أن يعلو فيطغونى ، وأما الخفض فعلى إضمار حرف الجر ، فكأنه قال : من أن يعلو ، وهو مذهب الخليل وسيبويه فى أن المخففة وأن المشددة نحو قوله تعالى : ﴿ إن هذه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحدة ﴾ الأنبياء : ٩٢ تقديره: لأن هذه ، وجاز إضمار حرف الجر فى هذين الموضعين ، وإن كانت حروف الجر لا تضمر ، لأنهما موصولتان بما بعدهما، فطال الاسم بالصلة ، فجاز حذف الجر تخفيفاً .

ولقائل أن يقول : هذه دعوى ادعيتم أن أنْ وما بعدها اسم مخفوض ، وهو لايظهر فيه الخفض ، ثم بنيتم التعاليل على غير أصل ؛ لأن الخفض لم يثبت بعد ، فنقول : إنما علمنا أنه فى موضع خفض لوقوعه فى موضع لا يقع فيه إلا المخفوض بحرف الجر نحو قوله سبحانه : ﴿ وَأَجْدَرُ ألاَّ يعلموا حُدودَ ما أنزل الله ﴾ التوبة : ٩٧ ونحو قوله تعالى : ﴿ أحَقُّ أنْ تقوم فيه ﴾ التوبة ١٠٨ ونحو قوله : ﴿أنْ تَضِلَّ إحداهما﴾ البقرة : ٢٨ . فقوله تعالى: أجدر ألا يعلموا، معناه : بأن لا يعلموا ، فلو كان قبل أنْ فِعْلٌ لقلنا : حذف حرف الجر ، فتعدى الفعل ، فنصب، ولكن أجدر وأحق اسمان لا يعملان ، فمن هاهنا عرف النحويون أنه فى موضع خاض ؛ إذ لا ناصب له ، وأما ما اعتلوا به من طول الاسم بالصلة ، وأن ذلك هو الذى سَوَّغ لهم إضمار حرف الجر ، فتعاليل مدخول ، ينتقض عليهم بالأسماء الموصولة كالذى ومن وما ، فإنها قد طالت بالصلة ، ومع ذلك لا يجوز إضمار حرف الجر فيها ، لا تقول : خرجت ما عندك ، ولا هربت الذى عندك

. . . .

أى : مِن الذى عندك ، وتقول : خرجت أن يرانى زيد ، وفررت أن يرانى عمرو ، أى : مِنْ أن يرانى ، ولأن يرانى بدل ، على أن العلة غير ما قالوا ، وهى أنَّ أنْ مع الفعل ليس باسم محض ، وإنما هو فى تأويل اسم ، والاسم المحض ما دل عليه حرف الجر ، فلا بد إذاً من إظهار حرف الجر إذا جئت به ؛ لأنه اسم قابل لدخول الخوافض عليه ، وأما أنْ فحرف محض لا يصح دخول حرف جر عليه ، ولا على الفعل المتصل به فلا تقول : هو اسم مخفوض ، إنما هو فى تأويل اسم مخفوض ، فمن هاهنا فرقت العرب بينه ، وبين غيره من الأسماء ، فإذا أدخلت عليه حرف الجر مظهراً جاز ، لأنه فى تأويل اسم ، وإذا أضمرت حرف الجر جاز أيضاً التفاتاً إلى أن الحرف الجار لا يدخل على الحرف ، ولا على الفعل فحسن إسقاطه مراعاة للفظ أنْ ، وللفظ الفعل ، وقلنا : هو فى موضع خفض على معنى أن الكلام يَئُول إلى الاسم المخفوض ، لا أنه يظهر فيه خفض ، أو يقدَّر تقديرَ المبنى الذى منعه البِناء من ظهور الخفض فيه ، حتى يشبه أنْ فنقول : هو اسم مبنى على السكون ، لا بل نقول : هى حرف ، والحرف لا يدخل عليه حرف الجر ، لا مضمراً ولا مظهراً ، وإنما هو تقدير فى المعنى ، لا فى اللفظ ، فافهمه .

لا يضاف اسم إلى أن المصدرية :

فصل : واعلم أنَّ [أَنْ] التى فى تأويل المصدر لا يضاف إليها اسم . تقول : هذا موضع أن تقعد ويوم خروجك ، ولا تقول : يوم أن تخرج ؛ لأنها ليست باسم كما قدمنا ، وإنما تضاف إلى الأسماء المحضة ، لا إلى التأويل ، ولا يضاف إليها أيضاً

. . . .

اسم الفاعل ، لا بمعنى الْمُضِىِّ ، ولا بمعنى الاستقبال ، ولا المصدر إلا على وجه واحد نحو : مخافة أن تقوم ، وذلك إذا أردت معنى المفعول بأن ومابعدها ، وأما على نحو إضافة المصدر إلى الفاعل ، فلا يجوز ذلك .

وإنما تكون فاعلة مع الفعل إذا ذكرته قبلها نحو : يسرنى أن تقوم ، وأما مع المصدر مضافا إليها فلا ، وتكون مفعولة مع المصدر ومع الفعل معاً ، وكل هذا الأسرار بديعة موضعها غير هذا ، لكنى أقول هٰهنا قولا لائقا بهذا الموضع ، فإنى لم أذكر الخفض بإضمار حرف الجر ، فى أن وإن إلا مساعدة لمن تقدم ، فعليه بنيت التعليل والتأصيل ، وإذا أبيت من التقليد فلا إضمار لحروف الجر فيها ، إنما هو النصب بفعل مضمر أو مظهر ، أما قوله تعالى : ﴿أحق أن تقوم فيه﴾ ، إنما لما قال أحق علم أنه يوجب عليه أن يقوم فيه ، وكذلك أجدر ألا يعلموا ، ومعنى أجدر : أخلق وأقرب ، ولما ثبتت لهم هذه الصفة اقتضى ذلك ألا يعلموا ؛ فصار منصوبا فى المعنى ، ولو جئت بالمصدر الذى هو اسم محض نحو : القيام والعلم لم يصح إضمار هذا الفعل ؛ لأن أجدر وأحق ونحوهما اسمان يضافان إلى ما بعدهما ، فلو جئت بالقيام بعد قولك أحق ، فقلت : أحق قيامك ، لانقلب المعنى .

ولو نصبته بإضمار الفعل الذى أضمرت مع أن لم يكن دليل عليه ؛ لأن الاسم يطلب الإضافة ، فيمنع من الإضمار والنصب ، وإذا وقعت بعده لم تطلب الإضافة ؛ لما قدمناه من امتناع إضافة الأسماء إليها ، وإنما اخترنا هذا المذهب ، وآثرناه على ما تقدم من إضمار الخافض ؛ لأنا قد نجدها فى مواضع مجرورة ،

. . . .

ولا يجوز إضمار حرف الجر ، كقولك : سر إلى أنْ تطلع الشمس ، ولا يجوز إضمار إلى هٰهنا ، وكذلك تقول : هذا خير من أن تفعل كذا ، ولا يجوز أيضاً إضمار من ، ولو كان حرف الجر معها للعلتين المتقدمتين لا طَّرَدَ جواز ذلك فيها على الإطلاق ، وإنما هى أبدا إذا لم يكن معها حرف الجر ظاهرا مفعولة بفعل مضمر ، وقد تكون فاعلة ، ولكن بفعل ظاهر نحو : يعجبنى أن تقوم ، وأما خرجت أن أرى زيدا فعلى إضمار الإرادة والقصد ، كأنك أردت : أن أراه ، أو أن لا أراه ؛ لأن كل من فعل فعلا ، فقد أراد به أمراً ما ، لكنك إن جعلت مكانها المصدر لم يجز الإضمار أو قَبُح ؛ لأن المصدر تعمل فيه الأفعال الظاهرة إذا كانت متعدية ، وتصل إليه بحرف جر إذا لم تكن متعدية ، وأنْ مع الفعل لا تعمل فيها الحواس ولا أفعال الجوارح الظاهرة ، تقول : رأيت قيام زيد ، ولا تقول : أن يقوم ، وسمعت كلامك ، ولا تقول : سمعت أن تتكلم ، وإنما يتعلق بها ، وتعمل فيها الأفعال الباطنة نحو: خفت واشتهيت وكرهت ، وما كان فى معنى هذا أو قريباً منه ، فإذا سمع المخاطب أن مع الفعل لم يذهب وَهْمُه بحكم العادة إلاَّ إلى هذه المعانى ، فإن كانت ظاهرة فذاك ، وإلا اعتقدنا أنها مضمرة ، وأن الفعل الظاهر دالٌّ عليها ، وغيرها من الأسماء ليس كذلك ، إذا وقع قبلها فعل من أفعال الجوارح الظاهرة ، وقع عليها إن كان متعديا أو وُصل بحرف ، إن كان غير متعد ، ومَنَع من الإضمار أنه لفظى ، والإضمار معنوى إلا فى باب المفعول من أجله ، وقد قدمنا فيه سراً بديعاً فيما سبق من هذا الكتاب .

. . . .

فصل : وأنشد لعبد الله بن الحارث شعراً فيه :

كما جَحَدت عادٌ وَمَدْيَنُ وَالْحِجْرُ

أما عاد فقد تقدم نسبها ، وأما الْحِجْرُ فليست بأُمَّةٍ ، ولكنها ديار ثمود. أراد : أهل الحجر ، وأما مَدْيَنُ فأمَّة شعيب ، وهم بنو مديان بن إبراهيم عليه السلام ، وأمهم: قطورا بنت يَقْطَان الكنعانية، ولدت له ثمانية من الولد تناسلت منهم أمم ، وقد سميناهم فى كتاب التعريف والإعلام ، وفى أول هذا الكتاب.

وفيه أيضاً قوله : فإن أنا لم أُبْرِقْ فلاَ يَسَعنَّنِى. البيت ، قال : وبه سمى الْمُبْرِق ، قال المؤلف : وفى هذا حجة على الأَصْمَعِىِّ حين منع أن يقال : أرعد وأبرق ، وذُكر له قولُ الْكُمَيْت :

أَرْعِد وأبِرق يايزيد(١)

فلم يره حجة ، [وقال : الكميت جُرْمقانِىٌّ من أهل الموصل] ليس بحجة ، وألحقه بالمحدثين لتأخر زمانه ، كما فعل بذى الرُّمَّةِ حين احتج عليه بقوله :

---

(١) فى إصلاح المنطق لابن السكيت: وقد برق فى الوعيد ورعد يبرق ويرعد . ـ وزن نصر قال الأصمعى : ولا يقال أرعد وأبرق ، وحكى اللغتين أبو عبيدة وأبو عمرو ، فاحتج على الأصمعى ببيت الكميت .

أرعـــد وأبرق يايز   يد فما وعيدك لى بضائر

فقال : ليس قول الكميت بحجة، هو مولد ، واحتج ببيت المتلمس :

فإذا حللت ودون بيتى غاوة   فابرق بأرضك ما بدالك وارعد

ص ٢١٦ ط د . المعارف . مصر ، وانظر ص ٩٧ جـ ١ أمالى والسمط ص ٣٠٠

. . . .

ذو زَوْجَةٍ بالْمِصْرِ أم ذُو خُصُومةٍ

فأبى أن يقول : زوجة بهاء التأنيث ، وقال : طالما أكل ذو الرُّمَّةِ الزيتَ فى حوانيت البقالين(١) ، وبيت الْمُبْرِق فى هذا حجة بلا خلاف ، وقد وجد أَرْعَد وأَبْرَق فى غير هذا البيت ، مما تقوم به الحجة أيضاً ، وبيت الْمُبْرِق هذا يحتمل وجها آخر ، وهو أن يكون من أبرق فى الأرض إذا ذهب بها لامن أرعد وأبرق ، وكذلك وجدته فى حاشية كتاب الشيخ على هذا البيت منسوبا للمُصْعَب ، قال: الإبراق : الذهاب(٢) ، وفى العين : أبرقت الناقة بذنبها إذا ضربت به يمينا وشمالا ، وهو فى معنى الذهاب فى الأرض ، لأنه جَوَلَان فيها ، وهى البَرُوق ، قال نَهْشَل بن دارمٍ لأخيه سَلِيط ـ وقد لامه على ترك الـكلام فى بعض المواطن : لاأحسن تَأْتَامَك ، ولا تَـكْذَابَك ، تَشُول بلسانك شَوَلَانَ الْبَرُوق . وذكر فى الشعر :

يلين مافى النفس إذ بلغ النَّقْرْ(٣)

ويروى: يُلَيِّن مافى الصدر. والنَّقْر: البحثُ عن الشىء، وأكثر مايقال فيه : التَّنْقِير ، واستشهد عبدُ الله الْمُبْرِقُ فى غَزْوَة الطائف ، وكان أبوه الحارثُ من المستهزئين، وكان جدُّه قيس أعزَّ قريش فى زمانه ، يروى أن عبدَ المطلب كانَ

---

(١) يقال : أبرق طعامه بزيت أو سمن : جعل منه فيه قليلا

(٢) فسرها المصعب بما قال السهيلى فى ص ٤٠١ من كتابه نسب قريش .

(٣) فى السيرة : أبـــين ما فى النفس ، وفى نسب قريش ص ٤٠١ يبين ما فى الصدر .

. . . .

يُنَفِّز[1] ابنه عبد الله ، والد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو طفل ، فيقول :

كأنه فى العزقيسُ بن عدى   فى دار قيس النَّدىُّ يَنْتدى[2]

قاله الزبير بن أبى بكر :

حول لام التعجب :

فصل : وذكر شعر عثمان بن مَظْعُون :

أَتَيْمَ بنَ عَمْرٍو لِلَّذِى جاء بِغْضَةً

أراه : عجبا لِلّذِى جاء ، والعرب تكتفى بهذه اللام فى التعجب ، كقوله عليه السلام : لِهذَا العبدِ الحبشى جاء من أرضه وسمائه إلى الأرض التى خُلق منها ، قاله فى عَبْدٍ حَبَشِيٍّ دُفن بالمدينة ، وقال فى جنازة سعد بن مُعاذ وهو واقف على قبره ، وتقهقر ثم قال : سُبْحَانَ الله لهذا العبد الصالح ضُمَّ عليه القبرُ ثم فُرِجَ عنه ، وقيل فى قوله سبحانه : ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ﴾ أقوال منها : أنها متعلقة بمعنى التعجب ، كأنه قال : اعجبوا لإيلاف قريش ، وبِغْضةً نُصِبَ على التمييز

---

(١) فى الأصل ينقر ، وهو خطأ كان أيضاً فى نسب قريش . وأصلحه محققه ، ففى القاموس : نفزه تنفيزا : رقصه ، وكذلك فى اللسان .

(٢) فى الاشتقاق ص ١٢٠ : « وكان عبد المطلب يرقص ابنه الحارث أو الزبير فيقول :

يا بأبى يا بأبى يا بأبى   كأنه فى العز قيس بن عدى

والشطرة الثانية روايتها هكذا « فى دار قيس ينتدى أهل الندى » ص ٤٠٠ نسب قريش .

. . . .

كأنه قال : ياعجبا لمـا جاء به من بِغْضَةٍ ، ويجوز أن يكون مفعولا من أجله ، وروى الزبير هذا البيت :

أَتَيْمَ بن عَمْرٍ للذى فارِضِغْنُهُ

من معانى شعر ابن مظعون

وكذلك روى فى هذا الشعر : فى صرح بَيطاء تُقْدَعُ بالطاء وفتح الباء وكسرها ، وقال بِيطاء : اسم سفينة ، وتُقْدَع بالدال ، أى : تدْفع ، وزعم أن تَيْم بن عمرو وهو جُمَح سُمِّى جُمَحاً ؛ لأن أخاه سهم بن عمرو ـ وكان اسمه زيداً ـ سابقه إلى غاية ، فَجمَحَ عنهاَ تيم ، فسُمِّى جُمَحاً ، ووقف عليها زيد ، فقيل : قد سَهَمَ[1] زَيْدٌ فسمى : سَهْماً .

وقوله : ومن دوننا الشَّرْمَان . الشَّرم : البحر[2] وقال الشَّرمَان بالتثنية ؛ لأنه أراد البحر الْمِلْحَ ، والبحر الْعَذْب ، وفى التَّنزيل : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ والشَّرْمُ من : شَرَمْتُ الشيء إذا خَرَقْتُه ، وكذلك البحر من بَحَرْتُ الأرض إذا خرقتها ، ومنه سميت الْبَحِيرَة لخَرْقِ أُذُنِها والْبَرْكُ : ما اطمأن من الأرض واتَّسع ، ولم يكن منتصبا كالجبال .

وقوله : فى صرح بيضاء . يريد : مدينة الحبشة ، وأصل الصَّرح : القصر ، يريد : أنه ساكن عند صَرْح النَّجَاشِيِّ .

---

(١) يقال : ساهم القوم ، فسهمهم : غلبهم .

(٢) فى القاموس : لجة البحر ، أو الخليج منه ، وفى شرح السيرة للخشنى أيضاً الشرمان بضم النون : موضع . ويقول عن « البرك أكتع » هذه رواية غريبة لأنه أكد بأكتع دون أن يتقدمه : أجمع .

. . . .

وقوله : تُقْذَع أى: تُكْرَه ، كأنه من أقذعت الشىء ، إذا صادفته قَذِعاً ويقال أيضاً : قَذَعْتُ الرجلَ إذا رميته بالفحش ، يريد أن أرض الحبشة مقْذوعة ، وأحسب هذه الرواية تصحيفا ، والصحيح : ما قدمناه من قول الزبير وروايته ، وأنه بَيطَاء بالطاء ، وتُقْدَع بالدال .

وقوله : وأسلمك الأوباش يريد أخلاطا من الناس[1] ، يقال : أوشاب وأوباش ، والأوباش أيضاً شجر متفرق ، والوَبْش بياض فى أظفار الأحداث .

أنساب :

وذكر فيمن هاجر إلى أرض الحبشة من بنى عدى : مَعْمر بن عبد الله ابن نَضْلَة ، وقال فيه علىُّ بن المَدِينى : إنما هو : مَعْمَر بن عبد الله بن نافع ابن نَضْلَة .

وقال ابن إسحاق : نَضْلة بن عبد العزى بن حُرْثَان بن عَوْف بن عُبَيْد وفى حاشية كتاب الشيخ قال : إنما هو نَضْلَةُ بن عوف بن عُبَيْدِ بن عُوَيْج ، وذكر أنه قولُ مصْعَب فى كتاب النسب[2] . وذكر فى بنى عَدِىٍّ : عُرْوَةَ بن عَبْدِ الْعُزَّى بن حُرثان ، كذا فى كتاب المصعب إلا أنه قال: عمرو بن أبى أثاثة أو عُرْوَة بن أبى أثَاثَة على الشَّكِّ وذكره أبو عُمَرَ فى كتاب الاستيعاب فقال فيه : عروة بن أبى أثاثة ويقال ابن أثاثة بن عبد العزى بن حُرثان ، قال : وأمه ، أم عمرو بن العاصى ، فهو

---

(١) عند الخشنى : الضعفاء الداخلون فى القوم ، وهو منهم . والبطارقة: الوزراء .

(٢) هو كما ذكر فى جمهرة ابن حزم ص ١٤٧ وما بعدها ، وفى نسب قريش لمصعب الزبيرى ص ٣٨٢ ، ص ٣٨٦ وزاد بعد عويج : ابن عدى بن كعب .

. . . .

أخوه لأم(١) .

قال المؤلف : وأمهما اسمها : ليلى ، وتلقب بالنابغة ، وهى من بنى ربيعة ثم من بنى جَلَّانَ(٢) قال أبو عمر : ويقال فيه : ابن أبى أُثاثة ، قال المؤلف : وقد قدمنا أن المصعب الزبيرى شك فيه ، فقال : عروة ، أو عَمْرو ، وأما الزبير : فقال عمرو بن أبى أثاثة ، ولم يشكَّ ، ثم قال أبو عمر : لم يذكره ابن إسحاق فيمن هاجر إلى أرض الحبشة ، وذكره الواقدى ، وأبو معشر وموسى بن عقبة ، قال المؤلف : وهذا وهم من أبى عمر — رحمه الله — فإن ابن إسحاق ذكره فيهم ، غير أنه نَسَبه إلى جده عبد العُزى ، وأسقط اسم أبيه أبى أثاثة ، وقال حين ذكر من هاجر من بنى عدى بعد ما عدهم خمسة ، قال :

---

(١) فى نسب قريش « وولد أبو أثاثة بن عبد العزى ، عمرو بن أبى أثاثة ، وعروة بن أبى أثاثة ، وهو من مهاجرة الحبشة ، وأمه : النابغة بنت حرملة أخواه لأمه ؛ عمرو بن العاصى وأرنب بنت عفيف بن أبى العاصى بن أمية ابن عبد شمس » ص ٣٨١. وانظر ٤٠٩ من نفس الكتاب ، فليس فيه شك ، وإنما هما ولدان . أحدهما : عمرو ، والآخر عروة . وتوجد لهما ترجمتان فى الإصابة ، إلا أنه قال عن عروة — ولعله تصحيف — بن أبانة . ثم قال : ويقال ابن أبى أبانة ابن عبد العزى ، بن حرامن بن عوف بن عبيد بن عويج الخ وفى جمهرة ابن حزم « وعمرو بن أبى أثاثة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عويج بن عدى ابن كعب من مهاجرة الحبشة وهو أخو عمرو بن العاص لأمه وأخوه عروة ابن أبى أثاثة من مهاجرة الحبشة ص ١٤٨ وفى ص ١٥٤ منه « وأخواه لأمه — يعنى عمرو وعروة أبنا أبى أثاثة الحبشة » .

(٢) فى نسب قريش أن أمه : سبية من بنى عنزة ص ٤٠٩ وفى الإصابة : أمة من بنى عنزة . وفى جمهرة ابن حزم كما فى نسب قريش واسمها : النابغة ص ١٥٤ .

. . . .

أربعة نفر ، وهو وهم من ابن إسحاق ، وذكر فيهم مع الخمسةِ : ليلى بنت أبي حَثْمَة امرأة عامر بن ربيعة ، فهم على هذا ستة ، غير أنه يحتمل أن يريد أربعة نفر دون حليفهم عامر ، وما أظنه قصد هذا ؛ لأن من عادته أن يعد الحلفاء مع الصميم ؛ لأن الدعوة تجمعهم .

أم سلمة :

وذكر أم سَلَمَة وبعلها أبا سلمة، توفى عنها بالمدينة ، وخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وذكر اسمها هذا ، وقيل في اسمها: رملة[1] ، وأبوها أبو أمية اسمه : حُذَيْفَة يعرف بزاد الراكب[2] .

وذكر أنها ولدت بأرض الحبشة زينبَ بنت أبي سلمة ، وكان اسم زينبَ

(١) فى الإصابة اسمها: هند . وقال عن القول بأن اسمها رملة: ليس بشيء .

(٢) وقيل أيضاً : سهيل ولقب بهذا ؛ لأنه كان إذا سافر لم توقد معه نار إلى أن يرجع . ورثاه أبو طالب:

ألا إن خير الناس غير مدافع   بسرو سحيم غيبته المقابر

ومنها :

وكان إذا يأتي من الشام قافلا   تقدمه ـ تسعى إلينا ـ البشائر

وهناك غيره من قريش أزاود الركب : أبو أمية بن المغيرة ، مسافر ابن أبي عمرو بن أمية ، زمعة بن الأسود ، لأنهم — كما فى اللسان ـ كانوا إذا سافروا ، فخرج معهم الناس لم يتخذوا زادا معهم ، ولم يوقدوا ، يكفونهم ويغنونهم يقول : المصعب الزبيري : رثاه أبو طالب :

وقد أيقن الركب الذى أنت فيهم   إذا رحلوا يوما بأنك عاقر

فسمى زاد الركب ، واسمه : حذيفة ، وكانت عنده عاتكة بنت عبد المطلب . انظر الاشتقاق ص ١٥٠ ، ٩٤ واللسان مادة : زود والإصابة ترجمة أم سلمة ، ونسب قريش ص ٣٠٠ .

. . . .

بَرَّة ، فسماها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ زينب ، كانت زينبُ هذه عند عبد الله بن زَمْـعَة ، وكانت قد دخلت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يغتسل ، وهى إذ ذاك طفلة ، فَنَضَحَ فى وجهها من المـاء ، فلم يزل ماء الشباب فى وجهها[1] ، حتى عجزت وقاربت المائة ، وكانت من أفقه أهل زمانها ، وأدركت وقعة الحَرَّة بالمدينة[2] ، وقُتل لهـا فى ذلك اليوم ولدان ، اسم أحدهما : كبير ، والآخر : يزيد من عبد الله بنِ زَمْـعة ، فـكانت تبكى على أحدهما ، ولا تـبكى على الآخر ، فسئلت عن ذلك ، فقالت : أبكيه لأنه جرد سيفه وقاتل ، والآخر لا أبكيه لأنه لزم بيته ، وكف يده حتى قتل ، روى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين ابتنى بأم سلمة دخل عليها بيتها فى ظلمة ، فوطىء على زينب ، فبـكت ، فلما كان من الليلة الأخرى دخل فى ظلمة أيضا ، فقال : أنظروا زَنَابَكم أن لا أطأ عليها[3] ، أو قال : أخّروا ذكره الزبير ، وفى هذا الحديث تَوْهين لرواية من روى أنه كان يرى بالليل ، كما يرى بالنهار .

---

(١) حديث تغيير الاسم أسنده ابن خيثمة من طريق محمد بن عمرو بن عطاء عنها ، وذكر مثله فى زينب بنت جحش ، وأصله فى مسلم فى حق زينب هذه وفى حق جويرية بنت الحارث ، ومسألة نضح الماء ذكرها ابن حجر فى الإصابة. وروى أنها كانت أفقه امرأة بالمدينة ، وأما نداؤها بزناب بضم الزاى ، فقد ورد فى حديث رواه النسائى « فتزوجها ـ أى أم سلمة ـ فجعل يأتيها ، فيقول : أين زناب »

(٢) وقعت سنة ٦٣ ﻫ

(٣) سبق الحديث عن هذا

إرسال قريش إلى الحبشة فى طلب المهاجرين إليها

قال ابن إسحاق : فلما رأت قُريش أن أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أمنوا ، واطمأنوا بأرض الحبشة ، وأنهم قد أصابوا بها دارا وقرارا ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجُلَين من قريش جَلْدين إلى النجاشى ، فيردهم عليهم ؛ ليَفْتنوهم فى دينهم ، ويُخْرجوهم من دارهم ، التى اطمأنوا بها وأمنوا فيها ، فبعثوا عبدَ الله بن أبى رَبيعة ، وعمرو بن العاص بن وائل ، وجمعوا لهما هدايا للنجاشى ولبطارقته ، ثم بعثوهما إليه فيهم .

النور الذى كان على قبر النجاشى :

فصل: وذكر حديث عائشة : كنا نتحدث أنه لا يزال يُرى على قبر النجاشى نور ، وقد خرجه أبو داود من طريق سَلَمَةَ بن الفَضْل ، وعن ابن إسحاق عن يزيد بن رُومان عن عائشة ، وأورده فى باب : النور يُرى عند الشهيد ، وليس فى هذا الحديث ولا غيره مايدل على أن النجاشى مات شهيدا ، وأحسبه أراد: أن يشهد بهذا الحديث ماوقع فى كتب التاريخ من أن عبدالرحمن ابن ربيعة أخا سلمان بن ربيعة الذى يقال له : ذو النور ، وكان على باب الأبواب فقتله الترك زمان عمر ، فهو لا يزال يرى على قبره نور ، وبعضد هذا حديثُ النجاشى، يقول: فإذا كان النجاشى ـ وليس بشهيد ـ يرى عنده نور ، فالشهيد أحرى بذلك لقول الله سبحانه : ﴿ والشهداء عند ربهم ، لهم أجرُهم ونورهم [1] ﴾ الحديد : ١٩ .

---

(١) الواضح أن هذا فى الآخرة ، ولا أدرى لماذا خالف مبدأه ، فاعتمد على أحاديث واهية . وفى سلمة بن الفضل تشيع وسيأتى حديث النور فى ص ٢٥١ .

فقال أبو طالب ـ حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه ـ أبياتا للنجاشىّ يحضه على حُسْن جوارهم ، والدَّفْع عنهم :

ألا ليتَ شِعرى كيفَ فى النَّأْى جعفَرٌ وعمرو وأعداء العــدو الأقاربُ

وهل نالت افعالُ النجاشى جعفراً وأصحابَه أو عاق ذلك شاغب

تعلَّمْ ـ أبيتَ اللَّعن ـ أنك ماجدٌ كريمٌ فلا يَشْقى لديك الْمُجانب

تعلَّمْ بأن اللهَ زادك بَسْطَـةً وأسبابَ خَيرٍ كلُّها بك لازب

وأنَّك فيضٌ ذو سِجال غزيرةٍ يَنال الأعادى نفعَها والأقارِب

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن مُسلم الزُّهرى عن أبى بَكْرِ بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام المخزومى ، عن أم سلَمَة بنت أبى أُمَّية بن الْمُغيرة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما نزلنا أرضَ الحبشة ، جاوَرْنا بها خيرَ جارٍ: النجاشى ، أمِنَّا على ديننا ، وعبدْنا الله تعالى ، لا نُؤْذَى ، ولا نَسمع شيئاً نـكرهه، فلما بلغ ذلك قريشا ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشى فينا رجُلَيْن منهم جَلْدَين ، وأن يُهْدوا للنجاشىِّ هَدايا مما يُستطرَف من مَتاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأَدَمُ ، فجمعوا له أَدَما كثيراً ، ولم يتركوا من بَطارقته بِطْرِيقا إلا أهْدَوْا له هديَّة ، ثم بعثوا بذلك عبدَ الله بن أبى رَبيعة ، وعَمْرو بن العاص ، وأمروهما بأمرهم ، وقالوا لهما : ادفعاَ إلى كل بِطْريق هديَّته قبل أن تـكلما النجاشى فيهم ، ثم قدِّما إلى النجاشى هَداياه ، ثم سَلاه أن يُسْلِمَهم إليـكما قبل أن يكلِّمهم . قالت : فخرَجا حتى قدما على النجاشى ،

ونحن عنده بخير دار عند خير جار ، فلم يبقَ من بطارقته بِطْرِيقٌ إلا دَفعا إليه هديته قبل أن يُكلِّما النجاشى ، وقالا لكلِّ بِطْريقٍ منهم : إنه قد ضَوَى إلى بَلَد الملك منا غِلْمانٌ سفهاء ، فارقوا دينَ قومهم ، ولم يدخلوا فى دينكم ، وجاءوا بدين مُبتدَع ، لا نعْرفه نحن ولا أنتم ، وقد بَعَثنا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم ، ليردهم إليهم ، فإذا كلَّمْنَا الملك فيهم ، فأشيرُوا عليه بأن يُسْلِمَهُمْ إلينا ، ولا يكلِّمهم ، فإن قومَهم أعْلَى بهم عَيْنا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فقالوا لهما : نعم . ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشى فقَبلها منهما ، ثم كلَّماه ، فقالا له : أيها الملك ، إنه قد ضَوَى إلى بلدك منا غِلْمان سفهاء ، فارقوا دينَ قومهم ، ولم يدخلوا فى دينك ، وجاءوا بدينٍ ابتدعوه ، لا نَعْرفه نحن ، ولا أنت ، وقد بَعَثنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم : لتردهم إليهم ، فهم أعْلَى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، وعاتبوهم فيه . قالت : ولم يكن شىء أبغضَ إلى عبد الله بن أبى رَبيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامَهم النجاشى . قالت : فقالت بطارقته حوله : صَدَقا أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسلِمْهم إليهما ، فليردَّاهم إلى بلادهم وقومهم . قالت : فغضب النجاشى ، ثم قال : لاهَا الله ، إذن لا أُسلمهم إليهما ، ولا يُكادُ قومٌ جاورونى ، ونزلوا بلادى ، واختارونى على مَنْ سواى ، حتى أدعوهم ، فأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان ، أسلمتهم إليهما ، ورددتُهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتُهم منهما ، وأحسنتُ جوارهم ما جاورونى .

. . . .

حوار بين النجاشى و بين المهاجرين

قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضُهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول : والله ما علِمْنا ، وما أمرنا به نبيُّنا صلى الله عليه وسلم كائنا فى ذلك ماهو كائن ، فلما جاءوا ، وقد دعا النجاشى أساقفتَه ، فنشروا مَصاحفهم حولَه سألهم ، فقال لهم : ما هذا الدينُ الذى قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا فى دينى ، ولا فى دين أحد من هذه الملل ! قالت : فكان الذى كلَّمه جعفر بن أبى طالب ؛ فقال له : أيها الملك ، كنَّا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجوار ويأكل القوى منَّا الضعيفَ ، فكنَّا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبَه وصِدْقه وأمانتَه وعفافَه ، فدعانا إلى الله ؛ لنوحِّدَه ونعبدَه ، ونخلع ما كنَّا نعبد نحنُ وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمَرَنا بصِدْق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصِلة الرحم ، وحُسْن الجوار ، والكفّ عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفَواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقَذْف المُحْصَنات ، وأمَرَنا أن نعبدالله وحده ـ لانُشرِكُ به شيئاً ـ وأمرنابالصَّلاة والزكاة والصيام ، قالت : فعدد عليه أمورَ الإسلام ـ فصدقناه وآمنَّا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحْلَلْنا ما أحلَّ لنا ، فعدا علينا قومُنا ، فعذّبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردُّونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنَّا

نستحلُّ من الخبائث ، فلمَّا قهرونا وظلمونا وضيَّقوا علينا ، وحالوا بيننا و بين دينِنا ، خرجنا إلى بلادك واخْتَرْناك على مَنْ سواك ، وَرَغِبْنَا فى جوارك ، ورَجْونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك . قالت : فقال له النجاشى : هل معك مما جاء به عن الله من شىء ؟ قالت : فقال له جعفر : نعم ، فقال النجاشى : فاقرأه على ، قالت : فقرأ عليه صدرا من : ﴿ كهيعص ﴾ . قالت : فبكى والله النجاشىُّ ، حتى اخضلَّت لحيتُه ، وبكت أساقفتُه ، حتى أخْضَلوا مَصاحفهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشى : إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مِشكاةٍ واحدة، انطلقا ، فلا والله لا أُسْلمهم إليكما ، ولا يُكادون .

قالت : فلما خَرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لآتينَّه غداً عنهم بما أستأصِل به خَضْراءهم . قالت : فقال له عبد الله بن أبى ربيعة — وكان أتقَى الرَجُلَين فينا : لا تفعل ؛ فإنّ لهم أرحاما ، وإن كانوا قد خالفونا . قال : والله لأُخبرنَّه أنهم يزعمون أن عيسى بنَ مريم عَبْدٌ ، قالت : ثم غدا عليه من الغد ، فقال له : أيها الملك ، إنهم يقولون فى عيسى بن مَرْيم قولا عظيما ، فأرسِل إليهم فَسَلْهم عما يقولون فيه . قالت : فأرسل إليهم ، ليسألهم عنه . قالت : ولم ينزل بنا مثلُها قطُّ . فاجتمع القوم ، ثم قال بعضُهم لبعض : ماذا تقولون فى عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول — والله — [فيه] ما قال الله ، وما جاءنا به نبيُّنا ، كائنا فى ذلك ماهو كائن . قالت : فلمَّا دخلوا عليه ، قال لهم : ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم ؟ قالت : فقال [له] جعفر ابن أبى طالب : نقول فيه الذى جاءنا به نبيُّنا صلى الله عليه وسلم : هو عبدُ الله

ورسوله ، وروحه ، وكَلِمتُهُ ألقاها إلى مَرْيم العذراء البَتُولِ . قالت : فضرب النجاشيُّ بيده إلى الأرض ، فأخذ منها عودا ، ثم قال : والله ماعدا عيسى ابن مريم ماقاتَ هذا العودَ ، قالت : فتناخَرَتْ بَطارِقتُه حوله حين قال ماقال ، فقال : وإن نَخَرْتُم والله ، اذهبوا فأنتم شُيومٌ بأرضى — والشُّيوم : الآمنون — من سَبَّكم غَرِم ، ثم قال : من سَبَّكُمْ غَرِم ، ثم قال : من سبَّكم غَرِم ما أُحبّ أن لى دَبْراً من ذهب ، وأنى آذيت رجلا منكم — قال ابن هشام : ويقال : دَبْرَى من ذهب . ويقال فأنتم سُيُوم ، والدبر — بلسان الحبشة : الجبل — ردّوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لى بها ، فوالله ماأخذ اللهُ منى الرّشوة حين ردَّ علىَّ مُلْكى ، فآخذَ الرّشوَة فيه ، وما أطاع الناس فِىَّ فأُطيعهم فيه . قالت : فخرجا من عنده مَقْبوحَيْن ، مَرْدُودًا عليهما ماجاءا به ، وأقمنا عنده بخير دار ، مع خير جار .

المهاجرون وانتصار النجاشى

قالت : فوالله إنَّا لعَلى ذلك ، إذ نزل به رجلٌ من الحبشة ينازعه فى مُلْكه . قالت : فوالله ما علمتُنا حَزِنَّا حزْنا قطُّ كان أشدَّ علينا من حُزْنٍ حَزِنَّاه عند ذلك ، تَخَوُّفا أن يَظْهر ذلك الرجلُ على النجاشىّ ، فيأتى رجلٌ لايعرف مِنْ حقِّنا ما كان النَّجاشِىّ يَعْرف منه ، قالت : وسار إليه النجاشىُّ ، وبينهما عرضُ النيل ، قالت : فقال أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وعلى آله وسلم : مَنْ رجلٌ يخرج حتى يحضُرَ وَقيعَةَ القوم ، ثم يأتينا بالخبر ؟ قالت : فقال الزبير ابن العوّام : أنا ، قالوا : فأنت — وكان مِن أحدث القوم سنًّا — قالت : فنفخوا

له قِرْبَةً ، فجعلها فى صَدره ، ثم سَبَح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بها مُلتقى القوم ، ثم انطلق حتى حَضَرهم ، قالت : فدعونا الله تعالى للنجاشىّ بالظهور على عدوّه ، والتَّمْكين له فى بلاده ، قالت : فوالله إنَّا لعَلى ذلك مُتوقِّعون لِمَا هو كائن ، إذ طلع الزُّبير وهو يسعى ، فلمع بثَوْبه وهو يقول : ألا أبْشروا ، فقد ظفر النجاشىُّ ، وأهلك اللهُ عدوه ، ومكن له فى بلاده . قالت : فوالله ما علمتنا فَرِحنا فرْحةً قطّ مثلَها . قالت : ورجع النجاشى ، وقد أهلك الله عدوَّه ، ومكَّن له فى بلاده ، واستوثَق عليه أمر الحبشة ، فكنا عنده فى خير مَنْزل ، حتى قدمْنا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة .

قصه تملك النجاشى على الحبشة

قال ابن إسحاق : قال الزهرىّ : فحدّثت عُروة بن الزبير حديثَ أبى بكر ابن عبد الرحمن ، عن أمِّ سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تدرى ما قولُه : ما أخذ الله منى الرِّشوَة حين ردّ علىّ مُلْكى ، فآخذ الرِّشوَة فيه ، وما أطاع النَّاسَ فِىَّ ، فأطيع الناسَ فيه ؟ قال : قلت : لا ، قال : فإن عائشة أمّ المؤمنين حدّثتنى أن أباه كان ملكَ قومه ، ولم يكن له ولدٌ إلا النجاشى ، وكان للنجاشى عمّ ، له من صلبه اثنا عَشَر رجلاً ، وكانوا أهلَ بيت مملكة الحبشة ، فقالت الحبشة بينها : لو أنّا قتلنا أبا النجاشىّ ، وملّكنا أخاه فإنه لاوَلَد له غير هذا الغلام ، وإن لأخيه من صُلبه اثنى عَشَر رجلاً ، فتوارثوا مُلْكه من بعده ، بقيت الحبشة بعده دهراً ، فَغَدَوا على أبى النجاشى فقتلوه ، وملّكوا أخاه ، فمكثوا على ذلك حينا .

ونشأ النجاشي مع عمِّه – وكان لبيبا حازما من الرجال – فغلب على أمْر عمِّه ، ونزل منه بكل منزلة ، فلما رأت الحبشةُ مكانَه منه، قالت بينها : والله لقد غَلَب هذا الفتى على أمر عمِّه ، وإنا لنتخوف أن يملِّكَهُ علينا ، وإن ملَّكه علينا ليقتلنا أجمعين ، لقد عرَف أنَّا نحن قتلنا أباه . فَمَشَوْا إلى عمِّه ، فقالوا : إمَّا أنْ تقتل هذا الفتى ، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا ، فإنَّا قد خِفْناه على أنفسنا ، قال : ويلكم ! قتلتُ أباه بالأمس ، وأقتله اليومَ ! بل أُخرجه من بلادكم . قالت : فخرجوا به إلى السوق ، فباعوه من رجل من التجَّار بستمائة درهم ، فقذفه فى سفينة فانطلق به ، حتى إذا كان العَشِىّ من ذلك اليوم ، هاجت سَحَابَةٌ من سحائب الخريف ، فخرج عمُّه يَسْتمطر تحتها ، فأصابته صاعقةٌ ، فقتلته . قالت : ففزعت الحبشةُ إلى وَلَده ، فإذا هو مُحْمِق ، ليس فى ولده خيرٌ ، فمرج على الحبشة أمرُهم .

فلما ضاق عليهم ماهُم فيه من ذلك ، قال بعضهم لبعض : تعلَّموا والله أن ملككم الذى لايُقيم أمركم غيرُه لَلّذِى بعتم غدوةً ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة ، فأدركوه الآن . قالت : فخرجوا فى طلبه ، وطلَبِ الرجل الذى باعوه منه حتى أدركوه ، فأخذوه منه ، ثم جاءوا به ، فعقدوا عليه التاجَ ، وأقعدوه على سرير المُلْك ، فملَّكوه .

فجاءهم التاجرُ الذى كانوا باعوه منه ، فقال : إمَّا أن تُعطونى مالى ، وإمَّا أن أكلِّمه فى ذلك ؟ قالوا : لانُعْطيك شيئا ، قال : إذن والله أُكلِّمه ، قالوا : فدونك وإيّاه . قالت : فجاءه فجلس بين يديه ، فقال : أيها الملك ، ابتعتُ

غلاما من قوم بالسوق بستمائة درهم ، فأسلَموا إلىّ غلامى ، وأخذوا دَراهمى ، حتى إذا سرْت بغلامى ، أدركونى ، فأخذوا غلامى ، ومنعونى دَراهمى . قالت : فقال لهم النجاشى : لتُعْطُنَّه دراهمَه ، أو ليضعنّ غلامُه يده فى يده ، فليذهبنّ به حيث شاء ، قالوا : بل نُعطيه دراهمه . قالت : فلذلك يقول : ما أخذ الله منى رِشوةً حين ردّ علىّ مُلْكى ، فآخذ الرّشوة فيه ، وما أطاع الناس فىّ ، فأُطيع الناس فيه . قالت : وكان ذلك أوّل ما خُبر من صَلابته فى دينه ، وعَدْله فى حكمه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رُومان عن عُروة بن الزّبير ، عن عائشة قالت : لما مات النجاشى ، كان يُتحدّث أنه لايزال يُرى على قبره نورٌ .

إسلام النجاشى والصلاة عليه

قال ابن إسحاق : وحدثنى جَعْفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : اجتمعت الحبشة ، فقالوا للنجاشىّ : إنك قد فارقتَ ديننا ، وخرجوا عليه قال: فأرسل إلى جعفر وأصحابه ، فهَيّأ لهم سُفنا ، وقال : اركبوا فيها ، وكُونوا كما أنتم ، فإن هُزمتُ فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتُم ، وإن ظفرتُ فاثبتُوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبدُه ورسولُه ، ويشهد أن عيسى بن مريم عبدُه ورسوله ، وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، ثم جعله فى قَبائه عند المَنْكِب الأيمن ، وخرج إلى الحبشة ، وصَفّوا له ، فقال : يامعشر الحبشة ، ألستُ أحقّ الناس بكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فكيف رأيتم

سيرتى فيكم ؟ قالوا : خير سيرة ، قال : فما لكم ؟ قالوا : فارقت ديننا ، وزعمت أن عيسى عبدٌ ، قال : فما تقولون أنتم فى عيسى ؟ قالوا : نقول : هو ابنُ الله ، فقال النجاشىّ ، ووضع يده على صدره على قَبائه : هو يشهد أن عيسى بنَ مريم لم يَزِد على هذا شيئا ، وإنما يعنى ما كَتَب ، فرضوا وانصرفوا ، فبلغ ذلك النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فلما مات النجاشىُّ صلى عليه واستغفر له .

إرسال قريش إلى النجاشى فى أمر أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم

ذكر ابن إسحاق أنهم أرسلوا عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبى ربيعة ابن المغيرة ، وأهدوا معهما هدايا إلى النجاشى . وعبدُ الله بن أبى ربيعة هذا كان اسمه بَحِيرا (١) ، فسماه رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — حين أسلم : عبد الله ، وأبوه : أبو ربيعة ذو الرمحين ، وفيه يقول ابن الزِّبَعْرى .

بَحِيرابن ذى الرمحين قرّب مجاسى وَراح علينا فضلُه وهو عاتم (١)

---

(١) بحير بفتح وكسر أوضم الباء وسكون الياء، هذا وذكر الذهبى فى أعلام النبلاء ج ١ ص ١٥١ أن الذين هاجروا كانوا ثمانين . ويؤيده ماروى أحمد بإسناد حسن عن ابن مسعود قال : بعثنا النبى «ص» إلى النجاشى ، ونحن نحو من ثمانين رجلا ص ١٤٨ حـ ٧ فتح البارى ،وذكر ابن جرير أنهم ٨٢ وشك فى عمار هل كان فيهم أولا ، وقيل : إن عدة كل نسائهم كانت ثمانىعشرة امرأة .

(٢) فى نسب قريش : يروح علينا فضله غير عاتم ، وفى الإصابة أيضاً : غير عاتم ، وهو الصواب فعاتم : بطىء . فقوله : كما فى السهيلى : وهو عاتم لا يستقيم مع غرض الشاعر .

. . . .

واسم أبى ربيعة : عَمْرو ، وقيل : حُذَيْفة ، وأم عبد الله بن أبى ربيعة : أسماء بنت مُخَرِّبَة التميمية[1] ، وهى أم أبى جهل بن هشام ، وعبدُ الله بن أبى ربيعة هذا هو والد عُمَر بن عبد الله بن أبى ربيعة الشاعر ، ووالد الحارث أمير البصرة المعروف بالقُبَاعِ ، وكان فى أيام عمر والياً على الجند ، وفى أيام عثمان ، فلما سمع بحصر عثمان ، جاء لينصره ، فسقط عن دابته فمات .

عمارة بن الوليد بن المغيرة :

فصل : وكان معهما فى ذلك السفر عُمارة بن الوليد بن المغيرة الذى تقدم ذكره حين قالت قريش لأبى طالب : خذ عُمارة بدلا من محمد ، وادفع إلينا محمدا نقتله ، وكان عُمارة من أجمل الناس، فذكر أصحاب الأخبار أنهم أرسلوه مع عمرو بن العاصى إلى النَّجَاشِيِّ ، ولم يذكره ابن إسحاق فى رواية ابن هشام، وذكر حديثه مع عمرو فى رواية يونس ، ولكن فى غير هذه القصة المذكورة ها هنا ، ولعل إرسالهم إياه مع عمرو ، كان فى المرة الأخرى التى سيأتى ذكرها فى السيرة عند حديث إسلام عمرو ، وَمِمَّن ذكر قصة عمارة بطولها أبو الفرج الأصبهانى ، وذكر أن عَمْرا سافر بامرأته ، فلما ركبوا البحر ، وكان عُمارة قد هَوِىَ امرأة عَمْرو وهَوِيته ، فعزما على دفع عمرو ، أو كان ذلك من عمارة على غير قصد فدفع عمرا ، فسقط فى البحر ، فسبح عمرو ، ونادى أصحاب السفينة

---

(١) فى نسب قريش ص ٣١٨ أسماء بنت مخربة بن جندل بن أبير بن نهشل ابن دارم ، وفى الإصابة: بنت مخرمة ، وفى القاموس : أسماء بنت مُخَرِّبة واسم ذى الرمحين فى نسب قريش : عمرو ، أما حذيفة فأخوه زاد الركب .

. . . .

فأخذوه، ورفعوه إلى السفينة، فأضمرها عمرو فى نفسه ، ولم يُبدها لعمارة ، بل قال لامرأته - فيما ذكر أبو الفرج - قَبِّلى ابن عمك عُمارة لتطيبَ بذلك نفسه، فلما أتيا أرض الحبشة مكر به عمرو ، وقال : إنى قد كتبت إلى بنى سهم ليبرءوا من دمى لك ، فاكتب أنت لبنى مخزوم ليبرءوا من دمك لى ، حتى تعلم قريش أنا قد تصافينا ، فلما كتب عمارة ، إلى بنى مخزوم، وتبرءوا من دمه لبنى سهم، قال شيخ من قريش : قُتل عُمارة - والله - وعلم أنه مكر من عمرو ، ثم أخذ عمرو يحرض عُمارة على التعرض لامرأة النجاشى ، وقال له : أنت امرؤ جميل ، وهن النساء يُحِبْن الجمال من الرجال ، فلعلها أن تشفع لنا عند الملك فى قضاء حاجتنا ، ففعل عُمارة فلما رأى عمْرو ذلك ، وتكرر عُمارة على امرأة الملك ، ورأى إنابتها إليه ، أتى الملكَ مُنْتَصِحاً ، وجاءه بأمارة عرفها الملك ، قد كان عُمارة أطاع عَمْراً عليها ، فأدركته غَيْرة الملك ، وقال : لولا أنه جارى لقتلته ، ولكن سأفعل به ماهو شرٌّ من القتل ، فدعا بالسَّوَاحِر ،فأمرهن أن يَسْحَرنه، فنفخن فى إحليله(١) نفخَةً ، طار منها هائما على وجهه ، حتى لحق بالوُحُوشِ فى الجبال ، وكان يَرى آدميا فيفر منه ، وكان ذلك آخر العهد به إلى زمن عمر ابن الخطاب ، فجاء ابنُ عمه عبدُ الله بن أبى ربيعة إلى عمر ، واستأذنه فى المسير إليه لعله يجده ، فأذن له عمر فسار عبدُ الله إلى أرض الحبشة ، فأكثر النِّشْدَة عنه، والفحص عن أمره ، حتى أخبر أنه - بِحَيْلٍ(٢) يرد مع الوحوش، إذا وردت ، ويصدُر معها إذا صدرت ، فسار إليه حتى كمَن لَه فى الطريق إلى

---

(١) الإحليل : مخرج البول من ذكر الإنسان واللبن من الثدى والضرع .
(٢) الحيل : الماء المستنقع فى بطن واد :

. . . .

الماء ، فإذا هو قد غطاه شعرُه ، وطالت أظفارُه ، وتمزقت عليه ثيابه ، حتى كأنه شيطان ، فقبض عليه عبدُ الله ، وجعل يذكره بالرَّحِم ويستعطفه ، وهو ينتفض منه ، ويقول: أرسلني يا بَحِيرُ ، أرسلني يا بُحَيْرُ ، وأبى عبدُ الله أن يرسلَه ، حتى مات بين يديه ، وهو خبر مشهور اختصره بعضُ من ألَّف في السير ، وطوله أبو الفرج ، وأوردته على معنى كلامه ، متحريا لبعض ألفاظه[1] .

عن حديث أصحاب الهجرة مع النجاشي:

فصل : وذكر حديث أصحاب الهجرة مع النجاشي ، وماقال له جعفر إلى آخر القصة[2] ، وليس فيها إشكال ، وفيه من الفقه : الخروج عن الوطن ، وإن كان الوطن مكَّةَ على فضلها ، إذا كان الخروج فراراً بالدين ، وإن لم يكن إلى إسلام ، فإن الحبشةَ كانوا نصارى يعبدون المسيح ، ولا يقولون : هو عبد الله ، وقد تبين ذلك في هذا الحديث ، وسموا بهذه مهاجرين ، وهم أصحاب الهجرتين الذين أثنى الله عليهم بالسبق ، فقال : ﴿ والسابقون الأَوَّلُون ﴾ وجاء

(١) في نسب قريش : فلما يئس عمرو — يعني من استجابة النجاشي له في أمر المهاجرين محل بعمارة — أي كاده — عند النجاشي فنفخ النجاشي في إحليله سحرا ، فذهب مع الوحش فيما تقول قريش . فلم يزل مستوحشا يرد الماء في جزيرة بأرض الحبشة ، وفيه أنه قال لأخيه عبد الله : يا بجير أرسلني ، فإني أموت إنه أمسكتني ، فأمسكه ، فمات في يده ص ٣٢٢ . والقصة خرافة ، ومصعب دقيق في تعبيره إذ يقول : « فيما تقول قريش » فهي إذاً أقاويل ! .

(٢) يقول ابن تيمية عن قصة المهاجرين في حديث أم سلمة . « وقد ذكر قصتهم جماعة من العلماء والحافظ كأحمد بن حنبل في المسند ، وابن سعد في الطبقات وأبي نعيم في الحلية وغيرهم وذكرها أهل التفسير والحديث والفقة وهي متواترة عند العلماء » ص ٨١ ح ١ الجواب الصحيح ، طبع المدني .

. . . .

فى التفسير : أنهم الذين صلوا القبلتين ، وهاجروا الهجرتين ، وقد قيل أيضا : هم الذين شهدوا بيعة الرضوان ، فانظر كيف أثنى الله عليهم بهذه الهجرة ، وهم قد خرجوا من بيت الله الحرام إلى دار كفر ، لما كان فعلهم ذلك احتياطاً على دينهم ، ورجاء أن يخلى بينهم وبين عبادة ربهم ، يذكرونه آمنين مطمئنين، وهذا حكم مستمر متى غلب المنكر فى بلد ، وأوذى على الحق مؤمن ، ورأى الباطل قاهرا للحق ، ورجا أن يكون فى بلد آخر - أى بلد كان - يخلى بينه وبين دينه ، ويظهر فيه عبادة ربه ، فإن الخروج على هذا الوجه حَتْمٌ على المؤمن، وهذه الهجرة التى لا تنقطع إلى يوم القيامة: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ البقرة : ١١٥ .

فصل : وليس فى باقى حديثهم شىء يُشْرَح ، قد شرح ابن هشام الشُّيُوم ، وهم الآمنون ، فيحتمل أن تكون لفظة حبشية غير مشتقة ، ويحتمل أن يكون لها أصل فى العربية ، وأن تكون من شِمْت السيفَ إذا أغمدته ، لأن الآمنَ مُغْمَدٌ عنه السيف ، أو لأنه مصُونٌ فى صِوُانٍ[1] وحِرْز كالسيف فى غمده .

وقوله : ضَوَى إليك فِتية[2] أى : أووا إليك ، ولا ذوابك ، وأماضَوِى بكسر الواو ، فهو من الضَّوَى مقصور ، وهو الهزال ، وقال الشاعر :

---

(١) فى الأصل : صور بالحبشية وسيوم : آمن أو جمع سائم بالعربية

(٢) فى السيرة : غلمان

. . . .

فتى لم تلده بنتُ عم قريبـــــة
فَيَضْوَى ، وقد يَضْوَى رَدِيدُ أغرائِب[١]

ومنه الحديث : اغتربوا لا تضْوَوْا ، يقول : إن تزويج القرائب يورث الضَّوَى في الولد[٢] ، والضعف في القلب ، قال الراجز :

إنَّ بِلالًا لمَ تشِنْه أمُّه لم يتناسب خالُه وعَمُّهْ

إضافة العين إلى الله :

وفيه : قومهم أعلى بهم عينا ، أى : أبْصَر بهم ، أى : عينهم وإبصارهم فوق عين غيرهم فى أمرهم ، فالعين هاهنا بمعنى الرؤية والإبصار ، لا بمعنى العين التى هى الجارحة ، وما سميت الجارحة عيناً إلا مجازا ؛ لأنها موضع العِيان ، وقد قالوا : عانَه يَعينه عَيْناً إذا رآه ، وإن كان الأشهر فى هذا أن يقال : عاينه معاينة ، والأشهر فى عِنْت أن يكون بمعنى الإصابة بالعين ، وإنما أوردنا هذا الكلام ، لتعلم أن العينَ فى أصل وضع اللغة صفةٌ لا جارحة ، وأنها إذا أضيفت إلى البارى سبحانه ، فإنها حقيقة نحو قول أم سلمة لعائشة : بعين الله مَهْواكِ ، وعلى رسول الله تَرُدِّين ؟ وفى التنزيل : ﴿وَلِتُصْنَعَ على عينى﴾ وقد أملينا فى المسائل

---

(١) فى اللسان : القرائب بالقاف .

(٢) تدبر قول الله سبحانه : « يأيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن ، وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك ، وبنات عمك ، وبنات عماتك وبنات خالك ، وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك ، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن ينكحها خالصة لك من دون المؤمنين » الأحزاب : ٥٠ ، وقوله تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » « وأنكحوا =

. . . .

المفردات : مسئله في هذا المعنى ، وفيها الرد على من أجاز التثنية في العين مع إضافتها إلى الله تعالى[1] ، وقاسها على اليدين ، وفيها الرد على من احتج بقول النبي عليه السلام : إن ربَّكم ليس بأعور[2] ، وأوردنا في ذلك مافيه شفاء ، وأتبعناه بمعان بديعة في معنى عَوَرِ الدَّجَّال ، فلينظر هنا لك .

معنى أن عيسى كلمة الله وروحه :

وقول جعفر في عيسى : هو رُوح الله وكلمته ، ومعنى : كلمته أي : قال له ، كما قال لآدم حين خلقه من تراب ، ثم قال له : كن فيكون ، ولم يقل : فكان ، لئلا يتوهم وقوع الفعل بعد القول بيسير ، وإنما هو واقع للحال ، فقوله :

———

=الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم » النور : ٣٢ بتدبر هذه البينات يتجلى لك أنها هي الهدى .

(١) الدين الحق في هذا ـ وهو دين السلف الصالح لا الخلف الطالح ـ أن نصف الله سبحانه ، ونسميه بكل ما وصف وسمى به نفسه ، وننسب إليه كل مانسبه جل شأنه إلى نفسه ، وننفي عنه كل ما نفاه عن نفسه ، فلله سبحانه عين حقا ، ولكنها ليست كعين البشر ؛ لأن الله ليس كمثله شيء . ولا يصح تأويل العين تأويلا هو تحريف للكلم عن مواضعه ، فنضع لها معنى مبتدعا ليس لها في لغة القرآن .

(٢) في حديث رواه البخاري ومسلم « إن الله لا يخفى عليكم ، إن الله تعالى ليس بأعور ، وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى ـ أي الجهة اليمنى ـ كأن عينه عنبة طافية ، هذا عن ابن عمر ، وورد في حديث رواه البخاري ومسلم أيضا عن أنس : « إن ربكم ليس بأعور » واقرأ ما كتب الإمام ابن القيم في الصواعق المرسلة عن العين ، وما شابه هذا مما نسب الله إلى نفسه ، لتؤمن بتدبر القرآن أن الله لا ينسب إلى نفسه إلا حقا .

. . . .

فيكُون مُشْعِرٌ بوقوع الفعل فى حال القول ، وتوجه الفعل بيسير على القول ، لا يمكن مستقدم ولا مستأخر ، فهذا معنى الكلمة ، وأما روح الله ؛ فلأنه نفخة رُوح القدس فى جَيْبِ الطاهرة المقدسة ، والقُدس : الطهارة من كل مايشين ، أو يعيب ، أو تقذَرُه نفس ، أو يكرهه شرع ، وجبريل : روح القدس ، لأنه روح لمْ يُخلق من مَنِيٍّ ، ولاصدر عن شهوة ، فهو مُضاف إلى الله سبحانه إضافة تشريف وتكريم ؛ لأنه صادر عن الحضرة المَقَدَّسة (١) ، وعيسى عليه السلام صادر عنه ، فهو : روح الله على هذا المعنى ؛ إذ النفخ قد يسمى : روحا أيضا ، كما قال غَيْلَانُ [بن عقبة ذو الرُّمَّة] يصف النار :

فقلت له : ارفعها إليك ، وأحْيِها بُروحك ، واقدرها لها قِيتَةً بدراً (٢)

وأضف هذا الكلام فى روح القدس ، وفى تسمية النفخ روحا إلى

---

(١) كلمة الحضرة لايجوز نسبتها إلى الله ، إنما هو تعبير مبتدع لهذه النسبة . هذا ويقول ابن تيمية عن رواية ابن إسحاق بسنده عن أم سلمة فى شأن النجاشى : « وقد روى جمل هذه القصة أبو داود فى سننه من حديث أبى موسى » ص ٨٧ حـ ١ الجواب الصحيح ، وفى رواية أن جعفر قرأ على النجاشى أربعين آية من أولها إلى قوله سبحانه : « إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون » وفى رواية : « بلوا بدموعهم » بدلا من : « أخضلوا مصاحفهم » وهى بمعناها . وفى رواية أن النجاشى قال : إن هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة ، وأظنها أدق . هذا وقد راجعت الحديث على رواية ابن تيمية له

(٢) البيت فى اللسان ، وروايته :

فقلت له : خذها إليك وأحيها بروحك واقتته لها قيتة قدرا

واقتت لنارك قيتة ، أى : أطعمها ، يأمره بالرفق والنفخ القليل

. . . .

ماذكرناه قبل فى حقيقة الروح ، وشرح معناه فإنه تـكملة له .

النجاشى أصحم :

فصل : وذكر حديثَ عائشة عن النَّجَاشِىِّ حين رد الله عليه ملـكه ، وأن قومه كانوا باعُوه ، فلما مَرِجَ أمرُ الحبشة ، أخذوه من سيده واسْتَرَدُّوه . وظاهرُ الحديث يدل على أنهم أخذوه منه قبل أن يأتى به بلادَه لقوله : خرجوا فى طلبه ، فأدركوه ، وقد بين فى حديث آخر أن سيده كان من العرب وأنه استعبده طويلا ، وهو الذى يقتضيه قوله : فلما مَرِجَ على الحبشة أمْرُهم ، وضاق عليهم ماهم فيه ، وهذا يدل على طول المدة فى مغيبه عنهم ، وقد روى أن وقعة بدر حين انتهى خبرها إلى النجاشى علم بها قبل مَنْ عندهمن المسلمين ، فأرسل إليهم ، فلما دخلوا عليه إذا هو قد لبس مِسْحاً ، وقعد على التراب والرماد ، فقالوا له : ما هذا أيها الملك ؟! فقال : إنا نجد فى الإنجيل أن الله سبحانه إذا أحدث بعبده ، وجب على العبد أن يحدث لله تواضعا ، وإن الله قد أحدث إلينا وإليـكم نعمة عظيمة ، وهى أن النبى محمداً — صلى الله عليه وسـلم — بلغنى أنه التقى هو وأعداؤه بوادٍ يقال له : بدر كثير الأراك ، كنت أرعى فيه الغنم على سيدى ، وهو من بنى ضَمْرَة، وأن الله قد هزم أعداءه فيه ، ونصر دينه ، فدل هذا الخبر على طول مكثه فى بلاد العرب ، فمن هنا — والله أعلم — تعلم من لسان العرب ما فهم به سورة مريم حين تُليت عليه ، حتى بكى ، وأخْضَل لحيته ، وروى عنه أنه قال : إنا نجد فى الإنجيل أن اللعنة تقع فى الأرض إذا كانت إمارة الصبيان .

. . . .

من فقه حديث الهجرة إلى الحبشة :

فصل : ومما فى حديث الهجرة إلى الحبشة من الفقه أن جَعْفَر بن أبى طالب قال لرسول الله – صلى الله عليه وسلم كيف نصلى فى السفينة إذا ركبنا فى البحر ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : صلِّ قائماً إلا أن تخاف الغرق . خرجه الدَّارَقُطْنِى ، ولكن فى إسناده مقال ، وفى مُسْند ابن أبى شيبة : وصلى أنسٌ فى السفينة جالسا . وذكر البخارى عن الحسن : يصلى قائماً إلا أنْ يَضُرَّ بأهلها .

حول كتاب النجاشي والصلاة عليه :

فصل : وذكر الكتاب الذى كتبه النجاشى ، وجعله بين صدره وقَبَائِه ، وقال للقوم : أشهد أن عيسى لم يزد على هذا ، وفيه من الفقه أنه لا ينبغى للمؤمن أن يكْذِب كذبا صُرَاحاً ، ولا أن يعطى بلسانه الكفر ، وإن أُكْرِه ما أمكنه الحيلة ، وفى الْمَعَارِيض مَنْدُوحَةٌ عن الكذب[1] ، وكذلك قال أهل العلم فى قول النبى عليه السلام : ليس بالكاذب من أصاح بين اثنين ، فقال خيرا . روته أم كلثوم بنت عُقْبة . قالوا : معناه أن يُعَرِّضَ ، ولا يُفْصِحَ بالكذب، مثل أن يقول : سمعته يستغفر لك ، ويدعو لك ، وهو يعنى أنه سمعه يستغفر للمسلمين ، ويدعو لهم ؛ لأن الآخر من جملة المسلمين ، ويحتال فى التعريض

---

(١) إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب ، أخرجه – كما يقول ابن الأثير – أبو عبيد وغيره ، وهو حديث مرفوع . والمعاريض : جمع معراض من التعريض ، وهو خلاف التصريح من القول ، يقال : عرفت ذلك فى معراض كلامه ومعرض كلامه . ومندوحة : فسحة وسعة .

. . . .

ما استطاع ، ولا يختلق الكذبَ اختلاقا ، وكذلك فى خُدْعَةِ الحرب يُوَرِّى ، ويَكْنِى ، ولا يختلق الكذب يستحله بما جاء من إباحة الكذب فى خُدَع الحرب ، هذا كله ما وجد إلى الكناية سبيلا .

وذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم : صلى على النجاشى ، واستغفر[1] له ، وكان موتُ النجاشى فى رجب من سنة تسع ، ونعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فى اليوم الذى مات فيه ، وصلى عليه بالبقيع ، رُفع إليه سَرِيرُه بأرض الحبشة حتى رآه ، وهو بالمدينة فصلى عليه ، وتكلم المنافقون ، فقالوا : أيصلى على هذا العِلْج ؟ ! فأنزل الله تعالى[2] :

﴿ وإنَّ مِنْ أهلِ الكتابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بالله وما أُنزِل إليكم ، وما أنزل إليهم ﴾ آل عمران : ١٩٩ ومن رواية يونس عن ابن إسحاق أن أبا نيزر

---

(١) روى صلاة الرسول «ص» على النجاشى : البخارى ومسلم وأحمد والنسائى والترمذى والطبرانى. والرواية المتفق عليها : «توفى اليوم رجل صالح من الحبش فهلموا . فصلوا عليه ، فصففنا خلفه ، فصلى رسول الله عليه ، ونحن صفوف» وعن جابر أن النبى صلى على أصحمة النجاشى . فكبر أربعا

(٢) ليست هذه الرواية فى الصحيح ، وإنما هى عند ابن أبى حاتم وابن مردويه وعبد بن حميد . وروى الحاكم أن الآية فى حق النجاشى ، وحديث النور على قبره رواه أبو داود بسنده عن محمد بن إسحاق . ولو كان هذا حقا لتواتر خبره . وأحب أن أعرج على مسألة شرعية هى صلاة الجنازة على الغائب وحكمها . وإليك خلاصة القول: ذهب الشافعى وأحمد وجمهور السلف إلى مشروعية الصلاة على الغائب عن البلد ، وذهب الحنفية والمالكية إلى أن صلاة الغائب غير مشروعة مطلقا . واعتذروا عن القصة بأن النجاشى كان بأرض ليس فيها من =

. . . .

مولى على بن أبى طالب ، كان ابناً للنجاشى نفسه(١) ، وأن عليا وجده عند تاجر بمكة ، فاشتراه منه ، وأعتقه مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين .

وذكر أن الحبشة مَرِجَ عليها أمرها بعد النجاشى ، وأنهم أرسلوا وفداً منهم إلى أبى نَيْزَر ، وهو مع على ليملكوه ويتوجوه ، ولم يختلفوا عليه فأبى وقال : ما كنت لأطلب الملك بعد أن من الله على بالإسلام ، قال : وكان أبو نَيْزَر من أطول الناس قامة ، وأحسنهم وجها ، قال : ولم يكن لونه كألوان الحبشة ، ولكن إذا رأيته قلت : هذا رجل من العرب .

يصلى عليه ، ولهذا قال الخطابى : لا يصلى على الغائب إلا إذا وقع موته بأرض ليس فيها من يصلى عليه ، وترجم بهذا أبو داود .

وقد اختار ابن تيمية هذا مستدلا بما أخرجه الطيالسى وأحمد وابن ماجة وابن قانع والطبرانى والضياء المقدسى ، وعن أبى الطفيل عن حذيفة بن أسيد أن النبى « ص » قال : « إن أخاكم مات بغير أرضكم ، فقوموا فصلوا عليه » . واستدلوا أيضاً بأن صلاة الرسول على النجاشى كانت خاصة لأنه لم يثبت أنه صلى على ميت غائبا غيره ، وردوا على من جاء بأحاديث تثبت غير هذا بأن أسانيد هذه الأحاديث ليست بالقوية . وقال الذهبى عن معاوية بن معاوية الذى زعموا أن النبى صلى عليه أنه لا يعلم فى الصحابة من اسمه معاوية بن معاوية ، وكذلك تكلم فيه البخارى . وقال ابن القيم لا يصح حديث صلاته على معاوية بن معاوية ، لأن فى إسناده العلاء بن يزيد ، وقد قال عنه ابن المدينى أنه كان يضع الحديث ، أقول : وهذا هو الصوب ، ولكن إذا كان هذا هو الحكم فإن الإسلام يدعونا إلى أن ندعو لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان بالمغفرة .

(١) له ترجمة فى الإصابه . ذكره الذهبى مستدركا ، وقال : يقال إنه ولد النجاشى جاء وأسلم ، وكان مع النبى « ص » فى مؤنته . وقال الحافظ : إنه قرأ قصته فى كتاب الكامل للمبرد ، وأنه كان من أبناء ملوك الأعاجم ، وأنه أسلم صغيراً على يد النبى صلى الله عليه وسلم وأن أمره انتهى إلى أن كان مع فاطمة ثم مع ولدها .

ذكر إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : ولما قدم عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبى ربيعة على قُرَيش ، ولم يُدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وردّهما النجاشىُّ بما يكرهونه ، وأسلم عمرُ بن الخطّاب - وكان رجلاً ذا شكيمة لا يُرام ما وراء ظهره - امتنع به أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبحَمْزة حتى عازُّوا قُرَيشا ؛ وكان عبدُ الله بن مسعود يقول : ما كنّا نقدر على أن نصلى عند الكعبة ، حتى أسلم عمر بن الخطّاب ، فلما أسلم قاتل قريشا، حتى صلى عند الكعبة ، وصلّينا معه ، وكان إسلام عمر بعد خروج مَنْ خَرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة .

قال البكائى : قال : حدثنى مِسْعَرُ بن كِدَام ، عن سَعْد بن إبراهيم ، قال : قال عبد الله بن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحا ، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنّا ما نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم ، قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة ، وصلّينا معه .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عَيّاش بن أبى ربيعة ، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أُمه أم عبد الله بنت أبى حَثْمة ، قالت :

والله إنّا لنترحّلُ إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامرٌ فى بعض حاجاتنا ،

. . . .

إذ أقبل عمر بن الخطّاب ، حتى وقف علىّ ، وهو على شركه — قالت : وكنّا نلقى منه البلاء أذًى لنا ، وشدة علينا — قالت : فقال : إنه للانطلاق يا أمّ عبد الله . قالت : فقلت : نعم والله ، لنخرجن فى أرض الله ، آذيتمونا وقهرتمونا ، حتى يجعل الله مخرجا . قالت : فقال : صَحِبكم الله ، ورأيت له رِقّة ، لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أحزنه — فيما أرى — خروجنا . قالت : فجاء عامر بحاجته تلك ، فقالت له : يا أبا عبد الله ، لو رأيت عمرَ آنفا ورقّته وحُزْنه علينا ! قال : أطمعت فى إسلامه ؟ قالت : قلت : نعم ، قال : فلا يُسلم الذى رأيتِ ، حتى يُسلم حمار الخطّاب ؛ قالت : يأسا منه ، لِما كان يُرى مِنْ غِلْظته وقسْوته عن الإسلام .

قال ابن إسحاق : وكان إسلامُ عمرَ فيما بلغنى أن أُختَه فاطمةَ بنت الخطّاب ، وكانت عند سعيد بن زيد بن عَمْرو بن نُفيل ، وكانت قد أسلمت وأسلم بعلُها سعيدُ بن زيد ، وهما مُستخفيان بإسلامهما من عُمر ، وكان نُعيم بن عبد الله النحّام من مكة ، رجل من قومه ، من بنى عدىّ بن كعْب قد أسلم ، وكان أيضاً يستخفى بإسلامه فَرَقا من قومه ، وكان خبّاب بن الأرتّ يختلف إلى فاطمة بنت الخطّاب يُقرئها القرآن ، فخرج عمرُ يوما متوشّحا سيفَه يريد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ورهطا من أصحابه ، قد ذُكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيتٍ عند الصّفا ، وهم قريبٌ من أربعين ما بين رجال ونساء ، ومع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عمّه حمزةُ بن عبد المطلب ، وأبو بكر بن أبى قُحافة الصديق ، وعلى بن أبى طالب ، فى رجال من المسلمين رضى الله عنهم ، ممن كان

أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة ، فلقيه نُعيم بن عبد الله ، فقال له : أين تريد يا عمرُ ؟ فقال : أريد محمدا هذا الصابئ ، الذى فرّق أمرَ قُريش ، وسفّه أحلامَها ، وعاب دِينها ، وسب آلهتها ، فأقتلُه ، فقال له نُعيم : والله لقد غرتك نفسُك من نفسك يا عمر ، أترى بنى عبد مناف تارِكيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمداً ! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرَهم ؟ قال : وأى أهل بيتى ؟ قال : خَتَنُك وابن عمِّك سعيد ابن زيد بن عمرو ، وأختك : فاطمةُ بنت الخطّاب ، فقد والله أسلما ، وتابعا محمدا على دينه ، فعليك بهما ، قال : فرجع عمرُ عامداً إلى أخته وختنه ، وعندهما خبّاب بن الأرت معه صحيفةٌ ، فيها : « طه » يقرئهما إيّاها ، فلما سمعوا حس عمر تغيّب خبّاب فى مُخدع لهم ـ أو فى بعض البيت ـ وأخذت فاطمةُ بنت الخطّاب الصحيفةَ ، فجعلتها تحت فخذها ، وقد سَمع عمرُ حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الهَيْنمةُ التى سمعتُ ؟ قالا له : ما سمعتَ شيئاً ، قال : بلى والله لقد أُخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه ، وبطش بختنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها ، فضربها فشجّها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنُه : نعم قد أسلمنا ، وآمنّا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدا لك : فلما رأى عمر ما بأخته من الدم نَدِم على ما صنع ، فارْعَوَى ، وقال لأخته : أعطينى هذه الصحيفة التى سَمِعتُكم تقرءون آنفا أنظر ما هذا الذى جاء به محمد ، وكان عمر كاتبا ، فلما قال ذلك ، قالت له أخته : إنّا نخشاك عليها ، قال : لا تخافى ، وحلف لها بآلهته ليردّنّها إذا قرأها إليها ، فلما قال ذلك ، طمعتْ فى إسلامه ، فقالت له : يا أخى ، إنك نجَس ، على

. . . .

شِرْكك ، وإنه لا يمسها إلا الطاهر ، فقام عمرُ ، فاغتسل ، فأعطته الصحيفة ، وفيها : « طه » فقرأها ، فلما قرأ منها صدراً ، قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمَه ! فلما سمع ذلك خبَّاب خرج إليه ، فقال له : ياعمر ، والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصَّك بدَعْوة نبيِّه، فإنى سَمِعته أمس، وهو يقول : اللهمّ أيِّد الإسلام بأبى الحَكَم بن هشام ، أو بعُمر بن الخطَّاب ، فالله الله ياعمر : فقال له عند ذلك عمر : فدلَّنى ياخَبَّابُ على محمد حتى آتيه ، فأسلم ، فقال له خباب : هو فى بيت عند الصّفا ، معه فيه نَفَر من أصحابه ، فأخذ عمرُ سيفه فتوشَّحه ، ثم عمد إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه ، فضرب عليهم البابَ ، فلما سمعوا صوته ، قام رجلٌ من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فنظر من خلَل الباب ، فرآه متوشِّحا السيفَ ، فرجع إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو فَزِع ، فقال : يا رسول الله ، هـذا عمرُ بنُ الخطَّاب مُتَوَشِّحا السيف ، فقال حمزةُ بن عبد المطَّلب : فَأْذن له ، فإن كان جاء يريد خَيْرًا بَذَلْناه له ، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : ائذَن له ،فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — حتى لقيه فى الحجرة، فأخذ حُجْزَته ، أو بمجمع ردائه ، ثم جَبذَه به جبذةً شديدةً ، وقال : ما جاء بك يابن الخطَّاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهِى حتى يُنزل الله بك قارعةً ، فقال عُمر : يا رسول الله ، جِئْتك لأُومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله ، قال : فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرةً عرَف أهلُ البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم .

• • • • • • • • • •

فتفرق أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكانهم ، وقد عَزُّوا فى أنفسهم حين أسلم عُمر مع إسلام حمزة ، وعرفوا أنهما سيَمْنعان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويَنْتصفون بهما من عدوهم . فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطَّاب حين أسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدُ الله بن أبى نجيح المكى ، عن أصحابه : عَطاء ، ومجاهد ، أو عمَّن روى ذلك : أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه ، أنه كان يقول : كنت للإسلام مُباعداً ، وكنت صاحبَ خَمْر فى الجاهليَّة ، أحبُّها وأُسر بها ، وكان لنا مجلسٌ يجتمع فيه رجال من قُريش بالحَزْوَرة ، عند دُور آل عمر بن عَبْد بن عِمْران المخزومى ، قال : فخرجت ليلةً أُريد جُلسائى أولئك فى مَجْلسهم ذلك ، قال : فجئتهم فلم أجدْ فيه منهم أحداً . قال : فقلت : لو أنى جئتُ فلانا الخمَّار ، وكان بمكة يبيع الخمر ، لعلِّى أجدُ عنده خمراً فأشرب منها . قال : فخرجتُ فجِئْته فلم أجده . قال : فقلت : فلو أنى جئتُ الكعبةَ ، فطُفْت بها سبعا أو سبعين . قال : فجئتُ المسجد أُريد أن أطوفَ بالكعبة ، فإذا رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائمٌ يصلى ، وكان إذا صلى استقبل الشامَ ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وكان مُصلاه بين الرُّكْنين : الركن الأسود ، والركن اليمانى . قال : فقلت حين رأيتُه : والله لو أنى استمعت لمحمدٍ الليلةَ حتى أسمعَ ما يقول ! قال : فقلت : لئن دنوتُ منه أستمع منه لأروِّعنَّه ، فجئت من قِبَل الحِجْرِ ، فدخلت تحت ثيابها ، فجعلتُ أمشى رُوَيداً ، ورسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم قائمٌ يصلى يقرأ القرآن ، حتى قمت فى قِبلته مستقبله ، ما بينى

وبينه إلا ثيابُ الكعبة . قال : فلما سمعتُ القرآن رقّ له قلبي ، فبكيتُ ودخلني الإسلامُ ، فلم أزل قائماً في مكاني ذلك ، حتى قضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلاتَه ، ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسَين ، وكانت طريقه ، حتى يَجْزَع المَسْعى ، ثم يَسْلُك بين دار عبَّاس ابن المطَّلب ، وبين دار ابن أزهر بن عبد عَوْف الزُّهري ، ثم على دار الأخْنس ابن شَريق ، حتى يدخل بيتَه ، وكان مسكنُه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الدار الرَّقْطاء ، التي كانت بيدَي مُعاويةَ بن أبي سفيان . قال عمر رضى الله عنه : فتبعتُه حتى إذا دخل بين دار عبَّاس ، ودار ابن أزهر ، أدركتُه ، فلما سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حسِّي عَرَفني ، فظن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أني إنما تَبِعتْه لأُوذيه ، فَنَهَمني ، ثم قال : ما جاء بك يابن الخطَّاب هذه الساعةَ ؟ قال : قلت : جئت لأُومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله ، قال : فحَمِد الله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال : قَدهَداكَ الله ياعمر ، ثم مَسح صَدْري ، ودعا لي بالثَّبات ، ثم انصرفتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتَه .

قال ابن إسحاق : والله أعلم أى ذلك كان .

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر ، قال : لما أسلم أبي عمرُ ، قال : أي قريش أنقَلُ للحديث؟ فقيل له : جميل بن معمر الجُمَحِي . قال : فغدا عليه ، قال عبد الله بن عُمر : فغدوت أتبع أثره ، وأنظر ما يفعل ، وأنا غلامٌ أعقِل كلَّ ما رأيتُ ، حتى جاءه ، فقال له : أعلمتَ ياجميلُ

أنى قد أسلمت : ودخلت فى دين محمد ؟ قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه. واتّبعه عمر ، واتبعتُ أبى ، حتى إذا قام على باب المسجد صَرَخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، وهم فى أنديتهم حول باب الكعبة ، ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ ، قال : يقول عمرُ من خلفه : كَذَب ، ولكنى قد أسلمتُ ، وشهدتُ أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبدُه ورسوله . وثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويُقاتلونه حتى قامت الشمس على رءوسهم . قال : وطَلَح ، فقَعد وقامُوا على رأسه ، وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله أن لو قد كنَّا ثلثمائة رجل لتركناها لكم ، أو لتركتموها لنا ، قال : فبينما هم على ذلك ، إذ أقبل شيخٌ من قريش ، عليه حُلَّة حِبَرَة ، وقميصٌ مُوشًّى ، حتى وقف عليهم ، فقال : ما شأنُكم ؟ قالوا : صَبَأ عمر ، فقال : فمَهْ ، رجلٌ اختار لنفسه أمراً ، فماذا تريدون ؟ أترون بنى عدى بن كعب يُسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟! خلُّوا عن الرجل. قال : فوالله لكأنما كانوا ثوبا كُشِط عنه . قال : فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبت ، من الرجلُ الذى زجر القومَ عنك بمكة يوم أسلمت ، وهم يُقاتلونك ؟ فقال : ذلك ، أى بُنى ، العاصُ بن وائل السهمى .

قال ابن هشام : حدثنى بعضُ أهل العلم ، أنه قال : يا أبت ، من الرجلُ الذى زَجر القومَ عنك يوم أسلمتَ ، وهم يقاتلونك ، جزاه الله خيرا ؟ قال : يابنى ذاك العاص بنُ وائل ، لاجزاه الله خيراً .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن الحارث عن بعض آل عُمر ، أو بعض أهله ، قال . قال عمر : لما أسلمتُ تلك الليلةَ ، تذكَّرت أىّ أهل مكة

أشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوةً حتى آتيه ، فأُخبره أنى قد أسلمتُ ». قال : قلت : أبو جهل - وكان عُمر لَحَنْتَمَة بنت هشام بن المُغيرة — قال : فأقبلت حين أصبحتُ ، حتى ضربتُ عليه بابَه . قال : فخرج إلى أبو جهل ، فقال : مرحبا وأهلاً بابن أختى ، ما جاء بك ؟ قال : جئتُ لأخبرك أنى قد آمنت بالله وبرسوله محمد ، وصدقت بما جاء به ، قال : فضرب البابَ فى وجهى ، وقال : قَبَّحك الله ، وقَبَّحَ مَا جِئْتَ بِهِ .

إسلام عمر وحديث خباب :

فصل : فى حديث إسلام عمر . ذكره إلى آخره ، وليس فيه إشكال . وكان إسلام عمر والمسلمون إذْ ذاك بضعة وأربعون رجلا ، وإحدى عشرة[1] امرأة .

---

(١) فى رواية ابن أبى خيثمة عن عمر نفسه : « لقد رأيتنى ، وما أسلم مع رسول الله إلا تسعة وثلاثون رجلا ، فكملتهم أربعين ، فأظهر الله دينه ، وأعز الإسلام . وروى البزار نحوا من حديث ابن عباس ، ولقد قيل : إنه أسلم فى ذى الحجة سنة ست من المبعث ، وحكى ابن الجوزى فى بعض كتبه الاتفاق عليه ، ولكنه فى التلقيح قال : سنة ست أو خمس ، وروى أبو نعيم فى الدلائل أن إسلامه كان بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام ، وحديث ابن مسعود عن أثر إسلامه فى البخارى : فقد روى بسنده إلى عبد الله بن مسعود أنه قال : « مازلنا أعزة منذ أسلم عمر » ، والحديث الآخر من رواية البكائى عن ابن مسعود رواه ابن أبى شيبة ، والطبرانى من طريق القاسم بن عبد الرحمن عن عبد الله بن مسعود ، وفيه : « والله مااستطعنا أن نصلى حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر » وروى ابن سعد من حديث صهيب ، قال : لما أسلم عمر قال المشركون : انتصف القوم منا . وروى البزار

. . . .

وفيه : أن خَبَّاباً وهو ابن الأَرَتِّ كان يقرئ فاطمة بنت الخطاب القرآن، وخَبَّاب تميمي بالنسب ، وهو خُزاعي بالولاء لأم أنمار بنت سباع الخزاعي ، وكان قد وقع عليه سِبَاء ، فاشترته وأعتقته ، فولاؤه لها ، وكان أبوها ــ

ـــ والطبراني من حديث ابن عباس نحوه ، وفي حديث إسلام عمر أن أخته هي فاطمة ، وهذا على الأكثر ، وقيل ــ كما حكى الدارقطني ــ اسمها : أميمة. وقال الحافظ في الإصابة كان اسمها : فاطمة ولقبها : أميمة ، وكنيتها : أم جميل ، وفي نسب قريش لا توجد أخت لعمر اسمها فاطمة ، وإنما صفية وأميمة فقط ص ٣٤٧ .

وفي بعض روايات حديث إسلامه أن عمر قال بعد أن أخبر بإسلام أخته «وقد كان ــ صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما عند الرجل به قوة ، فيكونان معه ويصيبان من طعامه وقد ضم إلى زوج أختي رجلين » .

وحديث : اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب ، روايته عند الترمذي : « اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين ، بأبي جهل أو بعمر ، فكان أحبهما إليه عمر». قال الترمذي: حسن صحيح، وصححه ابن حبان. وفي إسناده خارجة بن عبد الله صدوق فيه مقال، ولكن له شاهد من حديث ابن عباس أخرجه الترمذي أيضاً ، ومن حديث أنس ، وروى أحمد نحوه ، ورواه الحاكم بلفظ: أيد ، بدل: أعز . وأخرجه الحاكم ، وصححه عن نافع عن ابن عمر عن ابن عباس رفعه : اللهم أيد الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة ، وأخرجه ابن ماجة وابن حبان ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي من حديث عائشة . والرواية الجارية على الألسنة ، بأحب العمرين : لا أصل لها في شيء من طرق الحديث وهناك رواية طيبة المعنى عن عائشة : قالت : إنما قال صلى الله عليه وسلم: اللهم أعز بالإسلام ، لأن الاسلام يعز ولا يعز» وقد قال أبو بكر التاريخي أن عمر سئل عن قوله اللهم أيد الإسلام ، فقال : معاذ الله . هذا وقد ولد عمر بعد الفجار بثلاث عشرة سنة .

. . . .

لعوف بن عَبْد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهرة(١)، فهو زُهْرِى بالحِلْف ، وهو ابن الأرتِّ بن جَنْدَلَة بن سَعْد بن خُزَيمة بن كعب بن سعد بن زَيْدِ مناة بن تميم، كان قَيناً يعمل السيوف فى الجاهلية ، وقد قيــل : إن أمَّه كانت أمَّ سِبَاعٍ الخُزَاعِيَّة . ولم يلحقه سِبَاء ، ولكنه انتمى إلى حلفاء أمه بنى زهرة ، يكنى : أبا عبد الله ، وقيل: أبا يحيى ، وقيل أبا محمد مات بالكوفة سنة تسع وثلاثين بعد ماشهد مع عَلِيٍّ صِفِّين والنَّهْرَوَان ، وقيل : بل مات سنة سَبْعٍ وثلاثين . ذكر أن عمر بن الخطاب سأله عما لقى فى ذات الله ، فكشف ظهره ، فقال عمر : مارأيت كاليوم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لقد أُوقِدَت لى نار، فما أطفأها إلا شَحْمِى .

تطهير عمر لمس القرآن :

فصل : وفيه ذكر تطهير عمر لمس القرآن ، وقول أخته : ﴿ لاَ يَمَسُّهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُون ﴾ والمطهرون فى هذه الآية هم الملائكة ، وهو قول مالك فى الموطأ ، واحتج بالآية الأخرى التى فى سورة عبس ، ولكنهم وإن كانوا الملائكة ، ففى وصفهم بالطهارة مقرونا بذكر الْمَسِّ ما يقتضى ألاَّ يمسه إلا طاهر اقتداء بالملائكة المطهرين ، فقد تعلق الحكم بصفة التطهير ، ولكنه حكم مندوب إليه ؛ وليس محمولا على الفرض ، وكذلك ما كتب به رسول

---

(١) النسب هكذا فى كتاب نسب قريش ص ٢٦٥ أما فى جمهرة ابن حزم ص ١٢١ ومابعدها : فعوف بن عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، وفى الإصابة كما فى نسب قريش ، لكن سقطت كلمة ابن بين عبد وبين الحارث .

. . . .

الله — صلى الله عليه وسلم ـ لعَمْرو بن حزم[1] : « وألاّ يَمَسَّ القرآنَ إلا طاهرٌ » ليس على الفرض ، وإن كان الفرض فيه أبين منه فى الآية ؛ لأنه جاء بلفظ النهى عن مسه على غير طهارة ، ولـكن فى كتابه إلى هرقل بهذه الآية : ﴿ يا أَهْلَ الـكتاب تعالوا إلى كلمة ﴾ آل عمران : ٦٤ دليل على ما قلناه ، وقد ذهب داود وأبو ثور وطائفة ممن سلف ، منهم الحَـكَمُ بن عُتَيْبَة وحماد بن أبى سُليمان إلى إباحة مسِّ المصحف على غير طهارة ، واحتجوا بما ذكرنا من كتابه إلى هرقل ، وقالوا : حديث عَمْرو بن حزم مُرْسَلٌ ، فلم يروْه حجة ، والدارَقُطْنِى قد أسنده من طرق حِسان ، أقواها : رواية أبى داود الطَّيالِسى عن الزُّهْرِى عن أبى بكر بن محمد بن عَمْرو بن حَزْم ، عن أبيه عن جده ، ومما يقوى أن الْمُطَهَّرين فى الآية هم الملائـكة ، أنه لم يقل: المتطهرون، وإنما قال الْمُطَهَّرون ، وفرقُ مابين المتطهِّر والمطهَّر: أن المتطهِّر مَنْ فعل الطُّهُور[2] ، وأدخل نفسه فيه كالْمُتَفَقِّه من يدخل نفسه فى الفقه ، وكذلك الْمُتَفَعِّل فى أكثر الكلام ، وأنشد سيبويه :

---

(١) هو فى الموطأ ، وعند أبى داود فى المراسيل من حديث الزهرى ، قال :قرأت فى صحيفة عند أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ولا يمس القرآن إلا طاهر » ويعلق ابن كثير على هذا بقوله: ومثل هذا لا ينبغى الأخذ به . وقال عن سندى الدار قطنى للحديث : وفى إسناد كل منهما نظر . أقول : والضمير فى الآية يرجع الى الـكتاب المـكنون لا إلى القرآن .

(٢) الطهور — بضم الطاء — التطهر ، وبفتحها الماء ، وإن كان سيبويه يرى أن الطهور — بفتح الطاء يقع على الماء والمصدر معا .

. . . .

وَقَيْسُ عَيْلان ومن تَقَيَّسا(١)

فالآدميون مُتَطَهِّرون إذا تطهروا ، والملائكة مُطَهَّرُون خِلْقَةً ، والآدميات إذا تطهرن : مُتَطَهِّراتٌ ، وفي التنزيل : ﴿فإذا تَطَهَّرن فأتوهن مِنْ حيث أمركم الله﴾ البقرة : ٢٢٢ والحور العين مُطَهَّرات ، وفي التنزيل : ﴿ لهم فيها أزواجٌ مُطَهَّرة﴾ النساء : ٥٧ وهذا فرقٌ بَيِّن وقوة لتأويل مالك رحمه الله ، والقول عندي

---

(١) في خزانة الأدب للبغدادي : وقيس عيلان تركيب إضافي ، لأن عيلان اسم فرس قيس لا أبيه كما ظنه بعض الناس — كذا في القاموس وغيره — وليس عيلان في لغة العرب غيره . وما عداه غيلان . وفي شرح أدب الكاتب للجواليقي : قيس عيلان بن مضر ، ويقال : قيس بن عيلان ، وكان الناس متلافا ، وكان إذا نفد ماله أتى أخاه الياس ، فيناصفه ماله أحيانا ، ويواسيه أحياناً ، فلما طال ذلك عليه وأتاه قال له الياس : غلبت عليك العيلة ، فأنت عيلان ، فسمى لذلك عيلان ، ومن قال قيس بن عيلان ، فإن عيلان: كان عبدا لمضر حضن ابنه الناس ، فغلب على نسبه ومثله في الأنساب للكلبي . قال : كان عيلان عبدا لمضر ، فحضن ابنه الناس ص٩٦ ج ١ خزانة الأدب للبغدادي ط دارا لعصور ، وانظر ص٤٥٧ أدب الكاتب لابن قتيبة ، وص ٢٢٢ شرح أدب الكاتب للجواليقي ، وفي اللسان في مادة قيس : أبو قبيلة من مضر وهو قيس عيلان ، واسمه : الناس بن مضر بن نزار ، وقيس لقبه ، يقال : تقيَّس فلان إذا تشبه بهم ، أو تمسك منهم بسبب إما بحلف أو جوار أو ولاء . وقد نسب سيبويه البيت إلى رؤبة مع رفع السين من قيس . ولكن ابن بري يقول : الرجز للعجاج وليس لرؤبة ، وصواب إنشاده :

وقيس بنصب السين لأن قبله :

وإن دعوت من تميم أرؤسا

وجواب إن في البيت الثالث :

تقاعس العز بنا فاقعنسسا

فى الرسول عليه السلام أنه مُتَطهِّر ومُطَهَّر ، أما متطهِّر ؛ فلأنه بشر آدمى يغتسل من الجنابة ، ويتوضأ من الحدَث ، وأما مطهَّر ؛ فلأنه قد غُسل باطنه ، وشُقَّ عن قلبه ، ومُلئ حكمة وإيمانا فهو مُطَهَّر ومُتَطهِّر ، واضمم هذا الفصل إلى ما تقدم فى ذكر مولده من هذا المعنى ، فإنه تكملة والحمد لله .

وفى تطهر عمر قبل أن يُظْهِر الإسلام قوةٌ لقول ابن القاسم : إن الكافر إذا تطهر قبل أن يظهر إسلامه ، ويشهد الشهادتين أنه مُجْزِئ له ، وقد عاب قول ابن القاسم هذا كثيرٌ من الفقهاء ، وكذلك فى خبر إسلام سعد بن مُعاذٍ على يدى مُصْعَب بن عُمَيْر ، وقد سأله : كيف يصنع من يريد الدخول فى هذا الدين ، فقال : يتطهر ، ثم يشهد بشهادة الحق ، ففعل ذلك هو وأُسَيْد بن حُضَيْر[1] ، وحديث إسلام عمر ، وإن كان من أحاديث السِّيَر ، فقد خرَّجه الدارقُطْنى فى سننه ، غير أنه خرَّج أيضاً من طريق أنس أن أخت عمر قالت له : إنك رِجْسٌ ، ولا يَمَسُّه إلا المطَهَّرُون ، فقم فاغتسل أو توضأ ، فقام فتوضأ ، ثم أخذ الصحيفة وفيها سورة طه ، ففى هذه الرواية أنه كان وضوءاً ، ولم يكن اغتسالا ، وفى رواية يونس : أن عمر حين قرأ فى الصحيفة سورة طه انتهى منها إلى قوله :

---

(١) فى الأصل : حصين وهو خطأ صوابه ما أثبته . وفى القاموس عن أسيد : « وكأمير سبعة صحابيون ، وخمسة تابعون ، وكزبير : ابن حضير وابن ثعلبة وابن يربوع وابن ساعدة وابن ظهير وابن أبى الجدعاء وابن أخى رافع بن خديج وابن سعية ، أو هو كأمير صحابيون » أما ابن حبيب فى كتابه متشابه القبائل ، فيقول : « كل شىء فى العرب أسيد — كأمير — فهو على فعيل سوى أسيد بن عمرو فى بنى تميم فإنه على مثال التصغير » انظر القاموس وص ٤٥١ المزهر ج ٢

. . . .

﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ : ١٥ فقال : ما أَطْيَبَ هذا الكلامَ وأحْسَنَه، وذكر هذا الحديث بطوله ، وفيه أن الصحيفة كان فيها مع سورة طه : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وأن عمر انتهى فى قراءتهـــا إلى قوله : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ .

زيادة فى إسلام عمر :

فصل: وذكر ابن سُنْجُر زيادة فى إسلام عمر ، قال: حدثنا أبو المغيرة قال: نا صفوان ابن عمرو ، قال : حدثنى شُرَيْحُ بن عبيد ، قال :قال عمر بن الخطاب : خرجت أتعرض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن أسلم ، فوجدته قد سبقنى إلى المسجد، فقمت خلفه ، فاستفتح سورة الحاقَّةِ ، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن قال : قلت : هذا والله شاعر ، كما قالت قريش ، فقرأ : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ، قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾ قال : قُلْتُ : كاهنٌ عَلِم مافى نفسى ، فقال : ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ إلى آخر السورة (٢) قال : فوقع الإسلامُ فى قلبى كل موقع ، وقال عمر حين أسلم :

الحمدُ لله ذى المَنِّ الذى وَجَبَتْ ... له علينا أيادٍ مالهـا غِيَر

وقد بدأنا فكذَّبْنا ، فقال لنا ... صدقَ الحديث نبىٌّ عنده الخبر

وقد ظلمتُ ابنةَ الخطابِ ثم هدى ... ربى عَشِيَّة قالوا : قد صَبَا عُمَر

وقد نَدِمْتُ على ما كان من زَلَلٍ ... بظلمها حين تُتْلى عندها السُّور

---

(١) رواه أحمد ، ولعل الرواية التى ذكرفيها أنه سمع القرآن والرسول يصلى جوار الكعبة هى أقرب الروايات اتساقا مع حال عمر .

. . . .

لما دعت ربَّها ذا العرش جاهدة والدمعُ من عينها عَجْلَانَ يَبْتَدِرُ
أيقنتُ أن الذى تدعوه خالقُها فـكاد تسبقنى من عِبْرَة دِرَرُ
فقلت : أشهد أن الله خالقُنا وأن أحمد فينا اليوم مشتهر
نبىٌّ صِدْقٍ أتى بالحق مِنْ ثقةٍ وافى الأمانةِ ما فى عُوده خَوَرُ

رواه يونس عن ابن إسحاق . وذكر البزَّارُ فى إسلام عمر أنه قال : فلما أخذت الصحيفة ، فإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، فجعلت أفـكر : مِن أى شىء اشتق[1] ، ثم قرأت فيها : ﴿ سَبَّح لِله ما فى السموات والأرض [وهو العزيز الحـكيم] ﴾ أول الحديد . وجعلت أقرأ وأفـكر حتى بلغت : ﴿ آمنو بالله ورسوله[2] ﴾ الحديد : ٧ . فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله .

من تفسير حديث إسلام عمر :

فصل : وفى حديث إسلام عمر : قال : ما هذه الهَيْنَمة ، والهَيْنَمَةُ : كلام لا يفهم ، واسم الفاعل منهُ مُهَيْنِم ، كأنه تصغير ، وليس بتصغير ، ومثله المُبَيْطِر ، والمُهَيْمِن ، والمُبَيْقِر بالقاف ، وهو المهاجر من بلد إلى بلد ، والمُسَيْطِر ، ولو صغرَّت واحدا من هذه الأسماء لحذفت الياء الزائدة ، كما تحذف الألف من مفاعل ، وتلحق ياء التصغير فى موضعها ، فيعود اللفظ إلى ما كان ، فيقال فى تصغير مُهَيْنِم ومُبَيْطِر : مُهَيْنِمٌ ومُبَيْطِرٌ ، فإن قيل : فَهَلاَّ قلتم : إنه لا يُصَغَّر ؛ إذ لا يُعْقَل

(١) فى الأصل : فى أى شىء . والتصويب من شرح المواهب ص ٢٧٤ جـ ١
(٢) ولـكن سورة الحديد مدنية . وقصة عمر مكية .

. . . .

تصغيرٌ على لفظ التكبير ، وإلا فما الفرق ؟ فالجواب أنه قد يظهر الفرق بينهما في مواضع ، منها : الجمع ، فإنك تجمع مُبَيْطراً : مَبَاطر بحذف الياء ، وإذا كان مُصَغَّراً لا يجمع إلا بالواو والنون ، فتقول : مُبَيطِرُون ، وذلك أن التصغير لا يكسر ؛ لأن تكسيره يؤدى إلى حذف الياء فى الخماسى ؛ لأنها زائدة كالألف ، فيذهب معنى التصغير(١) ، وأما الثلاثى المصغَّر فيؤدى تكسيره إلى تحريك ياء التصغير أو همزها ، وذلك أن يقال فى فُلَيْس فلائس ، فيذهب أيضاً معنى التصغير لتصغير لفظ الياء التى هى دالة عليه ، ولو بَنَيْتَ اسم فاعل من : بيأس لقلت فيه مُبَيْئس ، ولو سهلت الهمزة حركت الياء فقلت فيه: مُبَيِّيس ، وتقول فى تصغيره إذا صغرته: مُبَيِّس بالإدغام ، كما تقول [فى] أبوس: أبيس: ولا تنقل حركة الهمزة إلى الياء إذا سهلت ، كما تنقلها فى اسم الفاعل من بَيأس ونحوه ، إذا سهلت الهمزة ، وهذه مسئلة من التصغير بديعة يقوم على تصحيحها البرهان .

حول النهيم وهكذا :

فصل : وفى حديث إسلام عمر : فَنَهَمَه رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

---

(١) نقل الصبان فى حاشيته على شرح الأشمونى هذه الفقرة عن السهيلى هكذا: « لو كسر حذفت ياؤه ؛ لأنه خماسى ثالثه زائد فيزول علم التصغير » هذا وقد أنكر الأشمونى تصغير هذه الأسماء التى ذكرها السهيلى وفى شرح الشافية للرضى « جرت عادتهم ألا يجمعوا المصغر إلا جمع السلامة إما بالواو والنون أو بالألف والتاء ، قيل : وذلك لمضارعة التصغير للجمع الأقصى بزيادة حرف لين ثالثة ، ولا يجمع الجمع الأقصى إلا جمع السلامة كالصرادين والصواحبات » ص ٢٨١ ثم يقول: « وإذا صغرت مبيطراً ومسيطراً كان التصغير بلفظ المكبر ؛ لأنك تحذف الياء كما تحذف النون فى منطلق ، وتجىء بياء التصغير ، فى مكانه ، ولو صغرتهما تصغير الترخيم لقلت : بطير ، وسطير » ص ٢٨٣ ج ١

. . . .

أي: زجره ، والنَّهِيمُ : زَجْرُ الأسد، والنَّهامِيُّ: الحدَّاد والنُّهام :طائر[١]، وفيه قول العاصي بن وائل قال : هكذا [خلوا] عن الرجل[٢] ، وهي كلمة معناها : الأمر بالتنحي ، فليس يعمل فيها ماقبلها ، كما يعمل إذا قلت : اجلس هكذا ، أي : على هذه الحال ، وإن كان لابد من عامل فيها إذا جعلتها للأمر ، لأنها كافُ التشبيه دخلت على ذا ، وها : تَنْبِيهٌ ، فيقدر العامل إذاً مُضْمَراً ، كأنك قلت : ارجعوا هكذا ، وتأخروا هكذا ، واستُغنى بقولك: هكذا عن الفعل ، كما استغنى بِرُوَيْداً عن ارفق .

جميل بن معمر :

فصل : وذكر قول عمر لجميل بن مَعْمَر الْجُمَحِي : إني قد أسلمت ، وبايعت محمداً ، فصرخ جميل بأعلى صوته : ألا إن عمر قد صبأ . جميل هذا هو الذى كان يقال له : ذو القلبين[٣] ، وفيه نزلت في أحد الأقوال : ﴿ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ من قلبين في جوفه﴾ الأحزاب . ٤٠ ، وفيه قيل .

---

(١) نهامى : بضم النون أو كسرها وكسر الميم وتشديد الياء : صاحب الدير والطريق السهل ، وبفتح النون وكسرها حداد ونجار ، وبفتحها وكسرها من غير ياء في الآخر :حداد ونجار ، ونهام بضم النون : طائر ، بوم ، راهب في دير ، نهام بفتح النون وتشديد الهاء : أسد .

(٢) في السيرة : هكذا خلوا عن الرجل وقد أضفتها عنها إلى الروض . ويجوز أن نجعل هكذا مع ماقبلها ، فيكون الكلام : « يسلمون لكم صاحبكم هكذا » ثم يبدأ الكلام الآخر : خلوا عن الرجل .

(٣) في الاشتقاق لابن دريد أنه وهب بن عمير وكان من أحفظ الناس، وكانوا

. . . .

وكيف ثوائى بالمدينة بعدما قضى وَطَراً منها جميلُ بن مَعْمَر

وهو البيت الذى تغنَّى به عبد الرحمن بن عوف فى منزله ، واستأذن عمر فسمعه ، وهو يتغنَّى ، وينشد بالركبانية ، وهو غِناء يُحدى به الرِّكَابُ ، فلما دخل عمرُ قال له عبد الرحمن : إنا إذا خلونا ، قلنا ما يقول الناس فى بيوتهم ، وقلب المبرد هذا الحديث ، وجعل المنشد عُمَر ، والمستأذنَ عبدَ الرحمن ، ورواه الزبير[1] كما تقدم ، وهو أعلم بهذا الشأن .

= يقولون له قلبان من حفظه . فأنزل الله عز وجل : (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) . أما جميل فقال عنه فى الاشتقاق : كان من أنم قريش لا يكتم شيئاً ، ص ١٣٠ ، وفى نسب قريش ورد كما قال السهيلى ، وأنه قيل له ذو القلبين لعقله ، وأنه شهد مع النبى حنيناً ، فقتل زهير بن الأغر الهذلى ص ٣٩٥ ، ولا نسب بينه وبين جميل صاحب بثينة . وفى ابن كثير أنها نزلت فى رجل من قريش ، يقال له : ذو القلبين ، وأنه كان يزعم أن له قلبين كل منهما بعقل وافر . فأنزل الله هذه الآية ردا عليه . هكذا روى العوفى عن ابن عباس ، وقاله مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة واختاره ابن جرير . بينما يروى أحمد فى مسنده بسنده ، عن ابن أبى ظبيان أن أباه حدثه قال : قلت لابن عباس : أرأيت قول الله تعالى : (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) ما عنى بذلك ؟ قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً يصلى فخطر خطرة . فقال المنافقون الذين يصلون معه : ألا ترون له قلبين . قلباً معكم ، وقلباً معهم . فأنزلها الله ، وهكذا رواه الترمذى ، ثم قال : وهذا حديث حسن ، وكذا رواه ابن جرير وابن أبى حاتم . وروى عبد الرازق بسنده عن الزهرى أنه بلغه أن ذلك كان فى زيد بن حارثة ضرب له مثل . يقول : ليس ابن رجل آخر ابنك ، وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد . . . أقول . وهذا أليق وأنسب ، فسياق الكلام فى التبنى وزيد بن حارثة .

(١) الذى فى نسب قريش لمصعب الزبيرى أن عمر مر بابن عوف ورباح بن عمرو يغنيهم غناء الركبان : فقال عمر : ماهذا ؟ فقال عبد الرحمن : لا بأس نلهو ونقصر السفر عنا ، فقال لهم عمر رضى الله عنه : فعليكم إذاً بشعر ضرار بن الخطاب ابن مرداس ص ٤٤٨

خبر الصحيفة

قال ابن إسحاق : فلما رأت قُريشٌ أنّ أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلداً أصابوا به أمنا وقراراً ، وأن النجاشيّ قد منع مَنْ لجأ إليه منهم ، وأنّ عمر قد أسلم ، فكان هو وحَمْزة بن عبد المطّلب مع رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، وجعل الإسلامُ يَفْشو فى القبائل ، اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم ، وبنى المطّلب . على أن لا يُنْكِحوا إليهم ولا يُنكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ، ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه فى صَحيفة ، ثم تعاهدوا وتَواثقوا على ذلك ، ثم علّقوا الصحيفةَ فى جَوْف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتبَ الصحيفة منصورُ بن عِكرمة بن عامر بن هاشم بن عَبْد مناف بن عَبْد الدار بن قُصَىّ - قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث - فدعا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فَشَلّ بعضُ أصابعه .

قال ابن إسحاق : فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطّلب إلى أبى طالب بن عبد المطلب ، فدخلوا معه فى شِعْبه واجتمعوا إليه ، وخرج من بنى هاشم : أبو لَهَب عبد العُزّى بن عبد المطّلب ، إلى قريش ، فظاهرهم .

موقف أبى لهب من رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثنى حُسين بن عبد الله : أنّ أبا لهب لقى هِنْد بنت عُتْبة بن رَبيعة ، حين فارق قومَهَ ، وظاهر عليهم قريشا ، فقال : يابنت عتبة ؛

هل نصرتِ اللاتَ والعُزَّى ، وفارقتِ مَنْ فارقهما وظاهر عليهما ؟ قالت : نعم ، فجزاك الله خيراً يا أبا عُتْبة .

قال ابن إسحاق : وحُدِّثت أنه كان يقول في بعض مايقول : يَعدني محمدٌ أشياء لاأراها ، يزعم أنها كائنةٌ بعد الموت ، فماذا وضع في يديّ بعد ذلك ، ثم ينفخ في يَدَيْه ويقول : تبًّا لكما ، ماأرى فيكما شيئا مما يقول محمد ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ .

قال ابن هشام : تبت : خسرت . والتباب : الخسران . قال حَبيب بن خُدْرة الخارجي : أحدُ بني هِلال بن عامر بن صَعْصعة :

يا طيب إنَّا في مَعْشرٍ ذهبتْ مَسْعاتُهم في التَّبارِ والتَّببِ

وهذا البيت في قصيدة له .

شعر أبي طالب

قال ابن إسحاق : فلما اجتمعت على ذلك قُريش ، وصنعوا فيه الذي صنعوا ، قال أبو طالب :

ألا أبلغا عني على ذاتِ بَيْننا لُؤَيًّا وخُصاً من لُؤَيٍّ بني كَعْبِ

ألم تَعْلَموا أنا وَجَدنا محمداً نبيًّا كموسى خُطّ في أوّل الكُتْب

وأنّ عليه في العِباد محَبّةً ولا خيرَ ممَّن خصَّه الله بالحبّ

وأن الذي ألصقْتمُ من كِتابكم لَكُمْ كائن نحسا كَراغية السَّقْبِ

أفِيقوا أفِيقوا ، قبل أن يُحفَر الثّرَى ويُصبحَ مَنْ لم يَجْنِ ذنبا كذى الذنب

ولا تَتْبعوا أمرَ الوُشاة ، وتَقْطَعوا أواصرَنا بعد المَوَدّة والقُرْبِ

وتَسْتجلبوا حَرْبا عَوانا ، وربما … أمرّ على من ذاقه جَلبُ الحرْبِ
فلسنا – وربّ البيت – نُسلمُ أحمداً … لعَزَّاءَ من عضّ الزّمان ولا كَرْب
ولمَّا تَبِنْ منَّا ، ومنكم سَوالف … وأيدٍ أُتِرّت بالقُساسيَّة الشُّهْب
بمُعْتَرك ضَيْق ترى كِسَر القَنا … به والنسورَ الطُّخْمَ يَعْكُفن كالشَّرْبِ
كأنّ مُجال الخيل فى حَجَراته … ومَعْمَعة الأبطال مَعْركة الحرْب
أليس أبونا هاشمٌ شَدَّ أزْرَه … وأوصَى بَنيه بالطِّعان وبالضَّرْب
ولسْنا نَمَلّ الحربَ ، حتى تَمَلّنا … ولا نَشْتكى ماقد يَنوب من النَّكْبِ
ولكننا أهلُ الحفائظ والنُّهى … إذا طار أرواحُ الكُماة من الرُّعْب

فأقاموا على ذلك سَنَتين أو ثلاثا ، حتى جُهِدوا لا يصل إليهم شىء ، إلا سراً مستخفيا به مَنْ أراد صِلَتهم من قريش .

من جهالة أبى جهل

وقد كان أبو جهل بن هشام – فيما يذكرون – لقى حَكيم بن حِزام بن خُويلد بن أسَد ، معه غلام يَحْمل قمحا يُريد به عمته خَديجة بنت خُويلد ، وهى عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومعه فى الشِّعب ، فتعلَّق به ، وقال : أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم ! ؟ والله لاتبرح أنت وطعامُك ، حتى أفْضحك بمكة . فجاءه أبو البَخْترى بن هاشم بن الحارث بن أسَد [بن عبد العزى] ، فقال : مالك وله ؟ فقال : يحمل الطعامَ إلى بنى هاشم ، فقال أبو البَخْتَرىّ : طعامٌ كان لعمَّته عنده بعثت إليه [فيه] ، أفتمنعه أن يأتيها بطَعامها ؟ ! خلّ سبيلَ الرجل ، فأبى أبو جهل ، حتى نال أحدُهما من صاحبه ، فأخذ أبو البَخْتَرىّ لَحْىَ بَعير ، فضربه به فشجَّه ، ووطئه وطْأً شديداً ، وحمزةُ بن عبد المطلب قريبٌ يرى

ذلك،وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه ، فيشمتوا بهم ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ذلك يدعو قومَه ليلاً ونهاراً ، وسرًّا وجهارا ، مناديا بأمْر الله لا يتّقى فيه أحداً من النّاس .

مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه

فجعلت قريش حين منعه الله منها ، وقام عمُّه وقومُه من بنى هاشم وبنى المطلب دونه ، وحالوا بينهم ، وبين ما أرادوا من البَطْش به ، يَهْمِزونه ، ويَسْتَهْزِئون به ، ويخاصمونه ، وجعل القرآن ينزل فى قُريش بأحداثهم ، وفيمن نصب لعداوته منهم ، ومنهم من سمى لنا .

أبو لهب وامرأته

ومنهم من نزل فيه القرآن فى عامَّة مَنْ ذكر الله من الكفَّار ، فكان ممن سُمّى لنا من قُريش ممن نزل فيه القرآن : عمه أبو لهب بن عبد المطلب وامرأته أمّ جَميل بنت حَرْب بن أُميَّة ، حمالة الحطب ، وإنما سماها الله تعالى حمالة الحطب ؛ لأنها كانت ـ فيما بلغنى ـ تحمل الشوك ، فتطرحه على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حيث يمر ، فأنزل الله تعالى فيهما : « تَبَّتْ يَدا أبى لَهَبٍ وَتَبَّ ، ما أغْنَى عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ ، سَيَصْلَى ناراً ذاتَ لَهَبٍ ، وَامرَأتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ ، فى جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ » .

قال ابن هشام : الجِيد : العنق . قال أعشى بَنى قَيْس بن ثعلبة :

يومَ تُبدى لنا قُتَيلة عَنْ جِيدٍ أسِيلٍ تَزِينُه الأطواقُ

وهذا البيت فى قصيدة له . وجمعه : أجياد . والمسد : شجرٌ يدقّ كما يَدقّ الكَتَّان ، فتفتل منه حبال . قال النابغة الذبيانى ـ واسمه : زياد بن عَمْرو ابن معاوية :

مقذوفةٍ بِدَخِيسِ النَّحْضِ بازِلُها له صَرِيفٌ صَريفَ القَعْو بالمَسَدِ

وهذا البيت فى قصيدة له ، وواحدته : مَسَدَة .

قال ابن إسحاق : فذُكر لى : أنّ أمّ جميل : حَمَّالة الحطب ، حين سمعت ما نزل فيها ، وفى زوجها من القرآن ، أتت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس فى المَسْجد عند الكعبة ، ومعه أبو بكر الصدّيق ، وفى يدها فِهْر من حِجارة ، فلما وقفتْ عليهما أخذَ الله ببَصَرها عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت : ياأبا بكر ، أين صاحبُك ، فقد بلغنى أنه يهجونى ؟ والله لو وجدته لضربتُ بهذا الفهر فاه ، أما والله إنى لشاعرة ، ثم قالت :

مُذَمَّما عَصَيْنا وأمْرَه أبَيْنا

ودينه قَلَيْنا

ثم انصرفت ، فقال أبو بكر : يارسول الله أما تُراها رأتك ؟ فقال : مارأتنى ، لقد أخذ الله ببصرها عنى .

قال ابن هشام : قولها : « ودينه قلينا » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وكانت قريش إنما تسمّى رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – مُذَمَّما ، ثم يسبُّونه ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا تعجبون لِما يصرف الله عنى من أذى قريش ، يسبُّون ويهجون مذمَّما ، وأنا محمد !

إيذاء أمية بن خلف للرسول صلى الله عليه وسلم

وأميَّة بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح ، كان إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَمَزه ولَمَزه ، فأنزل الله تعالى فيه : « وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ، الَّذِى جَمَعَ مالاً وعَدَّدَهُ ، يَحسَبُ أنَّ مالَهُ أخْلَدَهُ ، كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِى الحُطَمَةِ . ومَا أدْرَاكَ ما الحُطَمَةُ ، نارُ الله المُوقَدَةُ التى تَطَّلِعُ على الأفْئِدَةِ إنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فِى عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ » .

قال ابن هشام : الهُمَزة : الذى يشتم الرجلَ علانية ، ويَكْسِرُ عينيه عليه ، ويَغْمِز به . قال حَسَّان بن ثابت :

همَزْتُكَ فاختَضَعتُ لذلِّ نفسٍ ... بقافيةٍ تَأجَّجُ كالشواظِ

وهذا البيت فى قصيدة له . وجمعه : همزات . واللُّمَزة : الذى يَعيب الناسَ سرًّا ويُؤْذيهم . قال رؤبة بن العجاج :

فى ظلّ عَصْرىْ باطلى ولَمْزِى

وهذا البيت فى أُرجوزة له ، وجمعه : لمزات .

. . . .

إيذاء العاص للرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : والعاص بن وائل السهمىّ ، كان خبَّاب بن الأرتّ ، صاحبُ رسولِ الله — صلى الله عليه وسلم — قَيْنا بمكة يعمل السيوفَ ، وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفا عملها له ، حتى كان له عليه مال ، فجاءه يتقاضاه ، فقال له : ياخَبَّابُ أليس يزعمُ محمد صاحبُكم هذا الذى أنت على دينه أن فى الجنة ما ابتغى أهلُها من ذهب ، أو فضة ، أو ثياب ، أو خدم ؟! قال خبَّاب : بلى . قال : فأنظرنى إلى يوم القيامة ياخباب ، حتى أرْجع إلى تلك الدار ، فأقضيك هنالك حقَّك ، فوالله لاتكون أنت وصاحبك ياخبَّاب آثرَ عند الله منى ، ولا أعظم حظًّا فى ذلك ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿أَفرأيتَ الَّذِى كَفَرَ بآياتِنا وَقالَ لَأُوتَيَنَّ مالاً وَوَلَداً ، أَطَّلَعَ الغَيْبَ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿وَنَرِثُهُ مايَقُولُ وَيَأْتِينا فَرْداً﴾ « هى وماقبلها من سورة مريم ٧٧ — ٨٠ » .

إيذاء أبى جهل لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ولقى أبو جهل بن هشام رسولَ الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — فقال له : والله يامحمد ، لتتركنّ سبَّ آلهتنا ، أو لَنَسُبنّ إلٰهك الذى تعبد . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿وَلاتَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دونِ اللهِ ، فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الأنعام : ١٠٨ . فذكر لى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفّ عن سبّ آلهتهم ، وجعل يدعوهم إلى الله .

إيذاء النضر لرسول الله صلى الله عليه وسلم

والنضر بن الحارث بن علْقمة بن كَلَدَة بن عَبْد مناف بن عَبْد الدار بن قُصَىّ ، كان إذا جلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلسا ، فدعا فيه إلى الله تعالى، وتلا فيه القرآن ، وحذّر قُريشا ماأصاب الأممَ الخالية ، خَلفه فى مجلسه إذا قام ، فحدثهم عن رُسْتم الشديد ، وعن اسفنديار ، وملوك فارس ، ثم يقول: والله مامحمد بأحسنَ حديثا منى ، وما حديثه إلا أساطير الأوّلين ، اكتتبها كما اكتتبتها . فأنزل الله فيه : ﴿ وقالُوا : أساطيرُ الأوّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِىَ تُمْلَى عَلَيهِ بُكْرَةً وأصِيلاً ، قُلْ :أنْزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمٰوَاتِ والأرْضِ ، إنه كانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ الفرقان : ٥ ، ٦ . ونزل فيه : ﴿ إذا تُتْلَى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ: أساطِيرُ الأوّلينَ ﴾ . ونزل فيه : ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ أفَّاكٍ أثِيمٍ يَسْمَعُ آياتِ الله تُتْلَى عَلَيْهِ ثم يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كأنْ لَمْ يَسْمَعْها كأنَّ فِى أُذُنَيهِ وَقْراً ، فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أليمٍ ﴾ الجاثية : ٧ ، ٨ .

قال ابن هشام : الأفاك : الكذّاب . وفى كتاب الله تعالى : « ألا إنَّهُمْ مِنْ إفْكِهِم لَيقولونَ: وَلَدَ الله وإنَّهُمْ لَكاذِبونَ ﴾ الصافات: ١٥١ ، ١٥٢. وقال رؤبة:

لامْرِىءٍ أفَّك قولا إفكَا

وهذا البيت فى أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : وجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوما — فيما بلغنى —

مع الوليد بن المغيرة فى المسجد ، فجاء النضر بن الحارث ، حتى جلس معهم فى المجلس ، وفى المجلس غيرُ واحد من قريش ، فتكلّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض له النضر بن الحارث ، فكلّمه رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم : ﴿ إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ، لَوْ كانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً ما وَرَدُوها، وَكُلٌّ فِيها خالِدُونَ، لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ، وَهُمْ فِيها لا يَسْمَعُونَ ﴾ الأنبياء ٩٨ — ١٠٠ .

قال ابن هشام : حصب جهنم : كلّ ما أوقدت به . قال أبو ذُؤيب الهُذلىّ، واسمهُ : خُويلد بن خالد .

فأطْفِئْ ، ولا تُوقد ، ولاتَكُ مُحْصِباً
لنارِ العُداةِ أن تَطِيرَ شَكاتُها

وهذا البيت فى أبيات له . ويُرْوَى : « وَلاتك مِحْضَأً » . قال الشاعر :

حَضأتُ له نارى فأبصرَ ضوءها   وما كان لولا حَضْأةُ النار يهتدى

ابن الزبعرى والأخنس وما قيل فيهما

قال ابن إسحاق : ثم قام رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — وأقبل عبدالله ابن الزِّبَعْرَى السَّهْمِىُّ حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزّبعرى : والله ما قام النضرُ بن الحارث لابن عبد المطّلب آنفا وماقعد ، وقد زعم محمد أنّا وما نعبد من آلهتنا هذه حَصَب جهنم ، فقال عبد الله بن الزبعرى : أما والله

لو وجدته لخصَمْته ، فسلوا محمدا : أكلّ ما يُعبَد من دون الله فى جهنم مع مَنْ عبَده ؟ فنحن نَعْبُد الملائكة ، واليهودُ تعبد عُزَيراً والنَّصارى تعبد عيسى ابن مريم عليهما السلام ، فعجب الوليد ، ومن كان معه فى المجلس من قول عبد الله بن الزبعرَى ، ورأوا أنه قد احتج وخاصم . فذُكر ذلك لرسول الله صلى عليه وسلم من قول ابن الزِّبَعْرَى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلّ من أحَبّ أن يعبد من دون الله فهو معْ مَنْ عبده ، إنهم إنما يعبدون الشياطين ، ومن أمرَتْهُمْ بعبادته ، فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك : ﴿ إنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أولَئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ ، لايَسْمَعُونَ حَسِيسَها ، وَهُمْ فِيما اشْتَهَتْ أنْفُسُهُمْ خالِدُونَ ﴾ الأنبياء : ١٠١ ، ١٠٢ : أى عيسى بن مريم ، وعُزَيرا ، ومن عُبدُوا من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله ، فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله .

ونزّل فيما يذكرون ، أنهم يعبدون الملائكة ، وأنها بنات الله : ﴿ وقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَداً سُبْحانَهُ ، بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ . لايَسْبِقُونَهُ بالقَوْلِ ، وَهُمْ بأمْرِهِ يعْمَلُون ﴾ الأنبياء : ٢٦ : ٢٧ . . إلى قوله : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إنى إلٰهٌ مِنْ دُونِهِ ، فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ، كَذَلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ ﴾ الأنبياء : ٢٩ .

ونزّل فيما ذكر من أمر عيسى بن مريم أنه يُعبد من دون الله ، وعَجبِ الوليد ، ومن حَضَره من حُجَّته وخصومته : ﴿ ولَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ الزخرف : ٥٧ . أى : يصدّون عن أمرك بذلك من قولهم .

. . . .

ثم ذكر عيسى بنَ مريم فقال : ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيْهِ ، وَجَعَلْناهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرائِيلَ ، وَلَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ ، وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِها وَاتَّبِعُونِ هَذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ الأنبياء : ٥٩ : ٦١ أى : ماوَضَعْتُ على يديه من الآيات من إحياء الموتى ، وإبراء الأسقام ، فكفى به دليلا على علم الساعة ، يقول : فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِها وَاتَّبِعُونِ ، هَذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ .

والأخنسُ بن شَرِيق بن عَمْرو بن وَهْب الثقفى ، حليف بنى زُهرة ، وكان من أشراف القوم ، وممن يُستمع منه ، فكان يُصيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويردّ عليه ، فأنزل الله تعالى فيه : « وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ القلم : ١٠ ، ١١ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ زَنِيمٍ ﴾ ، ولم يقل : زَنيم لعيب فى نسبه : لأن الله لا يَعيب أحدا بنسب ، ولكنه حقّق بذلك نعتَه ليُعرف . والزنيم : العَديد للقوم ، وقد قال الخَطِيم التميمىّ فى الجاهلية :

زَنيم تَداعاه الرِّجالُ زِيادةً   كما زِيدَ فى عَرْضِ الأديمِ الأكارِعُ

ماقيل فى الوليد بن المغيرة وأبى بن خلف وعقبة بن أبى معيط

والوليد بن المُغيرة ، قال : أيُنزَّل على محمد ، وأُترك وأنا كبير قُريش وسيدها ، ويُترك أبو مسعود عمرو بن عُمير الثقفى سيِّد ثقيف ، ونحن عظيما القريتين ؟ ! فأنزل الله تعالى فيه ، فيما بلغنى : ﴿ وَقالُوا : لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرآنُ على رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ الزخرف : ٣٠ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ .

وأُبَىّ بن خَلف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ، وعُقْبة بن أبى مُعيط ، وكانا مُتصافيين ، حَسَنا مابينهما . فكان عقْبة قد جلس إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وسمع منه ، فبلغ ذلك أُبيًّا ، فأتى عُقْبة ، فقال : ألم يبلُغْنى أنك جالست محمدا ، وسمعتَ منه ! ثم قال : وَجْهى من وجهك حَرام أن أُكلِّمك — واستغلظ من اليمين — إن أنتَ جلستَ إليه ، أو سمعتَ منه ، أو لم تأته ، فتَتْفل فى وجهه . ففعل من ذلك عدوّ الله عُقْبة بن أبى مُعيط لعنه الله . فأنزل الله تعالى فيهما : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ على يَدَيْهِ يَقُولُ : يالَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبيلا ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿ لِلإنْسانِ خَذُولاً ﴾ الفرقان : ٢٧ — ٢٩ .

ومشى أُبىّ بن خاف إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعَظم بال قد ارْفَتّ ، فقال : يامحمد ، أنت تزعم أن يبعث هذا بعد ما أرِمَ ، ثم فتّه بيده ، ثم نفخه فى الريح نحوَ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : نعم ، أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ، ثم يُدخلك الله النار . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قالَ : مَنْ يُحْيِ العِظامَ ، وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ : يُحْيِيها الَّذِى أنْشَأها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ، الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ ناراً ، فإذَا أنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ يس ٧٩ ، ٨٠

ما قيل فى حق الذين اعترضوا الرسول فى الطواف

واعترض رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يطوف بالكعبة ـ فيما بلغنى ـ الأسودُ بن المطَّلب بن أسد بن عبد العزّى ، والوليدُ بن المغيرة ، وأُميَّة بن خَلَف ، والعاصُ بن وائل السهمىّ ، وكانوا ذوى أسنان فى قومهم ، فقالوا : يامحمد ، هَلُمّ فلنعبدْ ما تعبد ، وتعبدُ مانعبد ، فنشترك نحن وأنت فى الأمر ، فإن كان الذى تعبد خيرا مما نعبد ، كنَّا قد أخذنا بحظِّنا منه ، وإن كان مانعبد خيرا مما تعبد ، كنت قد أخذت بحظِّك منه ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ قُلْ : يَأَيُّها الكافِرُونَ ، لاأعْبُدُ ماتَعْبُدُونَ . وَلا أنْتُمْ عابِدُونَ ما أعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دين ﴾ الكافرون . أى : إن كنتم لاتعبدون إلا الله ، إلا أن أعبد ماتعبدون ، فلا حاجة لى بذلك منكم ، لكم دينكم جميعا ، ولى دينى .

ما قيل فى حق أبى جهل

وأبو جهل بن هشام ـ لما ذكر الله عزّ وجلّ شجرةَ الزَّقُّوم تخويفا بها لهم ، قال : يامعشر قريش ، هل تدرون ماشجرة الزَّقُّوم التى يخوفكم بها محمد ؟ قالوا : لا ، قال : عجوة يثرب بالزُّبد ، والله لئن استمكنَّا منها لنتزَقَّمنَّها تزقُّما . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ، طَعامُ الأثِيمِ ، كالمُهْلِ يَغْلِي فِي البُطُونِ كَغَلْيِ الحَمِيمِ ﴾ الجاثية : ٤٤ ـ ٤٦ . أى : ليس كما يقول .

قال ابن هشام : المهل : كل شيء أذبته ، من نحاس أو رصاص ، أو ما أشبه ذلك فيما أخبرنى أبو عبيدة .

وبلغنا عن الحسن بن أبى الحسن أنه قال : كان عبد الله بن مَسعود واليا لعمرَ بن الخطاب على بيت مال الكوفة ، وأنه أمر يوما بفضة ، فأُذيبت ، فجعلت تلوَّنُ ألوانا ، فقال : هل بالباب من أحد ؟ قالوا : نعم ، قال : فأَدخِلوهم ، فأُدخِلوا فقال : إن أدنى ما أنتم راءون شبها بالْمُهْل لَهذا ، وقال الشاعر :

يَسْقِيه ربى حميَ الْمُهْل يَجْرعُه يَشْوِى الوجوهَ فَهُو فى بَطْنه صَهَرُ

وقال عبد الله بن الزبير الأسدى :

فمن عاش منهم عاش عبداً وإن يَمُتْ ففى النار يُسْقَى مُهْلَها وصديدَها

وهذا البيت فى قصيدة له .

ويقال : إن المهل : صديد الجسد .

بلغنا أن أبا بكر الصدّيق – رضى الله عنه – لما حُضِر ، أمَر بثوبين لَبِيسين يُغْسلان ، فيكفَّن فيهما ، فقالت له عائشة : قد أغناك الله يا أبت عنهما ، فاشتر كفنا ، فقال : إنما هى ساعة حتى يَصير إلى المهل . قال الشاعر :

شاب بالماء منه مُهلاً كَريها ثم علّ الْمَنون بعد النِّهال

قال ابن إسحاق : فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ والشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِى الْقُرآنِ ، ونُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إلاَّ طُغْيانا كَبِيراً ﴾ الإسراء : ٦٠

قصة ابن أم مكتوم

ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يكلِّمه ، وقد طمع فى إسلامه ، فبينا هو فى ذلك ، إذ مر به

ابنُ أمّ مكتوم الأعمى ، فكلم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل يَسْتقرئه القرآن ، فشقّ ذلك منه على رسولِ الله — صلى الله عليه وسلم — حتى أضْجره ، وذلك أنه شغله عمَّا كان فيه من أمر الوليد ، وماطَمِع فيه من إسلامه ، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسا ، وتركه ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جاءهُ الأعْمَى ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ، مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴾ أى : إنما بعثتك بشيراً ونذيراً ، لم أخصّ بك أحداً دون أحد ، فلا تمنعه مِمَّن ابتغاه ، ولا تتصدّينّ به لمن لا يريده .

قال ابن هشام: ابن أمّ مكتوم ، أحد بنى عامر بن لؤىّ ، واسمه: عبدالله ، ويقال : عمرو .

حديث الصحيفة التى كتبتها قريش

ذكر فيه قول أبى لهبٍ ليديه : تبًّا لكما ، لا أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد ، فأنزل الله تعالى: ﴿تبّت يدا أبى لهب وتب﴾ ، هذا الذى ذكره ابن إسحاق يشبه أن يكون سبباً لذكر الله سبحانه يديه، حيث يقول : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ ﴾ وأما قوله : وتَبَّ، فتفسيره ما جاء فى الصحيح من رواية مجاهد وسعيد ابن جُبَيْر عن ابن عباس ، قال : لما أنزل الله تعالى : ﴿ وأنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾الشعراء: ٢١٤ خرج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى أتى الصَّفا، فصعد

. . . .

عليه ، فهتف : يَا صَبَاحَاهْ ، فلما اجتمعوا إليه ، قال: أرأيْتُمْ لو أخبرتُكم أن خَيْلاً تخرج من سَفْح هذا الجبل، أكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قالوا : ما جَرَّ بناعليك كذبا قال : فإنِّي نذيرٌ لكم بين يَدَيْ عَذَابٍ شديد . فقال أبو لهب : تَبًّا لك ألهذا جمعتنا ؟! فأنزل الله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يدا أبي لَهَبٍ ﴾(١) ، وقد تَبَّ . هكذا قرأ مجاهد والأعمش ، وهي - والله أعلم - قراءة مأخوذةٌ عن ابن مسعود ، لأن في قراءة ابن مسعود ألفاظًا كثيرة تعين على التفسير(٢) قال مجاهد : لو كنت

---

(١) رواه الشيخان والترمذي .

(٢) يجب أن نؤمن بأن هذا المصحف الذي نحن معه نتدبره ، فيه كل كلام الله الذي نزله على محمد صلى الله عليه وسلم دون نقص أو زيادة . ومايروى من مثل هذا . فإما أن تكون رواية ساقطة ، وإما أن يكون من كلام ابن مسعود تعليقا منه على بعض آيات الكتاب المبين . كيف نحكم أن مثل « وقد تب » كانت في المصحف ثم رفعت منه ؟ أو كيف نحكم أن آية كذا كانت فيه ، ثم حذفت ؟. وأين نحن بهذا من قول الله: (إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون) الحجر : ٩ كيف نضرب المتواتر المحفوظ بحفظ الله بروايات ساقطة واهية مهما كان شأن رواتها ، وشأن الكتب التي وردت فيها ؟ وما الفرق بيننا وبين من يزعمون أن مصحفنا هذا ناقص مبتور حذف منه أبو بكر وعمر ماحذفا ؟ ! أقذفوا بكل قول يزعم هذا في جحيم.

بعض ما قيل عن الصحيفة :

قيل : إنها كانت في هلال المحرم سنة سبع من النبوة ، ورد هذا في ابن سعد وابن عبد البر:وجزم به الحافظ في الفتح ، وقيل : سنة ثمان وكان اجتماعهم بخيف بني كنانة وهو المحصب واختلف في اسم كاتب الصحيفة.وفي رواية أنهم تواثقوا على هذا حتى يسلموا رسول الله « ص » للقتل ، وكانت مدة الشعب سنتين كما ذكر ابن سعد أو ثلاثا كما ذكر موسى بن عقبة وفي نسب قريش ص ٢٥٤ أن الذي كتب الصحيفة عامر الشاعر لا منصور ابنه .

. . . .

قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسْئل ابن عباس ، ما احتجت أنْ أسْئَله عن كثير مما سألته ، وكذلك زيادة قد فى هذه الآية ، فَسّرت أنه خبر من الله تعالى ، وأن الكلام ليس على جهة الدعاء ، كما قال تعالى : ﴿قاتلهم الله أنَّى يُؤْفَكُون﴾ التوبة : ٣٠ ، أى : إنهم أهلٌ أن يقال لهم هذا ، فتبت يدا أبى لهب ، ليس من باب : قاتلهم اللهُ ، ولكنه خبَرٌ محْضٌ بأن قد خسر أهله وماله ، واليدان : آلة الكسبِ ، وأهلُه وماله مما كسب فقوله : ﴿تَبَّت يدا أبى لَهَبٍ﴾ ، تفسيره : قوله : ﴿ما أغنى عنه ماله وما كَسَبَ﴾ وولَدُ الرجل من كَسْبه ، كما جاء فى الحديث ، أى : خسرت يداه هذا الذى كسبت ، وقوله : وتَبَّ ، تفسيره . ﴿سَيَصْلى ناراً ذات لهبٍ﴾ أى : قد خسر نفسه بدخوله النار ، وقولُ أبى لهب : تبًّا لكما ، ما أرى فيكما شيئاً ، يعنى : يديه : سببٌ لنزول تَبَّت يدا كما تقدم .

وقوله فى الحديث الآخر : تَبًّا لك يا محمد ، سببٌ لنُزُول قوله سبحانه : ﴿وتبّ﴾(١) فالكلمتان فى التنزيل مبنيتان على السببين ، والآيتان بعدهما تفسير للتَبيَين . تَبَابِ يديه ، وتبابِه هو فى نفسه ، والتَّبَبُ على وزن التَّلَف

---

(١) وحدث عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه قال . أخبر رجل يقال له : ربيعة بن عباد من بنى الديل ، وكان جاهليا ، فأسلم ، قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم — فى الجاهلية فى سوق ذى المجاز ، وهو يقول : (يأيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا) والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضىء الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابىء كاذب يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه ، فقالوا : هذا عمه أبو لهب . تفرد به أحمد .

. . . .

لأنه فى معناه ، والتَّبَابُ كالهلاك والخَسَارِ وَزْناً ومعنى ، ولذلك قيل فيه : تَبٌّ وتبَابٌ .

من تفسير شعر أبي طالب :

فصل : ذكر شعر أبى طالب :

ألا أبلغا عنى على ذاتِ بيننا

قال قاسم بن ثابت : ذات بيننا ، وذات يده ، وما كان نحوه : صفةٌ لمحذوفٍ مؤنث ، كأنه يريد الحال التى هى ذات بينهم كما قال الله سبحانه : ﴿ وأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ الأنفال : ١ فكذلك إذا قلت : ذات يده . يريد أمواله ، أوْ مكْتَسباته ، كما قال عليه السلام : « أرْعاه على زَوْج فى ذات يده[1] » ، وكذلك إذا قلت : لقيته ذاتَ يوم ، أى : لقاءةً أو مرَّةً ذات يوم ، فلما حُذف الموصوف ، وبقيت الصفةُ صارت كالحال لا تتمكن ، ولا تُرفع فى باب مالم يُسَمَّ فاعلُه ، كما ترفع الظروف المُتمكِّنة ، وإنما هو كقولك : سير عليه شديداً وطويلاً ، وقول الخَثْعَمِي - واسمه : أنس بن مالك [مدرك] : عزمت على إقامة ذات صباح ، ليس هو عندى من هذا الباب ، وإن كان سيبويه قد جعلها لغة لخثعم ، ولكنه على معنى إقامة يوم ، وكل يوم هو ذو صباح ، كما تقول : ما كلمنى ذو شفَة ، أى : متكلم ، وما مررت بذى نفس ، فلا يكون من

---

(١) هو جزء من حديث رواه الشيخان : « خير نساء ركبن الإبل صالحو نساء قريش أحناه على والد فى صغره ، وأرعاه على زوج فى ذات يده » .

. . . .

باب : ذَاتَ مَرَّة الذى لا يتمكن فى الكلام ، وقد وجدت فى حديث قَيْلَةَ بنت مَخْرَمة ، وهو حديث طويل وقع فى مسند ابن أبى شَيْبَة:أن أختها قالت لبعلها : إن أختى تريد المسير مع زوجها حُرَيْثِ بن حسَّان ذا صباح بين سَمْع الأرض وبصرها ، فهذا يكون من باب: ذات مرة ، وذات يوم ، غير أنه ورد مذكَّرًا ؛ لأنه تشتغل تاء التأنيث مع الصَّاد ، وتوالى الحركات ، فحذفوها، فقالوا: لقيته ذا صباح ، وهذا لا يتمكن كما لا يتمكن : ذات يوم وذات حين ، ولا يضاف إليه مصدر ، ولا غيره . وقول الْخَثْعَمِىِّ : عزمت على إقامة ذى صباح قد أضاف إليه ، فكيف يضيف إليه ، ثم ينصبه ، أو كيف يضارع الحال مع إضافة المصدر إليه؟فكذلك خفضه ، وأخرجه عن نظائره،إلا أن يكون سيبويه سمع خثعم يقولون : سرت فى ذات يوم ، أوسير عليه ذاتُ يوم برفع التاء ، فحينئذ يسوغ له أن يقول : لغة خثعم ، وأما البيت الذى تقدم فالشاهد له فيه ، وما أظن خَثْعَمَ،ولا أحدا من العرب يجيز التمكن فى نحو هذا ، وإخراجه عن النصب ، والله أعلم .

لا التى للتبرئة :

فصل : وفيه : ولا خير ممن خصَّه الله بالحب .

وهو مشكل جداً لأن لا فى باب التبرئة لا تنصب مثل هذا إلا مُنَوَّناً تقول : لا خَيْرًا من زيد فى الدار ، ولا شرًّا من فلان ، وإنما تَنْصب بغير تنوين إذا كان الاسم غير موصول بما بعده ، كقوله تعالى : ﴿ لا تَثْرِيب عليكم اليوم ﴾ يوسف : ٩٢ . لأن عليكم ليس من صلة

التثريب ، لأنه فى موضع الخبر ، وأشبه ما يقال فى بيت أبى طالب أن خيرا مخفف ، من خَيِّرٍ كَهَيْن وَمَيْت [من هَيِّن ومَيِّتٍ] وفى التنزيل : ﴿ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ الرحمن : ٧٠ هو مخفف من خَيِّرات .

عود إلى شرح شعر أبى طالب :

وقوله : مِمَّن . من ، متعلقة بمحذوف ، كأنه قال: لا خَيْر أخير مِمَّن خَصَّه الله ، وخَيْر وأَخْيَرُ : لفظان من جنس واحدٍ ، فحُسنَ الحذفُ استثقالا لتكرار اللفظ ، كما حَسُن : ﴿ ولكن الْبِرَّ مَنْ آمن بالله ﴾ البقرة : ١٧٧ . و﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ البقرة : ١٩٧ لما فى تكرار الكلمة مرتين من الثقل على اللسان ، وأغرب من هذا قول الله تعالى : ﴿ ولو يُعَجِّلُ اللهُ للناسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بالْخَيْرِ ﴾ يونس: ١١ أى : لو عجله لهم إذا استَعْجَلوا به اسْتِعْجَالاً مثل استعجالهم بالْخَيْر، فحسن هذا الكلامُ لما فى الكلام من ثقل التكرار ، وإذا حذفوا حرفا واحدا لهذه العلة كقولهم: بَلْحَرث[1] بنو فلان،وظَلْتَ وأحَسْت فأحرى أن يحذفوا كلمة من حروف ، فهذا أصل مُطَّرِدٌ ، ويجوز فيه وجه آخر، وهوأن يكون حذف التنوين مراعاة لأصل الكلمة؛لأن خَيْرًا من زيد إنما معناه: أخير من زيد ، وكذلك : شَرٌّ من فلان ، إنما أصله : أَشَرُّ على وزن أَفْعَل ،

---

(١) فى الأصل بياض بعد كلمة بلحرث ، ولكن فى اللسان : « وقولهم : بلحرث لبنى الحرث بن كعب من شواذ الإدغام ، لأن النون واللام قريبا المخرج ، فلما لم يمكنهم الإدغام بسكون اللام حذفوا النون . كما قالوا : مست ، وظلت، بفتح الميم والظاء وسكون السين واللام ، كذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة ، مثل بلعنبر ، وبلهجيم ، فأما إذا لم تظهر اللام ، فلا يكون ذلك » مادة حرث .

. . . .

وحذفت الهمزة تخفيفا ، وأفعل لا ينصرف، فإذا انحذفت الهمزة انصرف ونُوِّن ، فإذا توهمتها غير ساقطةٍ التفاتا إلى أصل الكلمة ، لم يبعد حذف التنوين على هذا الوجه مع مايقويه من ضرورة الشعر .

وقوله : بالقُساسِيَّة الشُّهب ، يعنى : السيوف ، نسبها إلى قُساس ، وهو معدن حديد لبنى أسد ، وقيل اسم للجبل الذى فيه المعدن : قال الراجز يصف فأسا :

أحضر من معدنِ ذِى قُسَاس كأنه فى الحَيْدِ ذى الأضراس

يُرْمى به فى البلد الدَّهَاس[1]

وقال أبو عبيد فى القُساسِيَّة : لا أدرى إلى أى شىء نُسِبَ ، والذى ذكرناه قاله المُبَرِّد ، وقوله : ذى قُساس كما حكى ، ذو زيد ، أى : صاحب هذا الاسم ، وفى أقيال حِمْير : ذو كَلاَع ، وذو عَمْرو ، أضيف المسَّى إلى اسمه ، كما قالوا : زيد بَطَّة، أضافوه إلى لقبه[2]

---

(١) فى معجم ابن فارس « قساس » بلد تنسب إليه السيوف القساسية ، وفى المراصد : جبل لبنى نمير ، وقيل لبنى أسد ، وبا الصاد جبل لهم أيضا فيه معدن حديد تنسب السيوف القساسية إليه ، ويقال : إن قساس معدن الحديد بأرمينية ، والدهاس : المكان السهل .

(٢) الأسماء المفردة تضاف إلى ألقابها ، وحينئذ تكون الألقاب معارف ، وتتعرف بها الأسماء ، كما قيل : قيس قفة . وزيد بطة وسعيد كرز ويجوز بفتح تاء قفة وبطة وزاى كرز ، مادة قطن فى اللسان ، وانظر أيضاً مادة بطط وكرز ، وذو الكلاع الأكبر : يزيد بن النعمان . والأصغر : سميفع بن ناكور من نسل الأكبر .

. . . .

وذكر فيه النسور الطخمة ، قيل : هى السود الرءوس، قاله صاحب العين، وقال أيضاً : الطُّخْمَةُ سواد فى مقدم الأنف .

وقوله : كراغية السَّقْبِ يريد ولد الناقة التى عقرها قُدار[1] ، فرغا ولدُها، فصاح بُرغائه كُلُّ شىء له صوت ، فهلكت ثمود عند ذلك ، فضربت العرب ذلك مثلا فى كل هَلَكة . كما قال علقمة [بن عَبَدَةَ] :

رغا فوقهم سَقْبُ السماء فداحِصٌ بِشِكَّتِهِ لم يُسْتَلَبْ وسليبُ

وقال آخر :

---

(١) اسمه فى القاموس : قدار بن سالف ، ويقال هو الذى عقر ناقة صالح ، وهو أحيمر ثمود. وروى أحمد بسنده فى مسنده عن عبد الله بن زمعة قال: خطب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فذكر الناقة ، وذكر الذى عقرها ، فقال : إذ انبعث أشقاها ، انبعث لها رجل عارم عزيز منيع فى رهطه مثل أبى زمعة . ورواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن جرير.

وبشؤم قدار ضرب المثل يقول الشاعر :

وكان أضرفيهم من سهيل إذا وافى وأشأم من قدار

ويقال : قدار بن قديرة باسم أمه ، انظر الأمثال للميدانى ، مثل رقم ٢٠٢١ ، وسمط اللآلى ص ٨٤٥ ، وفى معلقة زهير عن الحرب :

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ، ثم ترضع فتفطم

وأحمر عاد هو قدار . والسقب : ولد الناقة عامة ، أو ساعة يولد ، أو خاص بالذكر، وفى ابن هشام ورد نسب أبى البخترى : « ابن هشام بن الحارث بن أسد » فصوبته من نسب قريش « ابن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى » .

. . . .

لَعَمْرِى لقد لاقت سُلَيْمٌ وعامر على جانب الثَّرْثَار راغيةَ الْبِكْرِ (١)

ذكر أم جميل والمسد وعذابها:

فصل : وذكر أم جميل بنت حرب عمة معاوية ، وذكر أنها كانت تحمل الشوك ، وتطرحه فى طريق رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأنزل الله فيها : ﴿ وامرأته حَمَّالة الْحَطب ﴾ قال المؤلف : فلما كَنَّى عن ذلك الشوك بالحطب ، والحطبُ لا يكون إلا فى حبل ، مِنْ ثَمَّ جعل الحبل فى عنقها ، ليقابل الجزاء الفعل .

وقوله : من مَسَد ، هو من مَسَدْت الحبل إذا أحكمتَ فَتْله ، إلا أنه قال : من مَسَدٍ، ولم يقل: حبلٌ مَسَدٌ ولا مَمْسُود لمعنى لطيف، ذكره بعض أهل التفسير ، قال: المسد يعَبَّر به فى العرف عن حبل الدَّلو ، وقد روى أنه يُصنع بها فى النَّار ما يُصنع بالدَّلو ، تُرْفع بالمسد فى عنقها إلى شَفِير جهنم ، ثم يُرمى بها إلى قعرها هكذا أبداً ، وقولهم : إن المسد هو حبل الدلو فى العرف صحيحٌ فإنا لم نجده فى كلام العرب، إلا كذلك، كقول [النابغة] الذُّبْيَانى .

له صَرِيفٌ صريفَ الْقَعْو بالمَسَد (٢)

---

(١) الثرثار : هو فى برية نجد ،واد عظيم بالجزيرة .

(٢) البيت من شواهد سيبويه فى الكتاب. والشاهد فيه نصب « صريف » الأخرى على المصدر المشبه به ، والعامل فيه فعل مضمر دل عليه قوله : « له صريف » ، فكأنه قال : بازلها يصرف صريفا مثل صريف القعو ، ورفعه على البدل جائز . وصف للناقة بالقوة والنشاط ، فيقول: كأنما قذفت باللحم قذفا لتراكمه عليها .

. . . .

وقال الآخر وهو يستقى على إبله :

يا مَسَد الخُوصِ تَعَوَّذْ مِنِّى   إنْ تك لَدْنـــاً لَيِّناً فإنِّى

ما شئت من أشْمَطَ مُقْسَئِنِّ(١)

والنحض: اللحم ، ودخيسه: ماتداخل منه وتراكب، والبازل : سن تخرج عند بزولها، وذلك العام التاسع من سنها ، وعند ذلك تكمل قوتهـــا . ويقال لها : بازل: والصريف: صوت أنيابها إذا حكت بعضها ببعض نشاطا أو إعياء، والقعو : ما تدور فيه البكرة إذا كان من خشب، وجمعها قعى، فإذا كان من حديد ، فهو خطاف ص ١٧٨ حـ ١ الكتاب لسيبويه وبيت علقمة ص ١٧٢ أمالى.

(١) أنشده اللسان فى مادتى مسد ، وقسن . وفى الأصل الحوض ، مكسين والتصويب من اللسان ، ومعجم ابن فارس الذى أنشد الأخيرتين فى مادة قسن والمقسئن الصلب من الرجال . ويكون كبير السن ، والأشمط من خالط سواد شعره بياض . وبعد هذه :

تقمص كفاه بحبـــل الشن   مثل قماص الأحرد المســـتن

يقول : تعوذ منى ، فإنى أستقى بك كثيراً ، فتنقطع إن تك لدنا ، أى: ناعما متثنيا ، فإنى مقسئن وهو الكهل الشديد الذى لم تنقص السنون منه شيئا . ويروى : إن تك شبا ، أى : شابا . وتقمص : ترتفع كفاه بالحبل إذا جذبه . والأحرد : البعير الذى يرفع يديه فى سيره ، ثم يخبط بهما الأرض ، والمستن الذى يمشى على وجهه ، وأراد بالشن : الدلو ص ٨٩ تهذيب إصلاح المنطق لأبى زكريا يحى بن على بن الخطاب التبريزى المتوفى سنة ٥٦٢هـ ط أولى وفى اللسان أيضاً :

المقسين : الشيخ القديم وكذلك البعير ، فاذا اشتقوا منها فعلا على مثل افعال بتشديد اللام همزوا فقالوا : اقسأن . وقيل المقسئن الذى قد انتهى فى سنه، فليس به ضعف كبر. ولا قوة شباب وقيل : هو الذى فى آخر شبابه وأول كبره ، واقسأن الشىء اشتد

. . . .

وقال آخر :

يارَبَّ عبسٍ لا تُبَارِكْ فى أَحَدْ فى قائم منهم ، ولافيمن قَعَد
غير الأُولى شَدُّوا بأطرافِ الْمَسَدْ

أى : استقوا ، وقال آخر ، وهو يستقى :

وَمَسَدٍ أُمِرَّ من أَيَانِقِ ليس بأنيابٍ ولاَ حَقائِقِ(١)

يريد : جمع أينُق، وأينُق : جمع ناقةمقلوب ، وأصله: أَنْوق،فقلب،وأبدلت الواو ياء ؛ لأنها قد أبدلت ياء للكسرة ، إذا قالوا : نياق ، وقلبوه فرارا من اجتماع همزتين لو قالوا : أنوق على الأصل ، يريد أن المسد من جلودها . وفى الحديث أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال فى المدينة : قد حرمتها إلا لعُصْفُور قَتَبٍ(٢) ، أو مَسَد مَحَالَة ، والْمَحالَةَ : الْبَكَرَةُ . وفى حديث آخر :

---

(١) قبلهما .

إن سرك الإرواء غير سابق فاعمل بغرب مثل غرب طارق

أو « فاعجل » ويروى : غير سائق . وأمر : فتل . والرجز لعمارة ابن طارق — أو عمار ، أو لعقبة الهجيمى ، والأنياب : جمع ناب ، وهى الناقة الهرمة ، والحقائق جمع : حقة وهى التى دخلت فى السنة الرابعة، يريد : هو جلد ثنية أو رباعية ، أو سديس أو بازل .

(٢) القتب : جميع أداة السانية أو الساقية ، القتب : بفتح القاف والتاء أو بكسر القاف وسكون التاء ، والعصفور : الخشب الذى يشد به رءوس الأقتاب .

. . . .

أنه حرمها بريدا فى بريد إلا الْمِنْجَدَةَ أو مسد ، والْمِنْجَدَةُ : عصا الراعى .
وقال أبو حنيفة فى النبات : كلُّ مَسَدٍ رِشاء ، وأنشد :

وَبكْرَةً وَمِحْوَرًا صَرَّارًا وَمَسداً من أَبَقٍ مُغاراً

وَالأبَقُ : الْقِنَّبُ ، وَالزِّبْرُ : الـكَتّانُ ، وأنشد أيضاً :

أَنزعُها تمطيــا وَمَتّا بالمسَد الْمَثْلُوثِ أو يَرْمِثا

فقد بان لك بهذا أن الْمَسَد حبل البئر ، وقد جاء فى صفة جهنم ـ أعاذنا الله منها ـ أنها كَطَىِّ البئر لها قَرْنان ، والْقَرْنَانِ من البئر : كالدِّعامَتَيْن لِلْبَـكَرَةِ ، فقد بان لك بهذا كله ، ماذكره أهل التفسير من صفة عذابها أعاذنا الله من عذابه وأليم عقابه ، وبهذا تناسب الـكلام ، وكثرت معانيه ، وتنزه عن أن يكون فيه حَشْوٌ أو لغو ـ تعالى الله منزله ؛ فإنه كتاب عزيز .

وقول مجاهد : إنها السِّلسلة التى ذَرْعها سبعون ذراعا لاينفى ماتقدم ، إذ يجوز أنَ يَرْبِقَ(١) فى تلك السلسلة أمَّ جميلٍ وغيرها ، فقد قال أبو الدرداء لامرأته : يا أم الدرداء إن لِلّهِ سلسلة تغلى بها مراجلُ جهنم منذ خلق الله النار إلى يوم القيامة ، وقد نجاك الله من نصفها بالإيمان بالله ، فاجتهدى فى النجاة من النصف الآخر بالحض على طعام المساكين ، وكذلك قول مجاهد : إنها

(١) يربقه : يجعل رأسه فى الربقة ، وهى العروة فى حبل يشد به البهم ، وفى الأصل : يريق ولم أهتد إلى ضبط البيت السابق

. . . .

كانت تمشى بالنمائم لاينفى حملها للشوك[١] ، وهو فى كلام العرب سائغ أيضا ، فقد قال ابن الأسلت لقريش حين اختلفوا :

ونُبِّئْتُكم شَرْجَيْنِ[٢] كل قبيلة لها زُمَّل من بينِ مُذْكٍ وحاطب

فالمُذكى الذى يذكى نار العداوة ، والحاطب الذى يَنِمُّ ويغرى كالمحتطب للنار ، ومن هذا المعنى ، وكأنه مُنْتَزَع منه قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم : « لايدخل الجنة قَتَّاتٌ[٣] » والقتات هو الذى يجمع القَتَّ ، وهو مايوقد به النار من حشيش وحطب صغار .

عن الجيد والعنق :

وقوله : فى جيـدها ، ولم يقل : فى عنقها ، والمعروف أن يُذكر العنق إذا ذُكر الغُل ، أو الصَّفع ، كما قال تعالى : ﴿ إنَّا جَعَلْنا فى أعناقهم أغْلَالاً ﴾ يس : ٨ ويذكر الجيد إذا ذُكر الحُلِىُّ أو الحسن ، فإنما حَسُن هٰهنا ذكر الجيد فى حُكم البلاغة ؛ لأنها امرأة ، والنساء تحلى أجيادهن ، وأم جميل لاحُلِىَّ لهـا فى الآخرة إلا الحبل المجعول فى عنقها ، فلما أقيم لهـا ذلك مقام الحلى ذكر الجيد معه ، فتأمله ؛ فإنه معنى لطيف ، ألا ترى إلى قول الأعشى :

يَوْمَ تُبدى لنا قُتَيْلَة عن جِيد

---

(١) فى الأصل : الشرك

(٢) الشرج : الضرب ، يقال : هما شرج واحد أى : ضرب واحد

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى ، والقتات هو النمام ، وقيل هو الذى يتسمع على القوم ، وهم لا يعلمون ، ثم ينم .

. . . .

ولم يقل : عن عنق ، وقول الآخر :

وأحسنُ من عقد المليحة جيدُها

ولم يقل : عنقها ، ولو قاله لكان غَثًّا من الكلام ؛ فإنما يحسن ذكر الجيد حيث قلنا ، وينظر إلى هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بعذابٍ أليم ﴾ آل عِمران: ٢١ أى لا بُشرى لهم إلا ذلك، وقول الشاعر [عَمْرو بن مَعْدى كَرِبَ]:

[وخَيْلٍ قد دَلَفتُ لها بِخَيْلٍ] تَحِيَّةُ بينهم ضَرْبٌ وجيعُ

أى : لا تحية لهم . كذلك قوله : فى جيدها حبل من مسد ، أى : ليس ثَمَّ جيد يُحَلى، إنما هو حبل المسد ، وانظر كيف قال : وامرأتُه ، ولم يقل : وزوجه ؛ لأنها ليست بزوج له فى الآخرة ، ولأن التزويج حِلية شَرْعية ، وهو من أمر الدين يجردها من هذه الصفة ، كما جرد منها امرأة نوح وامرأة لوط ، فلم يقل : زوج نوح ، وقد قال لآدم :﴿ اسْكُنْ أنتَ وزوجُك ﴾ البقرة: ٣٥ وقال لنبيه عليه السلام : (قل لأزواجك) ، وقال : (وأزواجه أمهاتهم) ، إلا أن يكون مساق الكلام فى ذكر الولادة والحمل ، ونحو ذلك ، فيكون حينئذ لفظ المرأة لائقا بذلك الموطن ، كقوله تعالى : ﴿ وكانت امرأتى عاقرا ﴾ مريم : ٥، ٨ ﴿ فأقبلت امرأته فى صَرَّة ﴾ الذاريات : ٢٩ لأن الصفة التى هى الأنوثة هى المقتضية للحمل والوضع لا من حيث كانت زوجا .

غلو فى الوصف بالحسن

فصل : وأنشد شاهدا على الجيد قول الأعشى :

يَوْمَ تُبْدِى لنا قُتَيْلَة عن جِيدٍ أسيلٍ تَزِينُه الأطواقُ

وقوله : تزينه أى : تزيده حسنا ، وهذا من القصد فى الكلام ، وقد أبى

. . . .

المُولَّدُون إلا الغلو فى هذا المعنى ، وأن يغلبوه فقال فى الحماسة حسين بن مُطَير [الأسَدِى] :

مُبَلَّةُ الأطراف زانت عقودَها   بأحْسَنَ مِمَّا زَيّنتها عقودُها

وقال خالد القَسْرِى لعمر بن عبد العزيز : من تكن الخلافةُ زينته ، فأنت زينتها ، ومن تكن شرَّفَته ، فأنت شرَّفتهَا ، وأنت كما قال [مالِكُ ابن أسْماء] :

وتزيدين أطيب الطِّيبِ طِيباً   إن تَمَسِّيه ، أين مثلك أيْنا

وإذا الدُّرُّ زان حُسنَ وجوهٍ   كان لِلدُّرِّ حُسْنُ وجهكِ زَيْنا!

فقال عمر : إن صاحبكم أعطى مَقُولاً ، ولم يُعْطَ مَعْقُولاً ، قال المؤلف : وإنما لَمْ يحْسُن هذا من خالد لما قصد به التملق . وإلا فقد صدر مثل هذا المعنى عن الصِّدِّيق ، فحُسن لما عَضَده من التحقيق والتحرى للحق ، والبعد عن الملق والخلابة ، وذلك حين عهد إلى عُمَرَ بالخلافة ، ودفع إليه عهده مختوما ، وهو لا يعرف مافيه ، فلما عرف مافيه رجع إليه حزينا كهيْئة الثَّكْلى : يقول : حملتنى عِبئاً لا أضطلع به ، وأوردتنى موردا لا أدرى كيف الصَّدَر عنه ، فقال له الصديق : ما آثرتك بها ، ولكنى آثرتها بك ، وما قصدت مَسَاءتك ، ولكن رجوت إدخال السرور على المؤمنين بك ، ومن هٰهنا أخذ الحُطيئة قوله :

ما آثروكَ بها إذ قَدَّموكَ لها   لكن لأنفسهم كانت بها الإثَرُ[1]

---

(١) أنشده اللسان وقال : وكأن الإثر : جمع الإثرة ، وهى الأثرة . وفى الأغانى فى أخبار الحطيئة : أن الحطيئة أنشد هذه القصيدة التى منها هذا البيت حين شفع فيه عمرو بن العاص ، فأخرجه عمر من محبسه ومنها :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ   زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

. . . .

وقدْ سَبَكَ هذا المعنى في النسيب عبدُ الله بن عباس الرومي ، فقال :

وأحسنُ من عِقْدِ المليحةِ جيدُها　　وأحسنُ من سِر بالها المُتَجَرِّدُ

ومما هو دون الغلو ، وفوق التقصير قول الرَّضِيّ :

حَلْيُه جِيـــدُه ، لا ما يُقَلّدهُ　　وكُحْلُه مابعينيه من الـكَحَلِ

ونحو منه ما أنشده الثعالبي :

وما الحَلْيُ إلا حِيلةٌ من نَقِيصَةٍ　　يُتَمِّمُ من حُسْنٍ إذا الحسنُ قَصَّرا

فأما إذا كان الجمال موفرا　　فحسبُك لم يحتج إلى أن يُزَوَّرا

وسمعت القاضي أبا بكر محمد بن العربي يقول: حج أبو الفضل الجوهري الزاهد ذات مرة ، فلما أشرف على الـكعبة ، ورأى ما عليها من الديباج تمثل ، وقال :

ما عُلِّقَ الحَلْيُ على صدرها　　إلا لما يُخْشَى من العَيْن

تقول والدُّرُّ على نَحْرِها　　: مَنْ عَلَّقَ الشَّيْن على الزَّيْنِ

وبيت الأعشى المتقدم بعده :

= وقبل البيت الذي رواه السهيلي :

أنت الإمام الذي من بعد صاحبه　　ألقى إليك مقاليد النهى البشر

وروايته في الإغاني: «كانت بك الإثر » وهي أدق . وللبيت رواية أخرى

ما آثروك بها إذ قدموك لها　　لـكن بها استأثروا إذ كانت الإثر

. . . .

وشَتِيتٍ كالأُقحُوانِ جَلاه　الطَّلُّ فيه عُذوبَةٌ واتِّساقُ

وأثيثٍ جَثْلِ النباتِ تُرَوِّ　ه لَعُوبٌ غَرِيرَةٌ مِفْتاقُ

ـرَةٌ طَفْلَةُ الأناملِ كالدُّمْـ　ـيـةِ لاعَانِسٌ ولا مِهْزَاقُ

الفهر :

وذكر قول أم جميل لأبى بكر : لو وجدت صاحبك لشدخْت رأسه بهذا الفِهر . المعروف فى الفِهر: التأنيثُ ، وتصغيره فُهَيرة ، ووقع ههنا مذكرا (١).

---

(١) فى المعجم الوسيط أنه يذكر ويؤنث ، وهو — كما فى القاموس — الحجر قدر مايدق به الجوز ، أو مايملأ الكف ، ويرى الخشنى فى شرح السيرة أنه يذكر ويؤنث ، واسم امرأة أبى لهب : أروى . ويقول المصعب فى نسب قريش أن أبا لهب كان يكنى بأسماء بنيه كلهم وهم عتبة ومعتب وعتيبة ، وكنى بأبى لهب لإشراق وجهه ، وكل أولاده من أم جميل التى يقول فيها الأحوص الشاعر الأنصارى :

كل الحبال حبال الناس من شعر　وحبلها وسط أهل النار من مسد

وقال ابن كثير : « وكانت عونا لزوجها على كفره وجحوده وعناده : فلهذا تكون يوم القيامة عونا عليه فى عذابه فى نار جهنم » . وعن مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والثورى والسدى ـ واختاره ابن جرير ـ أنها كانت تمشى بالنميمة ، وقال سعيد بن المسيب : كانت لها قلادة فاخرة . فقالت : لأنفقنها فى عداوة محمد — يعنى ، فأعقبها الله منها حبلا فى جيدها من مسد النار ، وقيل : إنها كانت عوراء وقد روى حديث مجيئها إلى رسول الله وأبى بكر وعدم رؤيتها للنبى « ص » البزار بسنده عن ابن عباس ، وروى قريبا منه ابن أبى حاتم بسنده عن أسماء . وقد تحقق ما أخبر به الله . فلم يؤمن أبو لهب وامرأته . وأبيات شعرها : « مذمما الخ » مروة فى كتب أخرى مختلفة الترتيب عما هنا وأخرج ابن أبى حاتم عن عثمان وابن عمر قالا : مازلنا نسمع أن ويل لكل همزة نزلت فى أبى بن خلف ، وأخرج عن السدى أنها نزلت فى الأخنس بن شريق ، وأخرج ابن جرير عن

حول قولهم : مذمم وحديث خباب :

وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا ترون إلى ما يدفع الله عنى من أذى قريش ، يشتمون ويهجونَ مَذَمَّما وأنا محمد ؟ ! ، وأدخل النَّسوِىُّ هذا الحديثَ فى كتاب الطلاق فى باب : « من طلق بكلام لايشبه الطلاق، فإنه غير لازم » وهو فقه حسن لقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم : ألا ترون إلى مايدفع الله عنى ، فجعل أذاهم مصروفا عنه ، لما سَبُّوامُذَمَّماً ،ومُذَمَّماً لا يشبه أن يكون اسماله ، فكذلك إذا قال لها : كلى واشربى ، وأراد به الطلاقَ لم يلزمه . وكان مصروفا عنه ؛ لأن مثل هذا الكلام لايشبه أن يكون عبارة عن الطلاق .

فصل : وذكر حديث خَبَّاب[1] مع العاصى بن وائل ، وما أَنْزَلَ اللهُ فيه من قوله : ﴿ أَرَأَيْتَ الذى كَفَر بآياتنا ﴾ وقد تقدم الكلامُ على : أرأيت ، وأنه لايجوز أن يليها الاستفهام ، كما يلى : علمت ونحوها ، وهى هُهُنا : عاملة فى الذى كفر ، وقد قدمنا من القول فيها مايغنى عن إعادته ههنا ، فلينظر فى سورة : اقرأ ، وحديث نزولها .

سد الذرائع :

فصل : وذكر قول أبى جهل لتكفن عن سب آلهتنا أو لَنَسُبَّن إلٰهك ، فأنزل الله تعالى[2] ﴿ ولاَتَسُبُّوا الذينَ يَدْعون من دون الله فَيَسُبُّوا الله

= رجل من أهل الرقة أنها نزلت فى جميل بن عامر الجمحى، وقد روى ابن المنذر عن ابن إسحاق أنها فى حق أمية كما فى السيرة .

(١) حديث خباب أخرجه الشيخان والترمذى وأحمد .

(٢) نسب إلى على بن أبى طالب أنه روى عن ابن عباس أن الذى اقترف =

. . . .

عَدْوا بغير عِلْمٍ﴾ « الأنعام : ١٠٨ » الآية . وهذه الآية أصل عند المالكية في إثبات الذرائع ومراعاتها في البيوع وكثير من الأحكام ، وذلك أن سب آلهتهم كان من الدين ، فلما كان سببا إلى سبهم الباري – سبحانه – نهى عن سب آلهتهم ، فكذلك ما يخاف منه الذريعةُ إلى الربا ، ينبغي الزجر عنه ، ومن الذرائع مايقرب من الحرام ، ومنها مايبعد فتقع الرخصة والتشديد على حسب ذلك ، ولم يجعل الشافعي الذريعة إلى الحرام أصلا ، ولا كره شيئا من البيوع التي تُتَّقى فيها الذريعةُ إلى الربا ، وقال : تهمة المسلم وسوء الظن به حرام ، ومن حجتهم : قول عمر بن الخطاب : إنما الربا على من قصد الربا ، وقول النبي عليه السلام : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء مانوى[1] » فيه أيضا متعلَّق لهم ، وقالوا : ونهيه تعالى عن سب آلهتهم ، لئلا يُسَبّ الله تعالى ليس من هذا الباب ؛ لأنه لا تهمة فيه لمؤمن ولا تضييق عليه ، وكما تُتَّقى الذريعةُ

—— هذا إنما هم جماعة من المشركين لا أبو جهل وحده . وذكر عبد الرازق أن المسلمين هم الذين كانوا يسبون أصنام الكفار . فيسب الكفار الله عدوا . والآية تفيد ذلك

(١) زعم البعض أن هذا الحديث متواتر . وهذا خطأ إذ لم يروه عن النبي « ص » إلا عمر . ولم يروه عن عمر إلا علقمة ، ولم يروه عن علقمة إلا محمد ابن إبراهيم ولم يروه عنه إلا يحيى بن سعيد الأنصاري ، وعنه انتشر . فقيل رواه عنه أكثر من مائتي راو . وقيل : سبعمائة . من أعيانهم : مالك والثوري والأوزاعي والليث بن سعد وغيرهم . وقد روى هذا الحديث البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد والدارقطني وابن حبان والبيهقي . ولم يخرجه مالك في الموطأ . ولكن ابن منده يزعم أن أكثر من صحابي رواه غير أنه اتفق على أنه لا يصح مسندا إلا من رواية عمر .

. . . .

إلى تحليل ما حرم الله ، فكذلك ينبغى أن يُتقى تحريمُ ما أحل الله ، فكلا الطرفين ذميم ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، والربا معلوم، فما ليس من الربا فهو من البيع ، والكلام فى هذه المسألة للطائفتين ، والاحتجاج للفريقين يتسع مجالُه ويصدنا عن مقصودنا من الكتاب[١] .

---

(١) فصل الإمام ابن تيمية القول تفصيلا فى هذه المسألة فى كتابه القيم « إقامة الدليل على إبطال التحليل » المطبوع مع مجموعة فتاويه فقال : « إن الله سبحانه ورسوله سد الذرائع المفضية إلى المحارم بأن حرمها ، ونهى عنها .

والذريعة : ما كان وسيلة وطريقا إلى الشىء ، لكن صارت فى عرف الفقهاء عبارة عما أفضت إلى فعل محرم ، ولو تجردت عن ذلك الإفضاء لم يكن فيها مفسدة ، ولهذا قيل : الذريعة : الفعل الذى ظاهره أنه مباح ، وهو وسيلة إلى فعل المحرم ، أما إذا أفضت إلى فساد ليس هو فعلا كإفضاء شرب الخمر إلى السكر ، وإفضاء الزنا إلى اختلاط المياه . أو كان الشىء نفسه فسادا كالقتل والظلم فهذا ليس من هذا الباب ، فإنا نعلم أنما حرمت الأشياء لكونها فى نفسها فسادا بحيث تكون ضررا لا منفعة فيه ، أو لكونها مفضية إلى فساد بحيث تكون هى فى نفسها فيها منفعة ، وهى مفضية إلى ضرر أكثر منه ، فتحرم فان كان ذلك الفساد فعل محظور سميت: ذريعة ، وإلا سميت سببا ومقتضيا ، ونحو ذلك من الأسماء المشهورة .

ثم هذه الذرائع إذا كانت تفضى إلى المحرم غالبا ، فإنه يحرمها مطلقا ، وكذلك إن كانت قد تفضى ، وقد لا تفضى ، لكن الطبع متقاض لإفضائها ، وأما إن كانت إنما تفضى أحيانا ، فإن لم يكن فيها مصلحة راجحة على هذا الإفضاء القليل ، وإلا حرمها أيضاً ، ثم هذه الذرائع منها ما يفضى إلى المكروه بدون قصد فاعلها ، ومنها ما تكون إباحتها مفضية للتوسل بها الى المحارم ، فهذا القسم الثانى يجامع الحيل بحيث قد يقترن به الاحتيال تارة ، وقد لا يقترن. كما أن

. . . .

عن النضر بن الحارث ورستم :

فصل : حديث النضر بن الحارث ، وقال فى نسبه : كَلَدة بن علقمة وغيره من النُسَّاب يقول : علقمة بن كلدة[1] ، وكذلك ألفيته فى حاشية كتاب الشيخ

= الحيل قد تكون بالذرائع ،وقد تكون بأسباب مباحة فى الأصل ليست ذرائع ، فصارت الأقسام ثلاثة :

الأول : ما هو ذريعة وهو مما يحتال به كالجمع بين البيع والسلف ، وكاشتراء البائع السلعة من مشتريها بأقل من الثمن تارة ، وبأكثر أخرى .

الثانى : ماهو ذريعة لا يحتال بها كسب الأوثان . فانه ذريعة إلى سب الله تعالى ، وكذلك سب الرجل والد غيره فإنه ذريعة إلى أن يسب والده ، وإن كان هذان لا يقصدهما مؤمن .

الثالث : ما يحتال به من المباحات فى الأصل كبيع النصاب فى أثناء الحول فرارا من الزكاة ، وكإغلاء الثمن لإسقاط الشفعة .

والغرض هنا أن الذرائع حرمها الشارع ، وإن لم يقصد بها المحرم خشية إفضائها إلى المحرم ، فاذا قصد بالشىء نفس المحرم كان أولى بالتحريم من الذرائع . وللشريعة أسرار فى سد الفساد ، وحسم مادة الشر لعلم الشارع بما جبلت عليه النفوس ، وبما يخفى على الناس من خفى هداها الذى لايزال يسرى فيها حتى يقودها إلى الهلكة . فمن تحذلق على الشارع ، واعتقد فى بعض المحرمات أنه إنما حرم لعلة كذا ، وتلك العلة مقصودة . فستباحه بهذا التأويل . فهو ظلوم لنفسه ، جهول بأمر ربه . وهو إن نجا من الكفر ، لم ينج غالبا من بدعة أو فسق أو قلة فقه فى الدين ، وعدم بصيرة . أما شواهد هذه القاعدة فأكثر من أن تحصر ، فنذكر منها ما حضر ، ثم أتى الإمام بثلاثين شاهدا أو دليلا على هذا استغرقت ست صفحات . فانظرها فى كتابه ص ٢٥٦ ومابعدها حـ ٣ الفتاوى الكبرى لأبى العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى نشر دار الكتب الحديثة .

(١) ورد نسبه هكذا فى نسب قريش فى ص ٢٥٥ .

. . . .

أبى بحر عن أبى الوليد ، وحديث النضر : أنه تعلم أخبار رستم واسبندياذ ، وكان يقول : اكتتبتها كما اكتتبها محمد ، ووقع فى الأصل : اكتتبها كما اكتتبها محمد، وفى الرواية الأخرى عن أبى الوليد : اكتتبتها[1] كما اكتتبها ، ورستم الشيد[2] بالفارسية معناه : ذو الضياء ، والياء فى الشيد والألف سواء ، ومنه « أرنخشاذ » وقد تقدم شرحه ، ومنه «جم شاذ» ، وهو من أول ملوك «الأرض ، وهو الذى قتله الضحاك « بيوراسب » ، ثم عاش إلى مدة «أفريذون وأبيه جم » ، وبين « أفريذون » وبين « جم » تسعة آباء ، وقال له حين قتله : ما قتلتك بجم ، وما أنت له بكفء ، ولكن قتلتك بثور كان فى داره ، وقد تقدم طرف من أخبار رستم واسبندياذ فى الجزء قبل هذا .

حديث ابن الزبعرى وعزير :

وذكر حديث ابن الزِّبَعْرَى ، وقوله : إنا نعبد الملائكة ، وأن النصارى تعبد المسيح إلى آخر كلامه ، وما أنزل الله فى ذلك من قوله تعالى : ﴿إن الذين سَبَقَتْ لهم مِنَّا الْحُسْنَى﴾ الآية قال المؤلف : ولو تأمل ابنُ الزِّبَعْرَى وغيرُهُ من كفار قريش الآية لرأى اعتراضه غير لازم من وجهين :

---

(١) فى السيرة التى معى : رواية أبى الوليد .

(٢) فى السيرة : الشديد . هذا ويذكر ابن جرير أن النبى « ص » قتل عقبة بن أبى معيط ، وطعمة بن عدى والنضر بن الحارث يوم بدر صبرا ، وأن المقداد هو الذى أسر النضر ، فلما أمر الرسول بقتله ، قال المقداد : يا رسول الله أسيرى ، فقال رسول الله «ص» إنه كان يقول فى كتاب الله مايقول. هذا والمحضأ: ماتحرك به النار ، واحتضأ النار : ألهبها وسعرها .

. . . .

أحدهما : أنه خطاب متوجه على الخصوص لقريش وعبدة الأصنام ، وقولُه إنا نعبد الملائكة حَيْدةٌ ، وإنما وقع الكلام والمُحاجَّة فى اللاَّت والْعُزَّى وُهبَل ، وغير ذلك من أصنامهم .

والثانى : أن لفظ التلاوة : ﴿إنكم وماتعبدون﴾ ولم يقل : وَمَنْ تعبدون ، فكيف يلزم اعتراضه بالمسيح وعُزَيْر والملائكة وهم يعقلون ، والأصنامُ لاتعقل ، ومن ثَمَّ جاءت الآية بلفظ : ما الواقعة على مالا يعقل ، وإنما تقع ما على مايعقل،وتُعلم بقرينةمن التعظيم والإبهام ، ولعلنا نشرحها ونبينها فيما بعد إن قُدر لنا ذلك ، وسبب عبادة النصارى المسيح معروف ، وأما عبادة اليهود عُزَيْرًا ، وقولهم فيه : إنه ابن الله سبحانه وتعالى عن قولهم ، وسببه فيما ذكر عبد بن حميد الْكَشِّى ، أن التوراة لما احْتَرَقَتْ أيام بُخْتَ نَصَّر(١) ، وذهب بذهابها دين اليهود ، فلما ثاب إليهم أمرهم وجدوا لفقدها أعظم الكرب ، فبينما عزيز يبكى لفقد التوراة ، إذ مر بامرأة جاثمة على قبر قد نشرت شعْرَها ، فقال لها عزير : من أنت ؟ قالت : أنا إيليا أم القرى أبكى على ولدى ، وأنت تبكى على كتابك ، وقالت له : إذا كان غداً . فأت هذا المكان ، فلما أن جاء من الغد للساعة التى وعدته ، إذا هو بإنسان خارج من الأرض فى يده كهيئة

---

(١) ضبط كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة بخت نصر فتح الباء وضم التاء . والمعروف المشهور ماضبطه به، يقول شهاب الدين أحمد الخفاجى فى شفاء الغليل عن بختنصر إنه بضم الباء ، واسمه معرب مركب كحضرموت أو بعلبك نص عليه سيبويه . وهو عند ابن السيد معرب بوخت بمعنى : ابن ، ونصر : اسم صنم وجد عنده ، وسمى به إذ لم يعرف له أب .

. . . .

القارورة ، فيها نور ، فقال له : افتح فاك ، فألقاها فى جوفه ، فكتب عُزَيْرٌ التوراةَ — كما أنزلها الله ، ثم قدر على التوراة بعد ما كانت دفنت أن ظهرت ، فعرضت التوراةُ ، وما كان عزيرٌ كَتَب ، فوجدوه سواء ، فمنها قالوا : إنَّه ولدُ الله تعالى عن ذلك[1].

حصب جهنم :

وقوله حَصَبُ جهنم ، هو من باب الْقَبَض والنَّفَض[2] والْحَصْبُ بِسكون الصاد كالقَبْضِ والنفْضِ ، ومنه الحاصب فى قوله سبحانه : ﴿ أنْ يرسِل عليكم حاصِباً ﴾ ويروى: حَضَب جهنم بضاد معجمة فى شواذ القراءات ، وهو من حضبت النار[3] بمنزلة حَضأْتها ، يقال : أرَّثتها وأثقبتها وحَشَشْتها وأذْكيتها وفسر ابن إسحٰق قوله: يصُدُّون، ومن قرأ : يصِدُّون فمعناه : يعجبون[4].

(١) لا شك فى أنها فرية يهودية . فعزرا الكاهن اليهودى الأكبر هو الذى عبث بالتوراة أيام الأسر ، ودس فيها مادس بعد أن أحرقت ، وراح هو يمليها من حفظه وهواه . وذلك بشهادة كبار مؤرخى الغرب مثل « ول . ديورانت »

(٢) يعنى أنه فعل « بفتح الفاء والعين» بمعنى مفعول ، فالنفض بمعنى منفوض وحصب وقبض كذلك. يقول الأزهرى: « الحصب : الحطب الذى يلقى فى تنور أو فى وقود . أما مادام غير مستعمل للسجور ، فلا يسمى حصبا»

(٣) فى اللسان : الحضب : الحطب فى لغة اليمن ، وقيل : هو كل ما ألقى فى النار من حطب وغيره، يهيجها به، وحضب النار يحضبها : رفعها . وقال الكسائى حضبت النار إذا خبت، فألقيت عليها الحطب ، لتقد . والمحضب : المسعر ، وهو عود تحرك به النار .

(٤) قراءة المصحف بكسر الصاد أى يصيحون فرحا . وقرأ نافع وابن عامر والكسائى بضم الصاد وهو من الصدود أى عن الحق ، وقيل : هما لغتان مثل يعكف ويعكف بكسر عين الفعل وضمها ، وقد أخرج حديث ابن الزبعرى=

. . . .

ما نزل فى الأخنس :

فصل : وذكر ما أنزل الله تعالى فى الأخنس بن شَرِيق ـ واسمه : أبى من قوله تعالى : ﴿ عُتُلٍّ بعد ذلك زنيم ﴾ وقد قيل : نزلت فى الوليد بن المغيرة ، وقد قيل: فى الأسود بن عبد يغوث الزهرى ، وقال ابن عباس : نزلت فى رجل من قريش له زَنَمتَان كزَنَمَتَى الشاة . رواه البخارى بإسناده عنه [٦]. وفى رواية أخرى أنه قال : الزنيم الذى زَنَمتَان من الشر يعرف بها ، كما تعرف الشاة بزنمتها ، وروى عن ابن عباس أيضا مثل ماقال ابن إسحق أن الزنيم الملصق بالقوم ، وليس منهم ، قال ذلك بن الأزرق الحَرُورى ، وقال : أما سمعت قول

=ابن مردويه. وعند ابن أبى حاتم أنها نزلت لما قال المشركون: فالملائكة وعزيز وعيسى يعبدون ، وروى الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس فى سبب نزول: « ولما ضرب ابن مريم مثلا » أنه قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر قريش إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير ، وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى بن مريم: عليهما الصلاة والسلام . وما تقول فى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا: يا محمد. ألست تزعم أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان نبيا وعبدا من عباد الله صالحا ، فان كنت صادقا كان آلهتهم كما يقولون قال: فأنزل الله عز وجل: « ولما ضرب ابن مريم مثلا » . الآية . ورواه ابن أبى حاتم مع اختلاف يسير .

(٦) رواه البخارى فى باب التفسير : « له زنمة مثل الشاة » وأخرجه الحاكم بطريق أخرى نحوه

(٧) نسبة إلى حروراء موضع على ميلين من الكوفة . وكان أول اجتماع الخوارج به ، فنسبوا إليه، منهم : عمران بن حطان وخلق كثير . وهذا النسب شاذ فان الاسم الذى آخره همزة بعد ألف للتأنيث ، تقلب الهمزة فيه واوا، وشذ عن القاعدة عدة أسماء منها : صنعانى وبهرانى وروحانى، وجلولى وحرورى نسبة إلى صنعاء ، وبهراء قبيلة من قضاعة ، وروحاء موضع قرب المدنية وجلولاء وحروراء وهما موضعان بالعراق ، وسيأتى

. . . .

حَسَّان : زنيم تداعاه الرجال[1] البيت ، وقد أنشد ابنُ هشام هذا البيت مستشهداً به ونسبه لِلْخَطِيم التَّمِيمِيّ ، والأعرف أنه لحسان ، كما قال ابن عباس[2]، وأما العُتُلُّ فهو الغليظ الجافى من قوله تعالى : ﴿ خُذُوه فاعْتِلُوه [إلى سَوَاءِ الجَحِيم] ﴾ الدخان: ٤٧ . وقال عليه السلام : « أنا أنبئكم بأهل النار: كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظ مستكبر جَمَّاع مَنَّاع » (٣).

---

(١) قال أبو عبيدة : الزنيم المعلق فى القوم ليس منهم ،قال الشاعر : زنيم ليس يعرف من أبوه . وقال حسان : وأنت زنيم ليط فى آل هاشم .قال:ويقال للتيس:زنيم له زنمتان ص ٥٣٨ جـ ٨ فتح البارى . ومعنى حديث البخارى أن الرجل كان مشهورا بالسوء كشهرة الشاة ذات الزنمة من بين أخواتها . وبقية بيت حسان : « كما نيط خلف الراكب القدح الفرد » وبقية بيت: « زنيم ليس يعرف » بغى الأم ذو حسب لئيم .

(٢) روى ابن أبى حاتم بسنده عن ابن عباس فى قوله زنيم : قال : الدعى الفاحش اللئيم ، ثم قال ابن عباس: « زنيم تداعاه الرجـــال » البيت . ويقول ابن كثير قولا جامعا، « والأقوال فى هذا — أى فى معنى زنيم — كثيرة وترجع إلى ما قلناه، وهو أن الزنيم هو المشهور بالشر الذى يعرف به من بين الناس ، وغالبا يكون دعيا ولدزنا ، فإنه فى الغالب يتسلط الشيطان عليه،مالا يتسلط على غيره » والزنمة:شىء يكون للمعز فى آذانها كالقرط ، وهى أيضاً شىء يقطع من أذن البعير ويترك معلقاً .

(٣) فى رواية أحمد عن وكيع: « ألا أنبئكم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر » وقال وكيع : « كل جواظ جعظرى مستكبر » أخرجاه فى الصحيحين وبقية الجماعة إلا أبا داود من حديث سفيان الثورى وشعبة ، كلاهما عن سعيد ابن خالد به ، ورواه أحمد بسند تفرد به عن عمرو بن العاص أن النبى « ص » قال عند ذكر أهل النار : « كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع » ورواه بسند

. . . .

قل يأيها الكافرون:

فصل : وذكر قولهم الذى أنزل الله فيه : ﴿ قل : يأيُّها الـكافرون ﴾ إلى آخرها فقال : ﴿ لا أعبد ماتعبدون ﴾ أى: فى الحال : ﴿ ولا أنا عابد ماعبدتم ﴾ أى:فى المستقبل ، وكذلك : ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ فإن قيل : كيف يقول لهم : ولا أنتم عابدون ما أعبد ، وهم قد قالوا : هَلُمَّ فلنعبد ربك ، وتعبد ربنا ، كيف نفى عنهم ما أرادوا وعزموا عليه ؟ فالجواب من وجهين :

آخر عن عبد الرحمن بن غنم : أن الرسول « ص » قال عن العتل الزنيم : « الشديد الخلق المصحح الأكول الشروب الواجد للطعام والشراب،الظلوم للناس رحيب الجوف » . الجعظرى بفتح الجيم وسكون العين وفتح الظاء وكسر الراء وتشديد الياء : الفظ الغليظ والجواظ بفتح الجيم وتشديد الواو : الضخم المختال والـكثير الـكلام والجلبة فى الشر .

ويقول ابن كثير عما ذكر من سبب نزول : « ويوم يعض الظالم على يديه »: « وسواء أكان سبب نزولها فى عقبة أو غيره فإنها عامة فى كل ظالم ، فـكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم ، ويعض على يديه » وهو قول جميل ، وقيل : إن العظيمين فيما جاء فى السيرة من سبب نزول : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » إنهما الوليد بن المغيرة وكنانة بن عبد عمرو بن عمير الثقفى . وعن ابن عباس أنهم يعنون جبارا من جبابرة قريش . والقريتان هما : مكة والطائف . وجميل قول ابن كثير : « والظاهر أن مرادهم رجل كبير من أى البلدتين كان » وجميل منه أيضاً أن يقول عن سبب نزول : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه » « هى عامة فى كل من أنـكر البعث واللام والألف فى الإنسان للجنس يعم كل منـكر للبعث » فقد اختلف فى شأن سبب نزولها فابن أبى حاتم ينسب القصة إلى العاصى بن وائل،وذكر ابن جرير من بين ما ذكر أنه عبد الله ابن أبى،غيرأن هذا منـكر؛لأن ابن أبى مدنى والآية مكية

. . . .

أحدهما : أنه علم أنهم لا يفعلون، فأخبر بما علم . الثانى : أنهم لو عبدوه على الوجه الذى قالوه ما كانت عبادة ، ولا يسمى عابداً لله من عبده سنةً ، وعبد غيره أخرى ، فإن قيل : كيف قال: ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ ولم يقل : من أعبد ، وقد قال أهل العربية: إن ما تقع على ما لا يعقل ، فكيف عبّر بها عن البارى تعالى؟ فالجواب : أنا قد ذكرنا فيما قبل أن ما قد تقع على من يعقل بقرينة ، فهذا أوان ذكرها ، وتلك القرينة : الإبهام والمبالغة فى التعظيم والتفخيم ، وهى فى معنى الإبهام(١) لأن مَنْ جلّت عظمته ، حتى خرجت عن الحصر ، وعجزت الأفهام عن كُنه ذاته ، وجب أن يقال فيه : هو ما هو كقول العرب: سُبْحَان ما سبَّح الرعدُ بحمده ، ومنه قوله : ﴿ والسماء وما بناها ﴾(٢) فليس كونه عالما مما يوجب له من التعظيم ما يوجب له أنه بنى السموات، ودحا الأرض ، فكان المعنى: إنه

---

(١) ما : اسم مبهم غاية الإبهام حتى إنها تقع على كل شىء ، وتقع على ما ليس بشىء . فيجوز أن تقول: إن الله يعلم ما كان ، وما لم يكن

(٢) ويقول ابن القيم عن هذا: «لأن القسم تعظيم للمقسم به ، واستحقاقه للتعظيم من حيث ما أظهر هذا الخلق العظيم الذى هو السماء . ومن حيث سواها وزينها بحكمته ، فاستحق التعظيم . وثبتت قدرته ، فلو قال : ومن بناها لم يكن فى اللفظ دليل على استحقاقه القسم من حيث اقتدر على بنائها ، ولكان المعنى مقصورا على ذاته ونفسه ، دون الإيماء إلى أفعاله الدالة على عظمته المبنئة عن حكمته ، المفصحة باستحقاقه للتعظيم من خليقته . وكذلك قولهم: سبحان ما يسبح الرعد بحمده ، لأن الرعد صوت عظيم من جرم عظيم ، والمسبح به لا محالة أعظم ، فاستحقاقه للتسبيح من حيث يستحقه العظيمات من خلقه ، لا من حيث كان يعلم ، ولا تقل يعقل فى هذا الموضع» .

. . . .

شيئاً بناها لَعظيم ، أو ماأعظمه من شىء ! فلفظ مافى هذا الموضع يؤذن بالتعجب من عظمته كائناما كان هذا الفاعل لهذا ، فما أعظمه، وكذلك قوله تعالى فى قصة آدم : ﴿ مامَنَعَكَ أنْ تَسْجُد لما خَلَقْتُ بِيَدىَّ ﴾[1] ولم يقل : لمن خلقت ، وهو يَعْقِل ، لأن السجودَ لم يجب له من حيث كان يعقل ، ولا من حيث كان لايعقل ، ولـكن من حيث أُمروا بالسجود له ، فـكائناً ما كان ذلك المخلوق ، فقد وجب عليهم ما أمروا به ، فمن هاهنا حَسُنت مافى هذا الموضع ، لامن جهة التعظيم له ، ولـكن من جهة مايقتضيه الأمر من السجود له، فـكائنا من كان ، وأما قوله تعالى : ﴿ لا أَعْبُدُ ماتَعْبُدُون ﴾ فواقِعةٌ على مالا يعقل ؛ لأنهم كانوا

---

(١) ويقول ابن القيم عن استعمال ما فى الآيه : «هذا كلام ورد فى معرض التوبيخ والتبكيت للعين على امتناعه عن السجود ، ولم يستحق هذا التبكيت والتوبيخ حيث كان السجود لمن يعقل ، ولـكن للمعصية والتكبر على مالم يخلقه ؛ إذ لا ينبغى التكبر لمخلوق على مثله ، إنما التكبر للخالق وحده ، فكأنه يقول سبحانه : لم عصيتنى وتكبرت على ما لم تخلقه ، وخلقته أنا وشرفته ، وأمرتك بالسجود له ؟ فهذا موضع ما، لأن معناها أبلغ ولفظها أعم ، وهو فى الحجة أوقع، وللعذر والشبهة أقطع ، فلو قال : ما منعك أن تسجد لمن خلقت ، لكان استدها مجردا من توبيخ وتبكيت ، ولتوهم أنه وجب السجود له من حيث كان يعقل والعلة موجودة فى ذاته وعينه ، وليس المراد كذلك ، وإنما المراد توبيخه وتبكيته على ترك سجوده لما خلق الله وأمره بالسجود له ؛ ولهذا عدل عن اسم آدم العلم مع كونه أخص ، وأتى بالاسم الموصول الدال على جهة التشريف المقتضية لإسجاده له وهو كونه خلقه بيديه ، وأنت لو وضعت مكان ما لفظة من لما رأيت هذا المعنى المذكور فى الصلة ، وأن ما جىء بها وصلة إلى ذكر الصلة . فلا معنى إذن للتعيين بالذكر ؛ إذ لو أريد التعيين لكان بالاسم العلم أولى وأحرى .

. . . .

يعبدون الأصنام، وقوله: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ اقتضاها الإبهام، وتعظيم المعبود مع أن الحس منهم مانع لهم أن يعبدوا معبوده كائنا ما كان ، فحسنت ما فى هذا الموضع لهذه الوجوه ، فبهذه القرائن يحسن وقوع ما على أولى العلم[1] وبقيت نكتة بديعة يتعين التنبيه عليها ، وهو قوله تعالى : ﴿ ولا أنا عابدٌ ما عبدتم ﴾ بلفظ الماضى ، ثم قال : ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ بلفظ المضارع فى الآيتين جميعاً، إذا أخبر عن نفسه قال : ما أعبد ، ولم يقل : ما عبدت ، والنكتة فى ذلك أن ما لما فيها من الإبهام ـ وإن كانت خبرية ـ تعطى معنى الشرط ، فكأنه

---

(١) يعبر ابن القيم عن « ما » فى قوله: «لا أعبد ما تعبدون» ما على بابها ، لأنها واقعة على معبوده « ص » على الإطلاق ؛ لأن امتناعهم من عبادة الله ليس لذاته ، بل كانوا يظنون أنهم يعبدون الله ، ولكنهم كانوا جاهلين به ، فقوله : «ولا أنتم عابدون ما أعبد» أى : لا أنتم تعبدون معبودى ، ومعبوده هو « ص » كان عارفا به دونهم ، وهم جاهلون به . . . وقال بعضهم : إن ما هنا مصدرية لا موصولة . أى : لا تعبدون عبادتى ، ويلزم من تنزيههم « لعلها تبرئته بدليل ما سيأتى » عن عبادته . تنزيههم « لعلها كالسابقة » عن المعبود. لأن العبادة متعلقة به ، وليس هذا بشىء ؛ إذ المقصود براءته من معبوديهم وإعلامه أنهم بريئون من معبوده تعالى ، فالمقصود : المعبود لا العبادة ، ثم قال « وعندى وجه : وهو أن المقصود هنا ذكر المعبود الموصوف بكونه أهلا للعبادة مستحقا لها ، فأتى بما الدالة على هذ المعنى ، كأنه قيل : ولا أنتم عابدون معبودى الموصوف بأنه المعبود الحق ، ولو أتى بلفظة من لكانت إنما تدل على الذات فقط ، ويكون ذكر الصلة تعريفا ، لا أنه هو جهة العبادة ، ففرق بين أن يكون كونه تعالى أهلا لأن يعبد تعريف محض ، أو وصف مقتض لعبادته . . وهذا معنى قول محققى النحاة أن ما تأتى لصفات من يعلم ص ١٣٣ حـ ١ بدائع الفوائد لابن القيم وما بعدها . وقد ذكر وجوها أخرى عظيمة أيضاً

. . . .

قال : مهما عبدتم شيئا ، فإنى لا أعبده ، والشرط يحول المستقبل إلى لفظ الماضى ، تقول : إذا قام زيد غداً فعلت كذا ، وإن خرج زيد غداً خرجت ، فما : فيها رائحة الشرط من أجل إبهامها ؛ فلذلك جاء الفعل بعدها بلفظ الماضى ، ولا يدخل الشرط على فعل الحال ، ولذلك قال فى أول السورة : ماتعبدون ؛ لأنه حال لأن رائحة الشرط معدومة فيها مع الحال ، وكذلك رائحة الشرط معدومة فى قوله : عابدون ماأعبد ؛ لأنه ـ عليه السلام ـ يستحيل أن يتحول عن عبادة ربه ؛ لأنه معصوم ، فلم يستقم تقديره بمهما ، كما استقام ذلك فى حقهم ؛ لأنهم فى قبضة الشيطان يقودهم بأهوائهم ؛ فجاز أن يعبدوا اليوم شيئاً ، ويعبدوا غداً غيره ، ولكن مهما عبدوا شيئاً ، فالرسول عليه السلام لايعبده ؛ فلذلك قال : ولا أنتم عابدون ما أعبد فى الحال وفى المآل ، لما علم من عصمة الله له ، ولما علم الله من ثبوته على توحيده ، فلا مدخل لمعنى الشرط فى حقه عليه السلام ، وإذا لم يدخل الشرط فى الكلام بقى الفعل المستقبل على لفظه ، كما تراه ، ونظير هذه المسألة قوله تعالى : ﴿ كيف نُكَلِّمُ مَنْ كان فى المهد صبيا ﴾ اضطربوا فى إعرابها وتقديرها لما كانت من بمعنى الذى ، وجاء بكان على لفظ الماضى ، وفهمها الزجاج ، فأشار إلى أن مَنْ فيها طرفٌ من معنى الشرط ؛ ولذلك جاءت كان بلفظ المضى بعده ، فصار معنى الكلام : من يكن صبياً ، فكيف يكلم ؟! لما أشارت إلى الصبى : أنْ كلِّموه ، ولو قالوا : كيف نكلِّم من هو فى المهد الآن لكان الإنكار والتعجب مخصوصا به ، فلما قالوا : كيف نكلم من كان ، صار الكلام أبلغ فى الاحتجاج للعموم الداخل فيه . إلى هذا الغرض أشار أبو إسحاق ، وهو الذى أرادَ ، وإن لم يكن هذا لفظه ، فليس المقصود العبارات ،

. . . .

وإنما المقصود تصحيح المعانى المتلقاة من الألفاظ والإشارات[1] .

الزقوم :

فصل : وذكر حديث أبى جهل حين ذكر شجرة الزَّقُّوم[2] يقال : إن هذه الكلمة لم تكن من لغة قريش، وأن رجلا أخبره أن أهل يثرب : يقولون تَزَقَّمت : إذا أكلت التمر بالزبد ، فجعل بجهله اسم الزقوم من ذلك استهزاء ، وقيل : إن لهذا الاسم أصلا فى لغة اليمن ، وأن الزقوم عندهم كل مايتقيأ منه . وذكر أبو حنيفة فى النبات : أن شجرة باليمن يقال لها : الزقوم ، لاورق لها وفروعها أشبه شيء برءوس الحيات ، فهى كريهة المنظر ، وفى تفسير ابن سلام

---

(١) أخذ ابن القيم ما قاله السهيلى وفصله بأسلوب أوضح فى بدائع الفوائد . ثم قال : « فإن قيل : وكيف يكون فيها الشرط ، وقد عمل فيها الفعل ، ولا جواب لها ، وهى موصولة ، فما أبعد الشرط منها ، قلنا : لم نقل : إنها شرط نفسها ، ولكن فيها رائحة منه ، وطرف من معناه لوقوعها على غير معين ، وإبهامها فى المعبودات وعمومها ، وأنت إذا ذقت معنى هذا الكلام وجدت معنى الشرط باديا على صفحاته ، فإذا قلت لرجل ما تخالفه فى كل ما يفعل : أنا لا أفعل ما تفعل . ألست ترى معنى الشرط قائما فى كلامك وقصدك ، وأن روح هذا الكلام : مهما فعلت من شيء فإنى لا أفعله » . ثم قال : « فإذا ثبت هذا فقد صحت الحكمة التى من أجلها جاء الفعل بلفظ الماضى من قوله : ولا أنا عابد ما عبدتم ، بخلاف قوله : (ولا أنتم عابدون ما أعبد) لبعد ما فيها عن معنى الشرط تنبيها من الله على عصمة نبيه أن يكون له معبود سواه . وأن ينتقل فى المعبودات تنقل الكافرين » ص ١٣٦ ج ١ بدائع الفوائد . وقد استوفى القول فى بدائع السورة العظيمة بأسلوب بديع رحمه الله

(٢) يقول ابن كثير « لا شك فى دخوله — أى دخول أبى جهل - فى هذه الآية ، ولكن ليست خاصة به » .

. . . .

والماوَرْدِىّ أن شجرة الزقوم فى الباب السادس من جهنم أعاذنا الله منها ، وأن أهل النار ينحدرون إليها . قال ابن سلام : وهى تحيا باللهب كما تحيا شجرة الدنيا بالمطر .

وقوله : الملعونة فى القرآن ، أى : الملعون آكلها[١] ، وقيل: بل هو وصف لها كما يقال : يوم ملعون أى مشئُوم .

حديث ابن أم مكتوم :

فصل : وذكر حديثَ ابن أمِّ مكْتوم ، وذكر اسمه ونسبه ، وأم مكتوم : اسمها : عاتِكةُ بنتُ عبد الله بن عَنْكَثَةَ بن عامر بن مَخْزوم[٢] .

وذكر الرجل الذى كان شغل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه الوليد ابن المغيرة ، وقد قيل : كان أمية بن خلف ، وفى حديث الموطأ : عظيم من

---

(١) ذكر البخارى وأحمد أنها شجرة الزقوم ، وقد زعم أعداء بنى أمية أن المقصود بالشجرة هم بنو أمية ، وأتوا بحديث قال عنه ابن كثير : وهو غريب ضعيف . وقد ذكر عنها فى القرآن ما هو قرين اللعنة : « إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم . طلعها كأنه رءوس الشياطين » الصافات ٦٤ ، ٦٥ (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم) الدخان : ٤٣ — ٤٦ . حسبنا أنها وصفت بأنها ملعونة لنؤمن بأنها ملعونة هى ومن ستكون هى طعامه .

(٢) فى نسب قريش عن أم مكتوم « تزوجها قيس بن زائدة بن الأصم ابن هدم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤى فولدت له عمرا ، وهو الأعمى الذى ذكر الله تبارك وتعالى ، فقال : « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » . فى الإصابة وجمهرة ابن حزم أنه كان ابن خال خديجة . انظر ص ٣٤٣ نسب قريش . وفى الجمهرة فى نسب أمه : عنكثه بن عائذ بن مخزوم وفى النسب : « عنكثة بن عامر » انظر ص ١٦٢ جمهرة ابن حزم .

. . . .

عظماء المشركين[١] ، ولم يسمه ، وفى قوله سبحانه: ﴿ أَنْ جاءه الأعمى ﴾ من الفقه أن لاغِيبَةَ فى ذكر الإنسان بما ظهر فى خلقته من عَمًى أو عَرَج، إلَّا أن يقصد به الازدراء،فيلحق المأثم به؛لأنه من أفعال الجاهلين ، قال الله تعالى : ﴿أتتخذُنا هُزُوًا قال : أعوذ بالله أن أكُونَ من الجاهلين ﴾ البقرة : ٦٧ . وفى ذكره إياه بالعمى من الحكمة والإشارة اللطيفة التنبيه على موضع العتب ؛ لأنه قال : ﴿ أَنْ جاءه الْأَعْمَى ﴾ فذكَر المجىء مع العمى ، وذلك ينبىء عن تجشُّم كُلْفَةٍ ومن تَجَشُّم القصد إليك على ضعفه ، فحقك الإقبال عليه ، لا الإعراض عنه ، فإذا كان النبى- صلى الله عليه وسلم-مَعْتُوبا على توليه عن الأعمى ، فغيره أحق بالعَتْبِ، مع أنه لم يكن آمن بعدُ،ألا تراه يقول : ﴿ ومايُدْرِيك لعلَّه يزَّكَّى ﴾ الآية ولو كان قد صحَّ إيمانه ، وعلم ذلك منه لم يعرض عنه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - ولو أعرض لكان العَتْبُ أشد،والله أعلم ، وكذلك لم يكن ليخبر عنه ، ويسميه بالاسم المشتق من العمى ، دون الاسم المشتق من الإيمان والإسلام ، لو كان دخل فى الإيمان قبل ذلك والله أعلم ، وإنما دخل فيه بعد نزول الآية ، ويدل على ذلك قوله للنبى -صلى الله عليه وسلم : استَدْنِنِي يامحمد ولم يقل: استَدْنِنِي[٢] يارسول الله،مع أن ظاهر الكلام يدل على أن الهاء فى لعله يزكى عائدة على الأعمى،لاعلى الكافر ؛ لأنه لم يتقدم له ذكر بعد ، ولعل

---

(١) وعند أبى يعلى أن الرجل هو أبى بن خلف ، وعنده فى رواية أخرى هو وابن جرير : رجل من عظماء المشركين ، وكذا رواه الترمذى ومالك ، وذكر ابن جرير وابن أبى حاتم أنهم: عتبة بن ربيعة وأبو جهل والعباس بن عبد المطلب.

(٢) فى ابن جرير والترمذى ومالك: أرشدنى كما ذكر ابن كثير ، ولم يذكر =

العائدون من أرض الحبشة

قال ابن إسحاق : وبلغ أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة ، إسلامُ أهل مكة ، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك ، حتى إذا دَنَوْا من مكة ، بلغهم أنّ ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل منهم أحدٌ إلا بجوارٍ أو مستخفيا

فكان ممَّن قدِم عليه مكةَ منهم ، فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة ، فشهد معه بدراً ، ومَنْ حُبس عنه ، حتى فاته بدرٌ وغيرُه ، ومن مات بمكة . منهم من بنى عبد شمس بن عبد مناف بن قصىّ : عثمانُ بن عفّان بن أبى العاص بن أميَّة بن عبد شَمْس ، معه امرأته : رُقَيَّة بنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم . وأبو حُذَيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، امرأته سَهْلة بنت سُهَيل .

ومن حلفائهم : عبدُ الله بن جَحْش بن رِئاب .

ومن بنى نَوْفل بن عبد مناف : عُتْبة بن غَزْوان ، حليفٌ لهم ، من قَيْس عيلان .

تعطى التَّرَجِّىَ والانتظار ، ولو كان إيمانه قد تقدم قبل هذا لخرج عن حد الترجى والانتظار للتَّزَكِّى ، والله أعلم .

= بعدما شيئاً . وفى رواية لابن جرير وابن أبى حاتم ، أن عبد الله جاء يستقرىء الرسول « ص » آية من القرآن ، ويقول : رسول الله علمنى مما علمك الله . وقول السهيلى : أظهر ، فالقرآن يفيد أنه جاء فى خشية يريد أن يزكى

ومن بنى أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَىّ : الزُّبير بن العوّام بن خُويلد ابن أسد .

ومن بنى عبد الدار بن قُصَىّ : مُصْعَب بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف وسُوَيبط بن سعد بن حَرْملة .

ومن بنى عَبْدبن قُصَىّ : طُلَيب بن عُمَير بن وَهب بن أبى كبير بن عَبْد .

ومن بنى زُهْرة بن كِلاب : عبدُ الرحمن بن عَوْف بن عبد عَوْف بن عبدبن الحارث بن زُهْرة ، والمِقْدادُ بن عمرو ، حليف لهم ، وعبدُ الله بن مسعود ، حليف لهم .

ومن بنى مخزوم بن يَقَظة : أبو سلَمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله ابن عَمرو بن مخزوم ، معه امرأته : أمّ سَلَمة بنت أبى أُميَّة بن المُغيرة ، وشمَّاس ابن عثمان بن الشَّريد بن سُوَيد بن هَرْمِىّ بن عامر بن مخزوم . وسَلَمة ابن هشام بن المُغيرة ، حبسه عمه بمكة ، فلم يقدم إلا بعد بدر وأُحد والخندق، وعياش ، ابن أبى ربيعَة بن المغيرة هاجر معه إلى المدينة ، ولحق به أخواه لأمه : أبو جهل ابن هشام ، والحارث بن هشام ، فرجعا به إلى مكة ، فحبساه بها حتى مضى بدرٌ وأُحُد والخندق .

ومن حلفائهم : عمَّار بن ياسر ، يُشكّ فيه ، أ كان خرج إلى الحبشة أم لا ؟ ومُعتِّب بن عَوْف بن عامر من خزاعة .

ومن بنى جُمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عثمانُ بنُ مَظعون بن حَبيب بن وَهب بن حُذافة بن جُمَح ، وابنه : السائب بن عثمان ، وقُدامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون .

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب : خُنَيس بن حُذافة بن قَيس بن عدىّ ، وهشام بن العاص بن وائل ، حُبس بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة ، حتى قدم بعدَ بَدْرٍ وأُحُد والخندق .

ومن بنى عَدىّ بن كَعْب : عامر بن رَبيعة ، حليف لهم ، معه امرأته : ليلى بنت أبى حَثْمة بن حُذافة بن غانم .

ومن بنى عامر بن لؤىّ : عبدُ الله بن مَخْرمة بن عبد العُزَّى بن أبى قَيْس : وعبدالله بن سُهَيل بن عمرو ، وكان حبس عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة ، حتى كان يوم بَدْر ، فانحاز من المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهد معه بدراً ، وأبو سَبْرة بن أبى رُهْم بن عبد العُزّى ، معه امرأته : أم كلثوم بنت سُهَيل بن عمرو ، والسكران بن عمرو بن عبد شَمْس ، معه امرأته : سَوْدة بنت زَمَعة بن قيس ، مات بمكة قبل هجرة رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة ، فخلف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على امرأته سَوْدة بنت زَمعة :

ومن حلفائهم سعد بن خَوْلة .

ومن بنى الحارث بن فِهر : أبو عُبَيدة بن الجرّاح ، وهو عامر بن عبد الله ابن الجرّاح ، وعمرو بن الحارث بن زُهَير بن أبى شدّاد ، وسُهيل بن بَيْضاء ؛ وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هِلال ، وعمرو بن أبى سَرْح بن ربيعة ابن هلال « كنيته : أبو سعد كما فى الإصابة » .

فجميع من قَدِم عليه مكةَ من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون

رجلاً، فكان مَنْ دخل منهم بجوارٍ، فيمن سُمّى لنا: عثمانُ بن مَظْعون بن حبيب الُجمحى، دخل بجوارٍ من الوليد بن المُغيرة، وأبو سَلَمَةَ بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم، دخل بجوارٍ من أبى طالب بن عبد المطَّلب، وكان خالَه. وأمُّ أبِى سلَمة: برّة بنت عبد المُطّلب.

قصة ابن مظعون مع الوليد

قال ابن إسحاق: فأما عثمان بن مَظْعون، فإن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف حدثنى عمَّن حدّثه عن عثمان، قال: لمـا رأى عثمان بن مَظْعون مافيه أصحابُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من البلاء، وهو يغدو ويروح فى أمان من الوليد بن المُغيرة، قال: والله إن غُدوى ورَواحى آمنا بجوار رجلٍ من أهل الشرك - وأصحابى، وأهل دينى يَلْقَون من البلاء والأذى فى الله مالا يُصيبنى - لنقصٌ كبير فى نفسى، فمشى إلى الوليد بن المُغيرة، فقال له: يا أبا عبد شَمْس، وفتْ ذِمَّتُك، قد رددتَ إليك جوارك، فقال له: لم يابن أخى؟ لعله آذاك أحدٌ من قومى، قال: لا، ولـكنى أرْضَى بجوار الله، ولا أُريد أن أستجيرَ بغيره؟ قال: فانطلِقْ إلى المسجد، فارددْ علىّ جوارى عَلانيةً، كما أجرتُك علانيةً. قال: فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجدَ، فقال الوليد: هذا عثمان قد جاء يردّ علىّ جوارى، قال: صَدَق، قد وجدتُه وَفِيًّا كريمَ الجوار، ولـكنى قد أحببتُ أن لا أستجير بغير الله، فقد رددتُ عليه جوارَه،

ثم انصرف عثمان ، ولَبيد بن ربيعة بن مالك بن جَعْفر بن كِلاب فى مجلس من قُريش يُنشدهم ، فجلس معهم عثمان ، فقال لَبيد :

ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل

قال عثمان : صدقتَ ، قال :

وكلّ نعيم لامحالة زائل

قال عثمان : كذبت ، نعيمُ الجنة لايزول . قال لَبيد بن رَبيعة : يامَعْشر قريش ، والله ما كان يُؤْذَى جليسُكم ، فمتى حَدَث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : إن هذا سَفيه فى سُفهاء معه ، قد فارقوا دينَنا ، فلا تَجدنّ فى نفسك مِنْ قوله ، فردّ عليه عثمان حتى شَرِى أمرُهما ، فقام إليه ذلك الرجلُ ، فلَطَم عينَه ، فخَضَّرها ، والوليدُ بن المُغيرة قريبٌ يرى مابلغ من عثمان ، فقال : أما والله يابن أخى إن كانت عينُك عماَّ أصابها لغنيَّة ، لقد كنتَ فى ذمة مَنيعة. قال : يقول عثمان : بل والله إن عينى الصحيحة لفقيرةٌ إلى مثل ما أصاب أختَها فى الله ، وإنى لفى جوار مَنْ هو أعزّ منك وأقدر يا أبا عبدشَمْس ، فقال له الوليد : هَلُمّ يابن أخى ، إن شئت فعُدْ إلى جوارك ، فقال : لا .

أبو سلمة فى جوار أبى طالب

قال ابن إسحاق : وأما أبو سَلَمة بن عَبْد الأسد ، فحدثنى أبى إسحاق ابنُ يسار عن سَلَمة بن عبد الله بن عُمر بن أبى سَلَمة أنه حدّثه : أن أبا سلمة

لما استجار بأبى طالب ، مشى إليه رجالٌ من بنى مخزوم ، فقالوا : يا أباطالب ، لقد منعت منّاً ابنَ أخيك محمداً ، فمالكَ ولصاحبنا تمنعُه منّا؟ قال : إنه استجار بى ، وهو ابنُ أختى ، وإنْ أنا لم أمنع ابنَ أختى لم أمنع ابن أخى ، فقام أبولهب ، فقال : يامعشر قُريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ماتزالون تتواثبون عليه فى جواره من بين قومه ، والله لتنتهُنّ عنه ، أو لنقومنّ معه فى كلّ ماقام فيه ، حتى يبلغَ ما أراد . قال : فقالوا : بل ننصرف عما تكره يا أبا عُتْبة ، وكان لهم وليًّا وناصراً على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأبقَوا على ذلك ، فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول مايقول ، ورجا أن يقوم معه فى شأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال أبو طالب يحرض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وإنّ امْرءًا أبو عُتَيبة عمُّه ... لفى رَوْضَة ما إن يُسامُ المَظالما

أقول له ـ وأين منه نَصِيحتى ... أبا مُعْتب ثَبِّتْ سوادَك قائما

فلا تَقبلنّ الدهرَ ماعشتَ خُطةً ... تُسَبُّ بها ، إمّا هَبطت المَواسما

ووَلّ سبيلَ العَجْز غيرَك منهمُ ... فإنك لم تُخْلَق على العَجْز لازما

وحاربْ ، فإن الحربَ نُصْفٌ وما ترى
أخا الحرب يُعطَى الخسف حتى يُسالما

وكيف ولم يَجْنُوا عليك عَظيمةً ... ولم يخذلوك غانما ، أو مُغارِما

جَزَى اللهُ عنّا عبدَ شمس ونوْفلاً ... وتَيْما ومَخزوما عُقوقا ومأثما

بتَفْرِيقهم مِنْ بعدوُدٍّ وأُلْفَةٍ ... جماعتنا ، كيما ينالُوا المَحارِما

كذبتم وبيتِ الله نُبزَى محمداً ... ولما تَرَوْا يوما لدى الشِّعب قائما

قال ابن هشام: نبزَى : نساب . قال ابن هشام : وبقى منها بيت تركناه.

أبو بكر يرد جوار ابن الدغنة

قال ابن إسحاق : وقد كان أبو بكر الصدّيق -رضى الله عنه- كما حدثنى: محمد بن مُسلم الزُّهْرِى ، عن عُرْوة ، عن عائشة رضى الله عنهما ، حين ضاقت عليه مكة ، وأصابه فيها الأذى ، ورأى مِنْ تَظاهر قُريش على رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ما رأى ، استأذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى الهجرة ، فأذِن له ، فخرج أبو بكر مهاجراً ، حتى إذا سار من مكة يوما أو يومين ، لَقِيه ابنُ الدُّغُنَّة ، أخو بنى الحارث بن عَبْد مناة بن كِنانة ، وهو يومئذ سيد الأحابيش .

قال ابن إسحاق : والأحابيش : بنو الحارث بن عبد مناة بن كِنانة ، والهُوْن ابن خُزيمة بن مُدْرِكة ، وبنو المُصْطلق من خزاعة .

قال ابن هشام : تحالفوا جميعا ، فسموا الأحابيش للحِلْف .

ويقال : ابن الدُّغينة .

قال ابن إسحاق : حدثنى الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة قالت : فقال ابن الدُّغُنة : أينَ يا أبا بكر ؟ قال : أخْرَجنى قومى وآذَوْنى ، وضيَّقوا على ، قال : ولِمَ ؟ فوالله إنك لَتَزِين العشيرةَ ، وتُعين على النوائب ، وتفعل المعروف وتَكْسِبُ المَعْدومَ ، ارجع ، وأنت فى جوارى ، فرجع معه ، حتى إذا دخل مكة ، قام ابنُ الدِّغِنة فقال : يامعشر قُريش ، إنى قد أجرتُ ابنَ أبى قُحافة ،

فلا يعرضنّ له أحدٌ إلا بخير . قالت : فكفوا عنه .

قالت : وكان لأبى بكر مَسْجِدٌ عند باب داره فى بنى جُمَح ، فكان يصلى فيه ، وكان رجلا رقيقا ، إذا قرأ القرآن استبكى . قالت : فيقف عليه الصبيان والعَبيد والنِّساء ، يعْجبون لما يَرَوْن من هَيْئته . قالت : فمشى رجالٌ من قريش إلى ابن الدُّغُنَّة ، فقالوا له : يابن الدَّغَنَةِ ، إنك لم تُجِرْ هذا الرجل ، ليُؤْذينا ! إنه رجل إذا صلى ، وقرأ ماجاء به محمدٌ يرق ويبكى ، وكانَت له هيئة ونحْو ، فنحن نتخوّف على صبياننا ونِسائنا وضَعَفتِنا أن يَفْتِنهم ، فأْتِه فمُرْه أن يدخل بَيته ، فَلْيَصْنع فيه ماشاء . قالت : فمشى ابنُ الدَّغِنَّة إليه ، فقال له : يا أبا بكر ، إنى لم أُجِرْكَ لتُؤْذى قومَك ، إنهم قد كرهوا مكانك الذى أنت فيه ، وتأذَّوْا بذلك منك ، فادخل بيتَك ، فاصنع فيه ما أحببتَ ، قال : أوَ أردّ عليك جوارك وأرضى بجوار الله ؟ قال : فاردد على جِوارى ، قال : قد رددته عليك . قالت فقام ابنُ الدُّغُنَّة ، فقال : يامعشر قريش ، إنّ ابنَ أبى قحافة قد ردّ علىَّ جِوارى ، فشأنكم بصاحبكم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدُ الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم ابن محمد قال : لَقِيه سفَيه من سفُهاء قريش ، وهو عامد إلى الكعبة ، فحَثا على رأسه ترابا . قال : فمرّ بأبى بكر الوليد بن المُغيرة ، أو العاص بن وائل . قال : فقال أبو بكر : ألا ترى إلى مايصنع هذا السفيهُ ؟ قال : أنت فعلتَ ذلك بنفسك . قال : وهو يقول : أى ربّ ، ما أحلَمك ! أى ربّ ، ما أحلمك! أى ربّ ، ما أحلمك !

. . . .

حديث نقض الصحيفة

قال ابن إسحاق : وبنو هاشم ، وبنو المطَّلب فى منزلهم الذى تعاقدت فيه قُريش عليهم فى الصحيفة التى كتبوها ، ثم إنه قام فى نقض تلك الصحيفة التى تكاتبت فيها قريشٌ على بنى هاشم وبنى المطَّلب نفرٌ من قريش ، ولم يُبْلِ فيها أحد أحسنَ من بلاء هشام بن عمرو بن رَبيعة بن الحارث بن حُبَيْب بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤىّ ، وذلك أنه كان ابن أخى نَضْلة ابن هاشم بن عَبْد مناف لأُمه، فكان هشام لبنى هاشم واصلاً ، وكان ذا شرف فى قومه فكان — فيما بلغنى — يأتى بالبعير ، وبنو هاشم وبنو المطَّلب فى الشِّعب ليلا ، قد أوْقره طَعاما ، حتى إذا أقبل به فَمَ الشِّعب ، خلع خِطَامه من رأسه ، ثم ضرب على جَنْبه ، فيدخل الشِّعب عليهم ، ثم يأتى به قد أوقره بَزًّا ، فيفعل به مثلَ ذلك .

قال ابن إسحاق : ثم إنه مشى إلى زُهير بن أبى أُميَّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم — وكانت أمه : عاتكةَ بنت عبد المطَّلب — فقال : يازهير ، أقد رَضيتَ أن تأكل الطعامَ ، وتلبس الثيابَ ، وتنكح النِّساء ، وأخوالُك حيثُ قد علمتَ ، لايُباعون ، ولايُبتاع منهم ، ولايَنكحون ، ولايُنكَح إليهم ؟ أما إنى أحْلِف بالله أن لوكانوا أخوال أبى الحكم بن هشام ، ثم دعوتَه إلى ما دعاك إليه منهم ، ما أجابك إليه أبداً ، قال : ويحك ياهشام ! فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معى رجلٌ آخر

لقُمْت فى نَقْضها حتى أنقضَها ، قال : قد وجدت رجلاً قال : فمن هو ؟ قال : أنا ، قال له زهير : أبْغِنا رجلا ثالثا .

فذهب إلى المُطْعِم بن عدىّ ، فقال له : يامُطعِم أقد رضيتَ أن يَهْلِك بَطْنان من بنى عَبْد مناف ، وأنت شاهدٌ على ذلك ، موافق لقريش فيه ! أما والله لئن أمْكنتموهم من هذه لتجدُنَّهم إليها منكم سراعا ، قال : ويحك ! فماذا أصنَع ؟ إنما أنا رجلٌ واحد ، قال : قد وجدت ثانيا ، قال : مَنْ هو ؟ قال : أنا ، قال : أبْغِنا ثالثا ، قال : قد فعلتُ ، قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبى أُمَيَّة ، قال : أبغنا رابعا .

فذهب إلى أبى البَخْترِىّ بن هشام ، فقال له نحواً مما قال لمطعِم بن عدىّ ، فقال : وهل من أحد يعين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : من هو ؟ قال : زهير ابن أبى أُمية ، والمُطْعم بن عدىّ ، وأنا معك ، قال : أبغنا خامسا .

فذهب إلى زَمْعَة بن الأسود بن المطَّلِب بن أسَد ، فكلَّمه ، وذكر له قرابتَهم وحقَّهم ، فقال له : وهل على هذا الأمر الذى تَدْعونى إليه من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سمى له القوم .

فاتَّعدوا خَطْم الحَجُون ليلا بأعلىَ مكة ، فاجتمعوا هنالك ، فأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القِيام فى الصّحيفة ، حتى يَنقُضوها ، وقال زهير : أنا أبدؤُكم فأكون أوّلَ مَنْ يتكلَّم . فلما أصبحوا غَدَوْا إلى أنْديتهم ، وغدا زُهير بن أبى أمية عليه حُلَّة ، فطاف بالبيت سَبْعا ، ثم أقبل على الناس ، فقال : ياأَهلَ

مكة ، أنأ كلُ الطعام ، ونَلبس الثِّيابَ ، وبنو هاشم هَلْكى لا يُباع ولا يُبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تُشقَّ هذه الصحيفةُ القاطعة الظَّالمة .

قال أبو جهل – وكان فى ناحية المسجد : كذبتَ والله لا تُشقّ ، قال زَمَعة بن الأسود : أنت والله أكذبُ ، ما رَضينا كتابها حيثُ كُتِبت ، قال أبو البَخْترِى : صَدَق زمْعَةُ ، لا نرضى ما كُتب فيها ، ولا نُقرّ به ، قال المطعم بن عدىّ : صدقتُما ، وكذب مْنَ قال غيرَ ذلك ، نبرأ إلى الله منها ، ومما كُتب فيها ، قال هشام بن عمرو نحواً من ذلك . فقال أبو جهل : هذا أمر قُضِى بليل ، تُشُووِر فيه بغير هذا المكان، وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد، فقام المُطعِم إلى الصحيفة ليشقَّها ، فوجد الأرَضَة قد أكلتها ، إلَّا : « باسمك اللَّهمّ » .

وكان كاتب الصحيفة مَنْصور بن عِكْرمة . فشلَّت يدُهُ فيما يزعمون .

قال ابن هشام: وذكر بعضُ أهل العلم : أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال لأبى طالب : ياعمّ ، إن رَبِّىَ الله قد سلَّط الأرَضَة على صحيفة قريش ، فلم تَدَع فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفت منه الظُّلم والقطيعة والبُهتان فقال: أربُّك أخبرك بهذا ؟ قال: نعم ، قال : فو الله ما يدخل عليك أحدٌ ، ثم خرج إلى قريش ، فقال : يامعشر قريش ، إن ابن أخى أخبرنى بكذا وكذا ، فهَلُمَّ صحيفتكم ، فإن كان كما قال ابن أخى ، فانتهوا عن قَطيعتنا ، وانزلوا عمَّا فيها ، وإن يكن كاذبا دفعت إليكم ابنَ أخى ، فقال القوم : رضينا ، فتعاقدُوا على ذلك ، ثم نظروا ، فإذا هى كما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فزادهم

ذلك شرًا . فعند ذلك صنع الرَّهط من قُريش فى نَقْض الصحيفة ماصنعوا .

قال ابن إسحاق : فلما مزقت الصحيفة وبطل مافيها . قال أبو طالب ، فيما كان من أمر أولئك النَّفَر الذين قاموا فى نَقْضها يمدحهم :

ألا هَلْ أتى بَحْرِيَّنا صُنْعُ رَبِّنا ... على نَأْيهم واللهُ بالنَّاسِ أرْوَدُ
فيُخبِرَهُم أنَّ الصَّحيفَةَ مُزِّقَتْ ... وأنْ كلُّ مالم يَرْضه اللهُ مُفْسَد
تَراوحَها إفكٌ ، وَسِحْر مُجَمَّع ... ولم يُلْفَ سِحْر آخِرَ الدهرِ يَصْعَد
تَداعى لها مَن ليس فيها بقَرْقَرٍ ... فَطائرُها فى رأسِها يَتَرَدَّد
وكانَتْ كِفاءً رَقْعَةٌ بأثيمةٍ ... ليُقْطَعَ منها ساعِدٌ ومُقَلَّد
ويَظْعن أهلُ المكَّتين ، فيَهرُبُوا ... فرائصُهم من خَشْيَة الشَّرِّ تُرْعَد
ويُتْرَك حَرَّاثٌ يقَلِّبُ أمره ... أيُتْهِم فيهم عند ذاك ويُنجِدُ
وتَصْعد بين الأخْشَبين كَتيبةٌ ... لها حُدُج سَهْمٌ وقوس ومِرْهد
فمن يَنْشَ من حُضّار مكة عِزُّه ... فعِزَّتنا فِى بطن مَكَّة أتْلَد
نَشَأْنا بها ، والنَّاسُ فيها قلائل ... فلم نَنْفَكِكْ نَزدادُ خيراً ونُحْمَد
ونُطعم حتى يترك النَّاسُ فضلَهم ... إذَا جعلت أيدى المُفيضين تُرعَد
جزى الله رهطا بالحَجُون تَبايعوا ... على ملأ يَهْدِى لحَزْم ويُرْشِد
قُعوداً لدى خَطْم الحَجون كأنهم ... مَقَاوِلة ، بل هم أعزّ وأمجد
أعانَ عليها كلُّ صَقْر كأنه ... إذا مامشى فى رَفْرف الدّرع أحْرَدُ
جَرِىّ على جُلَّى الخطوب ، كأنه ... شهاب بكَفَّىْ قابسٍ يتوقَّد

من الأكرمين من لُؤَىّ بن غالب … إذا سِيم خَسْفا وَجهُه يتربَّدُ

طويل النِّجاد خارج نصفُ ساقِهِ … على وَجْهه يُسْقى الغَمام ويُسْعد

عظيم الرماد ، سيد وابن سيِّد … يَحُضّ على مَقْرَى الضيوف ، ويحْشِد

ويبني لأبْناء العَشِيرة صالحا … إذا نحن طُفْنا في البلاد ، و يَمْهَد

ألَظَّ بهذا الصُّلح كل مُبَرَّأ … عظيم اللواء أمره ثَمّ يُحمد

قضَوْا ما قضَوْا في ليلهم، ثم أصبحوا … على مَهَلٍ ، وسائر النَّاس رُقَّد

هُمُ رَجَعوا سَهْلَ بنَ بيضاء راضيا … وسُرّ أبو بكْر بها ومحمَّد

متى شُرِّكَ الأقوامُ في جُلِّ أمرنا … وكُنَّا قديما قَبْلَها نُتودّد

وكنَّا قديما لا نُقِرّ ظُلامةً … ونُدْرِكُ ماشِئْنا ، ولا نتشدَّد

فيا لَقُصَيّ هَلْ لَكُمْ في نُفوسِكُمْ … وهل لكُمُ فيما يجيء به غد

فإني وإيَّاكُمْ كما قال قائلٌ … لَديك البَيانُ لو تكلمت أسود

وقال حسَّان بن ثابت يبكي المُطعِم بن عديّ حين مات ، ويذكر قيامَه في نَقْض الصحيفة :

أيا عين فابكي سيِّد القوم واسفَحي … بدمعٍ ، وإن أنزفتِه فاسكبي الدَّما

وبكِّي عظيمَ المَشْعَرَين كليهما … على النَّاسِ مَعْرُوفا له ماتَكَلَّما

فلو كان مجدٌ يُخلد الدَّهرَ واحداً … من الناس أبقى مجدُه اليومَ مُطْعِما

أجرْتَ رسولَ الله منهم، فأصبحوا … عبيدَك ، ما لَبَّى مُهِلّ وأحْرَما

فلو سُئلَتْ عنه مَعدّ بأسْرِها … وقَحْطان ، أو باقي بَقية جُرْهما

فقالوا : هو المُوفى بخُفرة جارِه ... وذمّته يوما إذا ماتذمّما

فما تطلُع الشّمسُ المُنيرة فوقَهم ... على مثله فيهم أعزّ وأعْظَما

وآبَى إذا يأبى وألْيَنَ شِيمَةً ... وأنومَ عن جار إذا اللّيلُ أظلما

قال ابن هشام : قوله « كليهما » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن هشام : وأما قوله : « جرت رسول الله منهم » ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم — لما انصرف عن أهل الطائف ، ولم يُجيبوه إلى مادعاهم إليه ، من تَصْديقه ونصرته ، صار إلى حِرَاء ، ثم بعث إلى الأخنس بن شَرِيق ، ليُجيره ، فقال : أنا حليفٌ ، والحليف لا يُجير ، فبعث إلى سُهيل بن عمرو ، فقال : إن بني عامر لا تُجير على بني كَعْب . فبعث إلى المُطعِم بن عدىّ ، فأجابه إلى ذلك ، ثم تسلح المُطعِم وأهل بيته ، وخرجوا حتى أتوا المسجد ، ثم بعث إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن ادخُل ، فدخل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فطاف بالبيت ، وصلى عنده ، ثم انصرف إلى منزله ، فذلك الذى يعنى حسانُ ابن ثابت .

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت أيضا : يمدح هِشامَ بن عمرو لقيامه فى الصحيفة :

هل يُوفينّ بنو أميّة ذمّةً ... عَقْداً كما أوْفى جِوَارُ هِشامِ

مِنْ مَعْشَر لا يَغْدِرُون بجارِهم ... للحارث بن حُبَيِّب بن سُخَام

وإذا بنو حِسْل أجارُوا ذِمّةً ... أوفَوْا وأدّوْا جارَهم بسلام

وكان هشام أخا سُخَام : قال ابن هشام : ويقال : شحام .

. . . .

قصة الغرانيق وإسلام مكة:

وذكر مابلغ أهل الحبشة من إسلام أهل مكة ، وكان باطلا ، وسببه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قرأ سورة النجم ، فألقى الشيطانُ فى أُمْنِيَّتِهِ، أى: فى تلاوته عند ذِكْرِ اللّات والعُزى ، وإنَّهم لهُمُ الْغَرانِقَةُ العُلى ، وإن شَفاعَتَهُمْ لَتُرْتَجَى ، فطار ذلك بمكة ، فسُر المشركون ، وقالوا : قد ذكر آلهتنا بخير فسجَد رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فى آخرها ، وسجد المشركون والمسلمون ، ثم أنزل الله تعالى : ﴿ فينسَخ اللهُ ما يُلقى الشيطان ﴾ الآية ، فمن هاهنا اتصل بهم فى أرض الحبشة أن قريشا قد أسلموا ، ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق من غير رواية الْبَكَّائى ، وأهل الأصول يدفعون هذا الحديث بالحجة ، ومن صححه قال فيه أقوالا ، منها: أن الشيطان قال ذلك وأشاعه . والرسول – عليه السلام – لم ينطق به ، وهذا جيد لولا أن فى حديثهم أن جبريل قال لمحمد : ما أتيتك بهذا ، ومنها : أن النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – قالها من قبل نفسه ، وعنى بها الملائكة: إن شفاعتهم لَتُرْتَجَى(١) . ومنها : أن النبى – عليه السلام – قاله حاكيا عن الكفرة ، وأنهم يقولون ذلك ، فقالها متعجبا من كفرهم ،

---

(١) وهى أيضاً كلمة لا يقولها خاتم النبيين وأعظم المؤمنين ، فإن الشفاعة لا ترتجى إلا من الله سبحانه ، فهو الذى له وحده الشفاعة: (قل : لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض) الزمر : ٤٤ (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن) طه : ١٠٩ . والسهيلى على إطالته وإطنابه فى مواضع تستحق الإيجاز لا أدرى كيف خطف القول هنا ، وترك الفرية تحاول مخادعة القلوب ، فكأن المؤلف الكبير لم يرد لها أن تموت

. . . .

والحديث على ماخيلت غير مقطوع بصحته ، والله أعلم[1] .

---

(١) روى الطبرى وابن أبى حاتم وابن المنذر والبزار وابن مردويه وغيرهم. هذه الفرية التى نفثها أحقاد الزنادقة فى صورة حديث منسوب إلى ابن عباس وسعيد ابن جبير ، يقول إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قرأ بمكة : والنجم ، فلما بلغ : أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى ، فقال المشركون : ماذكر آلهتنا بخير قبل اليوم،فسجد وسجدوا . فنزلت الآية . وذكر القاضى عياض ما يلى : ويروى : ترتضى ، وفى رواية : إن شفاعتها لترتجى ، وإنها لمع الغرانيق العلى . وفى أخرى : والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى ، ووقع فى بعض الروايات أن الشيطان ألقاها على لسانه ، وأن النبى « ص » كان تمنى أن لو نزل عليه شىء يقارب بينه وبين قومه ، وفى رواية أخرى : ألا ينزل عليه شىء ينفرهم عنه ، وذكر هذه القصة . وأن جبريل — عليه السلام — جاءه ، فعرض عليه السورة ، فلما بلغ الكلمتين قال له : ما جئتك بها تين . فحزن لذلك النبى « ص » ، فأنزل الله تعالى تسلية له : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى » . الآية . وقوله : (وإن كادوا ليفتنونك) وباطل القصة المفتراة أسود قاتم . ولكنى عنيت بنقل الرد عليها ؛ لأن هذه الأسماء الآتية ذكرت مع هذه القصة، ولا شك فى أن كثيراً منهم لا يمكن أن نصدق أنه يرويها، أو يصدق بها مثل ابن عباس رضى الله عنه ، وتدبر هذه الأسماء التى جعلتنى أعنى بدحض هذه الفرية الملعونة : « سعيد بن جبير ، شعبة ، أمية بن خالد الذى يقال عنه : إنه ثقة مشهور ، وأبو بشر، ومحمد بن كعب القرظى ومحمد بن قيس وابن شهاب الزهرى ، والسدى ، وموسى ابن عقبة ، وابن إسحاق وعكرمة وسليمان التيمى ، والعوفى والبزار » من هؤلاء من له ذكر بإيمان عظيم ومن له ذكر بما ينال شيئاً من صدق إيمانه ، وعفا الله عن رواها دون تعقيب يهدمها من هؤلاء الذين نسبت إليهم رواية ما لهذه الأكذوبة ، وإليك ما رد به القاضى عياض فى الشفاء على تلك الفرية النجسة : « هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند متصل سليم ، وإنمـــا أولع به وبمثله

. . . .

وسمى الذين قدموا منهم من أجل ذلك الخبر ، وذكر فيهم طُنَيْبا ، وقال

المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم ، وصدق القاضى بكر بن العلاء المالكى حيث قال : لقد بلى الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير ، وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته، وانقطاع إسناده واختلاف كلماته ، فقائل يقول : إنه فى الصلاة وآخر يقول : قالها فى نادى قومه حين نزلت عليه السورة ، وآخر يقول : إن الشيطان قالها على لسانه ، وأن النبى « ص » لما عرضها على جبريل،قال : ما هكذا أقرأتك وآخر يقول : بل أعلمهم الشيطان أن النبى — ص — قرأها ، فلما بلغ النبى — ص — ذلك قال : والله ما هكذا نزلت — إلى غير ذلك من اختلاف الرواة ، ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين ، لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب ، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيها حديث شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : فيما أحسب أن النبى « ص » كان بمكة وذكر القصة . قال أبو بكر البزار : هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبى - ص - بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد،وغيره يرسله عن سعيد بن جبير،وإنما يعرف عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس،فقد بين لك أبو بكر — رحمه الله — أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا ، وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه - كما ذكرنا - الذى لا يوثق به ولا حقيقة معه ، وأما حديث الكلبى فما لا يجوز الرواية عنه ، ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه، كما أشار إليه البزار ، والذى منه فى الصحيح أن النبى « ص » قرأ : والنجم وهو بمكة ، فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس » أقول:قوله الذى فى الصحيح يعنى ماروى فى البخارى ومسلم عن ابن مسعود،وليس فيه حديث الغرانيق، بل روى هذا الحديث من طرق كثيرة ، وليس فيها حديث الغرانيق، وبعد أن فرغ القاضى عياض من،

. . . .

فى نسبه: ابن أبى كبير بن عبد بن قصى، وزيادة أبى كبير فى هذا الموضع لا يوافق عليه

توهين الفرية من طريق النقل، مضى يكر عليها بالحجة العقلية الدامغة، فيقول: «أجمعت الأمة على عصمته - ص - ونزاهته عن مثل هذه النقيصة إما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله، وهو كفر، أو أن يتسور عليه الشيطان، ويشبه عليه القرآن، حتى يجعل فيه ما ليس منه، ويعتقد النبى - ص - أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل — عليه السلام — وذلك كله ممتنع فى حقه - صلى الله عليه وسلم - أو يقول ذلك النبى - ص - من قبل نفسه عمدا، وذلك كفر، أو سهوا، وهو معصوم من هذا كله، وقد قررنا بالبراهين والإجماع عصمته - ص - من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدا ولا سهوا، أو أن يشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقى الشيطان، أو يكون للشيطان عليه سبيل، أو أن يتقول على الله لا عمدا، ولا سهوا ما لم ينزل عليه، وقد قال تعالى: (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحد عنه حاجزين) الحاقه: ٤٤ — ٤٧ وقال تعالى: (ولو لا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا، إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات، ثم لا تجد لك علينا نصيرا) الإسراء: ٧٥. ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا، وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتئام، متناقض الأقسام، ممتزج المدح بالذم. متخاذل التأليف والنظم. ولما كان النبى «ص» ولا من بحضرته من المسلمين. وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك. وهذا لا يخفى على أدنى متأمل. فكيف بمن رجح حلمه. واتسع فى باب التبيان. ومعرفة فصيح الكلام علمه» ثم أكد أن القصة لو حدثت لوجدت بها قريش على المسلمين الصولة. ولأقامت اليهود بها عليهم الحجة. لأنهم كانوا يتربصون بالنبى وبالمسلمين لأقل فتنة، ولكننا نجد هذه القصة مروية عن طريق ضعيفة. وأنه لم يرو عن معاند فيها كلمة، ولا عن مسلم بسببها بنت شفة، ولا شك فى إدخال بعض شياطين الجن والإنس هذا الحديث على بعض مغفلى

. . . .

المحدثين ، ليلبس به على ضعفاء المسلمين ص ١١٦ وما بعدها حـ ٢ الشفاء طبعة سنة ١٢٩٠ هـ مطبعة خليل أفندى

وتدبر مع هذا قول الله سبحانه : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر : ٩ وقوله : (يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك . وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) المائدة : ٦٧ فإن زاد أو نقص فما بلغ رسالته . إنما بلغ حقا ممتزجا بباطل . وتدبر قوله العظيم : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى) النجم : ٣ : ٤ وقوله سبحانه : (سنقرئك فلاتنسى إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى) الأعلى

والفخر الرازى — على ما فيه — يقول : هذه القصة باطلة وموضوعة ولا يجوز القول بها . وقال البيهقى : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل .

والمراد بالغرانيق: الأصنام . وهى فى الأصل : الذكور من طير الماء . وقيل: الطويل العنق الأبيض. وقيل : هو الكركى، واحدها : غرنوق بضم النون والغين، وبكسر الغين وإسكان الراء وفتح النون . وبضم الغين وفتح النون . وغرنيق بكسر الغين والنون ، وغرناق بفتح الغين والراء والنون ، وغرناق بكسر الغين وإسكان الراء. وغرانق: الشاب الأبيض الجميل، وجمعها : الغرانق والغرانيق . وقد شبهوا أصنامهم بالغرانيق وهى الطيور التى تعلو فى السماء وترتفع .. والعجب أن الحافظ بن حجر يحاول فى الفتح الدفاع عن قواعد المحدثين ، ويغفل عن الطعنة الغادرة التى اقترفت ضد الرسالة والرسول . فيقول عن النقد العظيم الذى وجهه القاضى عياض لطرق الحديث « وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد .فان الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلا . وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح . وهى مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمراسيل ، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض ، وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها عما يستنكر » ص ٣٥٥ جـ ٨ لست أدرى أيمكن أن نجعل لقواعد بشرية متهافتة مكانة فوق الحق المبين، من هدى الله ؟ إننا هنا يجب أن نعتصم بقواعد الحق المبين ، لا بقواعد المحدثين التى يؤدى الدفاع عنها هنا إلى النيل من قداسة القرآن وعصمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولاسيما إذا وجدنا أن التأويلات التافهة التى سنساند بها هذه

. . . .

وكذلك وجدت فى حاشية كتاب الشيخ التنبيه على هذا[1] وذكره أبو عمر ونسبه كما نسبه ابن إسحق بزيادة : أبى كبير ، وكان بدريا فى إحدى الروايتين عن ابن إسحق ، وكذلك قال الواقدى وابن عقبة ، ومات بأجنادين شهيدا لا عقب له .

تأويل : كل شيء ما خلا الله باطل :

فصل : وذكر قول لبيد :

القواعد تأويلات لا يشهد لها نقل ، ولا يحترمها عقل ، القضية المعروضة : أيسجد محمد لصنم ، ويثنى على صنم ، ويفترى على الله الكذب ؟ أيخفى على محمد — وقد هداه القرآن — حقيقة الكفر وألفاظ الكفر ويعبث الشيطان به ؟ كل مسلم يلعن من ينسب إلى الرسول هذا الفرية الخبيثة الجاحدة .

وأقول هنا تعليقا على قوله سبحانه : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته) إنها وردت فى سورة الحج عقب التذكير بالقوم الذين كذبوا رسلهم ، وببعض مواقف المشركين منه صلى الله عليه وسلم ، وإملاء الله للقرى وهى ظالمة ، وكذلك التذكير بمصير الصالحين والمعاندين. إن ورودها كذلك يؤكد أن التمنى المقصود هو تمنيه صلى الله عليه وسلم إسلام قومه كما تمنى الرسل والنبيون قبله . وأن إلقاء الشيطان فى أمنية الرسول(ص) هو وسوسته التى يبثها فى نفوس أوليائه ؛ ليحملهم على البقاء على الكفر ، فلا تتحقق أمنية الرسول(ص) ، وأما نسخ الله لما يلقى الشيطان، فهو نصره لرسوله وتأييده له حتى يؤمن الكثير من قومه، كما فعل بيونس وغيره . والله أعلم .

(١) ورد نسبه فى نسب قريش دون ذكر أبى كبير ص ٢٥٦ أما أبو كبير فهو منهب بن عبد بن قصى فى نسب قريش . شهد بدرا مع النبى « ص » وقتل يوم اليرموك شهيدا . ص ٢٥٧ .

. . . .

ألا كلُّ شيء ما خلا اللهَ باطل

وقصة ابن مظعون إلى آخرها ، وليس فيها ما يشكل غير سؤال واحد ، وهو قول رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم : أَصْدَقُ كلمةٍ قالها الشاعرُ قولُ لبيد :

ألا كلُّ شَيْءٍ ماخَلاَ اللهَ باطلُ(١)

فصدقه فى هذا القول وهو ـ عليه السلام ـ يقول فى مناجاته : «أنت الحق ، وقولك الحق ، ووعدك الحق ، والجنة حق ، والنار حق ، ولقاؤك حق »(٢) ، فكيف يجتمع هذا مع قوله :

ألا كلُّ شَيْءٍ ما خلا الله باطل

فالجواب من وجهين أحدهما : أن يريد بقوله : ماخلا الله : ماعداه ، وعدا رحمته التى وعد بها من رحمه ، والنار وما توعَّد به من عقابه ، وماسوى هذا فباطل أى : مضمحل والجواب الثانى : أنَّ الجنة والنار وإن كانتا حقا ، فإن الزوال عليهما جائز لذاتهما ، وإنما يبقيان بإبقاء الله لهما ، وأنه يخلق الدوام لأهلهما على

---

(١) رواه الشيخان عن أبى هريرة . وفى رواية لمسلم : أصدق بيت . وفى رواية لأحمد والترمذى عن أبى هريرة : أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد ، وهذه الرواية ترفع إشكال السهيلى ، وقد عد البخارى وابن أبى خيثمة وغيرهما لبيدا ، فى الصحابة . وقيل : عاش قرنا ونصفا أو أكثر ، ومات فى خلافة عثمان . وهو القائل .

ولقد سئمت من الحياة وطولها　　　وسؤال هذا الناس : كيف لبيد

(٢) رواه البخارى

. . . .

قول من جعل الدوام والبقاء معنى زائداً على الذات ، وهو قول الأشعرى ، وإنما الحق على الحقيقة من لايجوز عليه الزوال ، وهو القديم(١) الذى انعدامه محال ؛ ولذلك قال عليه السلام: أنت الحق بالألف واللام، أى المستحق لهذا الاسم على الحقيقة ، وقولك الحق ؛ لأن قوله قديم ، وليس بمخلوق فيبيد ، ووعدك الحق، كذلك، لأن وعده كلامه ،هذا مقتضى الألف واللام ، ثم قال : والجنة حق، والنار حق بغير ألف ولام ، ولقاؤك حق كذلك: لأن هذه أمور مُحدَثات والمحدَث لا يجب له البقاء من جهة ذاته ، وإنما علمنا بقاءها من جهة الخبر الصادق الذى لايجوز عليه الخُلف ، لا من جهة استحالة البقاء عليها ، كما يستحيل على القديم ـ سبحانه ـ الذى هو الحق ، وما خلاه باطل ، فإمّا جوهر وإما عرض ، وليس فى الأعراض إلا مايجب له الفناء، ولا فى الجواهر إلا مايجوز عليه الفناء والبطول ، وإن بقى ولم يبطل فجائز أن يبطل . وأما الحق ـ سبحانه ـ

---

(١) لم يرد فى قرآن ولا سنة وصف الله بالقدم ، وإنما ورد فى القرآن وصفه بأنه الأول . أما القدم فكانت صفة للضلال: (قالوا : تالله إنك لفى ضلالك القديم) يوسف : ٩٥ وللعرجون :(والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) يس : ٣٩ والإفك : (وإذ لم يهتدوا به ، فسيقولون : هذا إفك قديم) الأحقاف : ١١ والآباء الضالين السابقين:(قال : أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون . فإنهم عدو لى إلا رب العالمين) الشعراء : ٧٦ ولا يجوز وصف الله بصفة هذا استعمالها.وهذه مواردها فى القرآن الكريم ، كما لا يجوز أن يسمى الله أو يوصف إلا بما سمى ووصف به نفسه .ولو وضعت صفة أنه «الأول» بدلا من قديم لاستراح الفكر البشرى من هذا الجدل المحموم الذى استمر حتى الآن حول صفة القدم ومدلولها ونسبتها إلى الله والعالم . فلا ينكر حتى زنادقة الفلسفة وملحدو الإشراقية أنه سبحانه هو : الأول .

. . . .

فليس من الجواهر والأعراض ، فاستحال عليه مايجب لهما ، أو يجوز عليهما .

ذكر حديث أبي بكر مع ابن الدغنة :

وذكر حديث أبى بكر حين لقى ابن الدُّغُنَّة ، واسمه : مالك ، وهو سيد الأحابيش ، وقد سماهم ابن إسحاق ، وهم : بنو الحارث وبنو الهُون من كنانة ، وبنو المُصْطَلِقِ من خُزَاعة تحبَّشوا ، أى : تجمعوا ، فسموا الأحابيش . قيل : إنهم تحالفوا عند جُبَيل ، يقال له حُبْشِىّ [1] ، فاشتق لهم منه هذا الاسم .

وقوله لأبى بكر : إنك لتَكْسِب المعدومَ [2] ، يقال : كَسَبْتَ الرجل مالا ،

---

(١) قال عنه ابن دريد فى الاشتقاق : جبل يقال له حبشى . ص ١٩٣ .

(٢) فى رواية للبخارى أنه قال له : « إنك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » ونحن نلحظ أنه عين ما قالته أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها للنبى صلى الله عليه وسلم حين عاد إلى البيت ليلة الوحى

والحديث فى البخارى بسنده عن عروة بن الزبير عن عائشة ، وفيه أن أبا بكر خرج مهاجرا إلى أرض الحبشة حتى بلغ برك ـ الكسر أشهر ـ الغماد ، والدغنة بفتح الدال وكسر الغين وتخفيف النون ، أو فتحها وفتح النون مع تشديدها ، أو بضم الدال والغين وتشديد النون . وسمى بهذا لاسترخاء فى لسانه . أو لأن الدغنة أمه ، أو أم أبيه ، وقيل : دابته . وفى رواية البخارى : « وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش ، فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله . ولا يخرج » وفيه أيضا : « فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره ، ولا يستعلن بصلاته ، ولا يقرأ فى غير داره ، ثم بدا لأبى بكر ، فابتنى مسجدا بفناء داره ، وكان يصلى فيه ، ويقرأ القرآن ، فيتقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم » . رواه البخارى فى باب الهجرة إلى المدينة مطولا . وفى مواضع أخرى مختصرا .

. . . .

فتعديه إلى مفعولين . هذا قول الْأَصْمَعِي ، وحكى غيره : أكسبته مالا ، فمعنى تَـكْسِبُ المعدومَ ، أى : تَـكْسِب غَيْرَكَ ماهو معدوم عنده ، والدَّغِنَة : اسم امرأةٍ عُرِفَ بها الرجل ، والدَّغْنُ : الغيمُ يبقى بعد المطر .

عن الشعب ونقض الصحيفة :

فصل : وذكر نقض الصحيفة ، وقيام هشام فيها ونسبه ، فقال : هشام ابن الحارث ، بن حُبَيْب ، وفى الحاشية عن أبى الوليد : إنما هو هشام بن عمرو ابن ربيعة بن الحارث(١) ، وهكذا وقع نسبه فى رواية يونس عن ابن إسحاق ، وكان أبوه عمرو أخا نَضْلة بن هاشم لأمه .

وذكر أنه كان يأتى بالبعير قد أَوْقَره بَزًّا بالزاى المعجمة ، وفى غير نسخة الشيخ أبى بحر : بُرًّا ، وفى رواية يونس : بَزًّا أو بُرًّا على الشك من الراوى .

وذكر أن منصور بن عِكْرِمَة كان كاتب الصحيفة ، فَشَلَّت يدُه ، وللنُّسَّابِ

(١) لعل المؤلف كانت بيده نسخة من السيرة غير التى معنا ، فالتى معنا فيها : هاشم بن عمرو بن ربيعة ، ونسبه مختلف عما فى كتاب نسب قريش ، فهو فيه هكذا : « هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤى ، فهو فى النسب كما ترى من نسل جذيمة بن مالك ، أما فى السيرة فهو من نسل نصر بن مالك شقيق جذيمة ، وقد قال مصعب عن هاشم هذا : « وهو الذى قام فى نقض الصحيفة التى كتبت قريش على بنى هاشم فى نفر قاموا معه ، منهم : مطعم بن عدى بن نوفل وزمعة بن الأسود بن المطلب ، وأبو البخترى بن هشام بن الحارث فى رجال من قريش » ص ٤٣١ ، وانظر أيضاً ص ٤١٢ عن سلالة عامر بن لؤى

. . . .

من قريش فى كاتب الصحيفة قولان، أحدهما : أن كاتبَ الصحيفة هو : بَغِيضُ ابن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، والقول الثانى : أنه مَنْصور ابن عَبْد شُرَحْبِيل بن هاشم من بنى عبدا الدار أيضا ، وهو خلاف قول ابن إسحاق ، ولم يذكر الزُّبَيْرُ فى كاتبِ الصحيفة غير هذين القولين ، والزُّبَيْرِيُّون أعلم بأنساب قومهم[1] .

وذكرما أصاب المؤمنين مع رسولِ الله — صلى الله عليه وسلم — فى الشِّعْب من ضيق الحصار لايبايعون ولا يناكحون ، وفى الصحيح : أنهم جُهِدُوا حتى كانوا يأكلون الخَبَطَ ووَرَقَ السَّمُر ، حتى إن أحدَهم لَيَضَعُ كما تَضَعُ الشاةُ[2] ، وكان فيهم سعدُ بن أبى وَقَّاص . روى أنه قال : لقد جُعت ، حتى إنى وطئت ذات ليلة على شىء رطب ، فوضعته فى فمى وبلعته ، وما أدرى ماهو إلى الآن . وفى رواية يونس : أن سعداً قال : خَرَجْت ذات ليلة لأبول ، فسمعت قَعْقَعَةً تحت البول ، فإذا قطعةٌ من جِلْدِ بعير يابسة ، فأخذتها وغسلتها ، ثم أحرقتها ثم رَضَضْتُها ، وَسَفِفْتُها بالماء ، فَقَوِيت بها ثلاثا ، وكانوا إذا قدمت العيرُ مكة يأتى أحدُهم السوقَ ليشترى شيئاً من الطعام لعياله ، فيقوم أبو لهب عدوُّ الله ، فيقول :

---

(١) ذكرهما المصعب الزبيرى ص ٢٢٢ نسب قريش ، وذكر أن كنية منصور هى : أبو الروم

(٢) فى اللسان : « وأما الذى فى حديث سعد : إن كان أحدنا ليضع كما تضع الشاة . أراد : أن نجوهم — النجو : ما يخرج من البطن من غائط — كان يخرج بعراً ليبسه من أكلهم ورق السمر ، وعدم الغذاء المألوف » مادة وضع .

. . . .

يامعشر التجار : غالُوا على أصحاب محمد ، حتى لا يُدركوا معكم شيئا ، فقد علمتم مالى ووفاء ذِمَّتى، فأنا ضامن أن لاخَسارَ عليكم ، فيزيدون عليهم فى السِّلعة، قيمتها أضعافا حتى يرجعَ إلى أطفاله ، وهم يَتَضاغَوْن من الجوع، وليس فى يديه شىء يُطعمهم به ، ويغدو التجار على أبى لهب ، فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس ، حتى جُهِدَ المؤمنون ، ومن معهم جوعا وعُرْياً ، وهذه إحدى الشدائد الثلاث التى دل عليها تأويل الْغَطَّات الثلاث التى غَطَّه جبريل حين قال له: اقرأ، قال : ما أنا بقارئ ، وإن كان ذلك كان فى الْيَقَظَةِ ، ولكن مع ذلك له فى مقتضى الحكمة تأويلٌ وإيماء ، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا قبل ، وإلى آخر حديث الصحيفة ليس فيها مايشكل(١) .

---

(١) كان ابتداء حصرهم فى الحرم سنة سبع من المبعث. فأقاموا سنتين أو ثلاثا كما روى ابن إسحاق ، وجزم موسى بن عقبة بأنها كانت ثلاث سنين . وذكر الواقدى أن خروجهم من الشعب كان فى سنة عشر من المبعث ، ومات أبو طالب بعد أن خرجوا بقليل . ويقول الحافظ فى فتح البارى: « ولما لم يثبت عند البخارى شىء من هذه القصة اكتفى بإيراد حديث أبى هريرة : نصه : « قال : قال رسول الله (ص) حين أراد حنينا : منزلنا غــــدا إن شاء الله بخيف بنى كنانة ، حيث تقاسموا على الكفر » لأن فيه دلالة على أصل القصة ، لأن الذى أورده أهل المغازى من ذلك كالشرح لقوله فى الحديث : على الكفر » ص ١٥٢ ومابعدها جـ ٧ فتح البارى .

ويقول الحافظ فى نفس المكان أيضا عمـــا أكلته الأرضة من الصحيفة : « أما ابن إسحاق وموسى بن عقبة وعروة فذكروا عكس ذلك أن الأرضة لم تدع اسما لله إلا أكلته ، وبقى مافيها من الظلم والقطيعة » قال البرهان ما حاصله : وهذا أثبت من الأول ص ٢٩٠ جـ ١ شرح المواهب اللدنية .

. . . .

شرح دالية أبي طالب :

وقول أبي طالب : ألا[1] قد أتى بَحْرِيَّنا ، يعني الذين بأرض الحبشة ، نسبهم إلى الْبَحْر لركوبهم إياه ، وهكذا وجه النَّسَب إليه ، وقد قال عليه السلام : إذا نشأت بَحْرِيَّة ، وزعم ابن سيدة في كتاب المحكم له أن العَرَبَ تنسب إلى البحر : بَحْرانِيّ على غير قياس ، وأنه من شَوَاذ النسب ، ونسب هذا القول إلى سيبويه والخليل ، ولم يقله سيبويه قط ، وإنما قال في شواذ النسب : تقول في بَهْرَاء: بَهْرَانِيّ ، وفي صنعاء :صَنْعَانِيّ ، كما تقول: بَحْرَانِيّ في النسب إلى الْبَحْرَيْن التي هي مدينة ، وعلى هذا تلقَّاه جميعُ النُّحاة ، وتأوَّلوه من كلام سيبويه ، وإنما شبه على ابن سيدة لقول الخليل في هذه المسألة ، أعني مسألة النسب إلى البحرين ، كأنهم بَنَوْا البحر على بَحْران ، وإنما أراد لفظ البحرين[2] ألا تراه يقول

(١) في السيرة : ألا هل .

(٢) قياسها : بحريني . ولكنهم قالوا : بحراني ، فقياس المثنى المجعول نونه معتقب الإعراب أن يكون في الأحوال بالألف ، فلزام البحرين الياء شاذ إذن وإذا جعل نون المثنى معتقب الإعراب لم يحذف في النسب لا هو ولا الألف فقيل : بحراني على أنه منسوب إلى البحران المجعول نونه معتقب الإعراب ص ٨٢ ح ٢ شرح الشافية ، وللتوضيح أقول : من العلماء من يلزم المثنى إذا سمي به الألف والنون ويعربه إعراب ما لا ينصرف ، ومنهم من يلزمه الألف والنون ويصرفه فتظهر علامات الإعراب على النون رفعا وجرا ونصبا ، ولا تكون الألف علامة إعراب ، ولهذا ينسب إلى المثنى حينئذ دون حذف شيء منه مثل بحراني. وقياس صنعاء وبهراء في النسب : بهراوي وصنعاوي مثل حمراوي ، ولكنهم أبدلوا النون من الواو شذوذا للمناسبة التي بينهما . وقيل في النون التي في صنعاني إنها بدل من الهمزة في صنعاء ، أو بدل من الواو في نسبها القياسي، وهو صنعاوي كأنهم قالوا : صنعاوي كصحراوي ، ثم أبدلوا من الواو نونا ، وهو المختار عند =

. . . .

في كتاب العين : تقول بَحْرَانِي في النسب إلى الْبَحْرَين ، ولم يذكر النسب إلى البحر أصلا للعلم به ، وأنه على القياس جار ، وفي الغريب المصنف عن اليزيدى أنه قال : إنما[1] قالوا : بَحْرانِي في النسب إلى الْبَحْرَين ، ولم يقولوا : بَحْرِى ليفرقوا بينه وبين النسب إلى الْبَحْرِ ، وما زال ابن سيـــدة يعثر في هذا الـكتاب وغيره [عثرات] يَدْمى منها الْأَظَلُّ ، ويَدْحَضُ دَحَضات تُخرجه إلى سبيل مَنْ ضل[2] ألا تراه قال في هذا الباب : وذكر بحيرة طَبَرِية ، فقال : هي من أعلام خروج الدجال ، وأن ماءها يَيْبَس عند خروجه ، والحديث : إنما جاء في[3] عين زُغَر ، وإنما ذكرت بحيرة طَبَرِيَّة في حديث يأجوج ومأجوج ،

= الزمخشرى ، لأن النون من الفم ، والهمزة من أقصى الحلق ، فلا مناسبة بينهما ، أما النون فتقارب الواو . وقد سبق ذكر شيء من هذا . هذا وقد ورد في اللسان منسوبا إلى ابن سيدة : « والنسب إلى البحر : بحراني على غير قياس . قال سيبويه قال الخليل : كأنهم بنوا الاسم على فعلان » ثم نقل ابن منظور بعد هذا عين ماذكره السهيلي ردا على ابن سيدة ، وقد نسبه إلى السهيلي . وفيه : « اشتبه على ابن سيدة » بدلا من شبه . والزبدى بدلا من اليزيدى .

(١) في الأصل : إذا ، والتصويب من اللسان ص ٢٣٢ الذي وردت فيه نفس هذه الفقرة .

(٢) الأظل باطن الإصبع ، ودحض كقطع : زلقت رجله .

(٣) في اللسان : غور . وفي معجم البكرى : عين زغر اختلف فيها ، فقيل هي بالشام . قال الكلبي : زغر : امرأة نسبت إليها هذه العين . وفي حديث على أن عين زغر بالبصرة . وعين زغر هي التي سأل عنها الدجال في حديث تميم الدارى . وقال ابن سهل الأحول : سميت بزغر بنت لوط . وفي المراصد : قرية بمشارف الشام في طرف البحيرة المنتنة ، وتسمى البحيرة بها ، وهي قرب الكرك .

. . . .

وأنهم يشربون ماءها ، وقال فى الجمار فى غير هذا الكتاب : [إنما] هى التى تُرمى بعرفة ، وهذه هَفْوة لا تُقال ، وعَثْرة [لا] لَعًالها[1] وكم له من هذا إذا تكلم فى النسب وغيره[2] ، ومن النسب إلى البَحْر قوله عليه السلام لأسماء بنت عَمَيس حين قدمت من أرض الحبشة : الْبَحْرِيَّة الْحَبَشِيَّة ، فهذا مثل قول أبى طالب : ألا هل أتى بَحْرِيَّنا .

وقوله : والله بالناس أَرْوَدُ : أى : أرْفَقُ ، ومنه : رُوَيْدَك ، أى : رِفْقاً جاء بلفظ التصغير ؛ لأنهم يريدون به تقليلا أى : ارْفُق قليلا ، وليس له مكبر من لفظه ؛ لأن المصدر : إروادا ، إلا أن يكون من باب تصغير الترخيم ، وهو أن تصغر الاسم الذى فيه الزوائد ، فتحذفها فى التصغير ، فتقول فى أسود : سُوَيْد ، وفى مثل إرواد : رُوَيْد[3] .

وقوله : من ليس فيها بقَرقَر : أى : ليس بذليل ، لأن القَرْقَرَ : الأرضُ

(١) لعا : صوت معناه : الدعاء للعاثر بأن يرتفع من عثرته . يقال : لعاً لفلان وفى الدعاء عليه بالتعس : يقولون : لا لعاله . والسياق يقتضى وجود كلمة : لا . وقد وضعتها لهذا ، ومع ذلك فهى فى اللسان الذى نقل هذا النص كله عن السهيلى .

(٢) إلى هنا انتهى مانقله اللسان عن الروض ، وقد نقل من أول : زعم ابن سيدة فى كتاب المحكم .

(٣) تصغير الترخيم شاذ قليل ، ويرى الفراء أن العلم وحده هو الذى يصغر تصغير الترخيم ، لأن مايبقى منه بعد الترخيم دليـــل على ماحذف لشهرة العلم ، وأجازه البصريون فى غير العلم واستشهدوا بالمثل : عرف حميق جمله فصغر أحمق تصغير ترخيم .

. . . .

الْمَوْطُوءَةُ التى لاتمنع سالكها ، ويجوز أن يريد به : ليس بذى هَزْل ، لأن الْقَرْقَرَةَ : الضحكُ .

وقوله : وطائرها فى رأسها يتردد . أى : حظها من الشُّؤْم والشر ، وفى التنزيل : ﴿وألزمناه طائرَه فى عُنقه﴾ الإسراء : ١٣، وقوله : لها حُدُجٌ سَهْمٌ وقوسٌ ومِرْهَد،وجدت فى حاشية كتاب الشيخ مما كتبه عن أبى الوليد الكِنانى على هذا البيت : لعله حُدُج بضم الحاء والدال جمع حِدْج على ماحكى الفارسى ، وأنشد شاهدا عليه عن ثعلب :

قد افاَزَسنا الْحُمُولَ والحُدُجْ

ونظيره : سِتْر وسُتُر، ذكر ذلك عنه ابنُ سيدة فى محكمه، فيكون المعنى: إن الذى يقوم لها مقام الحِدْج سَهْمٌ وقَوْسٌ ومِرْهد . إلى هنا انتهى مافى حاشية كتاب الشيخ . قال المؤلف : وفى العين : الحَدَجُ:حَسَك القُطْبِ[مادام رطبا] فيكون[1] الحَدَجُ فى البيت مُسْتَعارا من هذا ،أى : لها حَسَك ، ثم فسره فقال : سهمٌ وقوس ومِرْهَدُ[2] ، هكذا فى الأصل بالراء وكسر الميم

---

(١) القطب : ضرب من النبات يذهب حبالا على الأرض طولا، وله زهرة صفراء ، وشوكه إذا حصد ويبس يشق على الناس أن يطئوه ، وفى الأصل : الحدج حسك العبط. والعبط : القطن ، وهذا لا يتفق مع ماقبله من قوله: «الحدج حسك» وما أثبته من اللسان، ومابين القوسين زيادة من اللسان ، وقول الفارسى عن ثعلب موجود فى اللسان ، وقد فسرها أبو ذر الخشنى بما يأتى : «حدج كثرة ، وأصل الحدج : صغار الحنظل والخشخاش ، فشبه كثرتهم به .

(٢) عند الخشنى : مرهد بفتح الميم : رمح لين ، ومن رواه فرهد ، فمعناه

. . . .

فيحتمل أن يكون مقلوبا من مَزْهَدٍ : مفْعَل من زَهَد الثوبَ إذا مزقه ، و يعنى به رُمحاً أو سيفا ، و يحتمل أن يكون غير مقلوب ، ويكون من الزَّهيد ، وهو الناعم أى : ينعم صاحبُه بالظَّفَر ، أو ينعم هو بالرِّىِّ من الدَّم ، وفى بعض النسخ : مَزْهد بفتح الميم والزاى ، فإن صحت الرواية به ، فمعناه : مَزْهد فى الحياة ، وحِرْص على الممات ، والله أعلم . وقوله فيها : إذا جمعات أيدى المفيضين تُرْعَد . يعنى : أيدى المفيضين بالقِداح فى الميسر ، وكان لا يفيض معهم فى الميسر إلا الأسخى ، ويسمون من لا يدخل معهم فى ذلك : البَرَمَ . وقالت امرأة لبعلها ـ وكان بَرَماً بخيلا ، ورأته يقرن بَضْعَتين فى الأكل : أَبَرَماً قَرُونا[1] ويسمونه أيضاً : الحَصُور : يريد أبو طالب : إنهم يطعمون إذا بخل النَّاس . والميسر : هى الجَزُورُ التى تُقَسَّم ، يقال : يَسَرْتُ إذا قسمت ، هكذا فسره القُتَبِيُّ وأنشد :

أقول لهم بالشِّعبِ إذ يَيْسِرونَنِي ألم ييأسوا أنى ابنُ فارسِ زَهْدَمِ[2]

قال : يَيْسِرُونَنِي أى : يَقْتَسِمُون مالى ، ويُروى : يَأْسِرونني من الأَسْر .

ـــ الرمح الذى إذا طعن به ، وسع الخرق ، ومن رواه مزهد ، فهو ضعيف لا معنى له إلا أن يراد به الشدة على معنى الاشتقاق .

(١) فى اللسان : وفى المثل : أبرما قرونا . أى : هو برم ويأكل مع ذلك تمرتين تمرتين .

(٢) البيت فى اللسان ، وقد نسبه فى مادة يسر إلى سحيم بن وثيل اليربوعى . وفيه : ألم تعلموا بدلا من : ألم ييأسوا . كان وقع عليه سباء فضرب عليه بالسهام . وفى مادة زهدم يقول : قال ابن برى : زهدم : اسم لفرس لسحيم بن وثيل ، وفيه يقول ابن جابر : أقول لهم بالشعب الخ . والزهدم : الصقر ، وزهدم : اسم فرس ، وفارس يقال له : فارس زهدم .

. . . .

وقوله: رَفْرَفِ الدِّرْعِ أَحْرَدُ . رَفْرَفُ الدِّرعِ: فُضُولها ، وقيل فى معنى: رَفْرَفٍ خُضْرٍ: فضول الفُرُش والبُسُط، وهو قول ابن عباس ، وعن على أنها: المَرافِق ، وعن سَعِيد بن جُبَيْرٍ: الرفارف: رياض الجنة، والأَحْرَدُ الذى فى مشيه تثَاقُلٌ ، وهو من الحَرَدِ، وهو: عَيْبٌ فى الرِّجْلِ. وفيه: همْ رَحمُوا سَهْلَ بن بَيْضَاءَ راضياً . سهل هذا هو: ابن وَهْب بن رَبيعَة بن هِلال بن ضَبَّة بنَ الحارث بن فِهر ، يعرف: بابن البَيضَاء[1] ، وهى أُمه ، واسمها: دَعْد بنت جَحْدَم بن أُمَيَّة ابن ضَرِب بن الحارث بن فِهْر ، وهم ثلاثة إخوة: سَهْلٌ وسُهيل وصَفْوان بنو البَيْضاء . وقوله:

وإنى وإياهم كما قال قائل   لديك البيانُ لو تكلمت أَسْوَدُ[2]

أسود: اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل ، فلم يعرف قاتله ، فقال أولياء المقتول هذه المقالة، فذهبت مثلا .

---

(١) ورد نسب وهب فى نسب قريش هكذا: « وهب ، بن ربيعة بن هلال ابن مالك بن ضبة بن الحارث » ص ٤٤٦ ولم يذكر غير سهيل وصفوان ابنى وهب بن ربيعة بن هلال ، لكن فى جمهرة ابن حزم: « سهل بن وهب بن ربيعة بن عامر بن مالك بن ضبة بن الحارث بن فهر » ص ١٦٧ جمهرة ابن حزم ، ولم يذكر سهيلا . والأم فى النسب هى: دعد بنت جحدم بن عمرو بن عائش ، وفى جمهرة ابن حزم جاء بعد عائش: ابن المطرف بن حارث بن فهر .

(٢) فى النسخة التى معنا: « فإنى وإياكم » وفى القاموس: أسود العين ، وأسود النساء ، وأسود العشاريات ، وأسود الدم ، وأسود الحمى: جبال ، وفى الخشنى: أسود: اسم رجل، وأراد: يا أسود ، وهو مثل يضرب للقـــادر على الشىء ولا يفعله ص ١٠٩ .

. . . .

قول حسان فى مطعم وهشام بن عمرو :

فصل : وذكر قول حَسَّان فى مُطْعِمِ بن عَدِيٍّ ، ويذكر جواره للنبى — عليه السلام — وذلك حين رجع من الطائف ، وقيامه فى أمر الصحيفة :

فلو كانَ مجدٌ يُخلِدِ الدهرَ واحدا من الناس أبقى مجدُه اليوم مُطْعِما[١]

وهذا عند النحويين من أقبح الضرورة ، لأنه قدم الفاعل ، وهو مضاف إلى ضمير المفعول ، فصار فى الضرورة ؛ مثل قوله :

جزى رَبُّه عنى عــــدىَّ بنَ حاتم[٢]

---

(١) استشهد به ابن عقيل فى شرح الألفية ، وهو يشرح قول ابن مالك .

وشاع نحو خاف ربه عمر وشذ نحو زان نوره الشجر

أى : شاع تقديم المفعول المشتمل على ضمير يرجع إلى الفاعل المتأخر ، وشذ عود الضمير من الفاعل المتقدم على المفعول المتأخر ، وإنما شذ ذلك لأن فيه عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة ؛ لأن الشجر مفعول به ، وهو متأخر لفظا ، والأصل فيه أن ينفصل عن الفعل ، فهو متأخر رتبة . وقد أجاز هذا الأخفش وابن جنى وأبو عبد الله الطوال وابن مالك فى التسهيل ، ونصر الجرجانى مذهب الأخفش ، وفى بيتنا هذا أخر المفعول وهو مطعم عن الفاعل ، وهو مجده مع أن الفاعل مضاف إلى ضمير يعود على المفعول . فيقتضى رجوع الضمير إلى متأخر لفظا ورتبة . والبيت فى الاشتقاق : « فلو أن مجدا خلد الخ ص ٨٨ .

(٢) البيت لأبى الأسود الدؤلى يهجو عدى بن حاتم الطائى ، وبقيته : « جزاء الكلاب العاويات وقد فعل » . وقد نسبه ابن جنى إلى النابغة الذبيانى . والشاهد فيه تأخير المفعول وهو عدى ، وقدم الفاعل وهو ربه مع اتصال الفاعل بضمير يعود على المفعول . انظر خزانة الأدب للبغدادى حـ ١ ص ١٩٠ ومابعدها وشرح ابن عقيل الألفية حـ ١ ص ٤٢٠ بتحقيق الشيخ محى الدين عبد الحميد .

. . . .

غير أنه فى هذا البيت أشبه قليلا لتقدم ذكر مُطْعِم ، فكأنه قال : أبقى مجدُ هذا المذكور المتقدم ذِكْرُهُ مُطْعِماً . ووضع الظاهر موضع المضمر ، كالو قلت : إن زيدا ضَرَبت جاريتُه زيدا ، أى : ضربت جاريتُه إياه ، ولا بأس بمثل هذا ، ولا سِيَّما إذا قصدت قصدَ التعظيم وتفخيم ذكر الممدوح ، كما قال الشاعر :

ومالى أنْ أكونَ أعيب يحيى وَيَحْيَى طَاهِر الأثواب بَرُّ

ويجوز نصبُه عندى على البدل من قوله : وَبكَّى عظيمَ المشعرين ، ويكون المفعولُ من قوله : أبقى مجدُه محذوفا ، فكأنه قال : أبقاه مجدُه أبدا ، والمفعول لاقُبحَ فى حذفه ، إذا دل عليه الكلام كما فى هذا البيت .

وذكر قول حسان فى هشام بن عمرو ، وقال فيه : للحارث بن حُبَيِّبِ ابن سُخَام ، وقد تقدم نسبه ، وهو حُبَيْب بالتخفيف تصغير حِبّ ، وجعله حسانُ تصغِير حبِيب ، فشدَّده ، وليس هذا من باب الضرورَة ؛ إذ لا يسوغ أن يقال فى فُلَيْس : فُلَيِّس ، ولا فى كُلَيْب : كُلَيِّب فى شِعر ولا غيره ، ولكن لما كان الحِبُّ والحبيب بمعنى واحد جعل أحدهما مكان الآخر ، وهو حَسَنٌ فى الشعْرِ ، وسائغ فى الكلام ، وهشام بن عمرو هذا أسلم ، وهو مَعْدود فى الْمُؤَلَّفة قلوبُهم ، وكانوا أربعين رجلا فيما ذكروا .

وقوله : ابن سُخَام ، هو : اسم أمه ، وأكثر أهل النسب يقولون فيه : شُحَام بشين معجمة ، وألفيت فى حاشية كتاب الشيخ أن أبا عبيدَة النَّسَّابة وعَوَانة يقولون فيه : سُحَام بِسين وحاء مهملتين ، والذى فى الأصل من قول ابن هشام :

إسلام الطفيل بن عمرو الدوسى

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على ما يَرى من قومه ، يبذل لهم النَّصيحة ، و يدعوهم إلى النجاة مما هم فيه . وجعلت قريشٌ ، حين منعه اللهُ منهم ، يحذّرونه النَّاس ، ومن قدم عليهم من العرب .

وكان الطفيل بن عمرو الدَّوْسِيّ يحدّث : أنه قدم مكة – ورسول الله صلى الله عليه وسلم بهـا – فمشى إليه رجالٌ من قُريش – وكان الطفيل رجلاً شريفا شاعراً لَبيبا – فقالوا له : ياطُفيل ، إنك قدمتَ بلادنا ، وهذا الرجلُ الذى بين أظهرنا قد أعْضل بنا ، وقد فرّق جماعَتنا ، وشتّت أمرنا ، وإنمـا قولُه كالسِّحر يفرّق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، وإنَّا نَخْشى عليك وعلى قومك ماقد دَخل علينا ، فلا تُكَلِّمَنَّه ولاتسمعنّ منه شيئا .

سخام بسين مهملة ، وخاء معجمة [1] ولفظ شُخَام من شَخُمَ الطعام ، وخَشِم إذا تغيرت رائحته ، قاله أبو حنيفة .

---

(١) فى نسب قريش ص ٤٣٢ أن شحاما بالشين والحاء هو: جذيمة بن مالك ابن حسل ، وأنه جد هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بضم الحاء – ابن جذيمة ابن مالك بن حسل . وفيه أيضا أن حبيبا بن جذيمة يقال له : شحام ، وأن أمه هى مارية بنت عبد معيص . وفى النسب بيت آخر غير ثلاثة الأبيات التى فى السيرة :

أخنى بنو خلف وأخنى قنفذ — وأبو الربيع ، وطار ثوب هشام

ونسب هشام فى الجمهرة كما هو فى النسب ص ١٦٠ ، وفى الإصابة : حنيف بدلا من حبيب . وأن هشاما أعطاه النبى (ص) دون المائة من غنائم حنين .

قال : فوالله مازالوا بى حتى أجمعتُ أن لاأسمع منه شيئا ، ولا أكلّمه ، حتى حشوتُ فى أذنى حين غدوتُ إلى المسجد كُرْسُفا فَرَقا من أن يبلغنى شىء من قوله ، وأنا لاأُريدأن أسمَعه . قال : فغدوت إلى المسجد ، فإذا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - قائمٌ يصلى عند الكعبة . قال : فقُمت منه قريبا ، فأبى اللهُ إلا أن يُسمعنى بعضَ قوله . قال : فسمعتُ كلاما حسنا . قال : فقلت فى نفسى : واثُكْل أمى !! والله إنى لرجُل لَبيب شاعرٌ مايخفى علىّ الحَسَنُ من القبيح ، فما يَمنعنى أن أسمَع من هذا الرجل مايقول ! فإن كان الذى يأتى به حسنا قبِلتُهُ ، وإن كان قبيحا تركتُه .

قال : فمكثت حتى انصرف رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بيته فاتَّبعتُه ، حتى إذا دخل بيته دَخلتُ عليه ، فقلت : يامحمد ، إنّ قومك قالوا لى كذا وكذا - للذى قالوا - فوالله مابَرِحوا يُخَوِّفوننى أمرَكَ حتى سددت أذنى بكُرْسُف لئلا أسمع قولَك ، ثم أبى اللهُ إلا أن يُسمعنى قولَك ، فسمعتُه قولاً حسنا ، فاعرض علىّ أمرك . قال : فعرض علىّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الإسلام ، وتلا علىّ القرآن ، فلا والله ماسمعتُ قولاً قطُّ أحسنَ منه ، ولا أمراً أعدل منه ، قال : فأسلمت ، وشهدت شهادة الحقّ ، وقلت : يانبىّ الله إنى امرؤٌ مُطاع فى قومى ، وأنا راجعٌ إليهم ، وداعيهم إلى الإسلام ، فادعُ اللهَ أن يجعل لى آيةً تكون لى عونا عليهم فيما أدعوهم إليه فقال : اللهمّ اجعل له آية .

قال : فخرجت إلى قومى ، حتى إذا كنت بِثَنِيَّة تُطْلِعُنى على الحاضر وقع

نورٌ بين عينيّ مثلُ المصباح ، فقلت : اللهمّ فى غير وَجْهى ، إنى أخشى أن يظنُّوا أنها مُثْلة وَقعت فى وجهى لفِراق دينهم . قال : فتحوّل فوقع فى رأس سَوْطى . قال : فجعل الحاضرُ يتراءوْن ذلك النور فى سَوْطى كالقنديل المعلّق ، وأنا أهبط إليهم من الثَّنِيَّة ، قال : حتى جئتُهم فأصبحتُ فيهم .

إسلام والد الطفيل وزوجته

قال : فلما نزلت أتانى أبى ، وكان شيخا كبيرا ، قال : فقلت : إليك عنى يا أبت ، فلستُ منك ، ولستَ منى ، قال : ولِم يابنىّ ؟ قال : قلت : أسلمتُ ، وتابعت دينَ محمد — صلى الله عليه وسلم — قال : أى بنىّ ، فدينى دينُك ، قال : فقلت : فاذهب ، فاغتسل ، وطَهِّر ثيابك ، ثم تعال حتى أعلمك ما عُلِّمتُ . قال : فذهب فاغتسل ، وطهَّر ثيابَه . قال : ثم جاء فعرضتُ عليه الإسلام ، فأسْلَم .

قال : ثم أتتنى صاحبتى ، فقلت : إليك عنى ، فلستُ منك ولست منى ، قالت : لِمَ ؟ بأبى أنت وأمى ، قال : قلت : قد فرّق بينى وبينك الإسلام ، وتابعتُ دين محمد — صلى الله عليه وسلم — قالت : فدينى دينُك ، قال : قلت : فاذهبى إلى حِنَا ذى الشَّرى — قال ابن هشام : ويقال : حِمَى ذى الشَّرى — فتطَهَّرى منه .

وكان ذو الشَّرى صنما لِدَوْس ، وكان الحِمى حِمًى حَمَوْه له ، به وشَلٌ من ماء يَهْبِط من جبل .

قال : قالت : بأبى أنت وأمى ، أتخشى على الصبيَّة من ذى الشَّرى شيئا ؟ قال : قلت : لا ، أنا ضامنٌ لذلك ، فذهبت فاغتسلت ، ثم جاءت فعرضتُ عليها الإسلام ، فأسلمت .

ثم دعوت دَوْسا إلى الإسلام ، فأبطئوا علىّ ، ثم جئتُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكَّةَ ، فقلت له : يانبىّ الله ، إنه قد غلبنى على دَوْس الزّنا ، فادْعُ الله عليهم ، فقال : اللهمّ اهْدِ دَوسا ، ارجع إلى قومك فادعهم وارفُق بهم ، قال : فلم أزل بأرض دَوْس أدعوهم إلى الإسلام ، حتى هاجر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بَدرٌ وأُحدٌ والخندقُ ، ثم قدمتُ على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمن أسْلَمَ معى مِنْ قومى ، ورسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بِخَيْبَر ، حتى نزلتُ المدينةَ بسبعين أو ثمانين بيتا من دَوس ، ثم لِحَقنا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بخيبر ، فأسْهم لنا مع المسلمين .

ثم لم أزَل مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى إذا فتح اللهُ عليه مكةَ ، قال : قلت : يارسول الله ، ابعثنى إلى ذى الكَفَّين ، صنمِ عمرو بن حُمَمَة حتى أحْرقه .

قال ابن إسحاق : فخرج إليه ، فجعل طفيل يوقد عليه النار ، ويقول :

يإذا الكَفَيْنِ لَسْتُ مِنْ عُبَّادِكا ... ميلادنا أقْدَمُ مِنْ مِيلادكا

إنى حشوتُ النَّار فى فُؤادِكا

قال : ثم رجع إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فكان ، معه بالمدينة ، حتى قبض اللهُ رسولَهُ — صلى الله عليه وسلم — فلما ارتدت العرب ، خرج مع المسلمين ، فسار معهم ، حتى فرَغوا من طُليحة ، ومن أرض نَجْد كلِّها . ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة — ومعه ابنُهُ عَمْرو بن الطُّفيل — فرأى رؤيا وهو متوجِّه إلى اليمامة ، فقال لأصحابه : إني قد رأيت رؤيا ، فاعبُرُوها لى ، رأيتُ أن رأسى حُلِق ، وأنه خرج من فمى طائرٌ ، وأنه لقيتْنى امرأةٌ ، فأدخلتنى فى فَرْجها ، وأرى ابنى يَطلبنى طَلَبا حَثيثا ، ثم رأيتُه حُبس عنى ، قالوا : خيرا . قال : أمَّا أنا والله ، فقد أوَّلتُها ، قالوا : ماذا ؟ قال : أمَّا حلْق رأسى فَوَضْعه ، وأما الطائر الذى خرج من فَمِى فرُوحِى ، وأما المرأة التى أدخلتنى فرجها ، فالأرض تُحْفَرُ لى ، فأُغيَّب فيها ، أما طَلب ابنى إياى ثم حَبْسه عنى ، فإنى أراه سيَجْهد أنْ يصيبه ماأصابنى ، فقُتل رحمه الله شهيدا باليمامة ، وجُرح ابنه جراحة شديدة ، ثم استبَلّ منها ، ثم قُتل عام اليَرْموك فى زمن عمر رضى الله عنه شهيدا .

من قصة أعشى بن قيس بن ثعلبة

قال ابن هشام : حدثنى خلاد بن قُرّة بن خالد السَّدُوسىّ وغيرُه من مشايخ بَكْر بن وائل مِن أهل العلم : أن أعشى بنى قَيس بن ثعلبة بن عُكابة ابن صَعْب بن علىّ بن بَكْر بن وائل ، [بن قاسط بن هِنْبِ بن أفصى بن دُعْمِى ابن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار] خرج إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يريد الإسلام فقال يمدح رسولَ الله صلى الله عليه وسلم :

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عيْناكَ ليلةَ أرْمَدَا ... وبتَّ كمابات السَّلِيمُ مُسهَّدَا
وَما ذاكَ مِنْ عشْقِ النِّساء ، وإنما ... تناسيتَ قبلَ اليوْم خُلَّة مَهْددا
ولكن أرَى الدهْرَ الذى هو خائنٌ ... إذا أصلحتْ كفَّاى عاد ، فأفْسدا
كُهولاً وشُبَّانا فقدتُ وثَرْوةً ... فَلِلّه هذا الدَّهرُ كيف تَرَدّدا ! !
ومازلتُ أبغى المالَ مُذْ أنا يافعٌ ... وليداً وكهلاً حين شِبْت وأمْردا
وأبتذل العِيسَ المَراقيل تَغْتلى ... مسافةَ مابين النُّجَيْر فَصَرْخَدا
ألا أيُّهذا السائلِي أين يَمَّمتْ ... فإنّ لها فى أهلِ يثرِبَ موْعدا
فإنْ تسألى عنى ، فيارُبّ سائلٍ ... حَفِىّ عن الأعشى به حيثُ أصْعدا
أجدّت بِرِجلَيْها النَّجاء ، وراجعتْ ... يدَاها خِنافاً لَيِّنا غيْرَ أحْردا
وفيها — إذاما هجَّرت — عَجْرفيَةٌ ... إذا خِلْت حِرْباء الظَّهيرة أصْيدا
وآليْتُ لا آوى لها من كَلالة ... ولا من حَفًى حتى تلاقى محمَّدَا
متى ما تُناخى عند باب ابنِ هاشم ... تُراحِى ، وَتَلْقَىْ من فَواضله ندَى
نبياً يرَى مالا ترون وذكرُه ... أغار لَعَمْرى فى البلاد وأنْجَدا
له صَدقاتٌ ماتُغِبّ ونائِل ... وليس عطاء اليوْم مانعَه غدا
أجِدَّكَ لم تسْمَع وَصاةَ محمد ... نبىِّ الإلٰهِ حيث أوْصَى ، وأشهَدا
إذا أنت لم ترحل بزاد من التُّقَى ... ولاقيت بعد الموْت مَنْ قد تَزَوّدا
ندمتَ على أن لا تكون كمِثْلِه ... فَتُرصِد للأمر الذى كان أرْصَدا
فإيَّاك والمَيْتاتِ لاتقربنَّها ... ولاتأخُذَنْ سهما حديداً ، لتفْصِدا
وذا النُّصُبَ المنصوبَ لاتَنْسُكَنَّه ... ولاتعبد الأوثان ، والله فاعبُدا

ولا تقربنّ حُرّةً كان سِرُّها ... عليك حراما فانكحن أو تأبّدا
وذا الرّحِم القُربَى فلا تقطعَنّه ... لعاقبة ولا الأسير المُقيَّدا
وسبّح على حين العشيّات والضحى ... ولا تحمد الشّيطانَ والله فاحمدا
ولا تسخرًا من بائس ذى ضرارة ... ولا تحسبنّ المال للمرء مُخلِدا

مصير الأعشى

فلما كان بمكة أو قريبا منها ، اعترضه بعضُ المشركين من قريش ، فسأله عن أمره ، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ؛ ليُسلم ، فقال له: يا أبا بصير ، إنه يُحرِّم الزّنا ، فقال الأعشى : والله إن ذلك لأمرٌ مالى فيه من أَرَب ، فقال له : يا أبا بصير ، فإنه يحرم الخمر ، فقال الأعشى : أمّا هذه فوالله إنّ فى النفس منها لَعُلالات ، ولكنى منصرفٌ فأتروّى منها عامى هذا ، ثم آتيه فأسلم . فانصرف فمات فى عامه ذلك ، ولم يَعُد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذلة أبى جهل

قال ابن إسحاق : وقد كان عدوّ الله أبو جهل بن هشام مع عداوته لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبغضه إياه ، وشدّته عليه ، يُذلّه الله له إذا رآه .

أبو جهل والإراشى

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الملك بن عبد الله بن أبى سفيان الثقفى ، وكان واعية ، قال : قدِم رجلٌ من إراش – قال ابن هشام : ويقال : إراشة – بإبل له مكةَ ، فابتاعها منه أبو جهل ، فمَطَله بأثمانها . فأقبل الإراشى حتى وقف على نادٍ من قريش ، ورسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فى ناحية المسجد جالسٌ ، فقال : يامعشر قريش ، مَنْ رجلٌ يؤدّينى على أبى الحكم بن هِشام ، فإنى رجلٌ غريب ، ابنُ سَبيل ، وقد غَلبنى على حقى ؟ : فقال له أهلُ ذلك المجلس : أترى ذلك الرجلَ الجالس – لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهم يهزءون به ؛ لما يعلمون بينه وبين أبى جهل من العداوة – اذهَبْ إليه ، فإنه يُؤدّيك عليه .

فأقبل الإراشى حتى وقف على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : ياعبد الله إنّ أبا الحكم بنَ هشام قد غَلَبنى على حقَ لى قِبَله ، وأنا غريب ابن سَبيل ، وقد سألت هؤلاء القومَ عن رجل يؤدّينى عليه ، يأخذ لى حقّى منه ، فأشاروا لى إليك ، فخُذْ لى حقِّى منه ، يرحمك الله ، قال : انطلق إليه ، وقام معه رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فلما رأوْه قام معه ، قالوا لرجل ممن معهم : اتبعه ، فانظر ماذا يصنع .

قال : وخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى جاءه ، فضرب عليه بابَه ، فقال : من هذا ؟ قال : محمد ، فاخرج إلىّ ، فخرج إليه ، وما فى وجهه من رائحة ، قد انتُقِع لونُه ، فقال : أعطِ هذا الرجل حقّه ، قال : نعم ،

لاتبرحْ حتى أعطيـــه الذى له ، قال : فدخل ، فخرج إليه بحقِّه ، فدفعه إليه . قال : ثم انصرف رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال للإراشى : الحق بشأنك ، فأقبل الإراشى حتى وقف على ذلك المجلس ، فقال : جزاه الله خيراً ، فقد والله أخذ لى حقى .

قال : وجاء الرجل الذى بعثوا معه ، فقالوا : ويحك ! ماذا رأيت ؟ قال : عجبا من العجب ، والله ماهو إلا أن ضَرب عليه بابَه ، فخرج إليه ومامعه رُوحُه ، فقال له : أعط هذا حقَّه ، فقال : نعم ، لاتبرحْ حتى أُخرج إليه حقَّه فدخل فخرج إليه بحقه ، فأعطاه إياه . قال : ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء ، فقالوا له : وَيْلَك! مالك والله مارأينا مثل ماصنعت قطُّ ! قال : ويحَكم ، والله ماهو إلا أن ضربَ علىّ بابى ، وسمعت صوتَه ، فمُلئت رعبا ، ثم خرجتُ إليه ، وإنّ فوق رأسه لفَحْلاً من الإبل ، مارأيت مثلَ هامته ، ولا قَصَرَته ، ولا أنيابه لفحل قط ، لو أبيتُ لأكلنى .

ركانة ومصارعته

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاقُ بن يسار ، قال : كان رُكَانَةُ ابن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف أشدَّ قُرَيش ، فخلا يوما برسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى بعض شِعاب مكة ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يارُكَانة ، ألا تتقى الله ، وتقبل ما أدعوك إليه ؟ قال : إنى لو أعلم أن الذى تقول حقّ لاتبعتك ، فقال رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم :

• • • • • • • • • •

أفرأيتَ إن صَرَعتُك ، أتعلم أنَّ ما أقول حقٌّ ؟ قال : نعم ، قال : فقم حتى أصارعك . قال : فقام إليه رُكانة يصارعه ، فلما بطش به رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أضجعه ، وهو لا يملك من نفسه شيئا ، ثم قال : عُدْ يا محمد ، فعاد فصرعه ، فقال يا محمد : والله إن هذا لَلعَجَب ، أتصرعني ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وأعجبُ من ذلك إن شئت أن أُريكه ، إن اتَّقيت الله واتبعت أمرى ، قال: ماهو ؟ قال : أدعو لك هذه الشجرةَ التى ترى فتأتيني ، قال : ادْعُها ، فدعاها ، فأقبلت حتى وقفتْ بين يدَىْ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : فقال لها : ارجعى إلى مكانك . قال : فرجعت إلى مكانها !

قال: فذهب رُكانة إلى قومه، فقال : يابنى عبد مناف ، ساحِرُوا بصاحبكم أهلَ الأرض ، فوالله مارأيت أسحرَ منه قطُّ ، ثم أخبرهم بالذى رأى والذى صنع .

قدوم وفد النصارى من الحبشة

قال ابن إسحاق : ثم قدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو بمكة ـ عشرون رجلاً ، أو قريبٌ من ذلك من النَّصارى ، حين بلغهم خبرهُ من الحبشة ، فوجدوه فى المَسْجد ، فجلسوا إليه وكلَّموه وسألوه ، ورجالٌ من قُريش فى أنديتهم حولَ الكعبة ، فلما فرغوا من مسألة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عما أرادوا ، دعاهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينُهم من الدمع ، ثم استجابوا

. . . .

لله ، وآمنوا به وصدّقوه ، وعرفوا منه ما كان يُوصف لهم فى كتابهم من أمْره . فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جَهْل بن هشام فى نَفَر من قُرَيش ، فقالوا لهم: خيَّبكم الله مِنْ رَكْب ! بعثكم مَن وراءكم مِنْ أهل دينكم تَرْتادون لهم ؛ لتأتوهم بخَبَر الرجل ، فلم تطمئنّ مجالسُكم عنده ، حتى فارقتم دينكم ، وصدّقتموه بما قال ، ما نعلم ركبا أحمق منكم ، أو كما قالوا ، فقالوا لهم : سلام عليكم ، لا نُجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ، ولكم ما أنتم عليه ، لم نألُ أنفسَنا خيراً .

ويقال : إن النَّفر من النَّصارى من أهل نَجْران ، فالله أعلم أىّ ذلك كان. فيقال ـ والله أعلم ـ فيهم نزلت هؤلاء الآيات: « الذين آتَيْناهُمُ الكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قالُوا آمَنَّا بِهِ ، إنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّنا ، إنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ » .. . إلى قوله : « لَنا أَعْمالُنا ولَكُمْ أَعْمالُكُمْ ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِى الجاهِلِينَ » القصص : ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ .

قال ابن إسحاق : وقد سألت ابن شهاب الزُّهرىّ عن هؤلاء الآيات فيمن أُنزلن ، فقال لى : ما أسمع من علمائنا أنهن أُنزلن فى النجاشى وأصحابه ، والآية من سورة المائدة من قوله : « ذلكَ بأنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبانا ، وأنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ » .. . إلى قوله : « فاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ » المائدة : ٨٢ ، ٨٣ .

قال ابن إسحاق وكان رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا جلس

فى المسجد ، فجلس إليه المُستضعَفون من أصحابه : خبّابٌ ، وعمّار ، وأبو فكيهة يسار مولى صفْوَان بن أُميّة بن مُحرِّث ، وصُهَيب ، وأشباههم من المسلمين ، هَزِئت بهم قريش ، وقال بعضُهم لبعض : هؤلاء أصحابُه كما ترون ، أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بَيْننا بالهدى والحقّ ! لو كان ماجاء به محمدٌ خيراً ماسَبَقَنا هؤلاء إليه، وما خصهم اللهُ به دُوننا . فأنزل الله تعالى فيهم : « وَلا تَطْرُدِ الَّذينَ يَدْعُون رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشيِّ يُريدون وَجْهَهُ ما عليكَ من حِسابِهم مِنْ شَيْء، وما مِنْ حسابك عليهم مِنْ شَيْءٍ فتطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ، وكذلكَ فتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْض لِيَقُولُوا : أهؤلاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم مِنْ بَيْننا ، أَلَيْسَ اللهُ بأعْلَمَ بالشَّاكِرِينَ . وَإِذَا جاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بآياتنا ، فَقُلْ : سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجهالَةٍ ، ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وأصْلَحَ فأنَّهُ غَفورٌ رحيمٌ » الأنعام : ٥٢ ـ ٥٤

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنى ـ كثيراً ما يَجْلس عند المَرْوة إلى مَبِيعَة غلامٍ نَصْرانىّ ، يقال له : جَبْرٌ ، عَبْدٌ لبنى الحَضْرمىّ ، فكانوا يقون : والله ما يعلّم محمداً كثيراً مما يأتى به إلا جَبْرٌ النَّصرانى ، غلامُ بنى الحضرمى ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : « وَلَقَدْ نَعْلَمُ أنَّهُم يَقُولُونَ : إنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسانٌ عَرَبىٌّ مُبِينٌ » النحل : ١٠٣

قال ابن هشام : يُلحدون إليه: يميلون ، والإلحاد : الميل عن الحقّ

قال رؤبة بن العَجّاج :

إذا تَبِع الضَّحَّاكَ كلُّ مُلْحِد [ونحن ضَرَّابُون هامَ العُنَّدِ]

ابن هشام : يعنى الضَّحَّاك الخارجىّ ، وهذ البيت فى أرجوزة له

. . . .

. . . .

حول حديث طفيل الدوسي وذي الكفين :

فصل : وذكر حديث طُفَيْلِ بن عمرو الدَّوْسِيِّ ، وهو طُفَيْل بن عَمْرو ابن طَرِيف بن العاصى بن ثعلبة بن سُلَيْم بن جَهْم بن دَوْس إلى آخره[1] وليس فيه إشكال إلا قوله : حِمَا ذى الشَّرَى ، وقد قال ابن هشام : هو حِمى ، وهو موضع حَمَوْهُ لصنمهم ذى الشَّرى ، فإن صحت رواية ابن إسحاق ، فالنون قد تبدل من الميم ، كما قالوا : حُلاَّن وحُلاَّم للجدى ، ويجوز أن يكون من حَنَوْت العود ، ومن مَحْنِيَةِ الوادى ، وهو ما انحنى منه .

وقوله : ياذا الْكَفَيْنِ لست من عُبَّادكا . أراد : الكفّين بالتشديد ، تخفف للضرورة ، غير أن فى نسخة الشيخ أن الصنم كان يسمى : ذا الْكَفَيْنِ ، وخفف.

---

(١) فى الإصابة : ابن فهم بدلا من : جهم . وله فيها نسب آخر هو : ابن عبد عمرو بن عبدالله بن مالك ، بن عمرو بن فهم ، لقبه : ذو النور ، وحكى المرزبانى فى معجمه أنه الطفيل بن عمرو بن حممة

ويقول ابن حجر فى الإصابة عن قصة الطفيل فى السيرة : « ذكرها ابن إسحاق فى سائر النسخ بلا إسناد ، وأخرجه ابن سعد أيضاً من وجه آخر وكذلك الأموى عن ابن الكلبى بإسناد آخر . هذا وقد ذكر ابن حبان أنه مات باليرموك ، وقيل : بأجنادين كما ذكر موسى بن عقبة وأبو الأسود عن عروة .

(٢) فى الأصنام لابن الكلبى ص ٣٧ ط ١ : « وكان لدوس ثم لبنى منهب ابن دوس صنم يقال له : ذو الكفين ، فلما أسلموا بعث النبى « ص » الطفيل ابن عمر الدوسى لحرقه . وروى الرجز ، وفى جمهرة ابن حزم : « كان لخزاعة ودوس . كسره عمرو بن حممة الدوسى » ص ٤٦٠ ، وفى المراصد : أن فاءه تخفف وتضعف . وقد ذكره القاموس فى مادة كف .

. . . .

الفاء بخطه بعد أن كانت مشددة ، فدل أنه عنده مخفف فى غير الشعر ، فإن صح هذا فهو محذوف اللام ، كأنه تثنية كَفْء ، من كفأتُ الإناء ، أو إذا كفء بمعنى كفء ؟! ثم سُهِّلت الهمزةُ ، وألقيت حركتها على الفاء ، كما يقال : الخَبْء والخَبُ[1] ، وفى الحديث : أن أهل الحاضر من دَوْس كانوا يتراءونه فى الثَّنِيَّة ، وفى سوطه كالقِنْديلِ المعلَّق[2] ، وذكره المبرِّد فقال فى لفظ الحديث : جعلوا ينظرون إلى الجبل ، وهو يهتف من شدة الضياء والنور ، وروى ، أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : لما قال طفيل للنبى — صلى الله عليه وسلم — إن

---

(١) يقول ابن الحاجب فى باب تخفيف الهمزة المتحركة الساكن ما قبلها : « والمتحركة إن كان قبلها ساكن ، وهو واو أو ياء زائدتان لغير الإلحاق قلبت إليها ، وأدغمت فيها كخطية ، ومقروة ، وأفيس . . . وإن كان حرفا صحيحا أو معتلا غير ذلك نقلت حركتها إليه ، وحذفت نحو : مسلة وخب وشى وسو » ص ٣٢ ح ٣ شرح الشافية ، ويقول الرضى : اعلم أنه إذا وقف على المتحركة المتطرفة ، فإما أن يوقف على مذهب أهل التحقيق ، أو على مذهب أهل التخفيف ، فالاول مضى حكمه مستوفى فى باب الوقف ، وأما على مذهب أهل التخفيف فإنه تخفف الهمزة أولا ؛ لأن حالة الوصل متقدمة على حالة الوقف ، ونقل الهمزة حاصل حالة الوصل ، فتخفف على ما هو حق التخفيف من النقل والحذف فى نحو الخب ، والقلب والإدغام فى نحـــو : برىء ومقروء ، فيبقى الخب بتحريك الباء كالدم ، ثم يوقف عليه بالسكون المحض ، والروم أو الإشمام أو التضعيف ، ص ٤٣ ح ٣ شرح الشافية .

(٢) هذا كلام رواه الطبرى وأبو الفرج الأصبهانى عن طريق ابن الكلبى ، فتأمل الطريق . وحادث مثل هذا كان يدعو إلى أن تتواتر عن الناس أخباره ، لا أن يروى هكذا كوسوسة الشيطان تحصره الملائكة .

. . . .

دَوْسا غلب عليها الزنى والربا ، فادع الله عليهم ، قلنا : هلكت دوس ، حتى قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – اللهم اهد دوسا[١] .

الأعشى ودالبنه وحمزة والشرف :

فصل : وذكر ابن هشام حديث الأعشى[٢] وقصيدته إلى آخرها ، فلما كان قريبا من مكة لقيه بعض المشركين ، فقال : إلى أين ياأبا بصير ؟ الحديث ، وذكر تحريمه الخمر ، وتحريمه الزنى ، وقول الأعشى : أما الخمر ففى الناس منها عُلالات وقال غير ابن هشام : كان القائلَ لِلأعشى هذه المقالة أبو جهل. قالها فى دار عُتْبَة ابن ربيعة ، وكان نازلا عنده ، قال المؤلف : وهذه غَفْلةٌ من ابن هشام ، ومن قال بقوله ، فإن الناس مجمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا بالمدينة بعد أن مضت بدر وأحد[٣] ، وحرمت فى سورة المائدة ، وهى من آخرِ مانزل ، وفى

---

(١) رواه الشيخان

(٢) كان أبوه قيس يدعى : قتيل الجوع ؛ لأنه دخل غارا . فوقعت صخرة، فسدت الغار ، فمات جوعا ص ٨٣ سمط اللآلى ، وفى طبقات الشعراء لابن قتيبة أن رحلته كانت فى صلح الحديبية. وهذا يوافق ماذهب إليه السهيلى، وماذكر عن تحريم الخمر ، وما ورد فى القصيدة

ونسبه فى الأغانى : ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف ، ابن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن الخ وما بين قوسين فى السيرة زدته عن الأغانى . كان الأعشى يلقب بصناجة العرب . لأنه – كما يقول صاحب الأغانى – كان يغنى فى شعره .

(٣) تظاهرت عدة أحاديث تؤيد هذا الرأى ، وفى البخارى بسنده عن جابر قال : « صبح أناس غداة أحد الخمر ، فقتلوا من يومهم شهداء ، وذلك قبل تحريمها »

. . . .

الصحيحين من ذلك قصةُ حمزة حين شربها ، وغنَّته القَيْنتان : ألا يا حَمْزَ ، للشُّرُف(١) النِّوَاء ، فبَقَر خواصِرَ الشارفين ، واجْتَبَّ أسْنِمَتَهما .

(١) الحديث كما قال . وخلاصته أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان قد أعطى عليا شارفا ــ والشارف من الإبل الناقة التى قد أسنت ــ من غنائم بدر غير شارف آخر كان لعلى نصيبا من غنائم بدر ، وذهب على لبعض شأنه ، والشارفان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار ، فلما عاد على وجدهما ، وقد قطعت أسنمتهما ، وبقرت خواصرهما ، وأخذ من أكبادهما ، فبكى على ، وعرف أن فاعل ذلك هو عمه حمزة الذى كان مع جماعة من الأنصار يشــربون الخمر ، فسكر ، وغنته جاريتان شعرا ـ سيأتى بعد ـ فقام وفعل بالشارفين ما تقدم ذكره ، فذهب على يشكو للنبى « ص » فذهب النبى « ص » إلى البيت الذى فيه حمزة ، وطفق يلومه ، فراح يصعد النظر فى رسول الله « ص » عدة مرات ، ثم قال حمزة : هل أنتم إلا عبيد لأبى ، فعرف الرسول « ص » أنه قد ثمل ــ أى غشاه السكر ــ فنكص على عقبيه القهقرى ، وقد غنت الجاريتان حمزة بما يأتى :

ألا يا حمز للشرف النــواء ... وهن معقلات بالفنــاء
ضــع السكين فى اللبات منها ... وضــرج جهن حمزة بالدماء
وعجل من أطايبهــا لشرب ... قديداً من طبيخ أو شــواء

وقد أراد الذى أمر القينتين أن تغنيا هذا بعث همة حمزة ــ لما عرف من كرمه ــ لنحر الناقتين . والنواء بكسر النون جمع ناوية ، وهى الناقة السمينة . والشرب بكسر الشين وسكون الراء جمع شارب ، والفناء بكسر الفاء : جانب الدار التى كانوا فيها ، وضرج : لطخ ، القديد : اللحم المطبوخ . وفى معجم الشعراء للمرزبانى أن هذا الشعر لعبد الله بن السائب بن أبى السائب المخزومى ، ولكنه غير أنصارى . والقهقرى : المشى إلى خلف ، وهذه حكمة عظيمة من الرسول « ص » ، إذ خشى ازدياد عبث حمزة فى حال سكره ، فينتقل من القول إلى الفعل . وعند ابن أبى شيبة أن الرسول « ص » أغرم حمزة ثمن الناقتين . وقد روى البخارى الحديث فى باب الخمس ، وغنائم بدر

. . . .

وقوله للنبي عليه السلام: هل أنتم إلاّ عَبِيدٌ لآبائي ، وهو ثَمِل . الحديث بطوله . فإن صح خبر الأعشى ، وماذكر له في الخمر ، فلم يكن هذا بمكة ، وإنما كان بالمدينة ، ويكون القائل له : أما علمت أنه يحرم الخمر ، من المنافقين ، أو من اليهود ، فالله أعلم . وفي القصيدة ما يدل على هذا قوله : فإن لها في أهل يثرب موعدا ، وقد ألفيت للقالي رواية عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال : لقي الأعشى عامر بن الطُّفَيْل في بلاد قيس ، وهو مقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فذكر له أنه يحرم الخمر ، فرجع ، فهذا أولى بالصواب ، وقول الأعشى : أتروّى منها هذا العام ، ثم أعود فأسلم لايخرجه عن الكفر بإجماع ، قال الإسفرايني في عقيدته : إذا قال المؤمن سأكفر : غداً أو بعد غد ، فهو كافر لحينه بإجماع ، وإذا قال الكافر : سأومن غدا ، أو بعد فهو على كفره ، لايخرجه عن حكم الكفر إلا إيمانه إذا آمن ، ولا خلاف في هذا والله المستعان .

وقوله: أَلَمْ تَغْتَمِضْ عيناك ليلة أَرْمَدَا ، لم ينصب ليلة على الظرف ؛ لأن ذلك يفسد معنى البيت ، ولكن أراد المصدر فحذفه ، والمعنى : اغتماض ليلة أرمد ، فحذف المضاف إلى الليلة ، وأقامها مقامه ، فصار إعرابها كإعرابه[1] ، وقد روى هذا البيت : ليلك بالكاف ، ومعناه : غَمْضُ أَرْمَدَ ، وقيل : بل أرمد على هذه

---

(١) قال الفارسي : أراد : اغتماض ليلة أرمد ، وليس بظرف ، ونسب الاغتماض إلى الليل ، كما قال عز وجل : « بل مكر الليل والنهار » ص ٥٤٠ سمط اللآلى للبكرى

. . . .

الرواية من صفة الليل ، أى حال منه على المجاز ، كما تقول : ليلك ساهر .

وقوله : تناسيت قبل اليوم خُلَّةَ مَهْدَدَا . مَهْدَدٌ : فَعْلَل من المَهْد ، ولولا قيام الدليل على أن الميم أصلية لحكمنا بأنه مَفْعل ؛ لأن الكلمة الرباعية إذا كان أولها ميما أو همزة ، فحملها على الزيادة ، إلا أن يقوم دليل على أنها أصلية ، والدليل على هذه الكلمة ظهور التضعيف فى الدال؛ إذ لو كانت الميم زائدة لما ظهر التضعيف ،ولقلت فيه: مَهَدّ كما تقولُ : مَردّ وَمكَرّ ومَفرّ فى كل ماوزنه مفْعَل من المضاعف ، وإنما الدال فى مَهْدَدَ ضوعفت ليلحق ببناء جَعْفر[1]

---

(١) يقول أبو عثمان المازنى فى التصريف فى باب الإلحاق المطرد فى الأسماء والأفعال : « أما المطرد الذى لا ينكسر ، فأن يكون موضع اللام من الثلاثة مكررا للالحاق مثل مهدد وقردد وعندد » ص ٤٧

ويقول ابن جنى فى المنصف شرح التصريف : « اعلم أنك إذا استوفيت ثلاثة أحرف من الأصول ثم تكررت اللام قضيت بزيادتها ، وذلك نحو قردد وجلبب فالدال والباء الأخيرتان زائدتان ؛ لأنهما قد تكررتا ، ولو كان موضع الدال الأخيرة حرف غير الدال لكانت الكلمة رباعية » ص ٤٧

وفى ص ١٤١ يقول أبو عثمان المازنى : « ومهدد الميم فيه أصل ؛ لأنها لو كانت زائدة لكانت مهدا : «بفتح الميم والهاء وتضعيف الدال » لأن مفعلا: « بفتح الميم وسكون الفاء وفتح العين » من المضاعف يجىء مدغما نحو مرد ومسد ». ويشرح ابن جنى هذا بقوله : « فظهور الدالين يدل على أنه فعلل بمنزلة قردد فإن قال قائل فقد قالوا : محبب فبينوا وهو مفعل — فما تنكر أن يكون مهدد أيضاً مفعلا من الهد ؟ قيل محبب شاذ لايقاس عليه ، وقياسه محب كمرد ومسد ثم بين أن محبب علم ، والأعلام تغير كثيراً عما عليه أكثر الأسماء ، ولهـــذا جاز فى محبب إظهار التضعيف » ثم قال : فإن قال قائل فإن مهدد اسم علم ، وهو اسم امرأة ، فما تنكر أن يكون مهدد مثل محبب ، إذ هو علم مثله؟ ثم أجاب هو عن

. . . .

وقوله : إذا خلت حِرْباء الظهيرة أصيدا . والأصيد : المائل العنق ، ولما كانت الحِرْباء تدور بوجهها مع الشمس كيفما دارت ، كانت فى وسط السماء فى أول الزوال ، كالأصيد ، وذلك أحر ما يكون الرَّمْضاء . يصف ناقته بالنشاط ، وقوة المشى فى ذلك الوقت .

وقوله : خِنافاً إليّنا . فى العين : خَنَفَت الناقة تخنِف بيديها فى السير ، إذا مالت بهما نشاطا ، وناقة خَنُوف قال الراجز .

إن الشِّواء والنَّسِيلَ والرُّغُفْ والقَيْنَةَ الحسناء ، والكأسَ الأُنُفْ

للطاعنين الخيلَ ، والخيلُ خُنُفْ (1)

= هذا بقوله : إن محبب مفعل من الحب . أما مهدد فليس فيها دليل يدل على أنها من الهد ، دون المهد . فيقضى بأنه مفعل . انظر ص ٤١ ، ٤٧ ، ١٤١ من كتاب المنصف لابن جنى بشرحه التصريف للمازنى ، انظر أيضاً ص ٥٨ حـ ٢ الخصائص وص ١٤ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ٦٤ من شرح شافية ابن الحاجب جـ ١

(1) الرجز للقيط بن زرارة ، وفى اللسان : النشيل ، وقطف بدلا من النسيل وخنف ، وللضاربين الهام بدلا من : الطاعنين الخيل . والشواء : لحم مشوى . والنشيل على رواية اللسان : ما طبخ من اللحم بغير توابل يخرج من المرق ، وينشل . ويقال أيضاً ، نشل اللحم : أخذ بيده عضوا ، فتناول ما عليه من اللحم بفيه وهو النشيل ، واللحم الذى يؤخذ قبل النضج ، والقينة : الجارية المغنية ، الكأس الأنف : هى التى لم يشرب بها قبل ، والقطف : جمع قطوف ، وهى التى تسىء السير

. . . .

وقوله : أيِّنَا غير أحْرَدا[1] أى : تفعل ذلك من غير حرَد فى يديها ، أى اعوجاج ، والنَّجَيْرُ وصَرْخَدُ بلدان ، وأهل النجير أول من ارتد فى خلافة أبى بكر بعد أهل[2] دَبَا وكان أهل دبا قد حاصرهم حُذَيْفَة بن أسَيْد ، وحاصر أهل النجير زياد بن لبيد بأمر أبى بكر ، حتى نزلوا على حكمه . وأما صَرْخَدُ فبلد طيب الأعناب ،وإليه تنسب الخمرُ الصَّرْخَديَّة . وفى الأمالى : ولذٍّ كطعم الصَّرْخَدِى تركته

---

(١) البيت فى اللسان فى مادة : خنف .

(٢) بفتح الدال على وزن فعل مع القصر : سوق من أسواق العرب بعمان ، ومدينة عظيمة مشهورة بعمان كانت قصبتها ، وبضم مع تشديد الباء من نواحى البصرة فيها أنهار وقرى ، والدبا بالتعريف : موضع بظهر الحيرة معروف ، وفى هامش نسخة من معجم مااستعجم : «دبا : إحدى فرضتى العرب يجتمع فيها تجار أهل الهند والسند . والصين وأهل المشرق والمغرب» .

(٣) تمام البيت : «بأرض العدا من خشية الحدثان» وبعده :

ومبدلى الشحناء بينى وبينه   دعوت وقد طال السرى ، فدعانى

لذ : يعنى النوم ، والصرخدى : العسل كذا قال أبو المياس ، والعدا : الأعداء ، الحدثان : مايحدث من الأمور . وقال أبو بكر : اللذ : اللذيذ يعنى النوم والصرخدى : الخمر ، وقوله : ومبدلى الشحناء ، يعنى : كلبا وذلك أن الرجل إذا تحير فى الليل ، فلم يدر أين البيوت نبح ، فتسمعه الكلاب ، فتنبح ، فيقصد أصواتها . ص ٢١٠ ج ١ أمالى القالى ط ٢ ولم ينسبهما إلى أحد . وهما فى حيوان الجاحظ ص ١٢١ ج ١ . تحت عنوان : وقال آخر يصف كلبا . والبيت الأول فى اللسان رواه فى مادة : لذ،وصرخد،وقال . قال ابن برى : البيت للراعى،وعجزه : دفعته . عشية خمس القوم والعين عاشقة ، أراد أنه لما دخل ديار أعدائه لم ينم حذارا لهم . وبهذه الرواية الأخيرة رواه اللسان فى مادة صرخد

. . . .

وقوله : وآليتُ لا آوى لها من كَلالَة ، ولا من وَجًى [1] ، أى : لا أرق لها، يقال: آويت للضعيف إيَّة ومأوِيَة[2] إذا رقت له كبدك .

وقوله: أغار لَعَمْرى فى البلاد وأنجدا، المعروف فى اللغة : غار وأنجد ، وقد أنشدوا هذا البيت : لعمرى غَارَ فى البلاد وأنجدا . والغَورُ : ما انخفض من الأرض ،والنجْدُ : ما ارتفع منها ، وإنما تركوا القياس فى الغور ، ولم يأت على أفعل إلا قليلا ، وكان قياسه أن يكون مثل أَنْجَدَ ، وأَتْهم؛ لأنه من أَمَّ الغور، فقد هبط ونزل ، فصار من باب غار الماء، ونحو ذلك ، فإن أردت: أَشْرَف على الغَوْر ، قلت : أغار ، ولا يكون خارجا عن القياس[3]

وقال: صرخد: موضع نسب إليه الشراب فى قول الراعى،ثم روى البيت بالرواية الأخيرة .

ولذ كطعم الصرخدى طرحته   عشية خمس القوم والقوم عاشقة

وفى المراصد : صرخد : قلعة ملاصقة لبلد حوران حصينة وولاية واسعة حسنة ، وينسب إلى صرخد الخمر الجيد . وقد وصفها أبو الفداء فى التقويم وصفا دقيقا ، ومن قاله أن من شرقيها يسلك الإنسان طريقا إلى العراق يتطلب من السائر عشرة أيام ليصل إلى بغداد .

(١) فى الأغانى : فآليت لا أرثى . والأغانى حفى كما فى السيرة ، وفى تجريد الأغانى : وجى كما فى الروض . وهناك فى الأغانى مغايرة أخرى هينة لما هنا .

(٢) فى القاموس : أوى له كروى أوية ، وإية ومأوية ، ومأواة : رق .

(٣) وفى الأغانى عن مصيره : « فبلغ خبره قريشا ، فرصداه على طريقه ، وقالوا : هذا صناجة العرب ما مدح أحدا قط إلا رفع من قدره ، فلما ورد عليهم ، قالوا له : أين أردت يا أبا بصير قال : أردت صاحبكم هذا لأسلم ، قالوا: إنه ينهاك عن خلال ويحرمها عليك وكلها بك رافق ولك موافق ، قال : وماهن ؟

. . . .

وقوله : وليس عطاء اليوم مانعه غدا . معناه على رفع العطاء ونصب مانع ، أى : ليس العطاء الذى يعطيه اليوم مانعاله غدا من أن يعطيه ، فالهاء عائدة على الممدوح ، فلو كانت عائدة على العطاء لقال: وليس عطاء اليوم مانعه هو، بإبراز الضمير الفاعل ، لأن الصفة إذا جرت على غير من هى له برز الضمير المستتر بخلاف الفعل ، وذلك لسر بيناه فى غير هذا الموضع لم يذكره الناس ، ولو نصب العطاء لجاز على إضمار الفعل المتروك إظهاره ، لأنه من باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره ، ويكون اسم ليس على هذا مضمرا فيها عائدا على النبى صلى الله عليه وسلم .

فقال أبو سفيان بن حرب : الزنا ، قال : لقد تركنى الزنا ، وما تركته ، ثم ماذا ؟ قال : القمار ، قال : لعلى إن لقيته أن أصيب منه عوضا عن القمار ، ثم ماذا ؟ قالوا : الربا . قال : ما دنت ولا أدنت ، ثم ماذا ؟ قالوا : الخمر ، قال : أوه، أرجع إلى صبابة قد بقيت لى فى المهراس ، فأشربها فقال له أبو سفيان : هل لك فى خير مما هممت به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن ، وهو الآن فى هدنة ، فتأخذ مائة من الإبل ، وترجع إلى بلدك سنتك هذه ، وننظر ما يصير إليه أمرنا ، فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفا ، وإن ظهر علينا أتيته، ورجع بعد أن أخذ مائة بعير . ورواية الأغانى تتفق وما قيل عن تحريم الخمر ، وماروى فى بعض الأحاديث عن زمن تحريمها . وعن مصير الأعشى يقول الأغانى : فلما كان بقاع منفوحة رمى به بعيره فقتله . ورواية الأغانى قريبة جداً من رواية ابن قتيبة فى طبقات الشعراء

غور كل شىء : قعره وعمقه وبعده ، وقال الفراء : أغار بمعنى : غار . ويقول ابن منظور . وقد روى بيت أعشى مخزوم النصف : غار لعمرى فى البلاد وأنجدا . وقال الجوهرى : غار يغور غورا ، أى : أتى الغور ، ولا يقال: أغار. وقال الأصمعى عن معنى أغار فى بيت الأعشى : أسرع ، وأنجد: أى ارتفع ، ولم يرد فى البيت : أتى الغور ، ولا نجدا ، قال : وليس عند الأصمعى فى إتيان الغور إلا غار . وانظر مادة غور ، ففيها تفصيل أكثر .

. . . .

وقوله : فانْـكَحَنْ أَوْ تَأَبَّدا . يريد : أو ترهَّب؛ لأن الراهب أبداً عَزَبٌ فقيل له : متأبداً اشتق من لفظ الأبد .

وقوله : فالله فاعبدا ، وقف على النون الخفيفة بالألف ، وكذلك فانـكحن أو تأبدا ، ولذلك كتبت فى الخط بألف، لأن الوقف عليها بالألف ، وقد قيل فى مثل هذا : إنه لم يُرِد النونَ الخفيفة ، و مما خاطب الواحد بخطاب الاثنين ، وزعموا أنه معروف فى كلام العرب،وأنشدوا فى ذلك :

فإن تَزْجُرانى ياابْنَ عفانأَزْدَجِرْ　　وإنْ تَدَعَانِى أحْمِ عِرْضاً مُمَنَّعا(١)

وأنشدوا أيضا فى هذا المعنى :

وقلت لصاحبى : لا تَحْبِسَانا　　بنزع أُصُولها واجْتَثَّ شِيحاَ(٢)

---

(١) البيت لسويد بن كراع العكلى ، وكان سويد قد هجا به عبد الله ابن دارم ، فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان . فأراد ضربه ، فقال سويد قصيدة أولها :

تقول ابنة العوفى ليلى ألاترى　　إلى ابن كراع لايزال مفزعا
مخافة هذين الأميرين سهدت　　رقادى وغشتنى بياضا مفزعا

وهذا يدل على أنه خاطب اثنين لا واحدا . بدليل قوله أيضاً .

فإن أنتما أحكمتمانى فازجرا　　أراهط تؤذينى من الناس رضعا

(٢) فى رواية : واجدز أى : اجتز ، والبيت من أبيات للمضرس بن ربعى الفقعسى الأسدى ، وهى :

وضيف جاءنا والليل داج　　وريح القر تحفز منه روحا

ونسبه الجوهرى ليزيد بن الطثرية نقلا عن الكسائى ، ولكن ابن برى فى أماليه على الصحاح يؤكد أنه لمضرس ، وفى رواية : فقلت لصاحبى لاتحبسنى

. . . .

ولا يمكن إرادة النون الخفيفة فى هذين البيتين ، لأنها لاتكون ألفا ، إلا فى الوقف ، وهذا الفعل قد اتصل به الضمير ، فلا يصح اعتقاد الوقف عليه دون الضمير ، وحكى أن الحجاج قال : ياحرسى اضربا عنقه ، وقد يمكن فيه حمل الوصل على الوقف ، ويحتمل أن يريد : اضرب أنت وصاحبك ، وقد قيل فى قوله سبحانه : ﴿ ألقيا فى جَهَنَّم ﴾ إن الخطاب لمالكٍ وحده حملا على هذاالباب ، وقيل : بل هو راجع إلى قوله تعالى : (سائق وشهيد) وفى القصيدة زيادة لم تقع فى رواية ابن هشام وهى قوله فى وصف الناقة :

فأما إذا ما أَدْلَجَتْ ، فترى لهـا ‎ ‎ رقيبين نجماً لايغيب وَفَرْقدا

وقع هذا البيت بعد قوله : ايفا غير أحردا

وقوله فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم : أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا . وبعده :

به أنقذ اللهُ الأنامَ من الْعَمىَ ‎ ‎ وما كان فيهم من يَرِيعُ إلى هُدى

حديث الإراشى :

فصل : وذكر حديث الإراشى الذى قدم مكة ، واستعدى على أبى جهل .

قال ابن إسحاق : هو من إراش ، وهو ابن الغوث أو ابن عمرو[1] ، ابن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وهو والد أنمار الذى ولد بَجيلةَ وخَثْعَم . وإراشة الذى ذكر ابن هشام : بَطْنٌ من خَثْعَم ، وإراشة

---

(١) فى جمهرة ابن حزم : إراش بن عمرو بن الغوث الخ

. . . .

مذكورة فى العماليق فى نسب فِرْعون صاحب مصر ، وفى بَلِيّ أيضاً بنو إراشة[1] ، وقوله : مَنْ [رجل] يؤديني على أبي الحكم أى : يعيننى على أخذ حقى منه ، وهو من الأداة التى توصل الإنسان إلى مايريد ، كأداة الحرب ، وأداة الصانع ، فالحاكم يؤدى الخصم ، أى يوصله إلى مطلبه ، وقد قيل : إن الهمزة بدل من عين ، ويؤدِّى ويعدى بمعنى واحد ، أى : يزيل العُدْوان ، والعَداء وهو : الظلم ، كما تقول : هو يُشْكِيك أى : يُزيل شكواك ، وفى حديث خَبّاب : شكونا إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حَرَّ الرَّمْضاء ، فلم يُشْكنا معناه على أحد القولين : لم يرفع شَكْوانا ولم يُزْلها .

وقوله : فخرج إليه ، ومافى وجهه رائحة ، أى : بقية روح ، فكان معناه : روح باقية ، فلذلك جاء به على وزن فاعِله ، والدليل على أنه أراد معنى الرُّوح وإن جاء به على بناء فاعلة قول الإراشى فى آخر الحديث : خرج إلىّ ، وماعنده رُوحُه .

مصارعة ركانة :

فصل : وذكر حديث رُكَانة ومصارعته للنبى — صلى الله عليه وسلم —[2]

---

(١) وفى الاشتقاق : ومن بنى عنز إراشة .

(٢) قصة المصارعة مشهورة لركانة لكن جاء من وجه آخر أنه يزيد ابن ركانة . وفى حديث المصارعة اضطراب . ولقد قال الترمذى عن حديث المصارعة الذى أخرجه هو وأبو داود من رواية أبى الحسن العسقلانى عن أبى جعفر بن محمد بن ركانة عن أبيه : غريب ، وليس إسناده بقائم . وحديث الشجرة التى طلب الرسول «ص» مشهيا لايسانده هدى القرآن .

. . . .

وقد تقدم مثلُ هذا الحديث عن أبى الأشدين الْجُمَحِيِّ ، ولعلهما أن يكونا جميعاً صارعا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقد تقدم التعريف بأبى الأشدّين، وباسمه ونسبه؛ ورُكَانة هذا هو: ابن عَبْد يزيد بن هاشم بن عبدالمطلب من مَسْلَمَةِ الفتح ، وتوفى فى خلافة معاوية ، وهو الذى طلق امرأته ألبتَّة، فسأله رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — عن نيته ، فقال : إنما أردت واحدة ، فردها عليه[1] ، ومن حديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه قال : إن لكل

---

(١) روى أبو داود فى سننه عن نافع بن عجير بن عبد يزيد بن ركانة أن ركانة بن عبد يزيد طلق امرأته سهيمة ألبتة ، فأخبر النبى « ص » بذلك ، وقال: والله ما أردت إلا واحدة ، فقال النبى « ص » والله ما أردت إلا واحدة ؟ فقال ركانة : والله ما أردت إلا واحدة ، فردها إليه رسول الله « ص » فطلقها الثانية فى زمن عمر ، والثالثة فى زمن عثمان » وفى جامع الترمذى عن عبد الله ابن يزيد بن ركانة عن أبيه عن جده أنه طلق امرأته ألبتة، فأتى رسول الله « ص » فقال له : ما أردت ؟ قال واحدة ، قال : آلله ، قال : آلله . قال : هو على ما أردت ، قال الترمذى : لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وسألت محمدا — يعنى البخارى — عن هذا الحديث ؟ فقال : فيه اضطراب . فتارة يقول : طلقها ثلاثا وتارة يقول : واحدة، وتارة يقول : ألبتة ، وقال أحمد : وطرقه كلها ضعيفة . أقول : إن القرآن يفرض أن يكون الطلاق بشروطه المذكورة فى الكتاب ، مرة بعد مرة حتى يبلغ ثلاثا ، وبعدها لا تحل حتى تنكح زوجا آخر . ولا يصح إيقاع الطلاق مطلقا إلا بعد القيام بما فرض الله من وعظ وهجر فى المضاجع وضرب يقصد به التأديب، ثم تحكيم مؤمنين خبيرين بالحكومه، فإن لم يصل معها إلى غاية تقيم البيت على مودة ورحمة ، وتمكنهما من إقامة حدود الله ، تربص بها حتى تطهر مما يأتيها كل شهر، ثم بعد هذا يوقع الطلاق مرة واحدة قبل أن يمسها وكذلك فى المرة الثانية =

. . . .

دين خُلقا ، وخلق هذا الدين الحياء[1] ، ولابنه يزيد بن رُكانة صحبة أيضاً ، ويروى عن يَزِيدَ بن رُكَانة ابنُه على ، وكان على قد أعطى من الأيْدِ والقوة مالم يُعْطَ أحد ، نَزَع فى ذلك إلى جَدِّ رُكَانة ، وله فى ذلك أخبار ذكرها الفاكهى ، منها : خبره مع يزيد بن معاوية ، وكان يزيد بن معاوية من أشد العرب ، فصارعه يوما ، فصرعه علىٌّ صرعة لم يسمع بمثلها ، ثم حمله بعد ذلك على فرس جَمُوح لا يطلق ، فعلم علىٌّ مايراد به ، فلما جمح به الفرس ضَمَّ عليه بفخذيه ضَمَّةً نَفَقَ منها الفرسُ ، وذكر عنه أيضا أنه تأبَّطَ رجلين أيِّدَيْنِ ، ثم جرى بهما ، وهما تحت إبْطَيْه حتى صاحا : الموت الموت ، فأطلقهما .

وفد نصارى الحبشة :

فصل : وذكر قدوم وفد النصارى من الحبشة وإيمانهم ، وما أنزل الله فيهم من قوله تعالى : ﴿ الذين قالوا إِنَّا نَصَارى ﴾ ولم يقل : من النصارى ، ولا سَمَّاهم هو سبحانه بهذا الاسم ، وإنما حكى قولهم الذى قالوه حين عَرَّفوا بأنفسهم ، ثم شهد لهم بالإيمان ، وذكر أنه أثابهم الجنة ، وإذا كانوا هكذا

= ثم الأخيرة أمام عدلين فى كل مرة . ولنتدبر سورة الطلاق ، وآيات الطلاق فى سورة البقرة نجد القرآن يهدينا إلى أن الله لم يشرع إيقاع الثلاث جملة واحدة ألبتة .

وحسبنا قوله سبحانه : (الطلاق مرتان) فإن العرب فى لغتها لا تعقل وقوع المرتين إلا متعاقبتين ، وثمت أدلة أخرى ، وحسبنا ما ذكرناه .

(١) رواه ابن ماجة عن أنس وابن عباس كما ذكر السيوطى فى الجامع الصغير وقال عنه : ضعيف .

. . . .

فليسوا بنصارى ، هم من أمة محمد - عليه السلام - وإنما عُرف النصارى بهذا الاسم ، لأن مبدأ دينهم كان من نَاصِرَةَ قرية بالشام ، فاشْتُقَّ اسمُهم منهم ، كما اشْتُقَ اسم اليهود من يهُود بن يعْقوب ، ثم لا يقال لمن أسلم منهم : يهودى اسم الإسلام أولى بهم جميعا من . ذلك النسب[1] .

عن غلام المبيعة وصهيب وأبى فكيهة :

فصل : ذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يجلس إلى مَبِيعَة

---

(١) هدى القرآن يؤكد أن كل رسول دعا إلى الإسلام ، لأنه هو دين الله الذى به أرسلوا جميعاً ، ويقول الدكتور بوست فى قاموسه عن يهود : « أطلقت هذه الكلمة أولا على بنى يهوذا تمييزاً لهم عن الأسباط العشرة الذين سموا : إسرائيل إلى أن تشتت الأسباط أولا ، وأسر يهوذا ثانياً ، فمن ثم دعى جميع نسل يعقوب يهودا ، وفى أيام المسيح والرسل انقسم كل العالم إلى يهود وأمم » وقد روى البيهقى حديث هؤلاء فى دلائل النبوة وأعلام الرسالة . هذا وقد ذكر النسائى أن آيات سورة المائدة (ذلك بأن منهم قسيسين) قد نزلت فى حق النجاشى ، بينما يروى الطبرانى أنها فى حق كرابين أى : فلاحين ، جاءوا مع جعفر بن أبى طالب ص ٨٦ ج ٢ تفسير ابن كثير . وهذا الاختلاف يحتم علينا ألا نعتمد كثيراً على ما روى من أسباب النزول . وذكر الإمام أحمد وابن جرير ، وابن أبى حاتم فيما نزل فى حق المستضعفين أن الذى مر على الرسول . « ص » هو الأقرع ابن حابس التميمى وعيينة بن حصن . فطلبوا منه أن يبعد المستضعفين عنه ، وأن يقعد معهم متى شاء حين يفرغون منه ، فأجابهم إلى طلبهم ، ولكن قال ابن كثير عنه : إنه حديث غريب ، لأن الآية مكية . والأقرع وعيينة ، أنما أسلما بعد الهجرة بزمن طويل . وروى الحاكم غير هذا .

. . . .

غُلام[1] . المبيعة : مَفْعلة مثل المعيشة ، وقد يجوز أن يكون مَفْعُلة بضم العين — وهو قول الأخفش ، وأما قولهم : سلعة مَبِيعة فمفعولة ، حُذفت الواوُ منها في قول سيبويه حين سكنوا الياء استثقالا للضمة ، وفى قول أبى الحسن الأخفش إن الياء بدل من الواو الزائدة فى مَبْيُوعة ، ووزنها عنده : مَفُولَة بحذف العين . وللكلام على هذين المذهبين موضع غير هذا .

وذكر صُهَيْباً وأبا فَكِيهة ، وسنذكر اسم أبى فكيهة ، والتعريف به فيما بعد لأنه بدري ، وكذلك صُهَيْبُ بن سِنان ، ونقتصر فى هذا الموضع على ذكر اسمه وهو : يسار مولى عبد الدار[2] .

---

(١) هناك خلاف حول اسم هذا الغلام وحول الذين افتروا قالة السوء ، فعن قتادة ، أن اسمه يعيش ، وعن ابن عباس أن اسمه بلعام ، وكان المشركون يرون رسول الله حين يدخل عليه ، ويخرج من عنده ، فقالوا هذه الفرية ، وقال الضحاك : هو سلمان الفارسى ولكن الآية مكية ، وسلمان إنما أسلم بالمدينة ، وروى عن عبد الله بن مسلم أنه كان له غلامان روميان يقرآن كتاباً لهما بلسانهما ، فكان النبي (ص) يمر بهما ، فيسمع منهما ، فقال المشركون ماقالوا . وروى الزهرى عن ابن المسيب أن الذى بهت الرسول «ص» بهذه القالة الكاذبة رجل كان يكتب الوحى للرسول «ص» ثم ارتد بعد ذلك . وهى أقوال يضرب بعضها بعضا . ولقد رد الله على الفرية رداً هو الحق الذى يزهق الباطل ، فلنتدبره .

(٢) قيل إنه : مولى صفوان بن أمية . ويقال إن أصله من الأزد ، وقيل إن اسمه أفلح بن يسار ، وإن كان ينسب إلى الأشعريين .

سبب نزول سورة الكوثر

قال ابن إسحاق: وكان العاص بنُ وائل السَّهمى — فيما بلغنى — إذا ذُكِر رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: دعوه، فإنما هو رجلٌ أبْتر، لاعَقِبَ له، لومات لانقطع ذِكْره، واسترحتم منه، فأنزل الله فى ذلك: (إنَّا أعْطَيْناكَ الكَوْثَرَ) ماهو خير لك من الدنيا ومافيها. والكوثرِ: العظيم.

الكوثر فى الشعر

قال ابن إسحاق: قال لَبيد بن ربيعة الكِلابىّ:

وصاحبُ مَلْحُوبٍ فُجِعنا بيَوْمِهِ وعند الرِّداعِ بيتُ آخَرَ كَوْثرِ

يقول: عظيم.

قال ابن هشام: وهذا البيت فى قصيدة له. وصاحب مَلْحُوب: عَوْف ابن الأَحْوَصِ بن جَعْفَر بن كِلاب، مات بِمَلْحُوب. وقوله: عند الرِّداع بيت آخر كَوْثر: يعنى شُرَيح بن الأحوص بن جَعْفَر بن كِلاب، مات بالرّداع. وكَوْثر: أراد الكثير، ولفظه مشتقّ من لفظ الكثير. قال الكُمَيت بن زَيْد يمدح هِشام بن عبد الملك بن مروان:

وأنت كَثيرٌ يا بن مَرْوان طَيِّب وكان أبوك ابنُ العقائل كَوْثَرَ

وهذا البيت فى قصيدة له. وقال أُميّة بن أبى عائذ الهُذلىّ يصِف حمار وحش:

يُحامى الحقيق إذا ما احتدمْن   وحَمْحَمْنَ فى كَوْثر كالجِلال

يعنى بالكوثر : الغبار الكثير ، شبهه لكثرته عليه بالجِلال . وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : حدثنى جعفر بن عمرو — قال ابن هشام : هو جعفر ابن عمرو بن أُميَّة الضَّمْرى — عن عبد الله بن مُسْلم أخى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرىّ ، عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل له : يارسول الله ، ما الكوثر الذى أعطاك الله ؟ قال : نَهْر كما بين صنعاء إلى أَيْلة ، آنيتُه كعدد نجُوم السماء ، تَرِده طيورٌ لها كأعناق الإبل . قال : يقول عمر بن الخطاب : إنها يارسول الله لناعمة ، قال : آكلها أنْعم منها .

قال ابن إسحاق : وقد سمعت فى هذا الحديث أو غيره أنه قال — صلى الله عليه وسلم : « مَنْ شَرِبَ منه لا يَظْمأ أبداً » .

نزول : (وقالوا لولا نزل عليه ملك)

قال ابن إسحاق : ودعا رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — قومَه إلى الإسلام ، وكلَّمهم ، فأبلغ إليهم ، فقال له زَمَعَة بن الأسود ، والنَّضْر بن الحارث ، والأسود بن عَبْد يَغوث ، وأُبَىّ بن خَلَف ، والعاص بن وائل : لو جُعل معك يا محمد مَلَك يحدّث عنك الناس وَيُرَى معك ! فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : (وَقالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ، وَلَوْ أَنْزَلْنا مَلَكا لَقُضِىَ الأمْرُ ثمَّ لا يُنْظَرُونَ ، وَلَوْ جَعَلْناهُ مَلَكا لَجَعَلْناهُ رَجُلاً ، وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ) الأنعام : ٨ ، ٩ .

نزول : (ولقد استهزىء برسل من قبلك)

قال ابن إسحاق : ومرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — بالوليد بن المغيرة ، وأمية بن خَلَف ، وبأبى جَهْل بن هشام ، فغمزوه وهَمَزوه ، واستهزءوا به ، فغاظه ذلك : فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك من أمرهم : (وَلَقَدْ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ ، فَحاقَ بالَّذِين سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئون) الأنبياء : ٤١ .

ذكر الإسراء والمعراج

قال ابن هشام : حدثنا زياد بن عبدالله البكائى عن محمد بن إسحاق المطّلبى قال : ثم أُسرى برسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيتُ المقـــــدس من إيلياء ، وقد فشا الإسلام بمكة فى قريش . وفى القبائل كلها .

قال ابن إسحاق : كان من الحديث فيما بلغنى عن مَسْرَاه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن عبد الله بن مَسْعود ، وأبى سَعيد الُخدْرىّ ، وعائشة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ومعاوية بن أبى سفيان ، والحسن بن أبى الحسن البصرى ، وابن شهاب الزّهرىّ ، وقَتادة وغيرهم من أهل العلم ، وأمّ هانئ بنت أبى طالب ، ما اجتمع فى هذا الحديث ، كلّ يحدّث عنه بعضَ ما ذكر من أمره حين أُسرى به ـ صلى الله عليه وسلم ، وكان فى مَسْراه ، وما ذكر عنه بلاء وتمحيص ، وأمر مِنْ أمر الله فى قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب ،

. . . .

وهدًى ورحمة وثبات لمن آمن وصدّق ، وكان من أمر الله سبحانه وتعالى على يقين ، فأسْرى به كيف شاء ، لُيريه من آياته ما أراد ، حتى عايَنَ ما عايَن من أمره وسُلطانه العظيم ، وقُدْرته التي يَصْنع بها ما يُريد .

رواية ابن مسعود

فكان عبدُ الله بن مسعود — فيما بلغني — عنه — يقول :

أُتِى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالبُراق — وهي الدّابَّة التي كانت تُحمل عليها الأنبياء قبلَه ، تضع حافرَها في منتهى طرفها — فحُمل عليها ، ثم خرج به صاحبُه ، يرى الآيات فيما بين السماء والأرض ، حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيمَ الخليلَ وموسى وعيسى في نَفَر من الأنبياء قد جُمعوا له ، فصلَّى بهم . ثم أُتِي بثلاثة آنية ، إناء فيه لبن ، وإناء فيه خمر ، وإناء فيه ماء قال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فسمعتُ قائلا يقول حين عُرِضت عليّ : إنْ أخذ الماء ، غرق وغَرِقتْ أمتّه ، وإن أخذ الخمرَ غَوَى ، وغَوتْ أمته ، وإن أخذ اللبن هُدى ، وهُديت أمته . قال : فأخذتُ إناءَ اللبن ، فشربتُ منه ، فقال لى جبريل عليه السلام : هُدِيتَ وهُدِيَت أمتك يا محمد .

حديث الحسن

قال ابن إسحاق : وحُدثت عن الحسن أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا أنا نائم في الحِجْر ، إذ جاءني جبريلُ ، فهَمزني بقدمه ، فجلست فلم أرَ شيئا ، فعُدت إلى مَضْجعى ، فجاءني الثانيةَ فهمزني بقدمه ،

فجلستُ فلم أرَ شيئا ، فعدتُ إلى مَضْجعى ، فجاءنى الثالثةَ فهمزنى بقدمه ، فجلستُ ، فأخذ بعَضدى ، فقمت معه فخرج إلى بابِ المسجد ، فإذا دابّة أبيضُ ، بين البغل — والحمار — فى فَخِذيه جناحان يحفِز بهما رجليه ، يضع يده فى مُنْتهى طرفه ، فحملنى عليه ، ثم خرج معى لا يفوتنى ولا أفوته .

حديث قتادة

قال ابن إسحاق ، وحُدِّثت عن قَتادة أنه قال : حُدثت أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : لما دنوتُ منه ؛ لأركبه شَمَس ، فوضع جبريلُ يدَهُ على مَعْرَفته ، ثم قال : ألا تَسْتَحِى يا بُرَاقُ مما تَصْنع ، فوالله ماركبك عَبْدٌ لله قبلَ محمدٍ أكرمُ على الله منه . قال : فاستحيا حتى ارْفَضَّ عَرَقاً ، ثم قرَّ حتى ركبته .

من حديث الحسن

قال الحسنُ فى حديثه : فمضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ومضى جبريلُ عليه السلام معه ، حتى انتهى به إلى بيت المقدِس ، فوجد فيه إبراهيمَ ومُوسى وعيسى فى نَفَر من الأنبياء فأمَّهم رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — فصلَّى بهم ، ثم أُتِى بإناءين ، فى أحدهما : خمر ، وفى الآخر : لَبن . قال : فأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إناءَ اللبن ، فشَرب منه ، وترك إناء الخمر . قال : فقال : له جبريلُ : هُديت للفِطْرة ، وهُديتْ أمتك يا محمد ، وحُرّمت عليكم الخمر ، ثم انصرف رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — إلى مكة ، فلما

أصبح غدا على قريش ، فأخبرهم الخبرَ . فقال أكثر الناس : هذا والله الإمرُ البَيِّن ، والله إن العِير لتُطْرد شهرا من مكة إلى الشام مُدبرة ، وشهراً مقبلة ، أفيذهب ذلك محمدٌ فى ليلة واحدة ، ويرجع إلى مكة ! قال : فارتدّ كثيرٌ ممن كان أسلم ، وذهب الناس إلى أبى بَكْر ، فقالوا له : هل لك يا أبا بكر فى صاحبك ، يزعم أنه قد جاء هذه الليلةَ بيتَ المقدس ، وصلَّى فيه ، ورجع إلى مكّة . قال: فقال لهم أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ، فقالوا: بلى ، هاهو ذاك فى المسجد يحدّث به الناس ، فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صَدق ، فما يُعجبكم من ذلك ؟ ! فوالله إنه ليُخبرنى أنّ الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعةٍ من ليل أو نهار فأصدّقه ، فهذا أبعدُ ممـا تعجبون منه ، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يانبىّ الله . أحدّثتَ هؤلاء القومَ أنك أتيت المَقْدس هذه الليلةَ ؟ قال : نعم ، قال : يانبىّ الله ، فصِفْه لى ، فإنى قد جِئْته — قال الحسن : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فرُفع لى حتى نظرتُ إليه — فجعل رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَصِفه لأبى بكر: ويقول أبو بكر : صدقتَ،أشهد أنك رسولُ الله ، كلما وصف له منه شيئا ، قال:صدقتَ ، أشهد أنك رسولُ الله ، حتى انتهى ، قال رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبى بكر : وأنت يا أبابكر الصدّيق ، فيومئذ سمّاه الصِّدّيق .

قال الحسن : وأنزل الله تعالى فيمن ارتدّ عن إسلامه لذلك : (وَما جعَلْنا الرُّؤيا التى أرَيْناكَ إلا فِتْنَةً للناسِ ، والشَّجَرَةَ المَلْعُونةَ فِى القُرآنِ ، ونُخَوِّفُهُمْ فمَا يَزِيدُهُمْ إلاَّ طُغْيانا كَبِيراً » الإسراء : ٦٠ .

. . . .

فهذا حديث الحسن عن مَسْرى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . وما دخل فيه من حديث قتادة .

الإسراء رؤيا

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ آل أبى بكر : أن عائشة زوجَ النبىّ صلى الله عليه وسلم كانت تقول : ما فُقِد جَسَدُ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكن الله أسْرىَ بروحه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عُتْبة بن المُغيرة بن الأخْنس : أن معاوية بن أبى سفيان ، كان إذا سُئل عن مَسْرى رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : كانت رُؤيا من الله تعالى صادقة .

فلم يُنْكَر ذلك من قولهما ، لقول الحسن : إن هذه الآية نزلت فى ذلك ، قول الله تبارك وتعالى : (وَما جَعَلْنا الرُّؤيا التى أرَيْناك إلاَّ فِتْنَةً للنَّاس) الإسراء : ٦٠ . ولقول الله تعالى فى الخبر عن إبراهيم عليه السلام إذ قال لابنه : (يا بُنَىَّ إنّى أرَى فى المَنامِ أنّى أذْبحُكَ) الصافات : ١٠٢ . ثم مضى على ذلك . فعرفتُ أن الوحى من الله يأتى الأنبياء أيقاظا ونياما .

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنى ـ يقول : تنام عيناى ، وقلبى يقظان . والله أعلم أىّ ذلك كان قد جاءه ، وعاين فيه ما عاين ، من أمر الله ، على أىّ حاليه كان : نائما ، أو يقظان ، كلّ ذلك حقّ وصدق .

الصفات التي وصف بها النبي بعض الرسل

قال ابن إسحاق : وزعم الزُّهْرِىّ عن سعيد بن المُسيِّب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصف لأصحابه إبراهيمَ ومُوسى وعيسى حين رآهم فى تلك الليلة ، فقال : أما إبراهيم ، فلم أرَ رجلاً أشبهَ بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه ، وأما موسى فرجل آدمُ طويلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ أقْنَى كأنه من رجال شَنُوءَة ، وأما عيسى بن مريم ، فرجل أحمر ، بين القصير والطويل ، سَبْط الشعر ، كَثير خِيلان الوجه ، كأنه خرج من دِيماس ، تَخال رأسَه يَقْطُر ماء ، وليس به ماء ، أشبهُ رجالكم به عُروة بن مَسعود الثقفى

قال ابن هشام وكانت صِفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما - ذكر عُمر مولى غُفْرة عن إبراهيم بن محمد بن علىّ بن أبى طالب ، قال : كان علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، إذا نعت رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم قال - : لم يكن بالطَّويل المُمَّغِط ، ولا القصير الْمُتَرَدِّد ، وكان رَبْعة من القوم ، ولم يكن بالْجَعْد الْقَطَط ، ولا السَّبْطِ ، كان جَعْداً رَجِلا ، ولم يكن بالْمُطَهَّم ولا الْمُكَلْثَم وكان أبيضَ مُشْرَبًا ، أدْعَج العينين ، أهْدَب الأشْفَار ، جليل الْمُشَاش الْكَتَد ، دقيق الْمَسْرُبَة أجْرَدَ ، شَثْن الكفَّين والقدمين ، إذا مشى تَقلَّع ، كأنما يمشى فى صَبَب ، وإذا التفت التفت معا ، بين كتفيه خاتمُ النبوة ، وهو صلى الله وسلم خاتمُ النَّبيين ، أجْوَدُ الناس كفًّا ، وأجرأ الناس صدرا ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفى الناس ذِمَّة ، وألينهم عَرِيكة ، وأكرمهم عِشْرة ،

من رآه بديهة هابَه ، ومن خالطه أحبَّه ، يقول ناعتُه : لم أر قبله ولا بعده مثله ، صلى الله عليه وسلم

حديث أم هانىء عن الإسراء

قال محمد بن إسحاق : وكان - فيما بلغنى - عن أمّ هانىء بنت أبى طالب رضى الله عنها - واسمها : هند - فى مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنها كانت تقول : ماأسرى برسولِ الله -صلى الله عليه وسلم- إلا وهو فى بيتى ، نائم عندى تلك الليلة فى بيتى ، فصلَّى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قُبيل الفجر أهَبَّنا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فلما صلى الصبح ، وصلَّينا معه ، قال : ياأمّ هانىءْ ، لقد صلَّيتُ معكم العشاء الآخرة كما رأيتِ بهذا الوادى ، ثم جئتُ بيتَ المقدس فصلَّيت فيه ، ثم قد صلَّيت صلاةَ الغَداة معكم الآن كما ترين ، ثم قام ليخرج ، فأخذتُ بطَرف رِدائه ، فتكشَّف عن بَطْنه كأنه قُبْطيَّة مَطْوية ، فقلت له : يانبىّ الله ، لاتحدّث بهذا الناس ، فيكذّبوك ويُؤذوك ، قال : والله لأحدثنّهموه . قالت : فقلت لجارية لى حَبشيَّة : ويحكِ اتبعى رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - حتى تَسْمعى مايقولُ للناس ، وما يقولون له . فلما خرج رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- إلى الناس أخبرهم ، فعَجبوا وقالوا : ما آيةُ ذلك يامحمد ؟ فإنَّا لم نسمع بمثل هذا قط ، قال : آية ذلك أنى مَرَرْت بعِير بَنى فلان بوادى كذا وكذا ، فأنفرَهم حِسُّ الدابَّة ، فَنَدَّ لَهُمْ بَعِيرٌ ، فَدَلَلْتُهم عليه ، وأنا مُوجِّه إلى الشام . ثم أقبلتُ حتى إذا كنتُ بضَجَنان مررتُ بعِيرِ بنى فلان ، فوجدتُ القومَ نياما ، ولهم إناء فيه ماء قد غطَّوا عليه

بشيء فكشفتُ غطاءه وشربتُ مافيه ، ثم غطيتُ عليه كما كان ، وآية ذلك أن عِيرَهم الآن تَصُوب من البيْضَاء ، ثَنِيَّة التَّنْعيم ، يقدُمها جمل أوْرَقُ ، عليه غرارتان ، إحداهما سوداء ، والأخرى بَرْقَاء . قالت : فابتدر القومُ الثنيَّة ، فلم يَلْقهم أولُ مِنَ الجمل كما وصف لهم ، وسألوهم عن الإناء ، فأخبروهم أنهم وَضَعوه مملوءاً ماء ثم غطَّوه ، وأنهم هبُّوا فوجدوه مغطًّى كما غطَّوْه ، ولم يجدوا فيه ماءً . وسألوا الآخرين وهم بمكة ، فقالوا : صدق والله ، لقد أُنْفِرنا في الوادي الذي ذَكَره ، ونَدّلنا بعيرٌ ، فسَمعنا صوتَ رجل يدعونا إليه ، حتى أخذناه .

الأبتر والكوثر :

فصل : وذكر قول العاصي بن وَائل : إن محمدا أَبْتَرُ إذا مات انقطع ذكره ، وأنزل الله تعالى فيه قوله من سورة الكوثر على قول ابن إسحاق ، وأكثر المفسرين . وقيل : إن أبا جهل هو الذي قال ذلك . وقد قيل : كعب ابن الأشرف ، ويلزم على هذا القول الأخير أن تكون سورة الكوثر مدنية ، وقد روى يونس عن أبي عبد الله الْجُعْفِي عن جابر الْجُعْفِي عن محمد بن علي ، قال : كان القاسم ابن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد بَلَغ أنْ يركب الدابة ، ويَسير على النَّجِيبَة ، فلما قبضه الله ، قال العاصي : أصبح محمد أبتر من ابنه ، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم : « إنَّا أعْطَينَاكَ الْكَوثَرَ » عِوَضا يا محمد من مصيبتك بالقاسم : « فصَلِّ لربِّك وانحر إن شَانِئَكَ هو الأَبْتَرُ » ولم يقل : إن شانئك أبتر[1] يتضمن اختصاصه بهذا الوصف ، لأن هو في مثل هذا

---

(١) في الكلام نقص لعله : « فقوله : هو الأبتر » .

. . . .

الموضع تعطى الاختصاص ، مثل أن يقول قائل : إن زيدا فاسق ، فلا يكون مخصوصا بهذا الوصف دون غيره ، فإذا قلت : إن زيدا هو الفاسق ، فمعناه : هو الفاسق الذى زعمت[1] ، فدل على أن بالحَضْرَةِ من يزعم غير ذلك » وهكذا قال الجرجانى وغيره فى تفسير هذه الآية أنَّ هو تعطى الاختصاصَ ، وكذلك قالوا فى قوله سبحانه : (وأنه هو أَغْنَى وأَقْنَى) لما كان العباد[2] يتوهمون أنَّ غير الله قد يغنى ،قال : هو أَغْنَى وأَقْنَى ، أى : لا غيره ، وكذلك قوله تعالى : « وأنه هو أمات وأحيا » إذ كانوا قد يَتَوَهَّمون فى الإحياء والإماتة ماتوهمه النمرود حين قال: أنا أُحْيِي وأميت ، أى : أنا أقتل من شئتُ ، وأَسْتَحْيِي من شئت ، فقال عز وجل : وأنه هو أمات وأحيا أى : لا غيره ، وكذلك قوله تعالى:(وأنه هُوَ ربُّ الشِّعْرَى)[3] أى : هو الرَّبُّ لا غيره ، إذ كانوا قد اتَّخَذُوا أربابا من دونه ، منها : الشِّعْرى ، فلما قال : وأنه خلق الزوجين ، وأنه أهلك عاداً استغنى الكلام عن هو التى تعطى معنى الاختصاص ، لأنه فعلٌ لم يَدَّعِه أحدٌ ، وإذا ثبت هذا ، فكذلك قوله : إن شانئك هو الأبتر أى : لا أنت . والأبتر : الذى لا عَقِب له يتبعه ، فعدمه كالْبَتَر الذى هو عَدَم

---

(١) فى الأصل : التى .

(٢) التعبير الدقيق : بعض العبيد .

(٣) هذه الآيات من سورة النجم وترتيبها :(وأنه هو أمات وأحيا . وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى ، وأن عليه النشأة الأخرى . وأنه هو أغنى وأقنى ، وأنه هو رب الشعرى) النجم ٤٤ — ٤٩ . وأقنى : أعطى المال المتخذ قنية . والشعرى : كوكب خلف الجوزاء أشد ضياء من الغميصاء وفى القاموس : الشعرى : العبور ، والشعرى : الغميصاء أختا سهيل .

. . . .

الذَّنَب، فإذا ماقلت هذا ، ونظرت إلى العاصى ، وكان ذا ولد وعقِب، وولده عَمْرٌو وهشام ابنا العاصى بن وائل ، فكيف يثبت له الْبَتَر ، وانقطاع الولد ، وهو ذو ولد ونَسْلٍ، ونفيه عن نبيه ، وهو يقول : « ما كان مُحَمَّد أبا أحدٍ من رجالكم » الأحزاب الآية: ٤٠ . فالجواب: أن العاصى ـ وإن كان ذا ولد ـ فقد انقطعت الْعِصْمَةُ بينه وبينهم ، فليسوا أتباعاً له ، لأن الإسلام قد حجزهم عنه ، فلا يرثهم ولا يَرِثُونه ، وهم من أتباع محمد عليه السلام ، وأزواجُه أمهاتُهم ، وهو أبٌ لهم ، كما قرأ: أُبَيّ ابن كعب: «وأزواجُه أمهاتُهم، وهو أبٌ لهم[1] ، والنبى أولى بهم» كما قال الله سبحانه ، فهم وجميع المؤمنين أتباع النبى فى الدنيا ، وأتباعُه فى الآخرة إلى حوضه ، وهذا معنى الْكَوْثر ، وهو موجود فى الدنيا لكثرة أتباعه فيها، ليغذى

---

(١) لا يتصور مسلم أن قوله: « وهو أب لهم » آية من القرآن ، لأنها ليست فى المصحف . وما ليس فى المصحف فلا يعده مسلم قرآنا أيا كان راويه . والحديث الذى رواه البخارى حول الآية : ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة . اقرءوا إن شئتم: (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فأيما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ، وإن ترك دينا أو ضياعا فليأتنى ، فأنا مولاه » ولم ترد تلك القراءة عن طريق صحيح . والعجيب أن تسند هذه القراءة إلى أبى بن كعب وابن عباس ، وأنها تروى عن معاوية ومجاهد وعكرمة والحسن !! تدبر هذه الأسماء المحشودة وراء « وهو أب لهم » والله يقول : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) ففى القراءة مخالفة صريحة للآية المحكمة ، ثم هى توحى كغيرها من القراءات المفتراة بأن المصحف الذى بأيدينا ينقص بعض آيات أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم . ومحاولة التأويل ، أو الدفاع عن هذه القراءات محاولة يكيد بها الشيطان ، ويمكر ضد القرآن ، ومساندة لرواة مجهولين دسوا ، وكتب يحاول بعض الناس أن يرفعوها فوق القرآن .

. . . .

أرواحَهم بما فيه حياتُهم من العلم ، وكثرة أتباعه فى الآخرة ليسقيهم من حَوْضه مافيه الحياة الباقية ، وعدوُّ الله العاصى على هذا هو الأبتر على الحقيقة ، إذ قد انقطع ذَنَبُهُ وأتباعه ، وصاروا تَبعاً لمحمد - صلى الله عليه وسلم - ولذلك قوبل تَعْيِيرُه للنبى - صلى الله عليه وسلم - بِالبَتَر بما هو ضده من الْكَوْثَر ؛ فإن الكثرة تضاد معنى الْقِلَّة ، ولو قال فى جواب اللعين : إنا أعطيناك الْحَوْضَ الذى من صِفته كذا وكذا لم يكن رداً عليه ، ولا مُشا كلا لجوابه ، ولكن جاء باسم يتضمن الخير الكثير ؛ والعددَ الْجَمَّ الغفيرَ الْمُضادَّ لمعنى الْبَتَر ، وأن ذلك فى الدنيا والآخرة بسبب الحوض المورود الذى أعطاه ، فلا يختص لفظ الكوثر بالحوض ، بل يجمع هذا المعنى كله ، ويشتمل عليه ، ولذلك كانت آنيتُه كعددِ النُّجُوم[1] ، ويقال : هذه الصفة فى الدنيا : علماء الأمة من أصحابه ومن بعدهم ، فقد قال : أصحابى كالنجوم[2] ، وهم يَرْوُون العلم عنه ، ويؤدونه

---

(١) فى حديث متفق عليه : « حوضى مسيرة شهر ، وزواياه سواء ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منها فلا يظمأ أبداً » . كما وردت مسألة الكيزان هذه فى روايتين عند مسلم ، إحداهما عن أبى هريرة ، والأخرى عن أنس . ولكن لنذكر مع هذا حديثاً آخر : « قال رسول الله « ص » : « إنى فرطكم على الحوض ، من مر على شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبداً ، ليردن على أقوام أعرفهم ، ويعرفوننى ، ثم يحال بينى وبينهم ، فأقول إنهم منى ، فيقال : إنك لا تدرى ماأحدثوا بعدك ، فأقول : سحقا سحقا لمن غير بعدى » متفق عليه .

(٢) فى حديث رواه رزين : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » وقد قال عنه المحدث الفاضل الشيخ محمد ناصر الالبانى : « حديث باطل ، وإسناده واه جداً » . ص ٢١٩ جـ ٣ مشكاة المصابيح .

. . . .

إلى مَن بعدهم ، كما تَرْوِى الآنيةُ فى الحوض ، وتسقى الواردةَ عليه : تقول : رَوَيْتُ الماء،أى: استَقَيْته كما تقول : رَوَيْتُ العلم ، وكلاهما فيه حياة ، ومنه قيل لمن روى علما أو شعرا : راوية تشبيها بالْمَزَادة أو الدَّابة التى يُحمل عليها المـاء وليس من باب عَلاَّمة ونَسَّابة ، وفى حديث أبى بَرْزَةَ فى صفة الحوض أنها تَنْزُو فى أَكُفِّ المؤمنين ، يعنى الآنيةَ،وحَصباءُالحوض : اللؤلؤ والياقوت[1] ، ويقابلهما فى الدنيا الحِـكم المأثورةُ عنه ، ألا ترى أن اللؤلؤَ فى علم التعبير حِـكَمٌ وفوائدُ علم ، وفى صفة الحوض له المسك،أى:حَمْأَتُه[2] ويقابله فى الدنيا : طيبُ الثناءعلى العلماء، وأتباع النبى الأتقياء ، كما أن المسك،فى: علم التعبير ثناء حَسَنٌ، وعلم التعبير من علم النُّبُوءةِ مُقْتَبَسٌ . وذكر فى صفة الحوض الطيرُ التى ترده كأعناق الْبُخْتِ[3] ، ويقابله من صفة العلم فى الدنيا وُرودُ الطالبين من كل صُقْعٍ[4] وُقطرعلى حضرة العلم وانتيابهم إيَّاها فى زمن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعده،فتأمل صفةالـكوثر معقولةَفىالدنيا ، مَحْسوسةًفى الآخرة مُدْرَكة

---

(١) فى حديث رواه النسائى : حصباؤه اللؤلؤ والياقوت

(٢) كذا بالأصل ، والحمأة:الطين الأسود ، وفى حديث رواه البخارى عن الـكوثر : « فإذا طينه مسك أذفر » .

وفى حديث رواه أحمد : « فضربت بيدى فى ترابه ، فإذا مسكأذفر » ، وفى حديث آخر : «وضرب بيده إلى أرضه ، فأخرج من طينه المسك » .

(٣) البخت: نوع من الإبل طويلة الأعناق ، وقد ذكرت فى حديث رواه الترمذى ، وصححه الحاكم، وفيه : أو أعناق الجزر ، جمع جزور : البعير .

(٤) ناحية .

. . . .

بالعِيـان ـ هُنالك يبين لك إعجازُ التنزيل ومطابقة السورة ـ اسبب ـ نزولها، ولذلك قال فُضَيْل: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَر) أى : تواضع لمن أعطاك الكوثر بالصلاة له، فإن الكثرة فى الدنيا تقتضى فى أكثر الخلق الكِبر: وتحدو إلى الفخر والخيرية، فلذلك كان عليه السلام طأطأ رأسه عامَ الفتح حين رأى كثرة أتباعِه، وهو على الراحلة حتى ألصق عُثْنُونَه[1] بالرَّحْلِ امْتِثالا لأمر ربه، وكذلك أمره بالنحر شكرا له، ورفعِ اليدين إلى النَّحْرِ[2] فى الصلاة عند استقبال القبلة التى عندها ينحر، وإليها يهدى معناه : الجمع بين الفعلين. النحرِ المأمور به يوم الأضحى، والإشارة إليه فى الصلاة برفع اليدين إلى النَّحْر، كما أن القبلَة مَحْجُوجةٌ مُصَلَّى إليها، فكذلكَ ينحَر عندها، ويشار إلى النحر عند استقبالها، وإلى هذا التفتَ عليه السلام حين قال : مَنْ صَلّى صلاَتنا، واستقبل قبلتنا، ونَسَكَ نُسُكَنا فهو مسلم، وقدقال الله سبحانه: «قل : إنَّ صَلاتِي ونُسُكى ومَحْيَايَ وَمَمَاتى لِلهِ رب العالمين لاشريك له، وبذلك أُمِرْتُ، وأنا أوَّلُ المسلمين] الأنعام ١٦٢، ١٦٣ فقرن بين الصلاة إلى الكعبة، والنُّسُكَ إليها، كما قرن بينهما حين قال: «فَصَلِّ لِرَبِّك وانْحَرْ» وذكر فى صفة الحوض: كما بين صَنْعاءَ وأَيْلَةَ[3] وقد جاء فيه أيضاً فى الصحيح «كما بين جَرْبَاء وأَذْرُحَ[4] » وبينهما

---

(١) العثنون : ما نبت على الذقن وتحته سفلا .

(٢) النحر : أعلى الصدر .

(٣) من حديث رواه الطبرانى وابن حبان . وأيلة : مدينه على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام . وأيلة :موضع برضوى.

(٤) جرباء — وفى الأصل : حرباء موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام . وهما واردتان فى حديث متفق عليه . وجرباء تقصر وتمد ، والقصر أولى .

. . . .

مسافة بعيدة ، وفى الصحيح أيضاً فى صفته : كما بين عَدَن أَبْيَنَ إلى عَمَّانَ ، وقد تقدم ذكر أَبْيَنَ، وأنه ابن زهير بن أَيْمَن بن حِمْير ، وأن عَدَن سميت برجل من حِمْير عَدَن بها ، أى : أقام ، وتقدم أيضاً ماقاله الطبرى أنَ عَدَنَ وَأبْيَنَ هما ابنا عَدْنان أخوا معد ، وأما عَمَّانُ بتشديد الميم وفتح العين ، فهى بالشام قرب دمشق ، سميت بعَمَّان بن لُوط بن هَارَان ، كان سَكَنها ـ فيما ذكروا ـ وأما عُمَانُ بضم العين وتخفيف الميم ، فهو باليمن سميت بعُمَان بن سِنَان ، وهو من ولد إبراهيم ـ فيما ذكروا ـ وفيه نظر ؛ إذ لا يُعْرَف فى ولد إبراهيم لصُلبه من اسمه سِنان . وفى صفة الحوض أيضاً كما بين الكوفة ومكة ، وكما بين بيت المقدس والكعبة ، وهذه كلها روايات متقاربة المعانى ، وإن كانت المسافات بعضها أبعدَ من بعض ، فكذلك الحوض أيضا له طول وعرض وزوايا وأركان ، فيكون اختلافُ هذه المسافات التى فى الحديث على حسب ذلك جعلنا الله من الواردين عليه ، ولا أظمأ أكبادَنا فى الآخرة إليه . ومما جاء فى معنى الكوثر مارواه ابن أبى نَجيح عن عائشةَ ـ قالت : الكوثر نهر فى الجنة ، لا يُدْخل أحد إصْبَعَيْه فى أذنيه إلا سَمِع خرير ذلك النهرَ ، وقع هذا الحديث فى السيرة من رواية يونس ، ورواه الدَّارَقُطْنىُّ من طريق مالك بن مِغْوَلٍ عن الشَّعْبِىِّ عن مَسْروقٍ عن عائشةَ قالت : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « إن الله أعطانى نهرا يقالُ له الكوثر لا يشاء أحد من أمتى أن يسمعَ خرير ذلك الكوثر إلا سمعه ، فقلت : يارسول الله وكيف ذلك ؟ قال : أدْخِلِى أُصْبَعَيْك فى أُذنيك وشُدِّى ، فالذى تسمعين فيهما من خرير الكوثر[1] » وروى

---

(١) حديث ابن أبى نجيح منقطع ، وحديث الدارقطنى مرفوع .

. . . .

الدارَقُطْنىُّ من طريق جابر بن عبد الله أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لعلى : « والذى نفسى بيده إنك لذائدٌ عن حَوْضى يومَ القيامة تذود عنه كُفَّارَ الأمم، كما تذاد الإبلُ الضالّة عن الماء بعصامن عَوْسَج[1] » إلا أن هذا الحديثَ يرويه حَرَامُ بن عُثْمانَ عن ابـنَىْ جابرٍ ، وقد سُئل مالك عنه ، فقال : ليس بثقة ، وأغلظ فيه الشافعى القول ، وأما قوله ـ عليه السلام : ومِنْبَرى على حوضى ، فقد قيل فى معناه أقوالٌ ،ويفسره عندى الحديث الآخر ، وهو قوله عليه السلام ، وهو عَلَى المنبر : « إنى لأنظر إلى حوضى الآن[2] من مقامى هذا » فتأمله .

استشهاد ابن هشام على معنى الكوثر :

وذكر ابن هشام فى الاستشهاد على معنى الكوثر قول لبيد بن ربيعة :

وصاحبُ مَلْحُوبٍ فُجِعْنَا بيومِهِ ... وعند الرِّداع بيتُ آخر كَوْثَرِ

وبالفورة الحرّابِ ذو الفَضلِ عامرٌ ... فنعم ضياء الطارقِ الْمُتَنَوِّرِ[3]

يعنى عامرَ بن مالك مُلَاعِبَ الأسِنَّةِ ، وهو عم لَبِيدٍ ، وسنذكر : لِمَ سُمِّى مُلَاعِبَ الْأَسِنَّة إذا جاء ذكرُه إن شاء الله تعالى . وصاحبُ مَلْحُوب : عوفُ

---

(١) شجر من شجر الشوك له ثمر مدور، كأنه خرز العقيق «المعجم الوسيط»

(٢) عجيب من السهيلى أن يعتد بمثل هـــذه الداهيات التى أنف أصحاب الصحيح من ذكرها !!

(٣) بيت الكميت الذى فى السيرة فى الاشتقاق واللسان ، وفيه : الخلائف مكان : العقائل .

. . . .

ابن الأحْوَص ، وقد ذكره ابن هشام. والذى عند الرِّدَاع : شُرَيْح بن الأحوص فى قوله ، وقال غيره : هو حِبَّان بن عُتْبة بن مالك بن جَعْفر بن كلاب . والرِّادع : من أرض اليمامة . ومَلْحُوب : مَفْعُولٌ من لَحَبْتُ العود ، إذا قشرته ، فكأن هذا الموضع سُمِّى مَلْحُوبا ،لأنه لا أكَمَ فيه ولا شَجَر .

ذكر حديث المستهزئين :

وذكر حديث المُسْتَهْزئين برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما أنزل الله فيهم من قوله تعالى : «وَلَقَد اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ» الآية الأنبياء : ٤١ . فقال فيها : اسْتُهْزِىء بِرُسُلٍ ثم قال : فحاق بالذين سَخِروا منهم ، ولم يقل : اسْتَهْزءُوا، ثم قال: ما كانوا به يستهزئون ولم يقل : يَسْخرون . ولا بدَّ فى حكمةٍ فى هذا من جهة البلاغة وتنزيلِ الكلام منازله ، فقوله : اسْتُهْزِىء برُسُلٍ ، أى : أُسْمِعُوا من الكلام الذى يُسَمَّى استهزاء ماساءهم تأنيسا له ، ليتأسَّى بمن قبله من الرسل ، وإنما سُمى استهزاء إذا كان مسموعا ، وهو من فعل الجاهلين : قال الله تعالى : «أَتَتَّخِذُنَا هزُواً قال : أعوذ بالله أن أكونَ من الجاهلين» البقرة : ٦٧ . وأما السُّخْرُ والسُّخْرَى ، فقد يكون فى النفس غير مسموع ، ولذلك تقول : سَخِرْت منه ، كما تقول : عَجِبْتُ منه إلا أن العجب لا يختص بالمعنى المذموم ، كما يختص السُّخْر ، وفى التنزيل خبرا عن نوح : «إنْ تَسْخَرُوا منَّا ، فإنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ ، كما تَسْخَرُون» هود : ٢٨ ولم يَقُل : نَسْتَهْزِىء بكم كما تَسْتَهْزِئون ؛ لأن الاستهزاء ليس من فعل الأنبياء، إنما هو من فعل الجاهلين كما قدمنا من قول موسى عليه السلام ، فالنبى يَسْخَر : أى ، يعجب من كُفْرِ مَن

. . . .

يَسْخر به ، ومن سُخْر عقولهم . فإن قلت : فقد قال الله تعالى : (الله يستهزىء بهم) ، قلنا : العربُ تسمى الْجَزَاءَ على الفعل باسم الفعل كما قال تعالى : (نَسُوا الله فَنَسِيَهُمْ) وهو مَجازٌ حسن[1] وأما الاستهزاء الذى كُناَّ بصدَدِه ، فهو المسمى استهزاء حقيقة، ولا يرضى به إلا جهول . ثم قال سبحانه : (فَحاقَ بالذين سَخِرُوا منهم ما كانوا به يَسْتَهزئون) أى حاق بهم من الوعيد الْمُبلَّغ لهم على ألسنة لرسل ما كانوا يستهزئون به بألسنتهم ، فنزلت كل كلمة منزلها ، ولم يحسن فى حكم البلاغة وضْعُ واحدةٍ مكانَ الأُخرى . وذكر أيضاً قوله سبحانه : (ولو جَعَلناه مَلَكاً لجعلناه رَجُلاً) أى : لو جعلنا الرسول إليهم من الملائكة لم يكن إلا على صُورة رجل ، وَلدَخَل عليهم من اللَّبْس فيه ما دَخَل فى أمْر مُحَمَّد وقوله : لَبَسْنا يدل على أن الأمرَ كله منه سبحانه ، فهو يُعْمِى من شاء عن الحق ، ويَفْتح بَصيرةَ من شاء ، وقوله : ما يَلْبسون ، معناه : يَلْبِسون على غيرهم ، لأن أكثرهم قد عَرَفوا أنه الحقُّ ، ولكن جَحَدُوا بها ، واسْتَيْقَنَتْها أنفسُهم ، فجعلوا ، يَلْبِسُونَ أى يَلْبِسُ ، بعضُهم على بعض وَيَلْبِسُون على أهليهم وأتباعهم ، أى : يخلطون عليهم بالباطلِ ، تقول العرب : لَبَسْتُ عليهم

---

(١) سبق التعليق على مثل هذا . والنسيان هنا حقيقة لامجاز ، لأن أصل النسيان — كما يقول ابن الأثير : الترك . ويقول ابن فارس فى معجمه عن أصل المادة إنها أصلان : أحدهما يدل على إغفال الشيء ، والثانى : على ترك الشيء ، فيكون المعنى : تركوا الله فتركهم ، هذا لأن دعوى المجاز فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته وأفعاله دعوى تجمع بين الحماقة والجرأة والقول على الله بغير علم . ولا سيما وأنه لم يرد عن خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم شيء من هذا .

. . . .

الأمرَ أَلْبِسُه ، أى: سترتُه وخلطته ، ومن لُبْس الثياب : لَبِسْت أَلْبَسُ ، لأنه فى معنى كَسِيتُ ، وفى مُقَابلة عَرِيتُ ، فجاء على وزنه ، والآخر فى معنى : خَلَطْتُ أو سَتَرْت، فجاء على وزنه .

شرح ما فى حديث الإسراء من المشكل

اتفقت الرواة على تسميته إسراءً ، ولم يُسَمِّه أَحَدٌ منهم : سُرًى ، وإن كان أهلُ اللغة قد قالوا : سَرَى وأَسْرَى بمعنى واحد ، فدل على أن أهل اللغة لم يُحَقِّقوا العبارة ، وذلك أن القُرَّاءَ لم يختلفوا فى التلاوة من قوله : (سُبْحَانَ الذى أَسْرَى بِعَبْدِهِ) ولم يقل : سَرَى ، وقال : والليل إذا يَسْر ، ولم يقل : يُسْرِى ، فدل على أن السُّرَى من سَرَيت إذا سِرْت ليلا ، وهى مؤنثة[1] تقول: طالت سُرَاكَ الليلة ، والإسراء مُتَعَدٍّ فى المعنى ، ولكن حذف مفعوله كثيراً حتى ظن أهلُ اللغة أنهما بمعنى واحد ، لما رأوْهُما غير متعديين إلى مفعول فى اللفظ ، وإنما أَسْرَى بعبده ، أى : جعل الْبُرَاقَ يَسْرِى ، كما تقول: أَمْضَيْتُه ، أى : جعلته يَمْضى ، لكن كَثُر حذفُ المفعول لقوة الدلالة عليه ، أو للاستغناء عن ذِكْره ، إذ المقصودُ بالخبر ذِكْرُ محمد ، لا ذكر الدابة التى سارت به ، وجاز فى قصة لوط عليه السلام . أن يقال له : فأَسْرِ بأهلك : أى فاسر بهم ، وإن يقرأ فأَسْرِ بأهلك بالقَطْع ، أى: فأَسْرِ بهم ما يَتَحَمَّلون عليه من دابةٍ أو نحوها ، ولم يتصور ذلك فى السُّرى بالنبى صلى الله عليه وسلم ، إذ لا يجوز أن يقال سَرَى بعبده بوجه

---

(١) فى اللسان أنها تذكر وتؤنث .

. . . .

من الوجوه ؛ فلذلك لم تأت التلاوة إلا بوجه واحــد فى هذه القصة فتدبره .
وكذلك تسامح النحويون أيضا فى الباء والهمزة ، وجعلوهما بمعنى واحد فى حكم التعدية ، ولو كان ماقالوه أصلا لجاز فى : أمرضْته أن تقول : مَرِضْتُ به ، وفى أسْقَمْتُه : أن تقول : سَقِمْتُ به ، وفى أعْمَيْتُه أن تقول : عَمِيتُ به قياسا على : أذْهَبْتُهُ وَأذْهَبْتُ به ، ويأبى الله ذلك والعالمون ؛ فإنما الباء تعطى مع التعدية طَرَفا من المشاركة فى الفعل ، ولا تعطيه الهمزةُ ، فإذا قلت : أقعدته ، فمعناه : جعلته يقعد ، ولكنك شاركته فى القعود ، فجذبته بيدك إلى الأرض ، أو نحو ذلك ، فلابد من طَرَفٍ من المشاركة إذا قعدت به ، ودخلت به ، وذهبت به بخلاف أدخلته وأذهبته .

فإن قلت : فقد قال الله سبحانه ذهب الله بنورهم ، وذهب بسمعهم وأبصارهم » ويتعالى ــ سبحانه ــ عن أن يوصف بالذهاب ، أو يضاف إليه طرف منه ، وإنما معناه : أذْهب نورهم وسمْعَهم . قلنا : فى الجواب عن هــذا : أن النور والسمع والبصر كان بيده سبحانه ، وقد قال : بيده الخير ، وهذا من الخير الذى بيده ، وإذا كان بيده ، فجائز أن يقال ذَهَبَ به على المعنى الذى يقتضيه قوله سبحانه بِيَدِه الخيرُ كائنا ما كان ذلك المعنى ، فمايه ينبنى ذلك المعنى الآخر الذى فى قوله : ذهب الله بنورهم مَجَازاً كان أو حَقِيقةً ، ألا ترى أنه لما ذكر الرِّجسَ كيف قال : « ليُذْهِبَ عنكم الرِّجْسَ » الأحزاب : ٣٣ . ولم يقلْ يَذْهَبُ به ، وكذلك قال : « ويُذْهِبَ عَنْـكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ » الأنفال : ١١ تعليما لعبادهِ حسْن الأدب معه ، حتى لا يضاف إلى القُدُّوس سبحـانه ــ لفظاً ومعنى شىء من الأرجاس ، وإن كانت خَلْقًا له ومِلْـكا

. . . .

فلا يقال : هى بيده على الخصوص ، تحسينا للعبارة وتنزيها له ، وفى مثل النور والسمع والبصر يَحْسُن أن يقال : هى بيده ، فحَسُن على هذا أن يقال : ذَهَبَ به ، وأما أسْرى بعبده ، فإن دخولَ الباء فيه ليس من هذا القبيل ، فإنه فعل يتعدى إلى مفعول ، وذلك المفعول المسْرى هو الذى سَرَى بالعبدِ فشاركه بالسُّرى ، كما قدمنا فى قَعَدْتُ به أنه يُعْطى المشاركةَ فى الفعْل ، أو فى طَرَفٍ منه ، فتأمله[1] .

---

(١) علق ابن القيم على قوله سبحانه : « أسرى بعبده » فقال : « فى قوله تعالى : (أسرى بعبده) دون بعث بعبده ، وأرسل به ما يفيد مصاحبته له فى مسراه فإن الباء هنا للمصاحبة كهى فى قوله : هاجر بأهله ، وسافر بغلامه ، وليست للتعدية فإن أسرى يتعدى بنفسه ، يقال : سرى به ، وأسراه ، وهذا لأن ذلك السرى كان أعظم أسفاره ـ صلى الله عليه وسلم ـ والسفر يعتمد الصاحب ، ولهذا كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا سافر يقول : اللهم أنت الصاحب فى السفر . فإن قيل : فهذا المعنى يفهم من الفعل الثلاثى لو قيل : سرى بعبده ، فما فائدة الجمع بين الهمزة والباء ، ففيه أجوبة » ثم رفض ما أجاب به غيره ثم قال : « والجواب الصحيح أن الثلاثى المتعدى بالباء يفهم منه شيئان أحدهما : صدور الفعل من فاعله : الثانى : مصاحبته لما دخلت عليه الباء . فإذا قلت : سريت بزيد ، وسافرت به كنت قد وجد منك السرى والسفر مصاحبا لزيد فيه . وأما المتعدى بالهمزة ، فيقتضى إيقاع الفعل بالمفعول فقط ، كقوله تعالى : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم » . ونظائره فإذا قرن هذا المتعدى بالهمزة بالباء أفاد إيقاع الفعل على المفعول مع المصاحبة المفهومة من الباء ، ولو أتى فيه بالثلاثى فهم منه معنى المشاركة فى مصدره ، وهو ممتنع فتأمله » ص ٢٠٣ جـ ٣ بدائع الفوائد .

. . . .

أكان الإسراء يقظة أم مناما :

فصل : ونقدم بين يدى الكلام فى هذا الباب : هل كان الإسراء فى يقظة بجسده ، أو كان فى نومه بروحه ، كما قال سبحانه : « اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا والتى لم تَمُتْ فى مَنَامِهَا » الزمر : ٤٣ وقد ذكر ابن إسحاق عن عائشةَ ومعاويةَ أنها كانت رؤيا حقٍّ ، وأن عائشة قالت : لم تفقد بدَنه ، وإنما عُرِج بروحه تلك الليلة ، ويحتج قائل هذا القول بقوله سبحانه : « وما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا التى أرَيْنَاكَ إلاَّ فِتْنَةً للناس » الإسراء ٦٠ . ولم يقل : الرُّؤْيَةَ ، وإنما يُسَمَّى رؤيا ما كان فى النوم فى عرف اللغة ، ويحتجون أيضاً بحديث البُخارى عن أنس بن مالك قال : ليلة أُسْرِى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثةُ نفر قبل أن يوحى إليه ، وهو نائم فى المسجد الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال أوسَطُهم : هو هذا ، وهو خيرهم ، فقال آخرهم : خُذوا خيرهم فكان تلك الليلة ، فلم يرهم حتى أتوْه ليلة أخرى، فيما يرى قلبهُ وتنام عينه ولا ينامُ قلبه ، وكذلك الأنبياء عليهم السلامُ تنام أعينُهم ، ولا تنام قلوبُهم ، فلم يُكلموه ، حتى احْتَمَلُوه فوضعوه عند بئرِ زَمْزَمَ، فتولاه منهم جبريلُ . الحديث بطوله ، وقال فى آخره : واستيقظ ، وهو فى المسجد الحرام ، وهذا نص لا إشكال فيه أنها كانت رؤيا صادقة ، وقال أصحابُ القول الثانى : قد تكون الرؤيا بمعنى الرؤية فى اليقظة ، وأنشدوا للراعى يصف صائدا :

. . . .

وكَبّر للرُّؤيا ، وهَشَّ فؤادُه   وبَشّر قلبا كان جَمًّا بَلَابلُه(١)

قالوا : وفى الآية بيان أنها كانت فى اليقظة ، لأنه قال : « وماجعلنا الرُّؤيا التى أرَيْناكَ إلاَّ فتنة للناس»ولو كانت رؤيا نوم ما افتتن بها الناس حتى ارتد كثير ممن أسلم ، وقال الكفار : يزعم محمد أنه أتى بيتَ الْمَقْدِس ، ورجع إلى مكة ليلته ، والعير تطرد إليها شهراً مُقْبِلةً وشهراً مُدْبِرةً ، ولو كانت رؤيا نوم ، لم يستبعد أحدٌ منهم هذا ، فمعلومٌ أن النائم قد يرى نفسه فى السماء ، وفى المشرقِ والمغرب ، فلا يستبعد منه ذلك واحتج هؤلاء أيضا بشربه الماء من الإناء الذى كان مُغَطًّى عند القوم ، ووجدوه حين أصبح لا ماءَ فيه ، وبإرْشاده للذين نَدَّ بعيرُهم حين أنفرَهم حِسُّ الدابة ، وهو الْبُرَاقُ حتى دلّهم عليه ، فأخبر أهل مكة بأمارة ذلك ، حتى ذكر الغِرارَتَيْنِ السَّوْداء والْبَرْقَاء(٢) كما فى هذا الكتاب ، وفى رواية يونس : أنه وعَدَ قريشا بقُدوم الْعِير التى أرشدهم إلى البعير ، وشرب إناءَهم ، وأنهم سَيَقْدُمُون ويخْبِرون بذلك ،

---

(١) البلابل : شدة الهم والوسواس فى الصدر . والراعى هو : عبيد بن حصين ابن معاوية من بنى نمير ، يكنى أبا جندل أو أبا نوح شاعر إسلامى ، وهم أهل بيت وسؤدد . وسمى الراعى لقوله :

ضعيف العصا بادى العروق تخاله   عليها إذا ما أمحل الناس إصبعا
حذا إبل إن تتبع الريح مرة   يدعها ويخف الصوت حتى تربعا
لها أمرها حتى إذا ما تبوأت   لأخفاقها مرعى تبوأ مضجعا

(٢) اجتمع فيها سواد وبياض . وفى الرواية أنها بيضاء

. . . .

فقالوا : يا محمدُ متى يَقْدمُون ؟ فقال : يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم ، ولم يَقْدُموا ، حتى كَرَبَت الشمسُ أن تَغْرُبَ ، فدعا الله فحبس الشمس حتى قَدِموا كما وصف ، قال : ولم يحبس الشمسَ إلاّ له ذلك اليوم ، ولِيُوشَع بن نُونٍ[1] وهذا كلُّه لايكون إلا يَقَظةً ، وذهبت طائفةٌ ثالثة ، منهم : شيخُنا القاضى أبو بكر [ابن العربى] رحمة الله إلى تصديق المقالتين ، وتصحيح الحديثين ، وأن الإسراء كان مرتين ، إحداهما : كان فى نومه وتوطئةً له وتيسيراً عليه ، كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ، ليسهل عليه أمر النبوة فإنه عظيم تضعف عنه القوى البشرية ، وكذلك الإسراء سهَّله عليه بالرؤيا ؛ لأن هولَه عظيم ، فجاءه فى اليقظة على تَوْطِئَةٍ وَتقْدِمَةٍ ، رِفقا مِن الله بعبده وتسهيلا عليه ، ورأيت المهلب فى شرح البخارى قد حكى هذا القولَ عن طائفةٍ من العلماء ، وأنهم قالوا : كان الإسراء مرتين : مرةً فى نومه ، ومرة فى يقظته ببدنه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) هو فتى موسى - كما يقال - ونبى بنى إسرائيل بعده ، واسمه عند الكتابيين : يشوع ، وسفره يقع بعد سفر التثنية من العهد القديم ، وهم يروون أن يوشع حاصر أريحا ، فلما غربت الشمس ، أو كادت تغرب ، ويدخل عليهم السبت الذى جعل عليهم ، وشرع لهم قال لها : إنك مأمورة ، وأنا مأمور اللهم احبسها على ، فحبسها الله حتى تمكن من فتح البلد ، وزادوا فقالوا : وأمر القمر ، فوقف عن الطلوع .

ثم يروى ابن كثير حديثا عن الإمام أحمد : « إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالى سار إلى بيت المقدس » فكيف إذن حبست للنبى صلى الله عليه وسلم ؟ وفى مسلم حديث يفيد أن الله حبس الشمس لنبى غزا . لكنه لم يصرح فيه باسم يوشع انظر ص ٣٢٣ ج ١ البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ١٢٤٨ .

. . . .

قال المؤلف : وهـذا القول هو الذى يصح ، وبه تتفق معانى الأخبار ، ألا ترى أنه قال فى حديث أنس الذى قدمنا ذكره : أتاه ثلاثة نفر قبل أن يُوحى إليه ، ومعلوم أن الإسراء كان بعد النبوة ، وحين فُرضت الصلاة[1] كما قدمنا فى الجزء قبل هذا ، وقيل كان قبل الهجرة بعامٍ ، ولذلك قال فى الحديث : فارتدّ كثير ممن كان قد أسلم ، ورواة الحديثين حفاظ ، فلا يستقيم الجمع بين الروايتين إلا أن يكون الإسراء مرتين ، وكذلك ذكر فى حديث أنس : أنه لقى إبراهيمَ فى السماء السادسةِ وموسى فى السابعةِ ، وفى أكثر الروايات الصحيحة أنه رأى إبراهيم عند البيت المعمور فى السماء السابعة ، ولقى موسى فى السادسةِ،وفى رواية ابن إسحاق أُتِى بثلاثة آنيةٍ ، أحدها ماء فقال قائل : إن أخذ الماءَ غرِقَ،وغرقت أمته ، وفى إحدى روايات البخارى فى الجامع الصحيح : أنه أُتِى بإناء فيه عَسَلٌ ، ولم يذكر الماءَ والرواةُ أثباتٌ ، ولاسبيل إلى تكذيب بعضهم ولا توهينهم ، فدل على صحة القول بأنه كان مرتين ، وعاد الاختلاف إلى أنه كان كله حقا ، ولكن فى حالتين ووقتين مع مايشهد له من ظاهر القرآن ، فإن الله سبحانه يقول : « ثم دَنَا فَتَدَلَّى فكان قابَ قَوْسَينِ أو أدنى،فأوْحَى إلى عبده ما أوحى) ثم قال: (ما كَذَبَ الفؤادُ ما رأى) النجم : ٨ ، ١١ فهذا نحو ماوقع فى حديث أنس من قوله : فيما يراه قلبه،وعينه نائمة[2] والفؤادُ : هو القلبُ ، ثم قال : « أَفَتُمَارُونَه على

---

(١) بل الثابت من آيات القرآن أن الصلاة كانت مفروضة قبل الإسراء .

(٢) فى البخارى : باب : كان النبى « ص » تنام عينه ، ولا ينام قلبه » رواه سعيد بن ميناء عن جابر عن النبى « ص » .

. . . .

مايَرى) ولم يقل : ماقَدْ رَأى،فدل على أن ثَمَّ رؤيةً أخرى بعد هذه ، ثم قال : (ولقد رآه نَزْلَةً أخْرَى) أي : في نَزْلَةٍ نَزَلَهَا جبريلُ إليه مرة ، فرآه في صورته التي هو عليها (عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، إذْ يغْشَى السِّدْرَةَ مَايغْشَى) قال : يغشاها فراشٌ من ذَهَبٍ ، وفي رواية : يَنْتَثِر منها الياقوتُ ، وثمرُها مثل قِلَالِ هَجَر[1] ثم قال : (مازَاغَ الْبَصَرُ) ولم يقل : الفؤاد ، كما قال في التي قبل هذه ، فدل على أنها رُؤْيَةُ عينٍ وبصرٍ في النَّزْلَةِ الأُخرى، ثم قال : (لقد رأى مِنْ آيَاتِ رَبِّه الْكُبرى)[2] ، وإذا كانت رؤية عينٍ : فهي من الآياتِ الكُبرى ، ومن أعظم البراهين والعِبر ، وصارت الرؤيا الأولى بالإضافة إلى الأُخرى ليست من الكُبَر؛ لأن مايراه العبدُ في منامه دون مايراه في يقظته لامحالةَ ، وكذلك قال في أكثر الأحاديث إنه رأى عند سِدْرة المنتهى نهرين ظاهرين ، ونهرين باطنين ، وأخبره جبريل أن الظاهرَين : النيلُ والفرات ، وذكر في حديث أنس أنه رأى هذين النهرين في السماء الدنيا ، وقال له الملك : هما النيلُ والفراتُ،أصلهما وعنصرهما ، فيحتمل أن يكون رأى في حال اليقظةِ منبعَهما ، ورأى في المرة الأولى النهرين دون أن يرى أصلهما والله أعلم . فقد جاء في تفسير قوله تعالى : (وأنزلنا من السماء ماءً بِقَدَرٍ فأسكنّاه في الأرضِ) المؤمنون : ١٨ أنهما النيل والفرات أنْزِلا من الجنة

---

(١) قرية كانت من قرى المدينة ، وليست هجر البحرين ، وكانت تعمل بها القلال تأخذ الواحدة منها مزادة من الماء ، سميت قلة لأنها ترفع وتحمل .

(٢) الآيات السابقة كلها من سورة النجم .

. . . .

من أسفل درجةٍ منها على جَناحِ جبريل ، فأودعهما بطونَ الجبال[1] ثم إن

(١) مما أومن به أنه من الخير تخطئة حديث يرويه راو يخالف المحكم الصريح من كتاب الله ، والواقع المحس بكل نوع من الإحساس ، فهذا أفضل من أن نحتفى بشأن حديث ينتج عنه تكذيب القرآن ، وتكذيب الرســـول صلوات الله وسلامه عليه ، ورمى الإسلام بأنه عفن وخرافة ، والإسلام هو الحق والنور والحياة ، وأرجو أن يكون قولى واضحا : «الحديث الذى يخالف المحكم الصريح من القرآن ، والواقع المشهود الملموس المحس » وقد أكد القرآن الإسراء ، وآياته المحكمة تقطع به وحددت مكان الإسراء ، ومن لمس جانب هذا الحق بأثارة من شك ، فقد أثم إثما عظيما وباء بخسران مبين ، وقارىء القرآن عن الإسراء لا يرتاب فى شىء ، فإن هو عرج على بعض الأحاديث ، وبعضها يخالف لبعض ربما أثارته نزعة من ريبة ، لهذا يجب علينا أن نستمع إلى ما يصادق القرآن منها ، ونضرب صفحا عن الأخرى ، تدبر أمر النيل والفرات ، وأين هما ، ثم اقرأ ماورد فى بعض الأحاديث عنهما تجد شيئا لا يمكن تصديقه إلا بضروب بعيدة من خرف التأويل ، ألا يكفى أن نتدبر قوله تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله، لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير) كلام يملأ القلب والعقل والشعور نورا وهداية وبصرا وإيمانا وتسبيحا لله الذى فعل بعبده ذلك .

هذا وقد عرض السهيلى أمورا منها : رأى القائلين بأن الإسراء كان مرتين مرة فى نومه ، ومرة فى يقظته . وإليك عرض الإمام ابن القيم لهذا : «قال موسى ابن عقبة عن الزهرى : عرج بروح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بيت المقدس ، وإلى السماء قبل خروجه إلى المدينة بسنة . . .

وكان الإسراء مرة واحـــدة ، وقيل : مرتين ، مرة يقظة ، ومرة مناما ، وأرباب هذا القول كأنهم أرادوا أن يجمعوا بين حديث شريك ، وقوله : ثم استيقظت ، وبين سائر الروايات ، ومنهم من قال : بل كان هذا مرتين ، مرة قبل الوحى لقوله فى حديث شريك : وذلك قبل أن يوحى إليه ، ومرة بعد =

. . . .

الوحى كما دلت عليه سائر الأحاديث . ومنهم من قال : بل ثلاث مرات ، مرة قبل الوحى ، ومرتين بعده ، وكل هذا خبط ، وهذه طريقة ضعفاء الظاهرية من أرباب النقل الذين إذا رأوا فى القصة لفظة تخالف سياق بعض الروايات جعلوها مرة أخرى ، فكلما اختلفت عليهم الروايات عددوا الوقائع . والصواب الذى عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة . ويا عجبا لهؤلاء الذين زعموا أنه مرارا كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه فى كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين ، ثم يتردد بين ربه وبين موسى ، حتى تصير خمسا ، ثم يقول : أمضيت فريضتى ، وخففت عن عبادى ، ثم يعيدها فى المرة الثانية إلى خمسين ، ثم يحطها عشرا عشرا ؟ ! وقد غلط الحفاظ شريكا فى ألفاظ من حديث الإسراء ، ومسلم أورد المسند منه ، ثم قال : فقدم وأخر ، وزاد ونقص ، ولم يسرد الحديث ، وأجاد رحمه الله » ص ١٣٠ ج ٢ زاد المعاد ط السنة المحمدية .
وعن المعراج يقظة أو مناما يقول الإمام الجليل أيضاً : «وقد نقل عن ابن إسحاق عن عائشة ومعاوية أنهما قالا : إنما كان الإسراء بروحه ، ولم يفقد جسده . ونقل عن الحسن البصرى نحو ذلك ، ولكن ينبغى أن يعلم الفرق بين أن يقال : كان الإسراء مناما ، وبين أن يقال : كان بروحه دون جسده ، وبينهما فرق عظيم ، وعائشة ومعاوية لم يقولا : كان مناما ، وإنما قالا : أسرى بروحه ، ولم يفقد جسده . وفرق بين الأمرين ، فإن مايراه النائم قد يكون أمثالا مضروبة للمعلوم فى الصور المحسوسة ، فيرى كأنه قد عرج به إلى السماء ، أو ذهب به إلى مكة وأقطار الأرض ، وروحه لم تصعد ، ولم تذهب ، وإنما ملك الرؤيا ضرب له المثال .

والذين قالوا : عرج برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ طائفتان ، طائفة قالت: عرج بروحه وبدنه ، وطائفة قالت : عرج بروحه ، ولم يفقد بدنه ، وهؤلاء لم يريدوا أن المعراج كان مناما ، وإنما أرادوا أن الروح ذاتها أسرى بها ، وعرج بها حقيقة ، وباشرت من جنس ماتباشر بعد المفارقة ، وكان حالها فى ذلك كحالها بعد المفارقة فى صعودها إلى السماوات سماء سماء ، حتى ينتهى بها =

. . . .

= إلى السماء السابعة ، فتقف بين يدى الله عز وجل ، فيأمر فيها بما يشاء ، ثم تنزل إلى الأرض. والذى كان لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة الإسراء أكمل مما يحصل للروح عند المفارقة ، ومعلوم أن هذا أمر فوق مايراه النائم ، لكن لما كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم فى مقام خرق العوائد . . عرج بذات روحه المقدسة حقيقة من غير إماتة ، ومن سواه لا ينال بذات روحه الصعود إلى السماء إلا بعد الموت والمفارقة » ص ١٢٨ المصدر السابق ، وهو تأويل جيد للامام الجليل .

ويقول الإمام الشوكانى : « وقد اختلف أهل العلم : هل كان الإسراء بجسده مع روحه ، أو بروحه فقط؟ فذهب معظم السلف والخلف إلى الأول ، وذهب إلى الثانى طائفة من أهل العلم ، منهم : عائشة ومعاوية والحسن وابن إسحاق ، وحكاه ابن جرير عن حذيفة بن اليمان ، وذهبت طائفة إلى التفصيل ، فقالوا : كان الإسراء بجسده يقظة إلى بيت المقدس ، وإلى السماء بالروح ، واستدلوا على هذا التفصيل بقوله : إلى المسجد الأقصى ، فجعله غاية للاسراء بذاته ، فلو كان الإسراء من بيت المقدس إلى السماء وقع بذاته لذكره ، والذى دلت عليه الأحاديث الصحيحة الكثيرة هو ما ذهب إليه معظم السلف والخلف من أن الإسراء بجسده وروحه يقظة إلى بيت المقدس ، ثم إلى السماوات ، ولا حاجة إلى التأويل » ص ١٩٩ حـ ٢ فتح القدير ط مصطفى البابى الحلبى . ولو أن الشوكانى قال : بعض الأحاديث الصحيحة ، لكان أوفق لأن بعض الأحاديث الصحيحة أيضاً تدل على أنه كان بروحه .

تاريخ الإسراء : كما يتحدث الإمام الشوكانى عن تاريخ الإسراء بقوله : « وقد اختلف أيضاً فى تاريخ الإسراء ، فروى أن ذلك كان قبل الهجرة إلى المدينة بسنة ، وروى أن الإسراء كان قبل الهجرة بأعوام ، ووجه ذلك أن خديجة صلت مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد ماتت قبل الهجرة بخمس سنين ، وقيل بثلاث ، وقيل بأربع ، ولم تفرض الصلاة إلا ليلة الإسراء ، وقد استدل بهذا ابن عبد البر على ذلك ، وقد اختلفت الرواية عن الزهرى . وممن قال : بأن =

. . . .

= الإسراء كان قبل الهجرة بسنة الزهرى فى روايةعنه ، وكذلك الحربى ، فإنه قال : أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم ليلة سبع وعشرين من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة . وقال ابن القاسم فى تاريخه : كان الإسراء بعد مبعثه بثمانية عشر شهراً قال ابن عبد البر : لا أعلم أحداً من أهل السير قال بمثل هذا . وروى عن الزهرى أنه أسرى به قبل مبعثه بسبعة أعوام ، وروى عنه أنه قال : كان قبل مبعثه بخمس سنين ، وروى يونس عن عروة عن عائشة أنها قالت : توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة » ص ٢٠٠ المصدر السابق. وأقول : سبق أن بينت أن القرآن يؤكد أن الصلاة فرضت فى بداية مبعثه صلى الله عليه وسلم .

وقد تحدث السهيلى عن قوله سبحانه (ثم دنا فتدلى) الخ

وإليك رأى السلف فى هذا ينقله الإمام ابن القيم أيضاً ، وأنا أنقله عنه من المصدر السابق : « وأما قوله تعالى فى سورة النجم (ثم دنا فتدلى) فهو غير الدنو والتدلى فى قصة الإسراء ، فإن الذى فى سورة النجم هو: دنو جبريل وتدليه ، كما قالت عائشة وابن مسعود ، والسياق يدل عليه ، فإنه قال : (علمه شديد القوى) وهو جبريل : (ذو مرة فاستوى، وهو بالأفق الأعلى ، ثم دنا فتدلى) فالضمائر كلها راجعة إلى هذا المعلم الشديد القوى ، وهو ذو المرة — أى القوة — وهو الذى استوى بالأفق الأعلى ، وهو الذى دنا فتدلى ، فكان محمد - صلى الله عليه وسلم - قدر قاب قوسين أو أدنى ، فأما الدنو والتدلى الذى فى حديث الإسراء ، فذلك صريح فى أنه دنو الرب تبارك وتعالى وتدليه . ولا تعرض فى سورة النجم لذلك ، بل فيها أنه رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى . وهذا هو جبريل رآه محمد - صلى الله عليه وسلم - على صورته مرتين مرة فى الأرض ، ومرة عند سدرة المنتهى » ص ١٢٧ المصدر السابق . وبهذا يسقط استدلال السهيلى بأن الإسراء كان مرتين .

وعن مسألة رؤية النبى صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء والمعراج يقول الإمام ابن القيم أيضاً : « واختلف الصحابة : هل رأى ربه تلك الليلة أم لا ؟ فصح =

. . . .

=عن ابن عباس أنه رأى ربه ، وصح عنه أنه قال : رآه بفؤاده ، وصح عن عائشة وابن مسعود إنكار ذلك ، وقالا : إن قوله تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) إنما هو جبريل ، وصح عن أبي ذر أنه سأله : هل رأيت ربك ، فقال : نور أنى أراه أى حال بيني وبين رؤيته النور ، كما قال فى لفظ آخر : رأيت نورا ، وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمى اتفاق الصحابة على أنه لم يره .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه : وليس قول ابن عباس إنه رآه مناقضا لهذا ، ولا قوله : رآه بفؤاده ، وقد صح عنه أنه قال : رأيت ربي تبارك وتعالى ، ولكن لم يكن هذا فى الإسراء ، ولكن كان فى المدينة لما احتبس فى صلاة الصبح ، ثم أخبرهم عن رؤية ربه تبارك وتعالى تلك الليلة فى منامه ، وعلى هذا بنى الإمام أحمد ، وقال : نعم رآه حقا ، فإن رؤيا الأنبياء حق ، ولا بد . ولكن لم يقل أحمد : إنه رآه بعيني رأسه يقظة ، ومن حكى عنه ذلك ، فقدوهم عليه ، ولكن قال مرة : رآه ، ومرة قال: رآه بفؤاده ، فحكيت عنه روايتان ، وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه أنه رآه بعيني رأسه، وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك ، وأما قول ابن عباس إنه رآه بفؤاده مرتين ، فإن كان استناده إلى قوله تعالى : (ما كذب الفؤاد ما رأى) ثم قال : (ولقد رآه نزلة أخرى) — والظاهر أنه مستنده ـ فقد صح عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن هذا المرئى جبريل ، رآه مرتين فى صورته التى خلق عليها ، وقول ابن عباس هذا هو مستند الإمام أحمد فى قوله : رآه بفؤاده ، والله أعلم » ص ٢٧ المصدر السابق . وقد يقال : رأى آخر هو أن الإسراء به صلى الله عليه وسلم كان بجسده وروحه ، أما المعراج فكان بروحه كما شرح الإمام ابن القيم ، بدليل ما ورد فى بعض الروايات . فرواية شريك لا يذكر فيها الإسراء مطلقا . وفى رواية عن أنس أيضاً : « بينا أنا نائم إذ جاء جبريل عليه السلام ، فوكز بين كتفي ، فقمت إلى شجرة فيها كوكرى الطير ، فقعد فى أحدهما ، وقعدت فى الآخر ، فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين ، وأنا أقلب طرفى ، ولو شئت أن أمس السماء لمسست ، . . . » هذه أيضاً لم يأت فيها ذكر الاسراء إلى المسجد الأقصى ، ولا للبراق . وفى رواية=

. . . .

أنس عن مالك بن صعصعة يقول : « بينما أنا فى الحطيم - وربما قال قتادة فى الحجر مضطجعا — إذ أتانى آت ، فجعـــل يقول لصاحبه : الأوسط بـين الثلاثة ، قال : فأتانى ، فقد ما بين هذه إلى هذه أى من ثغرة نحره إلى مشعرته . أو من قصته إلى مشعرته ، ولم يأت كذلك ذكر الإسراء ، وفى رواية أخرى : فرج سقف بيتى ، وأنا بمكة ، فنزل جبريل ، ففرج صدرى ، ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا . فأفرغها فى صدرى ثم أطبقه . ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى السماء . . . لعل هذه الروايات تعين على إثبات هذا الرأى الأخير ، وهو أن المعراج شىء ، والإسراء شىء آخر ، وأن أن المعراج كان بالروح ، وهذه هى الرؤيا التى أراه الله ، أما الإسراء . فكان بجسده وروحه .

هذا وقد أجريت بعض مقارنات بين الروايات المختلفة عن بعض الأمور التى وردت فى قصة ، وإليك بعضها :

المكان الذى كان منه الإسراء : سنغفل التعبير بما يأتى :

« ورد فى رواية » ، وورد فى رواية أخرى للاختصار ، وإليك ما ورد عن مكان الإسراء : المسجد الحـــرام . فرج عن سقف بيته ، وهو فى مكة . بيت أم هانىء . وقد جاءت هذه الرواية بصورة توكيد ، وذلك إذ تقول أم هانىء «ما أسرى برسول الله « ص » إلا وهو فى بيتى نائم عندى» . وبعض الروايات أغفلت ذكر المكان .

البراق أو ما حمل عليه : بعض الروايات أغفلت ذكره . دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل - أتى به مسرجا ملجما ، فاستصعب ، فهره جبريل ، فارفض عرقه . حمل على البراق ، فأوثق الدابة ، أو قال : الفرس . شجرة فيها كوكرى الطير ، فقعد فى أحدهما ، وقعد جبريل فى الآخر ، فسمت وارتفعت حتى سادت الخافقين . ينفى حذيفة بن اليمان أنه ربطه ، وإنما سخره له الله . سمى فرسا ، وراح يصفها النبى لأبى بكر ، لأن أبا بكر كان قد رآها من قبل ،

. . . .

= شق الصدر : كان قبل الوحى ، وقد جاءه ثلاثة نفر ، وهو نائم فى المسجد الحرام ، فقال أوسطهم : هو خيرهم ، فقال آخرهم : خذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة ، فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ، ولا ينام قلبه ، فلم يكلموه ، حتى احتملوه ، فوضعوه عند بئر زمزم ، فتولاه منهم جبريل ، فشق ما بين نحره إلى لبته الخ . أتاه ثلاثة ، فشق أحـــدهم من ثغرة نحره إلى مشعرته ، أو من قصته إلى شعرته . . جاء جبريل ومكيال ، فشق بطنه . فرج سقف بيته ، وهو بمكة فنزل جبريل ، ففرج صدره ، ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا ، فأفرغها فى صدره « ص » ثم أطبقه

صلاته ليلة الإسراء : صلى ركعتين فى بيت المقدس. صلى بطيبة وبطور سيناء وبيت لحم ، حيث ولد عيسى وصلى فى بيت المقدس ، حيث جمع له الأنبياء عليهم السلام ، فقدمه جبريل ، حتى أمهم ، يقسم حذيفة بن اليمان أنه ما صلى فى المسجد الأقصى ، ولا دخله هو وجبريل ، وأنهما مازايلا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء ، صلى فى بيت المقدس حيث اجتمع ناس كثيرون ، ثم أذن مؤذن ، فأقيمت الصلاة ، ويروى الحديث أن النبى « ص » قال : فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا ، فأخذ بيدى جبريل عليه السلام ، فقدمنى فصليت بهم ، فلما انصرفت ، قال جبريل : يا محمد أتدرى من صلى خلفك ؟ قال : قلت : لا ، قال : صلى خلفك كل نبى ، بعثه الله عز وجل . بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء ، فأمهم تلك الليلة. صلى فى بيت المقدس ، وصلى النبيون أجمعون معه . صلى فى بيت المقدس ، كما صلى فى البيت المعمور . هبط إلى بيت المقدس ، وهبط معه الأنبياء ، فصلى بهم . كانت صلاته بالأنبياء فى السماء ، وكانت صلاته أول دخوله إلى بيت المقدس.

الآنية التى شرب منها : أتى بها بعد صلاته ركعتين فى بيت المقدس قبل العروج. وهما : خمر ولبن ، وأسند إلى الرسول « ص » اختيار اللبن . عرض عليه خمر وماء ولبن عند بيت المقدس . عرضت عليه الآنية فى السماء بعد أن رفع إلى البيت المعمور. وكانت آنيته آنية خمر ولبن وعسل . إناء من لبن وإناء عسل بين يدى =

. . . . . . : . . . . . .

شيخ متكىء ، وهو الذى قال لجبريل : اختار صاحبك الفطرة . بعد انصرافه من بيت المقدس أتى له بقدحين من لبن وعسل . جىء له بكأس من عسل ولبن ، وهو فى المسجد . بعد خروجه من بيت المقدس جىء له بإناء فيه ماء ، فشرب يسيرا ، وبإناء فيه لبن فشرب حتى روى ، وبإناء فيه خمر فلم يشرب .

الأنبيـــاء الذين لقيهم فى السموات : سأذكر ما ورد فى عدة روايات فى الرواية الأولى : فى السماء الأولى آدم وعنصرا النيل والفرات والكوثر ، وفى الثانية إدريس ولم يذكر من فى الثالثة ، وفى الرابعة : هارون، ومن فى الخامسة لم يحفظ الراوى اسمه ، وفى السادسة : إبراهيم ، وفى السابعة موسى .

فى الرواية الثانيـــة آدم فى السماء الأولى ، وفى الثانية : يحي وعيسى . وفى الثالثة: يوسف ، وفى الرابعة إدريس ، وفى الخامسة : هارون ، وفى السادسة: موسى ، وفى السابعة : إبراهيم وهو مستند إلى البيت المعمور .

وفى الرواية الثالثة : فتح له باب من أبواب السماء ، فرأى النور الأعظم، وإذا دون الحجاب : رفرف الدر والياقوت ، وأوحى إلى الرسول « ص » ماشاء الله أن يوحى. ولم يذكر شيئا عن النبيين .

وفى الرواية الرابعة: فى السماء الأولى : آدم فى الأولى ، وفى الثانية : عيسى ويحي وفى الثالثة يوسف ،وفى الرابعة : هارون ، وفى الخامسة إدريس ، وفى السادسة : موسى ، وفى السابعة إبراهيم .

وفى الرواية الخامسة : آدم فى الأولى ، فى الثانية عيسى وابن خالته يحي ، فى الثالثة : يوسف . فى السماء الرابعة : إدريس ، فى الخامسة : هارون ، فى السادسة : موسى ، فى السابعة : إبراهيم . والكوثر فوق السابعة :

وفى الراوية السادسة : فى الأولى : آدم ، فى الثانية : عيسى ويحي،فى الثالثة : يوسف . فى الرابعة : إدريس ، فى الخامسة : هارون . فى السادسة : موسى ، فى السابعة : إبراهيم . وعند سدرة المنتهى فوق ذلك وجد أربعة الأنهار منها : النيل والفرات ، ثم رفع إلى البيت المعمور .

. . . .

= وفى الرواية السابعة : فى الأولى : آدم ، ثم عرج إلى السماء الثانية ، وذكر أنه وجد فى السماوات إدريس وموسى وعيسى ، ولكن لم يثبت منازلهم ، وذكر أنه وجد إبراهيم فى السادسة

وفى الرواية الثامنة : كالرواية السابقة . وفى الرواية التاسعة : وجد ملكا يقال له : إسماعيل ، وهو صاحب السماء الدنيا ، ووجد فى السماء الأولى آدم وفى الثانية : يوسف ، وفى الثالثة : يحي وعيسى ، وفى الرابعة : إدريس ، وفى الخامسة : هارون ، وفى السادسة : موسى ، وفى السابعة : إبراهيم .

وفى الرواية العاشرة : فى الأولى : آدم ، وفى الثانية : عيسى ويحي . فى الثالثة : يوسف ، فى الرابعة : إدريس : فى الخامسة : هارون . فى السادسة : موسى يبكى . فى السابعة : إبراهيم .

الأنهار : فى السماء الدنيا نهران ، هما : عنصرا النيل والفرات ، كما وجد الكوثر : فوق ظهر السماء السابعة عند سدرة المنتهى : أربعة أنهار ، اثنان باطنان والآخران : النيل والفرات . الكوثر : ينشق من عين تخرج من سدرة المنتهى التى فوق السماء السابعة ، وهناك أيضاً نهر يسمى الرحمة اغتسل فيه النبى « ص » فغفر له كل ذنب ، أنهار أولها : رحمة الله ، والثانى : نعمة الله ، والثالث : سقاهم ربهم شرابا طهورا .

بهذا العرض يتجلى لنا وجود ما لا يمكن أن يوصف إلا بالتضاد أو التناقض ، ولا يمكن أن يتصور مسلم أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يأتى بمثل هذا التناقض ، أو يحكم على الشىء بالنفى ، وبالإثبات فى آن واحد .

الإسراء حق ، لأنه من إخبار القرآن ، فلنحرص على عدم التوسع فى ذكر الروايات التى يناقض بعضها بعضا ، أو يحكم عليه الواقع المشهود المحسوس بأنه وضع خيال .

وليحذر المتهوكون الظن بأننا نضرب صفحا عن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، إنما نضرب صفحا عن أحاديث الرواة الذين يخطئون ساهين ، أو يتعمدون الخطأ ماكرين . ألا ترون إلى المفسر السلفى الجليل الإمام ابن كثير كيف يقول عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر الذى أخرج له البخارى حديثا =

. . . .

الله سبحانه سيرفعهما ، ويذهب بهما عند رفع القرآن وذَهَابِ الإيمان ، فلا يبقى على الأرض خير ، وذلك قوله تعالى : (وإنا عَلَى ذَهَابٍ به لَقَادِرُون) وفى حديثٍ مُسْنَدٍ ذكره النحاس فى المعانى بأتم من هذا فاختصرته ، ووقع فى كتاب المعلم للمَازَرِيِّ قول رابع فى الجمع بين الأقوال قال : كان الإسراء بجسده فى اليقظة إلى بيت المقدس ، فكانت رؤيا عين، ثم أسرى بروحه إلى فوق سبع سَمٰوات، ولذلك شَنَعَ الكفارُ قوله : وأَتَيْتُ بيتَ المقدس فى ليلتى هذه ، ولم يَشْنَعُوا قوله فيما سوى ذلك[1] .

= الإسراء فى كتاب التوحيد : « إن شريك . اضطرب فى هذا الحديث ، وساء حفظه ، ولم يضبطه » ويقول عن روايات حديث الإسراء : « وإن اختلفت عبارات الرواة فى أدائه ، أو زاد بعضهم فيه ، أو نقص منه ، فإن الخطأ جائز على من عدا الأنبياء عليهم السلام ، ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة ، فأثبت إسراءات متعددة ، فقد أبعد ، وأغرب ، وهرب إلى غير مهرب ، ولم يتحصل على مطلب ، وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه عليه السلام أسرى به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط ، ومرة من مكة إلى السماء فقط ، ومرة إلى بيت المقدس ، ومنه إلى السماء ، وفرح بهذا المسلك ، وأنه قد ظفر بشىء يخلص به من الإشكالات ، وهذا بعيد جداً » انظر تفسير سورة الإسراء من تفسير ابن كثير ، ولعلنا ندرك أنه ما دفع هؤلاء إلى هذا إلا التناقض البادى بين روايات حديث الإسراء ، وإلا إيمانهم بأن كل هذه المتناقضات تنتسب حقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما أنا فأومن أن الرسول لا يقول إلا حقا وصدقا ، ولا يمكن أن يصيبه النسيان الماكر ، وهو يقص علينا آية من آيات ربه الكبرى . وما عرضت نفسى لغضب الناس إلا اتقاء لغضب الله ، فإن يك هذا الظن منى صوابا فمن الله ، وإلا فمنى ، والله الهادى إلى ما يحبه ويرضاه .

(١) هذا رأى سديد ، وهو بعض ماذهب إليه الإمام ابن القيم .

. . . .

شماس البراق :

فصل : ومما يُسْأَل عنه فى هذا الحديث شِماسُ الْبُراقِ حين ركبه النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال له جبريل : أما تستحيى يا بُراقُ ، فما ركبك عبدٌ لله قَبْل محمد هو أَكْرَمُ عليه منه ، فقد قيل : فى نفرته ماقاله ابن بَطَّال فى شرح الجامعِ الصحيح ، قال : كان ذلك لبعد عهد الْبُراقِ بالأنبياء ، وطول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ، وروى غيره فى ذلك سبباً آخر قال فى روايته فى حديث الإسراء : قال جبريل لمحمد عليه السلام حين شَمَسَ به الْبُراقُ : لعلك يامحمد مَسَسْتَ الصَّفْرَاءَ اليوم ، فأخبره النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه مامَسَّها إلاَّ أنه مَرَّ بها ، فقال : تَبًّا لمن يعبُدك من دون الله ، ومامسها إلا لذلك ، وذكر هذه الرواية أبو سعيد النَّيْسَابُورِى فى شرف المصطفى ، فالله أعلم ، وقد جاء ذكر الصَّفْراء فى مُسْنَدِ البَزَّار ، وأنها كانت صَنَماً بعضُه من ذهب فكسرها رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — يوم الفتح ، وفى الحديث الذى خرجه التِّرْمِذِىّ (١) من طريق بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِىّ (٢) أنه — عليه السلام — حين انتهى

---

(١) يقول ابن الأثير فى اللباب إنها نسبة إلى مدينة قديمة على طرف نهر بلخ الذى يقال له جيحون ، والناس مختلفون فى كيفية هذه النسبة ، بعضهم يقول بفتح التاء وبعضهم بضمها ، وبعضهم بكسرها . والمتداول على لسان أهل تلك المدينة : بفتح التاء وكسر الميم ، والذى كنا نعرفه فيه قديما كسر التاء والميم جميعا ، والذى يقوله المتقنون ، وأهل المعرفة بضم التاء والميم ، وبعض هذا فى المراصد .

(٢) قيل اسمه عامر : وبريدة لقب ، وفى الصحيحين أنه غزا مع النبى « ص » ست عشرة غزوة

. . . .

إلى بيت المقدس ، قال جبريل : بإصْبَعه إلى الصخرة ، نخرَقَها فَشَدَّ بها الْبُراقَ[1] ،
وصلَّى ، وأنَّ حُذَيْفَةَ أنكر هذه الرواية ، وقال : لم يفر منه وقد سَخَّره له عالمُ
الغَيْب والشَّهادة[2] ، وفى هذا من الفقه على رواية بُرَيْدَة : التنبيهُ على الأخذ
بالحزم مع صحة التوكل ، وأن الإيمان بالقدَرِ كما — روى عن وَهْب بن مُنَبِّهٍ —
لايمنع الحازمَ من تَوَقِّى المهالك . قال وهب :وَجَدْتُه فى سبعين كتابا من كُتُبِ

---

(١) رواه أبو بكر البزار ، وقال : لانعلم رواه عن الزبير بن جنادة إلا أبو نميلة ، ولا نعلم هذا الحديث إلا عن بريدة . وقد رواه الترمذى فى التفسير من جامعه عن يعقوب بن إبراهم . وقال : غريب .

(٢) فى الأصل : لم أيفر منه . وفى حديث حذيفة هذا تعبير محكم المعنى ، فقد سمع زر بن حبيش — يحدث عن ليلة الإسراء ، فقال له : ما اسمك يا أصلع ؟ ! فأنا أعرف وجهك ، ولا أدرى ما اسمك ؟ قال زر : أنا زر بن حبيش ، فقال له حذيفة : فما علمك بأن رسول الله — صلى الله عليه وسلم صلى فيه ليلتئذ ، أى : فى بيت المقدس ؟ فقال زر : القرآن يخبرنى بذلك ، فقال حذيفة كلمته الرائعة التى تشع بنور الحق العظيم : من تكلم بالقرآن أفلح ، ثم طلب من زر أن يقرأ ، فقرأ : سبحان الذى أسرى ، فقال حذيفة : ياأصلع !! هل تجد صلى فيه ؟ فقال زر : لا : فقال حذيفة : والله ما صلى فيه رسول الله « ص » ليلتئذ ، ولو صلى فيه لكتبت عليكم صلاة فيه ، كما كتب عليكم صلاة فى البيت العتيق . والله مازايلا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء ، فرأيا الجنة والنار ، ووعد الآخرة أجمع ، ثم عادا عودهما على بدئهما ، قال زر:ثم ضحك حتى رأيت نواجذه قال حذيفة : ويحدثون أنه ربطه لايفر منه ، وإنما سخره له عالم الغيب والشهادة . وقد روى حديث حذيفة هذا الإمام أحمد ، وأبو داود الطيالسى ، والترمذى والنسائى ، وقال الترمذى : حسن

. . . .

الله التديمة(١) ، وهذا نحو من قوله صلى الله عليه وسلم : « قَيِّدها وتوَكَّل »(٢) فإيمانُه صلى الله عليه وسلم بأنه قد سُخِّر له كإيمانه بقدَرِ الله وعلمِه بأنه سبق فى عِلمِ الكتاب ماسبق ، ومع ذلك كانَ يَتزَوَّدُ فى أسفاره ويُعِدُّ السلاح فى حُروبه ، حتى لقـــد ظاهر بين دِرْعين فى غَزْوة أُحُدٍ . ورَبْطُه للبُراق فى حَلْقَةِ الباب من هذا الفن ، وهو حديث صحيح ، وقد رواه غير بُرَيْدَة ووقع فى حديث الحارث بن أبى أسامة من طريق أَنَس ، ومن طريق أبى سعيد ، وغيرهما أعنى رَبْطَه للبُراق فى الحَلْقَة التى كانت تَرْبِطُه فيها الأنبياء ، غير أن الحديثَ يرويه داود بن المُحَبِّر ، وهو ضعيف .

معنى قول الملائكة : من معك

معنى قول الملائكة : من معك ومما يُسْأَلُ عنه قولُ الملائكة فى كل سماء لجبريل : مَنْ معك ، فيقول : محمد ، فيقولون : أَوَقد بعث إليه فيقول : نعم هكذا لفظ الحديث فى الصِّحاح ، ومعنى سؤالهم عن البَعْثِ إليه فيما قال بعض أهل العلم ، أى : قد بعث اليه إلى السماء ، كما قد وجدوا فى العلم أنه سيعرج به ، ولو أرادوا بَعثَه إلى الخلق ، لقالوا : أوقد بُعِثَ ، ولم يقولوا إليه ، مع أنه يبعد أن يخفى عن الملائكة بعثُه إلى الخلق ، فلا يعلمون به إلى ليلة الإسراء ، وفى الحديث الذى تقدم فى هذا الكتاب بيانٌ أيضا حين ذكر تسبيح ملائكة السماء السابعة ، ثم تسبيح ملائكة كل سماء ، ثم يسأل بعضهم بعضا : مِمَّ سَبَّحتم حتى ينتهى السؤال إلى ملائكة السماء السابعة ، فيقولون : قَضَى ربُّنا فى خَلْقه

---

(١) ياويل التفسير من مخترعات وهب

(٢) فى الجامع الصغير للسيوطى : « اعقلها وتوكل » وراه الترمذى عن أنس وهو ضعيف

. . . .

كذا ، ثم ينتهى الخبرُ إلى سماء الدنيا ـ الحديث بطوله ، وفى هذا مايدل على أن الملائكة قد علمت بنبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين نُبِّىء ، وإنما قالت : أوقد بعث إليه ، أى قد بعث إليه بالْبُرَاقِ كما تقدَّم على أن فى حديث أنس أن ملائكةَ سماء الدنيا قالت لجبريل : أوقد بعث ، كما وقع فى السيرة وليس فى أول الحديث : إليه ، هذا إنما جاء فى حديث الرُّؤيا التى رآها بقلبه ، كما قدمنا ، وأن ذلك قبل أن يُوحى إليه كما جاء فى الحديث بعينه ، وفى هذا قوة لما تقدم من أن الإسراء كان رُؤْيا ، ثم كان رؤية ؛ ولذلك لم نجد فى رواية من الروايات أن الملائكة قالوا : أوقد بُعِث إليه إلا فى ذلك الحديث ، فالله أعلم .

باب الحفظة :

وذكر باب الْحَفَظَةِ ، وأن عليه ملكا يقال له : إسماعيل ، وقد جاء ذكره فى مُسْنَدِ الحارثِ ، وفيه أن تحت يده سبعون ألف ملك تحت يد كل ملك سبعون ألف[1] ملك ، هكذا لفظُ الحديث فى رواية الحارثِ ، وفى رواية ابن إسحاق : اثنا عشر ألف ملك هكذا لفظ الحديث ، وفى مُسْنَد الحارث أيضاً .

---

(١) أخرجه البيهقى فى كتاب دلائل النبوة وأوله يخالف الروايات الأخرى «فبينما أنا نائم عشاء فى المسجد الحرام ، إذ أتانى آت ، فأيقظنى ، فاستيقظت ، فلم أر شيئا ، فإذا أنا بكهيئة خيال ، فأتبعته بصرى ؛ حتى خرجت من المسجد الحرام الخ .

. . . .

وذكر سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، فقال : لو غطيتُ بورقةمن ورقها هذه الأُمَّةَ لغطَّتهم، وفى صفتها من رواية الجميع : فإذا ثمرُها كقِلاَل هَجَر ، وفى حديثِ الْقُلَّتَيْنِ من كتاب الطهارة ، من رواية ابن جُرَيْج : إذا كان الماء قُلَّتَيْن من قِلاَلِ هَجَر لم يحمل الخبث[1] قالوا : والقلتان منها تَسعَانِ خمسمائة رطل ، قال الترمذى : وذلك نحو من خَمْسِ قِرَبٍ ، وفى تفسير ابن سلام قال عن بعض السلف : إنها سُمِّيَتْ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى ، لأن روح المؤمن ينتهى به إليها ، فتصلى عليه هنالكَ الملائكةُ المقربون .قال ذلك فى تفسير علِّيين .

آدم فى سماء الدنيا والأسودة التى رآها :

فصل : وفيه أنه رأى آدم فى سماء الدنيا ، وعن يمينه أسْودة ، وعن شماله أسْوِدة ، وأن جبريلَ أعلمه أن الأسْودة التى عن يمينه هم : أصحابُ الْيَمين . وفى رواية ابن إسحاق : تعرض عليه أرواحُ ذُريته ، فإذا نظر إلى الذين عن يمينه ضحك ، وقد سئل عن هذا ، فقيل : كيف رأى عن يمينه أرواحَ أصحاب اليمين ، ولم يكن إذ ذاك من أصحاب اليمين إلا نَفرٌ قليل ، ولعله لم يكن ماتَ

---

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشى الأموى مولاهم المكى أبو الوليد ، ويقال : أبو خالد ، وهو من تابعى التابعين توفى سنة ١٥٠ وقيل غير ذلك .

(٢) تكلمنا عنه من قبل ، وأقول : ورد فى نيل الأوطار الامام الشوكانى : « وأما التقييد بقلال هجر ، فلم يثبت مرفوعا إلا من رواية المغيرة بن صقلاب عند ابن عدى ، وهو منكر الحديث . قال النفيلى : لم يكن مؤتمنا على الحديث ، وقال ابن عدى : لا يتابع على عامة حديثه ، ص ٣١ ح ١ ط عثمان خليفة .

. . . .

..ك الليلة منهم أحد ، وظاهرُ الحديث يقضى أنهم كانوا جماعة . فالجوابُ أن يقال : إنْ كان الإسراء رؤيا بقلبه ، فتأويلها أن ذلك سيكون ، وإن كانت رُؤيا عين ، كما قال ابن عباس وغيره بمعناه : أن ذلك أرواحُ المؤمنين رآها هنالك ؛ لأن الله تعالى يتوفى الخلقَ فى منامِهم ، كما قال فى التنزيل : ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ الزمر ٤٣ فصعد بالأرواح إلى هنالك ، فرآها ثم أعيدت إلى أجسادها . وجوابٌ آخر : وهو أنَّ أصحابَ اليمين الذين ذكرهم اللهُ تعالى فى سورة المُدَّثِر فى قوله تعالى : ﴿ إلا أصحابَ الْيَمِين . فى جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُون عن الْمُجْرِمين ﴾ ٣٩ : ٤٠ . قال ابنُ عباس : هم الأطفال الذين ماتوا صغاراً ، ولذلك سألوا المجرمين : (مَا سَلَكَكُمْ فى سَقَر) لأنهم ماتوا قبل أن يعلموا بكفر الكافرين ، وقد ثبت فى الصحيح أن أطفال المؤمنين والكافرين فى كفالة إبراهيم عليه السلام ، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لجبريل حين رآهم فى الروضة مع إبراهيم : مَنْ هؤلاء ياجبريل ؟ فقال : أولاد المؤمنين الذين يموتون صغاراً ،فقال له : وأولاد الكافرين ، قال : وأولاد الكافرين . خرجه البخارى فى الحديث الطويل من كتاب الجنائز ، وخرجه فى موضع آخر ، فقال فيه : أولاد الناس ، فهو فى الحديث الأول نَصٌّ ، وفى الثانى عموم ، وقد روى فى أطفال الكافرين أنهم خدم لأهل الجنة ، فعلى هذا لايبعد أن يكون الذى رآه عن يمين آدم من نَسَمِ ذريتِه أرواحَ هؤلاء ، وفى هذا مايدفع تَشْغِيبَ هـذا السؤال والاعتراض منه .

. . . .

من حكم الماء :

فصل : وفيه شُرْبُه من إناء القوم ، وهو مُغطًّى ، والماء وإن كان لا يُملَكُ والناس شُرَكاءُ فيه ، وفي النار والْكَلَأُ كما جاء في الحديث ، لكن المستقي إذا أحرزه في وعائه ، فقد ملكه، فكيف استباح النبي صلى الله عليه وسلم شُرْبه وهو مِلْكٌ لغيره ، وأملاكُ الكفار لم تكن أبيحت يومئذ ، ولادماؤهم.

فالجواب أن العربَ في الجاهلية كان في عُرْف العادة عندهم إباحة الرِّسْلِ لابن السبيل فضْلاعن الماء، وكانوا يعهدون بذلك إلى رِعائهم ، ويشترطونه عليهم عند عقد إجارتهم : ألاّ يمنعوا الرِّسْلَ ، وهو اللبن من أحدٍ مرَّ بهم ، والحكم في العُرْف في الشريعة أصولٌ تشهد له، وقد ترجم البخاريُّ عليه في كتاب البيوع ، وخرج حديثَ هِنْدِ بنتِ عُتْبَة ، وفيه : خُذي مايكفيك وولدك بالمعروف .

عن دخول بيت المقدس وصفة الأنبياء :

فصل : وذكر فيه أنه دخل بيتَ الْمَقدِس ، ووجد فيه نفراً من الأنبياء ، فصلّى بهم ، وفي حديث التِّرمِذيِّ الذي قدّمناه عنْ حُذَيفَةَ أنه أنكر أن يكونَ صلَّى بهم ، وقال : مازال من ظَهر الْبُرَاقِ ، حتى رأى الجنةَ والنار ، وما وعده الله تعالى ، ثم عاد إلى الأرض ، وزيادة العدل مقبولةٌ ، ورواية من أثبتَ مُقدَّمةٌ على رواية مَنْ نفَى ، وذكر فيه صفة الأنبياء ، وقال في عيسى : كأن رأسُه يَقْطُرُ ماءً وليس به ماء ، وكأنه خرج من دِيمَاسٍ والدِّيماسُ: الحَمَّامُ ،

. . . .

وأصله : دِمَّاس ويجمع على دَمَاميس ، وقد قيل فى جمعه : دَيَاميس[(١)] ، ومثاله : قيراط ودينار ودِيباج،الأصل فيها كلها:التضعيف،ثم قُلبَ الحرف المدغمُ ياء ، فلما جَمَعوا وصَغَّروا ، ردُّوه إلى أصلِه ، فقالوا : قراريط ودنانير : [وقُرَيْرِيط ودُنَيْنِير][(٢)] ، غير أنهم لم يقولوا : دنانير ولا قياريط ، كما قالوا : دَياميس ، وقالوا : دَبابيج ودَيابيج[(٣)] ، وأصلُ الدَّمْس : التغطيةُ،ومنه لَيْلٌ دامِسٌ ،وفى هذه الصفة من صفات عيسى عليه السلام إشارة إلى الرِّيِّ والخِصْبِ الذى يكون فى أيامه إذ أُهْبِط إلى الأرض والله أعلم .

وذكر فى صفة موسى أنه آدمُ طوَّالٌ ، ولوصفه إياه بالأُدْمَةِ أصلٌ فى كتاب الله تعالى ، قاله الطَّبَرى عند تفسير قوله : ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ قال: فى خُروج يده بيضاء آيةٌ فى أن خرجت بيضاءَ مخالفا لونُها لسائر لونِ جسدِه ، وذلك دليل بيِّن على الأُدْمَة التى هى خلافُ البياض[(٤)] .

وذكر إبراهيمَ فقال:لم أرَ رجلاً أشبهَ بصاحِبِكم ولا صاحبكم أشْبهَ به منه ،

---

(١) فى اللسان « إن فتحت الدال جمع على دياميس مثل شيطان وشياطين ، وإن كسرتها جمعت على دماميس » .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) فى اللسان مادة دنر : « قال أبو منصور : دينار وقيراط وديباج أصلها أعجمية ، غير أن العرب تكلمت بها قديما ، فصارت عربية » .

(٤) الذى فى الطبرى فى تفسير الآية : « ذكر أن موسى عليه السلام كان رجلا آدم ، فأدخل يده فى جيبه ، ثم أخرجها بيضاء من غير سوء من غير برص مثل الثلج ، ثم ردها ، فخرجت كما كانت على لونه » .

. . . .

يعنى : نفسه ، وفى آخر هذا الكلام إشكالٌ من أجل أن أشْبَهَ منصوبٌ فى الموضعين ، ولكن إذا فهمت معناه ، عرفت إعرابَه ، ومعناه : لم أر رجلا أشبهَ بصاحبكم ولا صاحبُكم به منه[1] ، ثم كرر أشبه توكيدا فصارت لغواً كالمُقْحَم وصاحبكم معطوفٌ على الضمير الذى فى أشبه الأول الذى هو نعتٌ لرجل ، وحسن العطفُ عليه ، وإن لم يؤكدَ بهو ، كما حسن فى قوله تعالى : ﴿ما أشركْنَا ولا آباؤنا﴾ من أجل الفصل بلا النافية ، ولو أسقط من الكلام أشْبَهَ الثانى ، لكان حَسَناً جدا ، ولو أخَّر صاحبكم فقال : ولا أشبه به صاحبُكم منه لجازَ ، ويكون فاعلا بأشْبَهَ الثانية ، ويكون من باب قولهم : ما رأيتُ رجلا أحسنَ فى عينه الكحلُ مِنْ زَيْدٍ ، وهى مسألة عَذْرَاء لم تَفْتَرِعْها أيدى النُّحاةِ[2] ، بعد ولم يشف منها مُتَقَدِّمٌ منهم ، ولا متأخِّرٌ مِمَّن رأينا كلامه فيها وقد أمْلَيْنَا فى غيرِ هذا الكتابِ فيها تحقيقاً شافيا .

صفة النبى صلى الله عليه وسلم :

فصل : وذكر فى صفة — النبى — صلى الله عليه وسلم — مما نعته به علىُّ بن أبى طالب — رضى الله عنه — فقال : لم يكن بالطويل المُمَغط بالغين المعجمة ،

---

(١) رواية مسلم « أشبه الناس به صاحبكم — يعنى نفسه » .

(٢) هى مسألة مفصلة فى كتب النحو عن عمل أفعل التفضيل ورفعه للاسم الظاهر ، فانظر لها مثلا ص ١٠٦ جـ ٢ من شرح التصريح على التوضيح ، ص ٤٦ جـ ٣ من حاشية الصبان على شرح الأشمونى ط ١٣٠٥ هـ ص ٢٥٢ جـ ٣ النحو الوافى للأستاذ عباس حسن .

. . . .

وفى غير هذه الرواية بالعين المهملة ، وذكر الأوصاف إلى آخرها وقد شرحها أبو عُبَيْد ، فقال عن الأصمعى ، والكسائى وأبى عَمْرو وغير واحد : قوله: ليس بالطويل المُمَغَّط أى : ليس بالبائن الطويل ، ولا القصير المُتَرَدِّدِ[1] يعنى : الذى تردد خَلْقُه بعضُه على بعض ، وهو مجتمع ليس بِسَبْطِ الخَلْقِ يقول : فليس هو كذلك ، ولكن رَبْعَة بين الرجلين ، وهكذا صِفَتُه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى حديث آخر : ضَرْب اللَّحم بين الرجلين .

وقوله : ليس بالمطهم ، قال الأصمعى : هو التام كل شىء منه على حدته ، فهو بارع الجمال ، وقال غير الأصمعى المُكَلْثم المُدَوَّر الوجه ، يقول : ليس كذلك ، ولكنه مسْنُونٌ ، وقوله : مشرب يعنى الذى أُشْرِب حُمْرَةً ، والأدعج العين : الشديدُ سَوادِ العين قال الأصْمَعى : الدُّعْجَةُ : هى السواد ، والجليل المُشَاشِ : العظيمُ العظام مثل الركبتين والمِرْفَقَيْنِ والمَنْكِبَيْنِ ، وقوله : الكَتَد هو : الكاهِلُ ، وما يليه من جسده ، وقوله شَثْن الكفّين والقدمين يعنى : أنهما إلى الغِلَظ . وقوله : لَيْسَ بالسبط ولا الجَعْدِ القَطَطِ ، فالقَطَطُ : الشديدُ الجُعُودَةِ مثل شُعور الحَبَشة ، ووقع فى غريب الحديث لأبى عبيد التامَّ كلُّ شىء منه على حِدَته . يقول : ليس كذلك ، ولكنه بارع الجمال ، فهذه الكلمة ، أعنى : ليس كذلك مخِلَّة بالشرح ، وقد وجدته فى رواية أخرى عن أبى عبيد بإسقاط : يقول كذلك ، ولكن على نص ذكرناه آنفا

---

(١) وردت هذه الأوصاف فى حديث رواه الترمذى وإسناده ضعيف .

قصة المعراج

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن أبي سعيد الخُدريّ ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: سمعتُ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : لما فرغتُ مما كان في بيت المَقْدس ، أُتى بالمعراج ـ ولم أر شيئا قطُّ أحسنَ منه ـ وهو

عنه عن الأصمعى ، والذى فى غريب الحديث من تلك الزيادةِ وَهْمٌ وقع فى الـكتاب ، والله أعلم .

وأما ماروا ه الترمذى عن الأصمعى فى شرح المطهم قال : هو البادن: الـكثير اللحم ، ذكره عن أبى جعفر ، عن الأصمعى ، وذكر عنـــه فى المُمَّغط نحو ماقدمناه ، قال : وسمعت أعرابيا يقول تمغَّط فى نُشَّابة أى : مَدَّها ، وفى كتاب العين : مَغَطْتُ الشىء إذا مَدَدته ، وقال فى باب العين المهملة مَعَطْتُ[1] الشىء إذا مددته ، كما قال فى الغين المعجمة ، فعلى هذا يقال فيهُ مَمِّغط ومُمَّغط ، ووزنه مُنْفَعِل ، واندغمت النونُ فى الميم ، كما اندغمت فى محوته فامَّحَى لما أمن التباسه بالمضاعف ، ولم يدغموا النون فى الميم فى شاة زَنْماء ، ولافى غَنَم لئلا يلتبس بالمضاعف ، لو قالوا : أزَمَّاء وغَمًّا ، وقد ذكرنا قبل ماوَهِمَ فيه التِّرمِذِيُّ من تفسير زِرِّ الحَجَلَةِ حيث قال : يقال إنه بيْض له ، حيث تكلمنا على خاتم النبوة وصفته ، واختلاف الرواية فيه والحمد لله .

---

(١) كذلك يقول اللسان .

الذى يَمُدّ إليه ميتُكم عَيْنَيه إذا حُضر ، فأصْعدنى صاحبى فيه ، حتى انتهى بى إلى باب من أبواب السماء ، يقال له : باب الحَفَظة ، عليه مَلَك من الملائكة ، يقال له : إسماعيل ، تحت يديه أثنا عَشَرَ ألفَ مَلَكٍ ، تحت يدى كلّ مَلَكٍ منهم اثنا عشر ألفَ مَلَك – قال : يقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين حدّث بهذا الحديث : ومايعلم جنود ربك إلا هو – فلما دُخِل بى ، قال : مَنْ هذا ياجبريل ؟ قال : هذا محمد . قال : أو قد بُعث ؟ قال : نعم . قال: فدعا لى بخير : وقاله .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ أهل العلم عمّن حدّثه عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : تلقّتنى الملائكةُ حين دخلتُ السماء الدنيا ، فلم يلقنى مَلَكٌ إلا ضاحكا مستبشرا ، يقول خيرا ويدعو به ، حتى لقينى مَلَكٌ من الملائكة ، فقال مثلَ ماقالوا ، ودعا بمثل مادَعَوْا به ، إلا أنه لم يضحك ، ولم أرَ منه من البِشْر مثل مارأيت من غيره ، فقلت لجبريل : ياجبريل من هذا الملك الذى قال لى كما قالت الملائكةُ ولم يضحك إلىّ ، ولم أرَ منه من البِشر مثل الذى رأيتُ منهم ؟ قال : فقال لى جبريلُ : أما إنه لو ضَحك إلى أحدٍ كان قبلك ، أو كان ضاحكا إلى أحد بعدك ، لَضَحِك إليك ، ولكنه لايضحك ، هذا مالكٌ خازن النار ، فقال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فقلت لجبريل ، وهو من الله تعالى بالمكان الذى وصف لكم (مُطاعٍ ثَمّ أمِين) : ألا تأمره أن يُرينى النار ؟ فقال : بلى ، يامالك ، أرِ محمداً النّار . قال : فكشف عنها غِطاءها ، ففارت ، وارتفعت ، حتى ظننت : لتأخذنّ ما أرى . قال :

فقلت لجبريل : ياجبريل ، مُرْه ، فَلْيردّها إلى مكانها . قال : فأمره ، فقال لها : اخبِى ، فرجعتْ إلى مكانها الذى خَرجت منه . فما شبَّهتُ رُجوعَها إلا وقوع الظالّ . حتى إذا دخلت من حيثُ خَرجت ردّ عليها غطاءها .

قال أبو سَعيد الُخدْرىّ فى حديثه : إن رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — قال : لما دخلتُ السماء الدنيا ، رأيت بها رجلا جالسا تُعرض عليه أرواح بَنى آدم ، فيقول لبعضها ، إذا عُرضت عليه خيراً ويُسرّ به ، ويقول : روح طيِّبة خَرجت من جَسد طيب ، ويقول لبعضها إذا عُرضت عليه : أُفٍّ ، ويَعْبِس بوجهه ويقول : روح خَبيثة خرجت من جَسد خبيث . قال : قلت : من هذا ياجبريل؟ قال : هذا أبوك آدم ، تُعرَض عليه أرواح ذرّيته ، فإذا مَرّت به روح المُؤمن مِنْهم سُرّ بها : وقال روح طيبة خرجت من جَسد طيب . وإذا مرّت به روح الكافر منهم أفَّف منها ، وكَرِهها ، وساء ذلك ، وقال : روحٌ خبيثةٌ خرجت من جَسد خبيث .

قال ثم رأيت رجالاً لهم مَشافر كمَشافرِ الإبل ، فى أيديهم قِطَع من نار كالأفهار ، يقذفونها فى أفواههم ، فتخرج من أدبارهم . فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء أكَلة أموال اليتامى ظُلْما .

قال : ثم رأيت رجالا لهم بُطون لم أرَ مثلَها قطُّ بسَبيل آل فرعون ، يمُرّون عليهم كالإبل المَهْيُومة حين يُعْرضَون على النار ، يطئونهم لا يقدرون على أن يتحوّلوا من مكانهم ذلك . قال قلت : من هؤلاء ياجبريل؟ قال هؤلاء أكَلة الربا.

قال : ثم رأيتُ رجالا بين أيديهم لحم ثمين طيِّب ، إلى جنبه لحم غَثٌّ منتن ، يأكلون من الغثّ المنتن ، ويتركون السمين الطيب . قال : قلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يَتركون ما أحلّ الله لهم من النِّساء ، ويَذهبون إلى ماحرّم الله عليهم منهنّ .

قال : ثم رأيت نساء معلّقات بثديِّهنّ ، فقلتُ : مَن هؤلاء ياجبريل ؟ قال: هؤلاء اللاتى أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى جَعفر بن عَمْرو ، عن القاسم بن محمد أن رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — قال : اشتدّ غضب الله على امرأة أدخلت على قوم مَنْ ليس منهم ، فأكل حَرائبهم ، واطلع على عوراتهم .

عود إلى حديث الخدرى : ثم رجع إلى حديث أبى سَعيد الخُدرىّ ، قال : ثم أصعدنى إلى السماء الثانية ، فإذا فيها ابنا الخالة : عيسى بن مَرْيم ، ويحيى بن زكريَّا ، قال : ثم أصْعدنى إلى السماء الثالثة ، فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البَدْر ، قال : قلت : من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا أخوك يوسف بن يعقوب. قال : ثم أصْعدنى إلى السماء الرابعة ، فإذا فيها رجل فسألته : من هو ؟ قال : هذا إدريس — قال : يقول رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم : ورفعناه مكانا عليًّا — قال : ثم أصْعدنى إلى السماء الخامسة فإذا فيها كَهْل أبيضُ الرأس واللِّحية ، عظيم العُثْنون ، لم أر كَهْلا أجملَ منه ، قال قلت : من هذا يا جبريل؟ قال : هذا المُحَبَّبُ فى قومه هارون بن عِمران ، قال : ثم أصْعدنى إلى السماء السادسة ، فإذا فيها رجل آدمُ طويلٌ أقْنى كأنه من رجال شَنُوءة ؛ فقلت له :

من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا أخوك موسى بن عِمْران . ثم أصْعدنى إلى السماء السابعة ، فإذا فيها كَهْل جالس على كرسىّ إلى باب البيت المَعمور ، يدخله كلّ يوم سَبعون ألفَ ملَك ، لايرجعون فيه إلى يوم القيامة . لم أرَ رجلا أشبهَ بصاحبكم ، ولاصاحبكم أشبه به منه ، قال : قلت : من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم . قال : ثم دخل بى الجنة ، فرأيتُ فيها جاريةً لعساء ، فسألتها : لمن أنت ؟ وقد أعجبتنى حين رأيتُها ، فقالت : لزيد بن حارثة ، فبشَّر بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة .

قال ابن إسحاق : ومن حديث عبد الله بن مسعود — رضى الله عنه — عن النبى — صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى : أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلا قالوا له حين يستأذن فى دخولها : من هذا ياجبريل ؟ فيقول : محمد ، فيقولون : أو قد بعث ؟ فيقول : نعم ، فيقولون : حياه الله من أخ وصاحب ، حتى انتهى به إلى السماء السابعة ، ثم انتهى به إلى ربه ، ففرض عليه خمسين صلاة فى كلّ يوم .

قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فأقبلت راجعا ، فلما مررت بموسى بن عِمران ونِعْم الصاحبُ كان لكم ، سألنى كم فُرض عليك من الصلاة ؟ فقلت خمسين صلاة كلّ يوم ؛ فقال : إن الصلاة ثقيلة ، وإن أمتك ضعيفة ، فارجع إلى ربك ، فاسأله أن يخِّفف عنك وعن أمتك . فرجعتُ فسألت ربى أن يخفِّف عنى ، وعن أمتى ، فوضع عنى عشرا . ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لى مثلَ ذلك ، فرجعت فسألت ربى ، فوضع عنى عشراً .

. . . .

ثم انصرفت ، فمررت على موسى ، فقال لى مثلَ ذلك، فرجعت فسألته فوضع عنى عشراً ، ثم لم يزل يقول لى مثل ذلك ، كلما رجعت إليه ، قال : فارجع فاسأل ، حتى انتهيتُ إلى أن وضع ذلك عنى ، إلا خمس صلوات فى كلّ يوم وليلة . ثم رجعت إلى موسى ، فقال لى مثل ، ذلك ، فقلت : قد راجعتُ ربى وسألته ، حتى استحييتُ منه ، فما أنا بفاعل رواه البيهقى فى كتاب دلائل النبوةوابن جرير وابن أبى حاتم .

فمن أدّاهنّ منكم إيمانا بهنّ ، واحتسابا لهنّ ، كان له أجرُ خمسين صلاة مكتوبة . رواه .وفى الحديث غرابة ونكارة .

رؤية النبي ربه :

فصل : وقد تكلم العلماء فى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الإسراء ، فروى مسروق عن عائشة أنها أنكرت أن يكون رآه ، وقالت من زعم أن محمدا رأى ربَّه ، فقد أعظم على الله الفِرْية ، واحتجت بقوله سبحانه ﴿ لا تُدْرِكُه الأبْصارُ ، وهو يُدْرِكُ الأَبْصارَ ﴾ الأنعام : ١٠٣ وفى مصنف الترمذى عن ابن عباس وكعب الأحبار أنه رآه ، قال كعب : إن الله قسم رؤيته وكلامَه بين موسى ومحمد ، وفى صحيح مسلم عن أبى ذرّ قال : يارسول الله هل رأيتَ ربَّك ؟قال: رأيتُ نوراً ، وفى حديث آخر من كتاب مسلم أنه قال : نوراً أنى أراه ، وليس فى هذا الحديث بيان شاف أنه رآه ، وحكى عن أبى الحسن الأشعرى أنه قال : رآه بعينى رأسِه ، وفى تفسير النقاش عن ابن حنبل أنه سئل : هل رأى محمدٌ ربَّه ، فقال : رآه رآه رآه حتى انقطع صوته ، وفى تفسير

. . . .

عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى وذكر إنكار عائشة أنه رآه ، فقال لزهرى: ليست عائشةُ أعلَم عندنا من ابنِ عباس ، وفى تفسير ابن سلام عن عروة أنه كان إذ ذكر إنكار عائشة أن يكون رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — رأى ربه يشتد ذلك عليه ، وقول أبى هريرة فى هذه المسأله كقول ابن عباس أنه رآه؟ روى يونس عن ابن إسحاق عن داود بن الحصين قال : سأل مروان أبا هريرة: هل رأى محمد ربه؟ قال : نعم ، وفى رواية يونس أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس يسأله : هل رأى محمد ربه؟ فقال : نعم رآه ، فقال ابن عمر : وكيف رآه، فقال ابن عباس كلاما كرهت أن أورده بلفظه لما يُوهم من التشبيه ، ولو صح لكان له تأويل والله أعلم ، والمتحصل من هذه الأقوال — والله أعلم — أنه رآه لا على أكمل ماتكون الرؤية على نحو مايراه فى حظِيرة القُدْسِ عند الكرامة العظمى والنعيم الأكبر ، ولكن دون ذلك ، وإلى هذا يُومى قولُه : رأيت نوراً ونوراً أنى أراه فى الرؤية الأخرى والله أعلم .

وأما الدُّنُوُّ والتَّدلِّى فهما خبرٌ عن النبى — صلى الله عليه وسلم — عن بعضِ المفسرين ، وقيل إن الذى تدلى هو جبريلُ عليه السلام تدلى إلى محمد حتى دنا منه وهذا قول طائفة أيضا ، وفى الجامع الصحيح فى إحدى الروايات منه : فتدَلّى الجبار ، وهذا مع صحة نقله لايكاد أحدٌ من المفسرين يذكره لاستحالة ظاهره، أو للغفلة عن موضعه ، ولا استحالة فيه ؛ لأن حديثَ الإسراء إن كان رؤيا رآها بقلبه وعينُه نائمةٌ — كما فى حديث أنس فلا إشكال فيما يراه فى نومه عليه السلام فقد رآه فى أحسن صورةٍ ووضع كفّه بين كتفيه ، حتى وجد بَرْدَها بين ثدييه

. . . .

رواه الترمذى[1] من طريق معاذ فى حديث طويل ، ولما كانت هذه رؤيا

(١) الحديث كما رواه أحمد بسنده عن ابن عباس أن رسول الله «ص» قال : أتانى ربى الليلة فى أحسن صورة - أحسبه يعنى فى النوم - فقال : يا محمد أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال : قلت لا ، فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى - أو قال نحرى فعلمت ما فى السموات والأرض ، ثم قال : يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال : قلت : نعم يختصمون فى الكفارات والدرجات . قال : وما الكفارات ؟ قال : قلت المكث فى المساجد بعد الصلوات ، والمشى على الأقدام إلى الجماعات ، وإبلاغ الوضوء فى المكاره ، من فعل ذلك عاش بخير ، ومات بخير ، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه . وقال : قل يا محمد إذا صليت . اللهم إنى أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وإذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضنى إليك غير مفتون . قال : والدرجات : بذل الطعام ، وإفشاء السلام ، والصلاة بالليل والناس نيام » ورواه أحمد أيضاً بسنده عن معاذ قال : احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة من صلاة الصبح ، حتى كدنا نتراءى قرن الشمس ، فخرج - صلى الله عليه وسلم - سريعاً فثوب بالصلاة ، فصلى ، وتجوز فى صلاته ، فلما سلم ، قال - صلى الله عليه وسلم - كما أنتم ، ثم أقبل إلينا فقال : إنى قمت من الليل ، فصليت ما قدر لى ، فنعست فى صلاتى حتى استيقظت ، فإذا أنا بربى عز وجل فى أحسن صورة » الخ ولكنه قال فى هذه الرواية : فتجلى لى كل شىء وعرفت ، بدلا من : فعلمت ما فى السموات الأرض . وشتان ما هما فى الدلالة . وعن الدرجات قال فيها : لين الكلام بدلا من إفشاء السلام . أما الدعاء فى رواية معاذ أن الله قال له : سل ، قلت : اللهم إنى أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين وأن تغفر لى ، وترحمنى ، وإذا أردت فتنة بقوم فتوفنى غير مفتون ، وأسألك حبك ، وحب من يحبك وحب عمل يقربنى إلى حبك » أما فى رواية ابن عباس ، فقد ورد أن الله هو الذى طلب منه أن يقول هذا ، وعلمه إياه . هذا والحديث رواه الترمذى من حديث جهضم بن عبد الله

. . . .

اليمامى ، وقال : حسن صحيح ، وهو فى السنن من طرق . ويقول ابن كثير : وهو حديث المنام المشهور ، ومن جعله يقظة ، فقد غلط .

وما أعظم فقه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فيما رواه أحمد بسنده عن عامر ، قال : أتى مسروق عائشة ، فقال : يا أم المؤمنين : هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم — ربه عز وجل ؟ قالت سبحان الله لقد قف شعرى لما قلت . أين أنت من ثلاث من حدثكهن ، فقد كذب . من حدثك أن محمدا رأى ربه ، فقد كذب ، ثم قرأت : (لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار) (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب) ومن أخبرك أنه يعلم ما فى غد ، فقد كذب . ثم قرأت : (إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الأرحام) الآية . ومن أخبرك أن محمدا قد كتم ، فقد كذب ، ثم قرأت : (يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين ، وتدبر ما رواه أحمد بسنده عن مسروق قال : « كنت عند عائشة ، فقلت : أليس الله يقول : (ولقد رآه بالأفق المبين — ولقد رآه نزلة أخرى) فقالت : أنا أول هذه الأمة ، سألت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عنها ، فقال : إنما ذاك جبريل . لم يره فى صورته التى خلق عليها إلا مرتين ، رآه منهبطا من السماء إلى الأرض سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض » وأخرجاه فى الصحيحين من حديث الشعبى به . ولمسلم فى الرؤية طريقان بلفظين عن أبى ذر قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ فقال : نورانى أراه . والآخر : رأيت نورا . وقد حكى الخلال فى علله أن الإمام أحمد سئل عن هذا الحديث ، فقال : مازلت منكرا له ، وماأدرى ماوجهه . ويقول الأئمة : إن عائشة سألت عن الرؤية بعد الإسراء ، ولم يثبت لها النبى الرؤية . ومن قال : إنه خاطبها على قدر عقلها ، أو حاول تخطئتها فيما ذهبت إليه كابن خزيمة فى كتاب التوحيد ، فإنه هو المخطىء . وقد ثبت فى صحيح مسلم عن أبى هريرة أنه قال فى قوله تعالى :(ولقد رآه نزلة أخرى) قال : رأى جبريل عليه السلام .

وحسبنا هذا .

. . . .

لم ينكرها أحدٌ من أهل العلم ، ولااستبشعها ، وقد بينا آنفا أن حديث الإسراء كان رؤيا ثم كانَ يَقظة فإن كان قولُه فتدلى الجبَّارُ في المرة التي كان فيها غير نائمٍ ، وكان الإسراء بجسده ، فيقال فيه من التأويل مايقال في قوله : ينزل ربُّنا كلَّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا ، فليس بأبعدَ منه في باب التأويل ، فلا نَكارَةَ فيه كان في نوم أو يقظه ، وقد أشرنا إلى تمام هذا المعنى في شرح ما تضمنه لفظ القَوْسَين من قوله : قابَ قَوْسَيْن في جزء أمليناه في شرح سبحان الله وبحمده ، تضَمَّن لطائف من معنى التَّقديس والتسبيح ، فلينظر هناك وأمليناأيضاً في معنى رؤيةِ الرب سبحانه في المنام ، وفي عَرَصَاتِ القيامة مسألة لقناع الحقيقة في ذلك كاشفةً فمن أرادفهم الرُّؤية والرؤيا فلينظرها هنالك ، ويقوى ماذكرناه من معنى إضافة التدلِّي إلى الرَّبِّ سبحانه كما في حديث البخاري مارواه ابن سنجر مُسْنَداً إلى شُرَيح بن عبيد ، قال : لما صعد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى السماء ، فأوحى إلى عبده ماأوحى ، فلما أحس جبريل بدُنوِّ الرَّبِّ خرَّ ساجد ، فلم يزَلْ يُسبِّح سُبْحانَ رَبِّ الجبَرُوتِ والمَلَكُوتِ والكِبْرياء والعظمة حتى قضى الله الى عبده ماقضى ، قال : ثم رفع رأسه ، فرأيته في خَلْقه الذي خُلِق عليه منْظُوماً أجنحتُه بالزَّبَرجَدِ واللؤلؤ والياقوت ، فخُيِّل إلىَّ أن مابين عينيه قد سد الأفقين ، وكنت لا أراه قبل ذلك إلا على صُوَرٍ مختلفة ، وكنت أكثر ما أراه على صورة دِحْيَة بن خليفة الكَلْبِي ، وكن أحيانا لايراه قبل ذلك إلا كما يرى الرجلُ صاحبَه من وراءالغربال(١) .

---

(١) حديث متهافت . أما رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل على صورة دحية ، فقد ورد في روايات صحيحة .

. . . .

لقاؤه للنبيين :

فصل: ومما سئل عنه من حديث الإسراء، وتكلم فيه لقاؤه لآدم فى السماء الدنيا، ولإبراهيم فى السماء السابعة، وغيرهما من الأنبياء الذين لقيهم فى غير هاتين السماءين، والحكمةُ فى اختصاص كل واحد منهم بالسماء التى رآه فيها، وسؤال آخر فى اختصاص هؤلاء الأنبياء باللقاء دون غيرهم، وإن كان رأى الأنبياءَ كلهم، فما الحكمة فى اختصاص هؤلاء الأنبياء بالذكر؟ وقد تكلم أبو الحسن بن بطال فى شرح البخارى على هذا السؤال، فلم يصنع شيئا، ومغزى كلامه الذى أشار إليه أن الأنبياء لما علموا بقدومه عليهم ابتَدَرُوا إلى لقائه ابتدار أهل الغائبِ للغائب القادم، فمنهم من أسرع، ومنهم من أبطأ. إلى هذا المعنى أشار فلم يزد عليه، والذى أقول فى هذا: إن مأخذ فهمه من علم التعبير، فإنه من علم النُّبوءة، وأهلُ التعبير يقولون: من رأى نبيا بعينه فى المنام، فإن رؤياه تُؤْذِن بما يُشبه حال ذلك النبى من شِدَّةٍ أو رَخاء أو غير ذلك من الأمور التى أخبِر بها عن الأنبياء فى القرآن، والحديثِ، وحديثُ الإسراء كان بمكةَ وهى حَرَم الله وأمنه وقُطَّانُها جيرانُ الله، لأن فيها بيتَه، فأول ما رأى عليه من الأنبياء آدم الذى كان فى أمن الله وجوارِه، فأخرجه عدوُّه إبليسُ منها، وهذه القصة تشبهها الحالة الأولى من أحوال النبى ـ صلى الله عليه وسلم حين أخرجه أعداؤُه من حَرَمِ الله وجوار بيته، فكَرَبَه ذلك وغَمَّه. وأشبهت قصتُه فى هذا قصة آدم، مع أن آدم تُعْرَض عليه أرواحُ ذريته البَرِّ والفاجر منهم، فكان فى السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين، لأن أرواحَ أهلِ الشقاء لا تَلِجُ فى السماء، ولا تُفْتَح لهم أبوابُها كما قال الله تعالى، ثم رأى

. . . .

فى الثانية عيسى ويحيى وهما المُمتَحنان باليهود ، أما عيسى فكذبته اليهودُ وآذته ، وهمُّوا بقتله فرفعه الله ، وأما يحيى فقتلوه ، ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان ، وكانت محنتُه فيها باليهود ، آذَوْه وظَاهَروا عليه وَهمُّوا بإلقاء الصَّخْرة عليه ، ليقتلوه فَنجّاه الله تعالى كما نَجَّى عيسى منهم ، ثم سَمُّوه فى الشاة ، فلم تزل تلك الأَكْلة تعاوده ، حتى قطعت أبْهَرَهُ[1] كما قال عند الموت ، وهكذا فعلوا بابنَىْ الخالة : عيسى ويحيى ، لأن أمَّ يحيى أشياعُ بنت عمْران أخت مريم ، أمهما : حَنَّة ، وأما لقاؤه ليوسفَ فى السماء الثالثة ، فإنه يؤذن بحالة ثالثة تشبه حال يوسف ، وذلك بأن يوسف ظَفِر بإخوته بعد ماأخرجوه من بين ظَهْرانَيْهِمْ فصفح عنهم ، وقال لا تَثْرِيبَ عليكم الآية ، وكذلك نبينا - عليه السلام أَسَرَ يوم بدرٍ جُمْلَةً من أقاربه الذين أخرجوه فيهم عمه العباسُ ، وابن عمه عقيل ، فمنهم من أطلق ، ومنهم من قبِل فداءه ، ثم ظهر عليهم بعد ذلك عامَ الفتح فجمعهم ، فقال لهم : أقول ما قال أخى يوسف لا تَثْرِيبَ عليكم اليوم ، ثم لقاؤه لإدريسَ فى السماء الرابعة ، وهو المكان الذى سماه الله مكانا عليا ، وإدريس أول من آتاه الله الخطَّ بالقلم ، فكان ذلك مُؤْذنا بحالةٍ رابعة ، وهى عُلُوُّ شأنه - عليه السلام - حتى أخاف الملوكَ وكتب إليهم يدعوهم إلى طاعته ، حتى قال أبو سفيان ، وهو عند ملك الروم ، حين جاءه كتابُ النبى عليه السلام ، ورأى ما رأى من خَوْف هِرَقل :

---

(١) الأبهر : الظهر وعرق فيه ، ووريد العنق والأكحل . وقد ذكر قصة الشاة المسمومة البخارى وغيره .

. . . .

لقد أَمِرَ أَمْرُ ابنِ أبى كَبْشَهَ(١) ، حتى أصبح يخافه مَلِكُ بنى الأَصْفَرِ ، وكتب عنه بالقلم إلى جميع ملوك الأرض ، فمنهم من اتبعه على دينه كالنَّجَاشِي ، ومَلِكَ عمان ، ومنهم من هادنه ، وأهدى إليه وأتحفه كهِرَقْل والمُقَوْقِس ومنهم من تعَصَّى عليه ، فأظهره اللهُ عليه ، فهذا مقام عليّ ، وخط بالقلم كنحو ما أوتى إدريس — عليه السلام — ولقاؤه فى السماء الخامسة لهارون المُحَبَّبِ فى قومه يؤذن بحب قريشٍ ، وجميع العرب له بعد بُغْضهم فيه ، ولقاؤه فى السماء السادسة لموسى يؤذن بحالة تشبه حالة موسى حين أمر بغزو الشام فظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها ، وأدخل بنى إسرائيل البلد الذى خرجوا منه بعد إهلاك عدوهم ، وكذلك غزا رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — تبُوكَ من أرضِ الشام ، وظهر على صاحب دَوْمَةَ حتى صالحه على الجِزْيةِ بعد أن أتى به أسيرا ، وافتتح مكة ، ودخل أصحابه البلدَ الذى خرجوا منه ، ثم لقاؤه فى السماء السابعة لإبراهيمَ — عليه السلام — لحكمتين : إحداهما : أنه رآه عند البيت المعمور مُسْنِداً ظهره إليه والبيتُ المعمورُ حيال مكة ، وإليه تحج الملائكة ، كما أن إبراهيم هو الذى بنى الكعبة ، وأذَّن فى الناس بالحج إليها والحكمة الثانية أن آخر أحوالِ النبى — صلى الله عليه وسلم حِجَّه إلى البيت الحرام ، وحَجَّ معه نحوٌ من سبعين ألفا من المسلمين ، ورؤيةُ إبراهيمَ عند أهلِ التأويل تؤذن بالحج ، لأنه الداعى إليه والرافع لقواعدِ الكعبة المحجوبة ، فقد انتظم فى هذا الكلام الجوابُ عن

---

(١) أى كثر وارتفع شأنه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم ذكر أبى كبشة

. . . .

السؤالين المتقدمين ، أحدهما : السؤال عن تخصيص هؤلاء بالذكر ، والآخر : السؤال عن تخصيصهم بهذه الأماكن من السماء الدنيا إلى السابعة ، وكان الحزمُ تركَ التكلُّف لتأويل مالم يرد فيه نصٌ عن السلَف ، ولكن عارضَ هذا الغرضَ مايجب من التفكير فى حكمة الله ، والتدبر لآيات الله ، وقولُ الله تعالى: ﴿ إنّ فى ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون ﴾ وقد رُوِىَ أن تفكُّرَ ساعةٍ خيرٌ من عِبادةِ سنةٍ[1] مالم يكن النظر والتفكير مجردا من ملاحظة الكتابِ والسنَّةِ ، ومقتضى كلام العرب ، فعندذلك يكون القولُ فى الكتاب والسنة بغيرعلم عصمنا الله ـ تعالى ـ من ذلك[2] ، وجعلنا من المُمْتَثِلينَ لأمْرِه حيث يقول : فاعتبروا يا أولى الأبصارْ وليدَّبروا آياتِه ، ولِيَتَذَكَّر أولو الألبابِ ، ولولا إسراعُ الناسِ إلى إنكار ماجهلوه ، وغِلَظُ الطباع عن فَهْم كثير من الحكمة لأَبْدَيْنَا مِنْ سِرٍّ هذا السؤالِ ، وكشفْنَا عن الحكمة فى هؤلاء الأنبياء المسلمين فى هذه المراتب أكثر مما كشَفْنَا[3] .

البيت المعمور :

فصل : وذكر البيت المعمور ، وأنه يَدْخُلُه كل يوم سبعون ألف ملَكٍ روى ابن سنجر عن على ـ رحمه الله ـ قال: البيتُ المعمور بيتٌ فى السماءالسابعة

---

(١) التفكير نفسه فى خلق السموات والأرض وغيرهما من أجل أنواع العبادة ، فكيف نجعل التفكير شيئاً والعبادة شيئاً آخر ؟ وهذا يدل على ضعف الحديث .

(٢) هذه رائعة من السهيلى ، فلنتدبرها باحتفال تستحقه

(٣) والحق أنه لم يكشف ، وإنما اعتسف .

. . . .

يقال له : الضُّراحُ ، واسم السماء السابعة : عَرِيبًا[1] ، روى أبو بكر الخطيب بإسناد صحيح إلى وَهْب بن مُنَبِّه قال : من قرأ البقرة وآل عمران يوم الجمعة كان له نُورٌ يملأ مابين عَرِيبَاءَ وجريباء وجريبا ، وهى الأرض السابعة[2] ، وذكر عن عبد الله بن أبى الهذيل قال : البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف دِحْيَة عند كل دِحْيَةٍ سبعون ألف ملك رواه عنه أبو التَّيَّاح [يزيد الضُّبَعِيّ] قال أبو سلمة : قلتُ ما الدِّحْيَةُ ؟ قال : الرئيس . وروى ابنُ سنجر أيضا من طريق أبى هريرة عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم قال : فى السماء السابعة بيتٌ يقال له : الْمَعْمُور بحِيالِ مَكَّةَ ، وفى السماء السابعة نهرٌ يقال له الحيوان[3] يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه انغماسةً ، ثم يخرج فينتفض انتفاضة، يَخر عنه سبعون ألف قَطْرَةً ، يخلق الله من كل قطرة ملكا ويؤمرون أن يأتوا البيت المعمور ويصلوا فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبداً ، [و] يولى عليهم أحدهم يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفا يُسَبِّحون الله[فيه]

---

(١) فى القاموس واللسان والنهاية لابن الأثير أن اسم السماء السابعة : عروباء

(٢) فى اللسان : الجرباء : السماء سميت بذلك لما فيها من الكواكب ، وقيل: سميت بذلك لموضع المجرة كأنها جربت بالنجوم . وقيل : الجرباء من السماء : الناحية التى لا يدور فيها فلك الشمس والقمر . . والجرباء والملساء : السماء الدنيا . . وأرض جرباء ممحلة وقحوطة لا شىء فيها ، وفى القاموس عن الجرباء أنها قرية بجنب أذرح ، ثم قال : وغلط من قال : بينهما ثلاثة أيام ، وإنما الوهم من رواة الحديث من إسقاط زيادة ذكرها الدارقطنى ، وهى : ما بين ناحيتى حوض كما بين المدينة وجرباء وأذرح .

(٣) فى ابن أبى حاتم : « وفى السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان .

. . . .

إلى أن تقوم الساعة »[1]

فرض الصلاة :

فصل : وأما فرض الصلاة عليه هنالك ، ففيه التنبيه على فضلها ، حيث لم تُفرض إلاَّ في الحضرة[2] المُقَدَّسَةِ ، ولذلك كانت الطهارةُ من شأنها ، ومن شرائط أدائها ، والتنبيه على أنها مناجاةُ الرب ، وأن الرب تعالى مُقْبِلٌ بوجهه على المصلِّى يناجيه يقول : حِمَدَنى عبدى ، أَثْـنَى علَيَّ عَبْدِي[3] إلى آخر

---

(١) الحديث أخرجه ابن أبي حاتم ، وقد تكلم عنه ابن كثير ، فقال : «هذا حديث غريب جداً تفرد به روح بن جناح ، هذا وهو القرشي الأموي مولاهم أبو سعيد الدمشقي ، وقد أنكر عليه هذا الحديث جماعة من الحفاظ ، منهم : الجوزجاني والعقيلي والحاكم أبو عبد الله النيسابوري وغيرهم ، وقال الحاكم : لا أصل له من حديث أبي هريرة ، ولا سعيد ، ولا الزهري » تفسير سورة الطور .

(٢) سبق بيان أن آيات القرآن تؤكد أن الصلاة كانت مفروضة قبل هذا ، وإلا وجب القول بأن الإسراء كان في عقب المبعث مباشرة . هذا ، ولا يجوز أن نقول «الحضرة المقدسة » فإنه لا يعد تعبيرا إسلاميا ، ولكنه تعبير صوفي قديم ولم يرد في قرآن أو حديث ، ولم يجر على لسان صحابي أو تابعي ، ولا يجوز أن ننسب إلى الله سبحانه إلا ما نسب هو ـ جل شأنه ـ إلى نفسه .

(٣) من حديث رواه مسلم والنسائي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن ، فهي خداج ـ ثلاثا ـ غير تمام فقيل لأبي هريرة : إنا نكون خلف الإمام ، فقال اقرأ بها في نفسك ، فإني سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : قال الله ـ عز وجل ـ قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين . ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين قال الله : حمدني عبدي ، وإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله أثنى على عبدي ، =

. . . .

السورة ، وهذا مُشاكِلٌ لفرضها عليه فى السماء السابعة حيث سمع كلام الرب ، وناجاه ، ولم يعرج به حتى طُهِّر ظاهرُه وباطنهُ بماء زمزم كما يتطهر المصلى للصلاة ، وأُخْرِج عن الدنيا بجسمه ، كما يخرج المصلى عن الدنيا بقلبه ، ويحرُم عليه كل شىء إلا مناجاة ربه وتوجهه إلى قبلته فى ذلك الحين ، وهو بيت المقدس ، ورفع إلى السماء كما يرفع المصلى يديه إلى جهة السماء إشارة إلى القبلة العليا فهى البيت المعمور ، وإلى جهة عرش من يناجيه ويصلى له سبحانه .

فرضه الصلوات خمسين

فصل وأما فرض الصلوات خمسين ثم حط منها عشرا بعد عشر إلى خمس صلوات . وقد روى أيضا أنها حطت خمساً بعد خمس ، وقد يمكن الجمع بين الروايتين لدخول الخمس فى العشر ، فقد تكلم فى هذا النقص من الفريضة :

= فإذا قال: مالك يوم الدين، قال الله: مجدنى عبدى، وقال مرة : فوض إلى عبدى. فإذا قال : إياك نعبد ، وإياك نستعين قال : هذا بينى وبين عبدى ، ولعبدى ماسأل ، فإذا قال : إهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين ، قال الله : هذا لعبدى ، ولعبدى ما سأل ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن . أقول : إن القرآن يفرض على كل مسلم إذا قرئ القرآن أن يستمع وينصت ، وعلى هذا يجب على المأموم ـ خلافا لما فى الحديث ـ ألا يقرأ بالفاتحة فى نفسه ، وهو يسمع القرآن من الإمام ، لأن الله يقول : (وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له ، وأنصتوا لعلكم ترحمون) . الأعراف : ٢٠٤ . والقول بأن الأمر موجه إلى من يكونون فى غير الصلاة قول على الله بغير علم .

. . . .

أَهُو نَسْخٌ أم لا ؟ على قولين ، فقال قوم : هو من باب نَسْخ العبادة قبل العمل بها ، وأنكر أبو جعفر النحاس هذا القول من وجهين ، أحدهما البناء على أصلِه ومذهبه فى أن العبادة لايجوز نسخُها قبل العمل بها ، لأن ذلك عنده من الْبَدَاء ، والْبَدَاء محالٌ على الله سبحانه . الثانى : أن العبادةَ إن جاز نسخُها قبل العمل بها عند من يرى ذلك ، فليس يجوز عند أحدٍ نسخُها قبل هبوطها إلى الأرض ووصولها إلى المخاطبين : قال : وإنما أدعى النسخ فى هذه الصلوات الموضوعةعن محمد وأمته القاشانى ، ليصحح بذلك مذهبَه فى أن البيان لايتأخر . ثم قال أبو جعفر : إنما هى شفاعة شفعها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأمته ومراجعةٌ راجعها ربه ،ليخفف عن أمته ، ولايسمى مثل هذا نسخا .

قال المؤلف : أما مذهبه فى أن العبادة لا تُنْسَخ قبل العمل بهـا ، وأن ذلك بَدَاء فليس بصحيح ، لأن حقيقة البَداء أن يَبْدُو للآمرِ رأىٌ يتبين له الصوابُ فيه بعد أن لم يكن تبينه ، وهذا محال فى حق من يعلم الأشياء بعلم قديم[1] ، وليس النسخ من هذا فى شىء إنما النسخ تبديلُ حكم بحكم ، والكلُّ

---

(١) فى اللسان : « البداء : استصواب شىء علم بعد أن لم يعلم ، وذلك على الله غير جائز » ويقول الشهرستانى فى الملل والنحل : « والبداء له معان : البداء فى العلم ، وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أزاد وحكم ، والبداء فى الأمر ، وهو أن يأمر بشىء ، ثم يأمر بعده بخلاف ذلك » قال هذا وهو يتحدث عن المختار بن عبيد الثقفى أحد زعماء فرق الشيعة الأوائل ، ثم قال : « وإنما صار المختار إلى اختيار القول بالبداء ، لأنه كان يدعى علم ما يحدث من الأحوال إما بوحى يوحى إليه ، وإما برسالة من قبل الإمام ، فكان إذا وجد أصحابه بكون شىء ، وحدوث حادثة ، فإن وافق كونه قواه جعله دليلا =

. . . .

فى سابق علمه ومقتضى حكمته، كنسخه المرضَ بالصحة، والصحةَ بالمرضِ، ونحو ذلك، وأيضاً بأن العبدَ المأمور يجب عليه عند توجه الأمر إليه ثلاثُ عباداتٍ: الفعل الذى أُمِر به، والعزم على الامتثال عند سماع الأمر، واعتقاد الوجوب إن كان واجبا فإن نُسِخ الحكم قبل الفعل، فقد حصلت فائدتان: العزمُ واعتقادُ الوجوب. وعلم الله ذلك منه، فصحَّ امتحانُه له واختباره إياه، وأوقع الجزاء على حسب ماعلم من نيته، وإنما الذى لايجوز نسخ الأمر قبل نزوله، وقبل علم المخاطب به، والذى ذكر النحاس من نَسْخ العبادة بعد العمل بها، فليس هو حقيقة النسخ، لأن العبادة المأمور بها قد مضت، وإنما جاء الخطاب بالنهى عن مثلها لاعنها، وقولنا فى الخمسِ والأربعين صَلاةً الموضوعةَ عن محمد وأمته أحد وجهين، إما أن يكون نسخ ماوجب على النبى صلى الله عليه وسلم من أدائها ورفع عنه استمرار العزم واعتقاد الوجوب، وهذا قد قدمنا أنه نسخٌ على الحقيقة، ونسخ عنه ماوجب عليه من التبليغ، فقد كان فى كل مرة عازما على تبليغ ماأمر به، وقول أبى جعفر: إنما كان شافعا ومراجعا ينفى النسخ فإن النسخ قد يكون عن سبب معلوم، فشفاعته عليه السلام لأمته كانت سببا للنسخ لامُبْطِلةً لحقيقته،

= على صدق دعواه، وإن لم يوافق قال: قد بدا لربكم، وكان لايفرق بين النسخ والبداء، ص ٢٣٧ ح ١ الملل والنحل للشهرستانى ط مكتبة الحسين التجارية فالبداء إذن أسطورة ملعونة، ومحال نسبتها إلى الله سبحانه ولا يجوز وصف علم الله بأنه قديم، كما لايجوز وصف الله بهذه الصفة كما سبق بيانه. كما أنه لايجوز أن يقال عن آية فى القرآن إنها منسوخة، فكل آية فى القرآن هى حق لا ريب فيه، وكل آية فيه يجب أن نؤمن بأنها غير منسوخة.

. . . .

ولـكن المنسوخ ماذكرنا من حكم التبليغ الواجب عليه قبل النسخ وحكم الصلوات الخمس فى خاصته ، وأما أمته فلم ينسخ عنهم حكم إذ لايتصور نسخ الحسكم قبل بلوغه إلى المأمور ، كما قدمنا ، وهذا كله أحد الوجهين فى الحديث.

والوجه الثانى أن يكون هذا خبرالا تَعبُّدا ، وإذا كان خبرا لم يدخله النسخُ ، ومعنى الخبر أنه عليه السلام أخبره ربُّه أن على أمته خمسين صلاة ، رمعناه : أنها خمسون فى اللوح المحفوظ ، وكذلك قال فى آخر الحديث : هى خمسٌ وهى خمسون ، والحسنة بعشر أمثالها فتأوله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أنها خمسون بالفعل ، فلم يزل يراجع ربَّه حتى بيَّن له أنها خمسون فى الثواب لابالعمل . فإن قيل : فما معنى نقصها عشرا بعدعشر ؟ قلنا : ليس كل الخلق يحضر قلبه فىاالصلاة من أولها إلى آخرها ، وقد جاء فى الحديث أنه يكتب له منها ماحضر قلبه فيها ، وأن العبد يصلى الصلاة ، فيـكتب له نصفها ربعها حتى انتهى إلى عشرِها ، ووقف ، فهى خمسٌ فى حق من كتب له عشرها ، وعشر فى حق من كتب له أكثر من ذلك ، وخمسون فى حق من كملت صلاتُه وأداها بما يلزمه من تمام خشوعها وكمال سجودها وركوعها .

أوصاف من الملائـكة :

فصل : وذكر أنه عليه السلام لم يلقه مَلَكٌ من الملائـكة إلا ضاحكا مستبشرا إلا مالـكاً خازنَ جهنم ، وذلك أنه لم يضحك لأحدٍ قبله، ولاهوضاحك لأحدٍ ، ومِصْداق هذا فى كتاب الله تعالى ، قال الله سبحانه ﴿ عليها ملائِـكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾ التحريم : ٦ وهم موكلون بغضب الله تعالى، فالغضب لايزايلهم

. . . .

أبدا ، وفى هذا الحديث معارضة للحديث الذى فى صفة ميكائيل أنه ماضحك منذ خلق الله جهنم ، وكذلك يعارضه ما خرّج الدَّارَقُطْنِيُّ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تبسم فى الصلاة ، فلما انصرف سُئل عن ذلك ، فقال : رأيت ميكائيلَ راجعا من طلب القوم ، على جناحيه الغبارُ فضحِكَ إلىّ ، فتبسمت إليه ، وإذا صح الحديثان ، فوجه الجمع بينهما : أن يكون لم يضحك منذ خلق الله النار إلى هذه المدة التى ضحك فيها لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيكون الحديثُ عامًّا يُراد به الخصوص ، أو يكون الحديث الأول حدَّث به رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل هذا الحديث الأخير ثم حدث بعدُ بما حَدَّث به من ضَحِكِهِ إليه ، والله أعلم ولَمَ يَرَ مالكا على الصورة التى يراه عليها المعذبون فى الآخرة ، ولو رآه على تلك الصورة مااستطاع أن ينظر إليه .

أكلة الربا في رؤيا المعراج :

وذكر أَكَلَة الرِّبا وأنهم بسبيل آلِ فرعون يمرون عليهم كالإبل المهيومة ، وهى العِطاش ، والهُيَام : شدة العطش ، وكان قياس هذا الوصف ألا يقال فيه مَهْيومة ، كما لا يقال معطوشة ، إنما يقال هائم وَهيمان ، وقد يقال : هُيُومٌ ويجمع على هيم ، ووزنه فعل بالضم لكن كُسِرَ من أجل الياء كما قال تعالى : ﴿ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴾ الواقعة : ٥٥ ولكن جاء فى الحديث مَهْيُومة ، كأنه شىء فعل بها كالمَحْمُومة والمجنُونة وكالمنْهُوم ، وهو الذى لا يَشْبع وكان قياس الياء أن تعتل ، فيقال : مَهِيمة ، كما يقال : مَبِيعة فى معنى مَبْيُوعة .

. . . .

ولكن صحت الياء ، لأنها فى معنى الهيومة كما صحّت الواو فى عور لأنه فى معنى أعور ، كما صحت فى اجْتَوَرُوا لأنه فى معنى : تَجَاوَرُوا ، وإنما رآهم مُنْتَفِخَةً بطونُهم ؛ لأن العقوبةَ مُشَاكِلةٌ للذنب ، فآكل الربا يَرْبو بطنُه ، كما أراد أن يَرْبُو مالُه بأكل ماحُرِّم عليه ، فَمُحِقَت البركَةُ من ماله ، وجُعِلت نَفْخاً فى بطنه، حتى يقومَ كمايقومُ الذى يتخبَّطه الشيطانُ من الْمَسِّ ، وإنما جُعِلوا بطريق آل فرعون يمرون عليهم غُدُوًّا وعَشِيًّا لأن آلَ فرعون هم أشد الناس عذابا يوم القيامة ، كما قال سبحانه : ﴿ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ غافر : ٤٦ . فَخصُّوا بسبيلهم ، ليعلَم أن الذين هم أشدُّ الناسِ عذابا يطئونهم فضلا عن غيرهم من الكفار ، وهم لايستطيعون القيامَ ، ومعنى كونهم فى طريق جهنم بحيثُ يُمَرُّ بالكفار عليهم ، أن الله سبحانه قد أوقف أمرَهم بين أن ينتهوا ، فيكون خيرا لهم ، وبين أن يعودوا و يصروا ، فيدخلهم النار ، وهذه صفةُ مَنْ هو فى طريق النار قال الله تعالى : ﴿ فمن جاءَهُ مَوْعِظَةٌ من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره إلى الله ﴾ البقرة : ٢٧٥ . إلى آخر الآية وفى بعضَ المسندات أنه رأى بطونَهم كالبيوت ، يعنى : أَكَلَةَ الرِّبا ، وفيها حيَّاتٌ ترى خارج البطون. فإن قيل : هذه الأحوال التى وصفها عن أَكَلة الربا إن كانت عبارةً عن حالهم فى الآخرة ، فآلُ فرعون فى الآخرة قد أُدْخِلوا أشدَّ العذاب ، وإنما يُعرَضُون على النارِ غُدُوًّا وعَشِيًّا فى الْبَرْزَخ ، وإن كانت هذه الحالُ التى رآهم عليها فى البَرْزَخ ، فأى بُطون لهم ، وقد صاروا عِظاما ورفاتا ، ومُزِّقوا كُلَّ مُمَزَّقٍ فالجواب أنه إنما رآهم فى البرزخ ، لأنه حديثٌ عما رأى ، وهذه الحال هى حال

. . . .

أرواحهم بعد الموت ، وفيها تصحيح لمن قال : الأرواحُ أجسادٌ لطيفة قابلة للنعيم والعذاب ، فيخلق الله فى تلك الأرواح من الآلام مايجده مَنْ انتفخ بطنُه حتى وُطِىء بالأقدام ، ولا يستطيع مِنْ قيامٍ ، وليس فى هذا الحديث دليلٌ على أنهم أشد عـــذابا من آلِ فرعونَ ، ولكن فيه دليل على أنهم يَطَؤُهم آلُ فرعون وغيرهم من الكفار الذين لم يأكلوا الرِّبا ماداموا فى البرزخ إلى أن يقوموا يوم القيامة ، كما يقوم الذى يتخبَّطه الشيطانُ من الْمَسِّ ، ثم ينادى منادِى الله ﴿ أدْخِلُوا آل فِرْعَوْن أشدَّ العذاب ﴾ غافر : ٤٦ وكذلك ما رأى من النساء الْمُعَلّقات بثديهن[1] يجوز أن يكون رأى أرواحَهُنّ ، وقد خُلق فيها من الآلام مايجده مَنْ هذه حالُه ، ويحتمل أيضاً أن يكون مثِّلت له حالهن فى الآخرة ، وذكر الذينَ يدَعُون ماأحل اللهُ من نسائهم ، ويأتون ماحرم عليهم ، وهذا نص على تحريم إتيان النساء فى أعجازهن ، وقد قام الدليل على تحريمه من الكتاب والسنة والإجماع ، وقد ذكرنا المواضع التى يقوم منها التحريم على هذه المسألة من كتاب الله ، ومن حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكرنا ماجاء فى ذلك عن ابن عباس من قوله : هو الكفر ، وقول ابن عمر : هى اللُّوطيَّة الصغرى ، وأما الإجماع ، فإن المرأةَ تُرَدُّ بداء الْفَرْج ، ولو جازَ وطْؤُها فى المسلك الآخر ما أجمعوا على رَدِّها بداء الفرج ، وقد مهَّدنا الأدلة على هذه المسألة مُفْردة فى غير هذا الإملاء بما فيه شفاء والحمد لله

---

(١) لم يخرجه أحد من أصحاب الصحيح ، وفى بعض رواياته غرابة ونكارة .

. . . .

الولد لغير رشدة :

وقوله : فأكل حرائبهم : الْحَرِيبَةُ : المـال ، وهو من الحرب ، وهو السَّلَبُ، يريد أن الولد إذا كان لغير رِشْدَةٍ نُسب إلى الذى وُلد على فراشه ، فيأكل من ماله صغيرا ، وينظر إلى بناته من غير أمه وإلى أخواته ، ولَسْنَ بعمَّاتٍ له ، وإلى أمِّه وليست بجدَّة له ، وهذا فساد كبير ، وإنما قدّم ذكر الأكل من حَرِيبته وماله قبل الاطلاع على عَوْراته ، وإن كان الاطلاعُ على الْعَوْرَاتِ أشنع ، لأن نفقته عليه أول من حال صغره، ثم قد يبلغ حد الاطلاع على عَوْراته ، أولا يبلغ ، وأيضاً فإن الأم أرضعته بلبانها ، ولم تدفعه إلى مرضعة كان الزَّوْجُ أباً له من الرضاعة ، وكان حكمه حكم الابن من الرضاعة ، وفى ذلك نقصان من الشناعة ، فإن بلغ الصَّبِي ، وتابت الأم ،وأعلمته أنه لغير رِشْدَة ليستعفَّ عن ميراثهم ، ويكف عن الاطِّلَاع على عَوْراتهم ، أو علم ذلك بقرينةِ حالٍ وجب عليه ذلك وإن كان شرَّ الثلاثة كما جاء فى الحديث فى ابن الزِّنا ، وقد تُؤُوِّلَ حديثُ شَرِّ الثلاثة على وُجوهٍ ، هذا أقربها إلى الصواب ، لقوله عليه السلام : أَكَلَ حَرائِبهم ، واطَّلَع على عَوْراتهم ، ومن فعل هذا عن عَمْدٍ وقصد فهو شر الناس ، وإن لم يعلم فأكُله واطلاعُه شرُّ عمل ، وأبواه حين زَنَيـا فارقا ذلك العمل الخبيث لحينهما والابن فى عمل خبيثٍ من مَنْشَئِه إلى وفاته ، ، فعملُه شَرُّ عمل .

حكم الحاكم لا يحل الحرام :

وفى هذا الحديث من الفقه أيضاً أن حكم الحاكم لا يُحِلُّ حراما ، وذلك أن الولد فى حكم الشريعة للفِراش إلا أن يُنْفَى باللِّعَان ، فإذا حكمَ الحاكم بهذا ، وعلم

. . . .

الولدُ عند بلوغه خلاف ماحكم به الحاكم لم يحل له بهذا الحكم ماحرّم الله عليه من أكل الحرائب والاطلاع على العورات ، وفى هذا ردٌّ لمذهب أبى حنيفة من قوله: إن حكم الحاكم قد يحل مايعلمَ أنه حرام مثل أن يشهد شاهدان على رجل أنه طلّق، وهما يعلمان أنه لم يطلق فيقبل القاضى شهادتهما فيطلق المرأة على الرجل ، فإذا بانَتْ منه كان لأحد الشاهدين أن يَنْكِحها مع علمه بأنه قد شَهِد زُوراً ، لم يقل أبو حنيفة بهذا القول فى الأموال لقول النبى عليه السلام «إنما أنا بَشَرٌ وإنكم تختصمون إلىَّ ، ولعلّ أَحَدَكُم أن يكون أَلْحَنَ بِحُجَّتِه من صاحبه ، فأقضى له على نحو ما أسمع ، فمن قَضَيْتُ له بشىء من حَقِّ أخيه ، فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعةً من النار[1] » فى هذا الحديث مع الذى تقدمَ ردٌّ لمذهبه ، ولا حجة له فى أن يقول ذلك مخصوص بالأموال من وجهين : أحدهما : أن أن القياسَ أصل من أصوله ، وقياس المسألتين واحد ، الثانى : أنه قال من حق أخيه ، ولم يقل من مال أخيه ، وهذا لفظ يعم الحقوق كلها قال المؤلف: وعندى أن أبا حنيفة رحمه الله : إنما بنى هذه المسألة على أصله فى طلاق المُكرَه ، فإنه

---

(١) رواه الجماعة . ومعنى ألحن : أبلغ كما وقع فى الصحيحين أى : أحسن إيرادا للكلام ، ولابد من تقدير محذوف لتصحيح معناه . وهو أى وهو كاذب ، ويسمى هذا عند علماء الأصول : دلالة اقتضاء ، لأن اللفظ الظاهر المذكور يقتضى هذا المحذوف ، وقد يكون معناه : أعرف بالحجة ، وأفطن لها من غيره ويقال : لحنت لفلان إذا قلت له قولا يفهمه ، ويخفى على غيره لأنك تميله بالتورية عن الواضح المفهوم ، فاللحن : الميل عن جهة الاستقامة ، يقال : لحن فلان فى كلامه : إذا مال عن صحيح المنطق . وفى رواية « ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأقضى بنحو مما أسمع »

. . . .

عنده لازم فإذا أكره الرجلُ على الطلاق ، وقلنا يلزم الطلاق له ، فقد حرمت المرأة عليه ، وإذا حرمت عليه جاز أن ينكحها من شاء فالإثم إنما تعلق في هذا المذهب بالشهادة دون النكاح ، وقد خالفه فقهاء الحجاز في طلاق المكره ، وقولهم يعضده الأثر ، وقول أبي حنيفة يعضده النظر ، والخوض في هذه المسألة يصدُّنا عما نحن بسبيله .

مكان إدريس

فصل : وذكره لإدريس في السماء الرابعة مع قوله تعالى : (وَرَفَعْناهُ مَكاناً عَلِيّاً) مريم ، مع أنه قد رأى موسى وإبراهيم في مكان أعلى من مكان ادريس فذلك والله أعلم لما ذكر عن كعب الأحبار أن ادريس خص من جميع الأنبياء أن رفع قبل وفاته إلى السماء الرابعة ، ورفعه ملَكٌ كان صديقا له ، وهو الملك الموكَّل بالشمس فيما ذكر ، وكان إدريس سأله أن يُريه الجنة ، فأذن له الله في ذلك ، فلما كان في السماء الرابعة رآه هنالك ملَكُ الموت ، فعجب ، وقال أمرت أن أقبض روحَ إدريس الساعة في السماء الرابعة ، فقبضه هنالك ، فرفعه حياً إلى ذلك المكان العلي خاصٌّ له دون الأنبياء[1] .

---

(١) يقول ابن كثير عن هذا : « وقد روى ابن جرير ههنا أثراً غريبا عجيبا » ثم ذكر الأثر بطوله ، بخرقه المشئوم ، وكذبه الملعون ، ثم قال بعده : « هذا من أخبار كعب الأحبار الإسرائيليات ، وفي بعضه نكارة والله أعلم » تفسير الآية من سورة مريم . أما المكان العلي فقد ذكر الحسن وغيره أنه الجنة . ولنحذر من موبقات كعب

. . . .

قول الأنبياء فى كل سماء :

فصل : وذكر من قول الأنبياء له فى كل سماء : مَرْحَباً بالأخ الصالح ، وقول آدم وابراهيم : بالابن الصالح وقد ذكرنا فى أول هذا الكتاب حُجَّةً لمن قال: إن إدريسَ ليس بجدٍّ لنُوحٍ ، ولا هو من آباء رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه قال مَرْحَباً بالأخ الصالح ، ولم يقل : بالابن الصالح

خرافة طلب موسى أن يكون من أمة أحمد :

وأما اعتناء موسى ـ عليه السلام ـ بهذه الأُمَّة وإلحاحُه على نبيها أن يشفع لها ، ويَسأل التخفيفَ عنها ، فالقوله ـ والله أعلم ـ حين قُضِيَ إليه الأمرُ بجانِبِ الغَربيِّ ، ورأى صفات أمة محمد عليه السلام فى الألواح ، وجعل يقول : إنى أجد فى الألواح أمَّةً صفتُهم كذا ، اللهم اجعلهم أمتى ، فيقال له : تلك أمة أحمد ، وهو حديث مشهور[1] ، فكان إشفاقه عليهم واعتناؤه بأمرهم كما يعتنى بالقوم مَنْ هُو منهم ، لقوله : اللهم اجْعَلْنى منهم ، والله أعلم .

---

(١) هو مشهور ، ولكن شهرة الباطل الماكر ، والضلالة اللئيمة ، وقد أخرجه أبو نعيم فى الدلائل ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الصحيح . وكيف يطلب موسى من الله أن تكون هذه الأمة التى ستأتى بعده بقرون أمة له ؟ وكيف نصدق أو كيف يستقيم القول بأنه أعطى خصلتى الرسالة والتكليم بعد هذه المناقشة ، على حين كان هو رسولا مكلما قبل أن تنزل الألواح عليه . فقد ورد فى ختام الحديث . أن موسى قال : « يارب فاجعلنى من أمة أحمد ، فأعطى عند ذلك خصلتين ، فقال : (يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى ، فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) إنها خرافة ظاهرها يـنزع إلى تمجيد النبى « ص » وباطنها ـ بهته بالكذب والخرف الأحمق »

. . . .

بعض مارأى :

ومما جاء فى حديث الإسراء مما لم يذكره ابن اسحاق فى مُسْند الحارث ابن أبى أسامة أنه ـ عليه السلام ـ ناداه مناد ، وهو على ظهر الْبُراق : يامحمد ، فلم يعرج عليه ، ثم ناداه آخر : يامحمد يامحمد ثلاثا ، فلم يعرج عليه ، ثم لقيته امرأة عليها من كُلِّ زينة ناشرةً يديها ، تقول : يامحمد يامحمد ، حتى تَغَشَّته ، فلم يعرج عليها ، ثم سأل جبريلَ عما رأى ، فأخبره ، فقال : أما المنادى الأول ، فداعى اليهود لو أجبْته لَتَهَوَّدَت أمتك ، وأما الآخر فداعى النصارى ، ولو أجبتَه لَتَنَصَّرَتْ أمتك ، وأما المرأة التى كان عليها من كل زينة ، فانها الدنيا لو أَجَبْتَها لآثرتَ الدنيا على الآخرة[1] .

---

(١) وردت فى حديث رواه البيهقى فى الدلائل بسنده إلى أبى سعيد الخدرى وابن جرير . ورواه ابن أبى حاتم بسياق طويل كما يقول ابن كثير ـ حسن أنيق أجود مما ساقه غيره على غرابته وما فيه من النكارة .



تم بحمد الله
الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع
ان شاء الله

وأوله : ﴿ كفاية الله أمر المستهزئين ﴾



فهرس

الجزء الثالث من الروض الأنف

س = سيرة . ش = شرح . وما ليس أمامه شيء أو أمامه راء فهو من الروض ، و«ن ل» مسائل نحوية ولغة

(١) ذكرت خطأ فى العنوان (عزيز)





